



الْمِنْهَاجُ السَّوِيُّ

شرح

مَنْطُومَةُ الْمَهْدِيِّ لِلنَّبِيِّ



تحقيق

محمد بن أحمد الجبراني

تأليف

محمد بن قاسم الوجي

دار الحكمة الثانية  
صنعاء اليمن

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

الْمِنْهَاجُ السَّوِيُّ  
شرح

مَنْظُومَةُ الْمَدَارِكِ لِلنَّبَوِيِّ

تتقيق  
محمد بن أحمد البحراني

تأليف  
محمد بن قاسم الوجيه





## الكتاب ٣

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل  
والترجمة والتسجيل المرئي والسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق  
إلا بإذن خطي من دار الحكمة اليابانية

# بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد

فإن أشرف ما يقدمه الباحثون ، وأسمى ما يسعى إليه المؤلفون ، وأروع ما يكتبه المؤرخون هو ما اشتملت عليه حياة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الحافلة بكل معاني الخير والسعادة ، والتي هي بلا ريب مصدر كل عزة وكرامة لأمته من بعده . وقد وعت كتب السنة الكثير من شأئله وصفاته وتشريعاته ، وبقدر ما يحمل الإنسان من علم ومعرفة سيرته الخالدة يكون فضله ومقداره ، وشرف الإنسان بشرف الرسالة التي يحملها ، وليس ثم جهد يضاهاى من خدمة العلم الشريف والسنة النبوية وضبط متونها ، وقد نجح في ضبط هذا المقصد الأسمى الكثير من العلماء ولا سيما ابن القيم في كتابه المسمى : ( زاد المعاد في هدي خير العباد ) وجاء بعده من المحققين المولى الحسن بن إسحاق فعني بنظمه ، ليكون أكثر ضبطاً وأكثر عذوبة وسهولة لمن أحب أن يتزود من الهدي النبوي ولتعم الفائدة . وفي عصرنا بادر المولى العلامة الحجة محمد بن القاسم الوجيه إلى شرح هذه المنظومة بأسلوب واضح وبيان ناصع ، لا حشوفيه ولا تطويل ، ولا تعقيد ولا تكليف ، بما يتسق وروح العصر الحديث ، فيأض الأداء بعيد عن المصطلحات الفنية ، لأن هم الأكبر الوصول إلى الحق دون تكلف والتواء ، فحقق الرغبة لكل من يحب الاقتداء بنبي الأمة ، ولبي الحاجة في جمع واختيار أصح الأقوال وأرجحها في المقاصد الأساسية ، فأفاد وأجاد ، وبذل جهداً كبيراً في تحقيق المطلوب ، فجزاه الله خيراً ، كما نسأل المولى عز وجل أن يعم النفع بهذا الكتاب ، والله الموفق والهادي إلى الصواب .

ربيع الأول ١٤٠٧ هـ

وكيل الهيئة العامة للمعاهد العلمية

حمود بن محمد عبد الله شرف الدين



## بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اقتصر في جولتي النظرية على صفحات من هذا السفر الجليل بجزأيه لا عن ملل فهو ومن هدانا بهديه لا يمل ، وإنما ارتشفت من رضابه العذب الزلال ، واستقيت من معينه جرعة حسبتها شافية للقلب وانتفاء بما انساب منها إلى جميع الجسد فقومتُ به اعوجاجه وقوت بمجهرها النير الواضح بصري نحو الطريقة التي ماسلكها قوي العقيدة إلا نجا ، ولا مسترشداً أو رائداً إلا سعد واهتدى .

لقد مررت على كلا الجزأين الجليلين وكنت معجباً بما احتويا عليه نظماً وشرحاً ، تنسيقاً وإبداعاً ، كنت أقف عند كل هضبة من هضباتها ، مفكراً حائراً ، هل هو الحلم الذي حلمته والأمنية التي تمنيتها أيام التحصيل البدائي في صباي ، منذ أن قرأت هذه المنظومة ؟ وإذا بشرحها يحقق ذلك الحلم وتلك الأمنية ، والله المنة والحمد ، يتحقق أيضاً كلا الأمرين .

إني مع ذلك أتمنى ثانية بطبع كامل الجزأين العظيمين لتمتلي الخزائن المكتبية بهما وتصل نسخهما إلى كل يد ، من الطلاب والرواد ، طلاب العلم والمعرفة ورواد الباحثين وأهل التقى . فإني ، وكما أعتقد ، لا غنى لشبابنا ومعاصرنا عن التزود بهدي نبي الإسلام ، حبيبنا وهادينا ومهديننا وقائدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .. كما أعتقد أن دراسة هذين الجزأين ضرورية ليجلوا بسطع نورهما أبصار الأمة المتمسكة بهدي نبيها ، وليطهرها بيلسمه دغل القلوب الحاقدة المرتضية الملحدة التي قد يؤثر فيها المشككون الموهون ، وإن كانت

البذرة بذرة وشررها حرقه ، ولن يجد الملاحدة بكل أساليبهم إلى دين الله سبيلاً ، إني أقول بحق وخالص صدق لا يشوبها تنميق أو ملق : إني حسبت وأنا أجول ببصري بين أسطر هذا المسطور الجليل بجزأيه نظماً وشرحاً ، كأني أجول في حديقة فيها من كل الثمرات ، ألتقط من جناتها وأخزنها في فكري وعقلي ، أو كأني بصديق حميم غاب عني ، أو بصديق جديد كسبته صديقاً قديماً ، أرشدني في شبابي ، وصديق حديث أسعدني في كهولتي إن لم أعترف بالشيخوخة بهذه السعادة التي تعد سعادة الدنيا والأخرى ، أو تحفة من تحف الملتاع إلى هدي سيد ولد عدنان ، المشتاق إلى الخلود في جنة عرضها السموات والأرض ، سعادة وتحفة يجتمعان في آن واحد ويلتقيان وجهاً لوجه .

إني وكل متشعب بعقيدة التوحيد أكرر الشكر لفضيلة الأخ العلامة الكبير رئيس المحكمة الاستئنافية للواء صنعاء محمد بن قاسم الوجيه حفظه الله على ما قام به من الشرح في هذين الجزأين لمنظومة الهدى النبوي ، وعلى ما بذله من جهد مضى ، رغماً على مشاغله القضائية ، رغبةً منه لإحياء تراثنا الإسلامي وهدينا النبوي ، جعلنا الله ممن اتبع هداه واقتفى أثره ، ونال بها المغفرة والرضوان وحسن الختام ، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

حررته بمدينة صنعاء عاصمة اليمن الميون في ١٥ جمادى الثانية من عام ١٤٠٢ هجرية الموافق لـ ١٩٨٣/٣/٢٩ م ، وأنا المفتقر إلى توفيق الله ومغفرته ، محمد بن إسماعيل الربيع مستشار رئيس الجمهورية للشؤون المالية عضو مجلس الشعب التأسيسي عضو لجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية ، وسبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم .

## الحمد لله

طالعت ما حرره العلامة المحقق والنحرير المدقق الحافظ لكتاب الله والعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن قاسم الوجيه بن عبد الله حفظه الله تعليقاً على منظومة الهدي النبوي فوجدته قد سلك المنهج السوي إلى الهدي النبوي ، ولهذا ظهر حقيقته لما امتدحه به القاضي العلامة محمد بن إسماعيل الربيع باطناً فجراه الله عن المسلمين خيراً لدلالته لهم على الطريقة اللازم عليهم اتباعها ، الهادية إلى المرور على الصراط المستقيم والخلود في جنات النعيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين .

حرره ثامن رجب سنة ١٤٠٣ هـ قاسم بن إبراهيم عفى الله عنه ، أحمد محمد زبارة مفتي الجمهورية ، الحقير حمود بن عباس المويد ، عبد الله المجاهد الشماحي .



## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحده بما حمد به نفسه ، وبما حمدته ملائكته ، وما حمده أنبياءه  
ورسله به . وأصلي وأسلم على من جعله الله رحمة مهداة إلى كافة العالم ، وعلى آله  
ذوي الفضل والعرفان وقَرْنَا القرآن بنص سيد الإنس والجان .

[ وبعد ] فيأتي أملت المنهاج السوي شرح منظومة الهدي النبوي لسيدي  
الأخ العلامة رئيس محكمة لواء صنعاء محمد بن قاسم الوجيه من فاتحته إلى خاتمته ،  
فوجدته للمنظومة كاشفاً أستارها ، وحل معقودها ، وقيد مطلقها ، وأبان مجملها ،  
وأوضح مشكلها ، وسلك فيه مسلك العاملين بصدق وإخلاص ، قاصداً به رضى  
الرحمن ، ونفع من درسه من الأبناء والإخوان ، جعله الله له في صحائف  
الحسنات ، ونفع به المؤمنين وذوي الجمالات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى  
آله الطاهرين ، وسبحان الله وبحمده ، وسبحان الله العظيم . وحرر بتاريخه ٢٢  
ربيع الأول سنة ١٤٠٥ هـ الحقيير إلى الله : محمد بن حسين الجلال .

### الحمد لله

حمداً لمن في كل عصر يوجد	من فضله من لأنام يرشد
ثم الصلاة بعد والتسليم	على رسول هديه قويم
محمد الهادي إلى الرشاد	وحجة الله على العباد
وآله من أحرزوا الفضيلة	وصحبه من سلكوا سبيله
ونستهل بلسان الحال	توخياً لأحسن المقال



لله در العالم النبيه  
أنبل قاضٍ في قضاء العصر  
فقد أبان مرشداً ومهدي  
هدي الأمين المجتبي من البشر  
محمد المبعوث بالخلق العظيم  
شرحاً مفيداً شرح الصدور  
وهو بحق منهج للمهتدي  
والسبق للناظم بالإجماع  
حفيد سيل الليل رب السيف  
الحسن الإمام زين الناس  
فهو جدير بالثنا عليه  
فشمروا يا معشر الطلاب  
وإن عكفتم ترتعوا وتلعبوا  
ونسأل الله لنا الهداية  
والختم بالحسنى وبالكرامة

محمد بن القاسم الوجيه  
مؤيداً بعزة ونصر  
شرحاً لمنظومة المهدي  
أكرم من لبي وطاف واعتمر  
أتى به التنزيل في الذكر الحكيم  
كما يرى في طرسه مسطورا  
وحلية للطالب المسترشد  
قد صح بالعيان والسمع  
والقلم المردى لكل حيف  
وتاج أرباب النهى والبأس  
ورحمة نازلة إليه  
لتقتفوا محجة الصواب  
فإنكم إلى الضياع أقرب  
واللطف والتوفيق والوقاية  
والرحمة العظمى في القيامة

حرر غرة جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ .

علي بن قاسم الشامي  
عضو المحكمة العليا  
عبد القادر بن عبد الله  
رئيس المحكمة العليا

## الْمِنْهَاجُ السَّوِيُّ شَرْحَ مَنْظُومَةِ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ

لمؤلفه الأخ العلامة محمد بن قاسم الوجيه  
حفظه الله وأبقاه

وقد حققه وعلق عليه عدة من علماء اليمن ، منهم القاضي  
العلامة المحقق وكيل وزارة العدل محمد بن أحمد الجرافي  
وقد أشرنا إلى تعليقاته بإشارة ( ج ) ، وكذا  
علق عليه الأخ العلامة الحجة محمد بن حسين الجلال  
وأشير إلى تعليقاته بلفظة ( انتهى جلال )

كتبه الراجي عفو ربه محمد بن محمد عبد الله الجلال



الحمد لله الذي منه المبدأ وإليه المعاد ، المنعم بالثواب الذي ليس له نفاذ ،  
 على من تزود للمعاد ، بالتقوى التي هي خير زاد ، العظيم ثوابه للتقاة ، الشديد  
 عقابه للعصاة ، القائل في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ  
 عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر ٧/٥٩] ، والقائل عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ  
 اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب ٢١/٢٣] ، والقائل تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال ٢٤/٨] ،  
 والقائل سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾  
 [النساء ٨٠/٤] ، والقائل جل من قائل كريم : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ  
 فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ  
 وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء ٦٩/٤] . إلى غير ذلك من الآيات البينات  
 الواردة في هذا المجال ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من خلقه  
 وصفوته من عباده سيدنا محمد عبده ورسوله الهادي إلى سبيل الرشاد المبعوث  
 رحمة لجميع العباد ، الذي جعل الله سبحانه خير هدي هديه ، وأوجب على العباد  
 أن يمتثلوا أمره ونهيه ، وجعله للإنسانية كلها خير قدوة وأكرم أسوة ، ووصفه في  
 كتابه الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مخاطباً له بقوله  
 تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم ٤/٦٨] أرسله رحمة للعالمين بشيراً  
 ونذيراً وهادياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً ، فأدّى الرسالة وبلغ الأمانة وأنقذ  
 البشرية من الضلالة ، ومهد لهم طريق الفلاح والسعادة ، وترك أُمَّته على  
 المَحَجَّةِ البيضاء والشرعية السَّمْحَاءِ والصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْمُسْتَوَى الْعَظِيمِ وَالْمُنْطَلَقِ  
 الْقَوِيمِ ، ليكونوا شهداء على الناس ، وَلِيَحْيِيَ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ  
 عَنْ بَيِّنَةٍ ، صلى الله وسلم عليه في كُلِّ أَوَانٍ وحين ، وعلى آله قرناء الكتاب المبين  
 وصحابته الراشدين ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ يَحْصُلْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أمّا بعدُ ، فإن المسلمين اليوم أحوج ما يكونون إلى التمسك بدينهم والعض

بالنواجد على معتقدهم ، متقيدين بأحكامه الغراء ، وتعاليمه العظمية ، وقِيمه المثلى ، محتكين إلى شريعته ، متخلقين بأخلاقه ، متحلين بفضائله ، جاعلين من دينهم الحنيف منهج حياةٍ ودليل اتجاه ، عائدين إلى الله ، متعرضين لنفحات الله ، يرجون رحمته ، ويخشون تقمته ، ولاؤهم لله وحده ، غير آيسين أن ينجز لهم وعده ، متوكلين عليه غير متواكلين ولا متخاذلين ، موحدين له وفي سبيله ، متحدين متحابين في الله ، غير متفرقين ولا متدابرين ، مجتهدين في القيام بواجباتهم الدينية والدنيوية ، غير متقاعسين ، مجاهدين في سبيل الله ، غير مقصرين ولا متطاولين ، مخلصين لله في أعمالهم ، نزيهين في حياتهم ، متوجهين إلى الله ، غايتهم رضوان الله .

تلك هي صفات المؤمنين أهل التقوى والهداية ، ونهج السالكين إلى أشرف غاية ، وذلك هو ضمان الأمان وطريق النجاة من غضب الديان ، فما من شك أن المسلمين متى عادوا إلى التحلي بصفات المؤمنين ، وسلكوا ذلك المسلك الأمين ، فإن الله سبحانه وتعالى سيحقق لهم ما وعدهم من زيادة الهدى وإيتاء التقوى ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [ محمد ١٧/٤٧ ] ويحييهم حياة طيبة ، ويحسن لهم الأجر والجزاء ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ النحل ٩٧/١٦ ] ، وَيَكْفُر عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلِحَ بِأَلَهُمْ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [ محمد ٢/٤٧ ] ، وبتقوى الله سبحانه يهدي قلوبهم ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [ التغابن ١١/٦٤ ] فتقوى الله تعالى سبب الخروج من الحن المشاهدة وحل المشاكل المعقدة ، وسبب لِسَعَةِ الرزق من حيث لا يحتسبه المحتسب ، وبها تتيسر الأمور وتكفر السيئات وتعظم الأجور ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ☆ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

[الطلاق ٢/٣٠] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾  
 [الطلاق ٤/٦٥] ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾  
 [الطلاق ٥/٦٥] .

هذه بعض آيات الله التي وعد فيها عباده المؤمنين المهتدين المتقين الذين يعملون الصالحات بزيادة الهدى وإيتاء التقوى والحياة الطيبة والجزاء الحسن بل الأحسن ، والتكفير عن السيئات وإصلاح النيات وهداية القلوب ، وحسن الخرج مما هم فيه من الحرج ويا له من حرج ، وتيسير الأمر وتعظيم الأجر ، فلو عُدْنَا إلى الله مخلصين ، وأنبأنا إليه صادقين ، لحقق الله لنا هذه الوعود ، وهي كل ما يحتاجه المسلمون ، ففيها أمانهم المنشود ، ولن يَجْعَلَ اللهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج ٢٢/٣٨] ، لكننا نسينا الله فأنسانا أنفسنا ، وغيرنا طويتنا فغير الله علينا ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر ٥٩/١٩] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١٣/١١] .

فهل آن الأوان إلى العودة إلى الله وأن نستشعر في كل أمورنا تقواه ، فإننا إذا عدنا أنجز الله لنا ما وعدنا ومن أوفى من الله عهداً وأصدق وعداً ، فلم يتزق المسلمون ولا تهافت عليهم الطامعون ولا صاروا كالغثاء كثرة في العدد لا تجدي ، وكثرة في المواد لا تفيد ، يستغلها الأعداء ويحرم منها أهلها إلا لاتباعهم الأهواء ، وركونهم إلى أعدائهم الألداء ، حتى انحرفوا بهم عن دينهم ، وأبعدوهم عن قيمه ، وجردوهم عن فضائله وأخلاقه .

هذا هو الداء ، والعودة إلى الله سبحانه هي الدواء ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وأفضل طريق للعودة إلى الله هي المجاهدة للنفس وترويضها على الماضي في سبيل النجاة بالاهتداء بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله سفن النجاة ، وأصحابه الراشدين التقاة .

وبما أن الهدي النبوي الشريف قد مُلئت به بطون الكتب المطولة ، وقد تقاصرت الهمم عن الإحاطة بها ، وما لبثت بطبيعة العصر إلى الاختصار ، ولأن المختصرات يسهل حفظها ويعم نفعها ، لتيسير تداولها وقرب تناولها ، فقد اخترت من بينها مختصراً صغيراً في حجمه ، كبيراً في فائده ، وافياً وكافياً في موضوعه وبابه ، وهو ( منظومة الهدي النبوي ) التي ألفها السيد العلامة الحسن بن إسحاق المتوفى سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م في حبس المنصور الحسين بن المتوكل ، وقد اختصرها المؤلف رحمه الله من كتاب ( زاد المعاد في هدي خير العباد ) لمؤلفه الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية الغني عن التعريف به لشهرته الواسعة وكثرة مؤلفاته النافعة المتداولة في جميع الأقطار الإسلامية ، وقد اقتصر الناظم في منظومته على نظم الهدي النبوي الشريف فيما تعارف على تسميته بعض الفقهاء بقسم ( العبادات والجهاد ) وما يتعلق بذلك ، وسلك في نظمه مسلك المجتهدين البارزين لا مسلك المقلدين ، ولم يعمل إلا بالدليل ، وإن خالف من خالف ، ولم يعول على التقليد فيما نظم وألف ، فكانت هذه المنظومة من أحسن المختصرات وأنفعها وأوجزها عبارة وأجمعها وأسلسها لفظاً وأعذبها ، وكما نسب الأدباء أشعار المؤلف التي قالها في السجن إلى أدب السجون ، فإن هذه المنظومة تستحق النسبة إلى فقه السجون .

ولما كان الناظم رحمه الله تعالى قد وضع شرحاً مطولاً لمنظومته ، توسع فيه وأسهب ، واستطرد وأطيب ، وسماه ( الفتح القوي شرح منظومة الهدي النبوي ) ولكنه لم يكمله لسعة مجاله ، أو ربما حال أجله بينه وبين إكمالها ، ومع ذلك جاء شرحه هذا في مجلد ضخم بالقطع المتوسط ، مع أنه لم يصل فيه إلا إلى ( باب الجهاد ) . ورغبةً مني في المساهمة في هذا السبيل بقدر المستطاع ابتغاء رضوان الله ووفاء بعهد الله ، كان مني التصدي لشرح هذه المنظومة شرحاً مختصراً ، وافياً بالغرض ، في إيجاز وشمول ، جارياً على أسلوب العصر في الاختصار والإحاطة

بما يلزم في هذا المضمار ، راجعاً إلى عدة مراجع ، من ضمنها شرح المؤلف المشار إليه المطول المبثور ، وإلى ( زاد المعاد ) الذي اختصر منه الناظم منظومته ، وإلى الأمهات الست وشروحها ، و ( سيرة ابن هشام ) و ( جامع الأصول ) .

وإلى ( بلوغ المراد في سيرة خير العباد ) للناظم ، وهو كذلك غير مستكمل ، فالموجود منه ليس إلا إلى ( غزوة الخندق ) لا غير ، كما رجعت إلى غير ذلك من المراجع المفيدة ، وكان جُلَّ همتي إنجاز شرح لهذه المنظومة مبنياً على الإيجاز وعدم التطويل ، ليعم بها معه الانتفاع ، وكنت أحياناً لانشغالي بعمل القضاء أضرب صفحاً عن الاستمرار في هذا المجال للاشتغال بما هو أهم ، ولكن الأخوين العالمين الفاضلين العلامة إسماعيل بن أحمد الجرافي والعلامة إسماعيل بن علي الأكوخ كانا يدفعانني إلى إنجاز ما تصدّيت له بكرم تشجيعهما وعظيم اهتمامهما ، فشكر الله سعيهما ، وأجزل مثوبتهما ، وما مقصدهما ومقصدي إلا إخراج هذه المنظومة للطبع ، مشروحة بشرح مختصر مستوفى حتى يتسنى الانتفاع بها وتعم فائدتها بمشيئة الله تعالى .

واليوم أقدم إليك أيها الجيل المؤمن منظومة الهدى النبوي ، بعد أن منّ الله عليّ بإنجاز شرحها على الوجه الذي توخيته ، والنهج الذي تحرّيته ، باذلاً في ذلك ما في وسعي معترفاً بقلّة بضاعتي ، منفقاً على قدر ما عندي .

فإن تجد عيباً فسُدّ الخلل فجلّ من لا عيب فيه وعلا

وقد سمّيته ( المنهاج السوي شرح منظومة الهدى النبوي ) ومن الله أستمّد القبول ، وأن يجعل ما عملته خالصاً لوجهه تعالى ، لا يشوبه شيء من محبّطات الأعمال ، وعلى الله سبحانه قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه المؤلف

محمد بن قاسم بن الوجيه





## بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين على أمور الدين ، وبسنا نور هداة نهتدي  
ونستبين

قال الناظم رحمه الله تعالى

باسمِ إلهِ العالمين أبتدي      وبسنا نور هداة أهتدي  
سبحانك اللهم لا نحصى الثنا      عليك ما أعجز عنه الألسنا  
أنتَ كما أثنيتَ يا رب على      نفسك جلّ ذو الجلال وعلا  
سبحانه والخير كله لديه      والشرُّ من أنفسنا ليس إليه

قوله : ( باسم إله العالمين أبتدي ) اقتداءً بكتاب الله العزيز ، واتباعاً لما رواه أبو داود وابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « كلُّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع » . وفي رواية : « بحمد الله » . وفي رواية : بالحمد لله وأردف ذلك بالثناء على الله بقوله : ( سبحانك اللهم ) وفيه اقتباس من حديث عائشة الذي أخرجه مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في سجوده : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك ، أنتَ كما أثنيت على نفسك » . ومن حديث علي كرم الله وجهه الذي أخرجه أحمد ومسلم والترمذي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعاء استفتاح الصلاة وفيه : « لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشرُّ ليس إليك » .

ثُمَّ صَلَاةُ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمُ      عَلَى نَبِيِّ هَدْيِهِ قَوْمٍ  
 مُحَمَّدٌ مَاحِي ظُلَامِ الْكُفْرِ      عَنْ سَاحَةِ الدُّنْيَا بِنُورِ الذِّكْرِ  
 مِنْ خَتَمِ اللَّهِ بِهِ الرِّسَالَةَ      وَطَهَّرَ الْأَرْضَ عَنِ الْجَهَالَةِ  
 وَالْأَلِ مِنْ عَتَرَتِهِ الْكِرَامِ      وَصَحْبِهِ ذَوِي الْهُدَى الْأَعْلَامِ  
 أُرْدِفَ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْمُؤَلِّفِينَ ، وَلَمَّا وَرَدَ مِنَ التَّرْغِيبِ الْكَثِيرِ فِي الصَّلَاةِ  
 وَالسَّلَامِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وَبَعْدَ فَعَلِمَ أَنَّ حِفْظَ النَّظْمِ      سَهْلٌ يَسِيرٌ لِمُرِيدِ الْعِلْمِ  
 وَالْحِفْظُ لِلْعِلْمِ بظَهَرِ الْغَيْبِ      أَنْفَعُ لِمُرِيدِ الْغَيْرِ رَيْبِ  
 اعْلَمْ أَنَّ حِفْظَ النَّظْمِ أَيْسَرُ مِنْ حِفْظِ النَّثْرِ ، إِذْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ أَرْغَبُ ، وَلِذَا  
 نَظِمَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَثِيراً مِنَ الْمَتُونِ تَسْهِيلاً عَلَى الرَّائِغِ فِي حِفْظِهَا ، وَأَمَّا كَوْنُ  
 حِفْظِ الْعِلْمِ غَيْباً أَنْفَعُ لِلْعَالَمِ وَأَقْرَبُ تَنَاوُلًا فَمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ .

لِذَا تَرَانِي نَاطِئاً فِي الْحَبْسِ      أَرْجُوزَةً لَهَا خَصَصْتُ نَفْسِي  
 قَصْداً لِأَنَّ أَحْفَظَ هَدْيِ الْمُصْطَفَى      غَيْباً وَحَسْبِي حِفْظُ ذَاكَ وَكَفَى  
 وَرَاجِئاً أَنْ لَا يَخِيبَ سَعْيِي      فِي طَلَبِ اتِّبَاعِ خَيْرِ هَدْيِي  
 أَيُّ لَأَجَلٍ مَا ذَكَرْتُ مِنْ سَهُولَةِ النَّظْمِ وَتَيْسِيرِ حِفْظِهِ ، وَكَوْنِ الْحِفْظِ غَيْباً أَنْفَعُ ،  
 نَظِمْتُ فِي أَيَّامِ الْحَنَةِ وَالْإِعْتِقَالِ هَذِهِ الْمَنْظُومَةَ قَصْداً ، لِأَجَلِ حِفْظِ هَدْيِ النَّبِيِّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَيْباً ، فَإِنْ حِفْظُهُ وَإِتْقَانُهُ يَغْنِي عَمَّا سِوَاهُ ، فَجَمِيعُ  
 الْمُؤَلِّفَاتِ إِنَّمَا تَحُومُ حَوْلَ حِمَاهُ .

مُخْتَصِراً فِي عَقْدِي الْمَنْظُمِ      مَا بَسَطَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ  
 مِنْ ذَاكَ فِي كِتَابِهِ (زَادَ الْمَعَادِ)      وَإِنَّهُ حَقّاً لَزَادَ خَيْرَ زَادِ

فيه إشارة إلى أن نظمه مختصر من كتاب الإمام الحافظ العلامة محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية رحمه الله صاحب التصانيف العديدة ، ومن أجلها كتابه المذكور ، وضعه لجمع هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وطريقته وسيرته في جميع أفعاله وسماه بزاد المعاد ، فكان اسماً على مسماه ، وسماه بالهدي النبوي ، وهو بهذا الاسم أشهر ، وإنه لتحقيق بالاسمين .

مقتصراً منه على العبادة وما لها من تابع في العادة  
وربما أذكر قولاً راجحاً يكون نور الحق منه لائحاً  
أي مقتصراً على ما ذكره ابن القيم من هديه صلى الله عليه وآله وسلم على هديه في  
العبادة ، والمراد بالعبادة ما اشتهر في اصطلاح بعض الفقهاء من إطلاقها على  
الصلاة والزكاة والحج والصيام ، ويطلقون على ما عداها الديانات والمعاملات ،  
وإلا فالعبادة أعم ، وأراد بتوابعها هدية في الأكل والشرب واللباس ، ومعنى كونها  
توابع لها : أن لها تعلق بها أي تعلق ، وأشار بقوله : ( وربما أذكر إلخ .. ) إلى  
أنه قد يذكر في المنظومة قولاً مخالفاً لما ذكره ابن القيم في الأقوال في بعض المسائل  
لرجحان خلاف ذلك .

مع اعترافي بقصور باعني فلستُ ذا علمٍ ولا اطـلاعـي  
لكنني أعطيتُ بعضَ فهمٍ أوجبَ إقدامي على ذا النظم  
أي مع اعترافي ومعرفتي بحال نفسي وما أنا عليه من القصور ، وأراد الناظم بهذا  
هضم نفسه .

وما ترى مخالفاً للمذهب فإنه موافقٌ هدي النبي  
ولا أخافُ مع ذاك لائياً إذ كان بالنيّةِ ربي عالماً  
أي وما ترى في المنظومة في بعض المسائل مخالفاً للمذهب الذي ظاهر حال الناظم

انتسابه إليه ، فوجه مخالفته كون ماذهب إليه موافق لهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا ماخالف أحد المذاهب الأربعة أو كلها ، فلا يعجل باللوم من وقف عليه ، ومع ذلك فلا يخاف لومة لائم .

وحيث كان القصد يُسرُّ الحِفْظِ      أَعْرَضْتُ عَنْ مُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِ  
ولم أحمِ حَوْلَ حِمَى الْبَدِيعِ      بنحو ترصيع<sup>(١)</sup> ولا توشيع  
وَأَسْأَلُ الرَّحْمَنَ ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ      يعينني على تمام ما أريد  
وَيَجْعَلُ النِّيَّةَ وَالْأَعْمَالَ      خَالِصَةً لَوَجْهِهِ تَعَالَى

أي حيث كان المراد من نظم هذه المنظومة إنما هو تيسير حفظ هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعرض الناظم لمحسنات اللفظ من اللطائف والنكت التي تذكر في علم البديع كالترصيع والتوشيع ، أما الترصيع فهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو النثر بلفظة على وزنها نحو قوله : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [ الانفطار ١٤/٨٢ ] وهو مأخوذ من ترصيع العقد ، وأما التوشيع فهو أن يؤتى في عجز الكلام بشيء مفسر بكلامين نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يهرم المرء ويشب معه خصلتان : الحرص على المال والحرص على طول الأمل » .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الوضوء

أولُ مابِه النظام مشروعٌ      هديُّ الصلاة فهي خير موضوعٌ

أي أولُ العبادات التي قصد الناظم نظمها هو هديه في الصلاة ، وأشار بقوله :

(١) المشهور أن الترصيع خاص بالنثر ، وإذا كان هناك اصطلاح فلا مشاحة . وجعل الناظم التوشيع من البديع مع أنه من البيان إذ ليس محسناً للفظ ، بل هو للإيضاح بعد الإبهام ، وهو فائدة معنوية (ج) .

( فهي خير موضوع ) إلى الحديث الذي أخرجه أحمد والطبراني والحاكم ، وصححه عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر » .

إن قام للصلاة فالمأثور من هديه مفتاحها الطهور أي إن قام إلى الصلاة فالمأثور فعل مفتاحها الذي هو الوضوء ، وفي البيت إشارة إلى دليل وجوبه من السنة النبوية<sup>(١)</sup> هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » [ أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي والبخاري والحاكم عن علي عليه السلام ] ، وهو حديث متواتر حكاه المناوي عن السيوطي ، ودلالته على الوجوب مأخوذة من تشبيهه صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه شبه الصلاة بالدار التي لها باب ، وشبه الحدث بالقفل الموضوع على ذلك الباب ، وشبه الوضوء بالمفتاح ، فلا تنهياً صلاة إلا بطهور ، كما أنه لا يمكن دخول الدار إلا بعد فتح الباب ، وهذه استعارة .

وكلما قام إلى الصلاة جَدَّه في غالبِ الأوقاتِ

أي كان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم تجديد الوضوء لكل صلاة ، ولما احتمل أن يكون التجديد واجباً رفع ذلك الاحتمال بقوله : ( في غالبِ الأوقاتِ ) ، وزاده إيضاحاً قوله :

وَرُبَّمَا صَلَّى بِهِ الْفُرُوضَا فلم يكن تجديده مفروضاً

وهذا إشارة إلى قول من يقول بوجوب الوضوء لكل صلاة مستدلاً بإطلاق الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾

(١) وأيضاً من الأدلة على الوجوب حديث : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » متفق عليه (ج) .

الآية [ المائدة ٦/٥ ] ، وبلازمته صلى الله عليه وآله وسلم واستمراره على الوضوء لكل صلاة كما ورد بذلك عدة أحاديث صحيحة منها حديث أنس : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ عند كل صلاة » [ أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي ] . وأجيب عما استدلوا به بأن الآية خطاب للمحدث كما قاله السلف من المؤمنين ، وأنه صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل الصلاتين فأكثر بوضوء واحد كما في حديث بريدة عند مسلم وأبي داود والنسائي : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ لكل صلاة فلَمَّا كان يوم الفتح صلى الصلوات كلها بوضوء واحد ، فقال له عمر : فعلت شيئاً لم تكن تفعله ! فقال : عمداً فعلته » ، وفي حديث جابر : « أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظهر والعصر بوضوء واحد » ، وحديث سويد بن نعمان : « أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى العصر والمغرب بوضوء واحد » [ أخرجه الدارمي ] ، ولحديث السائب بن خباب يرفعه : « لا وضوء إلا من ريح أو سماع » [ أخرجه أحمد بن حنبل وابن ماجه ] ، ولحديث أبي هريرة : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالوضوء لكل صلاة » وغير ذلك من الأحاديث .

وغلَّه كَفَّيَّه قبل الابتداء فيه من السُّنَّة عَنهُ وردا

الضمير المتصل بلفظ غسله وكفيه ، وعنه يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد أنه يُسَنُّ لمريد الوضوء غسل كفيه قبل الابتداء في غسل أعضائه وذلك سنة غير واجب ، والدليل عليه من فعله صلى الله عليه وآله وسلم رواه عنه علي وعثمان وابن عباس وعبد الله بن زيد بن عاصم وغيرهم من واصفي وضوء النبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا من قوله لحديث أبي أمامة مرفوعاً : « إذا توضأ المسلم فغسل يديه كفر عنه ما عملت يداه ، فإذا غسل وجهه .. » الحديث .. إلخ . وقوله : ( من السُّنَّة ) إشارة إلى من يقول بوجوبه مستدلاً بفعله صلى الله عليه وآله وسلم وأمره ، ودفع بأن مجرد الفعل لا يدل على

أكثر من السنة لأنه لم يذكره صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله عن الوضوء فقال :  
« توضأ كما أمرك الله ، اغسل وجهك .. » الحديث ، وهو في موضع التعليل .  
ولقول علي عليه السلام : أول الوضوء المضمضة والاستنشاق .

واللفظ بالنية مافيه أثر لكن بها الأعمال صح في الخبر

أشار بهذا إلى دفع ما يتوهمه كثير من الناس من شرعية التلفظ بالنية ، ووجهه  
بعض العلماء بأنه وإن كان محل النية القلب فهو ينبغي مساعدة اللسان  
له . وقوله : ( لكن بها الأعمال صح في الخبر ) أشار به إلى حديث : « إنما  
الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » [ أخرجه الشيخان عن عمر ] ، وللمقبلي  
بحث نفيس على اشتراط النية بصحة الوضوء وغيره من العبادات ، وحاصله : أن  
الفاعل إنما يقع منه الفعل لداعٍ والدواعي إلى الفعل متعددة في الأغلب ، والذي  
وقع بسببه التخصيص من الفاعل يسمّى قصداً ، وتخصيصه بذلك من بين سائر  
المحتملات إرادة لها ونية ، فكل فعل يفعله الفاعل المميز لفعله لا ينفك عن النية ،  
ولهذا لم يجئ تعليم النية عن الشارع دائماً ، وحديث : « إنما الأعمال بالنيات » إنما  
ذكره صلى الله عليه وآله وسلم لمثل هذا ، ويوضح ذلك سبب الحديث ، وهو أن  
رجلاً هاجر لينكح امرأة هاجرت قبله وهو مهاجر أم قيس .

وصح عنه في ابتداء التسمية وثبتت في الانتهاء أدعية

أي صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يسمي في ابتداء الوضوء ،  
وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن  
لم يذكر اسم الله عليه » [ أخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) بسنده إلى علي ،  
وصححه الحاكم عن أبي هريرة ] ، وقوله : ( وثبتت في الانتهاء أدعية ) إشارة إلى  
ما رواه زيد بن علي عن آبائه عن علي أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم يقول : « ما من مسلم يتوضأ فيقول عند وضوئه : سبحانك اللهم



وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، أستغفرك وأتوبُ إليك ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين ، واغفر لي ، إنك على كل شيء قدير ، إلا كتبت في رَقٍّ ثم ختم عليها ، ثم وضعت تحت العرش حتى تدفع إليه بخاتمها يوم القيامة » . وروى عن عمر مرفوعاً : « من توضأ فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له أبواب الجنة الثانية ، يدخل من أيها شاء » . وأما الدعاء عند أعضاء الوضوء فقد قال باستحباب ذلك عدَد كثير من أهل البيت وغيرهم ، لأحاديث وردت فيه من طريق أهل البيت وغيرهم ، منها عن أنس ، رجالهم موثقون ، وعند المستغفري عن علي من طرق ثلاث ، وعند ابن عساكر في أماليه ، وصاحب الفردوس عن علي ، وعند المستغفري من حديث البراء بن عازب ، وفي ألفاظ دعاء الأعضاء اختلاف ، فمن أحب أن يأخذ بشيء منها فليأخذ بما روي في الأسانيد الحيوية عن علي ولا يغتر بما قاله النووي في أن دعاء الأعضاء لا أصل له ، فهذه الأحاديث ردُّ عليه وضعفها عنده لا يمنع العمل بمقتضاها ، فقد ذكر هو نفسه وغيره من علماء الحديث أنه لا بأس بالحديث الضعيف لفضائل الأعمال ، ومن العجيب أن النووي ذكر في أذكاره استحباب دعاء الأعضاء ، ولعله بناءً على هذا .

وقال مَنْ لَوْصَفَهُ قَدْ حَقَّقَ تَمَضُّضَ النَّبِيِّ ثُمَّ اسْتَنْشَقَ

أي قال من حقق وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم جماعة من الصحابة توضؤوا مثل وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليعلموه الناس ، منهم علي بن أبي طالب ، رواه عنه جماعة من أهل البيت ، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، ومنهم عثمان بن عفان في الصحيحين ، وسنن أبي داود والنسائي ، ومنهم ابن عباس عند البخاري وأبي داود والنسائي ، ومنهم عبد الله بن زيد بن عاصم عند الستة ، ومنهم المقدادُ عند أبي داود ، ومنهم

أبي هريرة عند أبي داود والترمذي ، وكلها مشتملة على فعل المضمة والاستنشاق ،  
( ثم ) في البحث بمعنى الواو فلا ترتيب .

مَلَا زَمًا فَعَلَهَا بِغَرَفِهِ يَغْسِلُ مِنْهَا فَمَهُ وَأَنْفَهُ

أشار بهذا إلى أن كيفية المضمة والاستنشاق تحصل بالمرّة كما روي عن علي في  
حديث وصفه وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وَمَرَّةً فَعَلَهُ فَكَثَرَ إِلَى ثَلَاثٍ لَا سِوَى وَاسْتَنْثَرَا

أشار بهذا إلى أن مشروعية المضمة والاستنشاق تحصل بالمرّة ، وأن الزيادة  
عليها سنة فقط ، وأشار بقوله : ( إلى ثلاث لا سوى ) إلى عدم شرعية الزيادة  
على الثلاث لما سيأتي في تثليث الوضوء ، وأشار بقوله : ( واستنثر ) إلى أن مجرد  
الاستنشاق وهو ضرب الماء بالنفش إلى داخل الأنف لا يكفي ، وأن المشروع  
الاستنثار ، وهو نثر الماء من الأنف بصوت يشبه العطسة ليخرج مع خروجه  
مابداخل الأنف .

وَعَسَلَهُ لَوَجْهَهُ مُسْتَكْمَلًا بَعْدَهُمَا وَرَبَّيَا قَدْ خَلَّلَا  
لِحْيَتَهُ وَخَلَّلَ الْأَصَابِعَ وَلَيْسَ الْاسْتِمْرَارُ عَنْهُ شَائِعًا

غسل الوجه واجب ، ووجوبه معلوم من ضرورة الدين ، واستكمال باتفاق  
بين العلماء ، وكل على مذهبه في تحديد الوجه ، وإنما الخلاف في تحليل اللحية ،  
وكذا تحليل الأصابع ، والمراد بتحليل اللحية إيصال الماء إلى أصول الشعر ، وأشار  
بقوله : ( وربما قد خللًا ) أن ذلك غير واجب لأن رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم لم يلزمه ، كما صرح به في قوله : ( وليس الاستمرار ) هذا الذي ذكره  
ابن القيم ، وقد اختلف أئمة الحديث ، فصحح الترمذي وغيره أنه كان يخلل  
لحيته ، وقال أحمد وأبو زرعة : لا يثبت في تحليل اللحية حديث .

وقال بعضٌ : يجب التخليل لأنه صح به الدليل

أشار بهذا إلى حديث عثمان أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخلل لحيته » [ أخرجه الحاكم والترمذي ] وقال : حديث حسن صحيح ، وروى عن أحمد ومالك عن عائشة ، والحاكم والترمذي عن عمار بن ياسر ، والحاكم عن بلال المؤذن ، وابن ماجه والحاكم عن أنس ، والطبراني عن أبي أمامة وأبي الدرداء وأم سلمة ، والطبراني في الأوسط عن ابن عمر .

وغسله مرفقه مع اليد قد صح لا إشراعه في العضد

غسل اليدين إلى المرفقين مما لا خلاف فيه عملاً بالآية ، وإنما الخلاف في غسل ( المرفقين ) ، فعند الجمهور : وجوبه ، للملازمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعله بيان لمجمل الآية ، ولحديث جابر : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُدير الماء على مرفقيه ، ثم قال : هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به » ذكره الظفاري في ( تخريج البحر ) وذكره ابن بهران في تخريجه بغير زيادة ( ثم ) ولحديث أبي هريرة أنه « غسل يديه حتى أشرع في العضد ، وغسل رجليه حتى أشرع في الساقين ، وقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . ولحديث وائل بن حجر عند الطبراني والبخاري في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فغسل يديه حتى جاوز المرافق » . وعند الطبراني والطحاوي من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعاً : « ثم يسيل الماء على مرفقيه » ، وقوله : ( لا إشراعه في العضد ) إلخ ، أشار به إلى الخلاف في استحباب الإشرع فيه ، ومثله : الساق ، وعند ابن القيم عدم استحباب ذلك ، وأن أبا هريرة هو الذي كان يعمل ذلك ، وعند بعضهم يُستحب ذلك .

ومسح كل الرأس مع أذنيه مَّا استمر فعله عليه  
ومسحُه لبعضه مكلًا على عمامة له قد نُقِلَا

وجوب مُطلق مسح الرأس مما لا خلاف فيه بنص الكتاب العزيز على ذلك ، وإنما الخلاف في أنه يكفي مسح بعض الرأس أم لا بد من التعميم ، فقال بعض العلماء : لا بد من التعميم ، وإليه أشار الناظم بقوله : ( ومسح كل الرأس ) إلى آخره ، إذ هو المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعروف من هديه المستمر ، رواه من فعله علي كرم الله وجهه ، ذكره في التجريد ، ورواه عبد الله بن زيد في حديثه المتفق عليه ، وربيّع بنت مَعُوذ عند أبي داود والترمذي والمقدام بن معدي كرب عند أبي داود وطلحة بن مسعود عن أبيه عن جده عند الترمذي ، وقال بعض أهل البيت وبعض الفقهاء : يجوز الاكتفاء بمسح بعض الرأس لحديث أنس رضي الله عنه : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ وعليه عمامة ، فمسح فأدخل يده من تحت العمامة فمسح مَقْدَمَ رأسه ولم ينقض العمامة » [ أخرجه أبو داود ] ، وَرَدَّ بأن فيه أبو معقل وهو مجهول ، إلا أنه ثبت المسح على الناصية والتكامل على العمامة عند مسلم وأبي داود والترمذي .

وَعَسَلَ كَعْبَيْهِ مَعَ الرَّجْلَيْنِ      صَح وَمَا تَجَاوَزَ الْكَعْبَيْنِ

لا خلاف في كون الرجلين من أعضاء الوضوء ، وإنما الخلاف هل فرضها الغسل أم يكفيها المسح ؟ فالذي عليه الجمهور وجوب الغسل لأنه الثابت من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستمر ، ولم يؤثر عنه أنه مسحها إلا أن يكونا في الخفين ، وفعله بيان للآية ، وفيها إجمال باعتبار قراءة الجر عطفاً على ﴿ وَاَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [ المائدة ٦/٥ ] . وقد قال بعضهم : أن المراد بالمسح هنا : الغسل ، وتقول العرب : مَسَحَ اللَّهُ مَالَكُ أَي طَهَّرَكَ وَغَسَلَكَ ، ولأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأعرابي الذي سأله عن الوضوء فقال له : « توضأ كما أمرك الله فاغسل وجهك ويديك وامسح رأسك واغسل رجلك » وأن الله قد تواعد بالنار من لم يعمهما فقال : « ويل للأعقاب من النار » متفق عليه من حديث أبي هريرة ، ولحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « تخلف

عنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزاة غزاها فجعلنا نتوضأ ونسح على أرجلنا فنأدى بأعلا صوته : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ - مرتين أو ثلاثاً - « [ أخرجه البخاري ] وهو نصّ في محل النزاع ، وقول الناظم : ( وغسل كعبيه ) فيه إشارة إلى وجوب غسلها مع القدمين ، وقد تقدم الكلام عليه عند الكلام عند غسل المرفقين ، وقوله : ( وما تجاوز الكعبين ) فيه إشارة إلى الخلاف في مشروعية الإشرع في العضد والساق .

وإن يكن في الخف أو في الجورب حينئذٍ فالمسح سنّة النبي أي وإن تكن رجل المتوضئ في الخف أو في الجورب فالسنة المسح على ما هي فيه ولا يجب نزعها لأجل غسلها لأدلة كثيرة رواها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من الصحابة قيل : ثمانون صحابياً ، وقيل : سبعون ، وقيل : أربعون ، وقيل : تسعون ، ولا خلاف في ثبوته ، وإنما الخلاف هل الحكم مستمر أو منسوخ ، فالجمهور على بقاءه واستمراره ، وبعضهم يقول : إنه منسوخ بالآية ، وهو الذي قال به علي وعائشة وعدة من الصحابة وكثير من المتأخرين ، وهو إجماع أهل البيت .

ولم يصح عنه مسح الرقبة وبعضهم صحّحه ونَدَبَهُ اختلفوا في سنة مسح الرقبة ، فعند ابن القيم لم يصح فيها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء ، وقيل : بل يندب ، لما حكاه في ( الانتصار ) عن علي كرم الله وجهه « أنه كان يمسح رأسه ويحيل يديه على عنقه » ، ومنها ما رواه زيد بن علي عن أبيه عن جده عن عليّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من توضأ ومسح سالفتيه بالماء وقفاه أمن من الغل يوم القيامة » وعن ابن عمر مرفوعاً : « من توضأ ومسح بيديه على عنقه أمن من الغل يوم القيامة » ، قال الحافظ ابن حجر : رواه أبو الحسين بن فارس وصححه ، ورواه

أبو عبيد من كلام موسى بن طلحة ، ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي ،  
 ولحديث طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده أنه « رأى رسول الله صلى الله عليه  
 وآله وسلم مسح رأسه - يعني في وضوئه - حتى بلغ القذال وما يليه من مقدم  
 العنق » [ أخرجه أحمد وأبو داود ] ، قال صاحب المنظومة : والظاهر أنه لا بأس  
 بفعله لما ذكر من أدلة القائلين به ، فإن علماء المحدثين قد قالوا : إن العمل  
 بالأحاديث الضعيفة في الفضائل ونحوها لا بأس به . انتهى . قلت : وروايته في  
 ( الانتصار ) وفي ( المجموع ) حجة على شرعيته عندنا .

وصح أنه إذا توضأ يلتزم الترتيب بين الأعضاء  
 أي صح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « كان يلزم الترتيب بين أعضاء الوضوء  
 وأنه لم يخل بذلك » ومع ذلك فثبتت شرعية الترتيب لكل متوضئ ، وأن يقدم  
 ما قدم الله كما ذكره في آية الوضوء وإن كانت الواو لا تفيد الترتيب إلا أنه قد  
 لاحظ تقديم ما قدم الله في حجة الوداع حين أراد السعي بين الصفا والمروة فقال :  
 « نبداً بما بدأ الله به » وفي رواية : « ابدؤوا » بلفظ الأمر ، قال ابن القيم : لم  
 يخل صلى الله عليه وآله وسلم بالترتيب مرة واحدة ، ولهذا قيل : إنه واجب  
 لا يصح الوضوء إلا به ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضأ مرة على  
 الولاء ثم قال : « هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به » [ أخرجه الطبراني من  
 حديث معاوية بن قرة عن أبيه عن جده ، ومن حديث أبي بن كعب ، وأخرجه  
 ابن ماجه من حديث ابن عمر والدارقطني من حديثه ، ومن حديث زيد بن  
 ثابت وأبي هريرة وابن السكن من حديث أنس وابن أبي حاتم من حديث  
 عائشة ] .

ولم يكن يُـلـازِم التثليث هذا الذي صَحَّح في الحديث  
 أشار بهذا إلى ما أخرجه ابن ماجه من حديث أبي بن كعب مرفوعاً : « مَنْ

توضاً مرة واحدة فتلك وظيفة الوضوء الذي لا بد منها ، ومن توضاً اثنتين ناله كفلان من الأجر ، ومن توضاً ثلاثاً فذلك وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » ،  
ورواه ابن السكن في صحيحه من حديث أنس .

قالوا وبالحِرْقَةِ لم يُنَشَفِ وبقليل الماء كان يكتفي  
أقل من مدٍّ وفوق مدٍّ فلم يكن مَقْدَرًا بحمدٍ

الضمير في ( قالوا ) لأكثر أهل الحديث ، قالوا : إنه لم يكن من هديه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينشف أعضاء الوضوء بخرقه ، وقد روي عنه في أحاديث ضعيفة وقوع ذلك منه ، ولذلك اختلف الفقهاء فيه ، فقليل : لا يستحب ، لِنَفْضِهِ صلى الله عليه وآله وسلم يديه عما بقي من طهوره لحديث ميمونة فعند الجماعة إلا الموطأ قالت : « وضعت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غسل يغتسل به من الجنابة فأكفأ على يده اليمنى ، وفيه : فناولته المنديل فلم يأخذه وانطلق وهو ينفذ يديه » . وقيل : يستحب ، لحديث عائشة قالت : « كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرقه ينشف بها الوضوء » [ أخرجه الترمذي ، وقال : هذا حديث ليس بالقائم وأبو معاذ الراوي له ضعيف ] ، وعن معاذ بن جبل أنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه » [ أخرجه الترمذي وضعف ] ، وأشار بقوله : ( وبقليل الماء كان يكتفي .. إلى آخره ) إلى ما رواه عبد الله بن زيد « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضأ بثلاثي مدٍّ » [ أخرجه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم والبيهقي ] ، وعن أبي أمامة « أنه صلى الله عليه وآله وسلم توضأ بنصف مدٍّ » [ أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي وفيه ضعف ] ، وأخرج الشيخان عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوضأ بالمدِّ ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد » .

لكنه نهى عن الإسرافِ بالماء فالقليل منه كافٍ

أشار بهذا إلى النهي الوارد عن السرف في صب ماء الوضوء في حديث ابن عمر قال : « مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسعد وهو يتوضأ ، فقال : ما هذا السرف ؟ قال سعد : أفي الوضوء سرف ؟ قال : نعم ولو كنت على نهر جارٍ » [ أخرجه أحمد وابن ماجه ] ، ولحديث أبي بن كعب عند أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم مرفوعاً : « إن للوضوء شيطاناً يقال له : الوهّان ، فاتقوا شيطان الماء » ، ولحديث عبد الله بن مَعْقِل عند أبي داود مرفوعاً : « إنه سيكون في أمتي قوم يعتدون في الطهور والدعاء » .

وظاهر حُب النبي للسّواك فكان يَسْتَاكُ بَعُودَ مِنْ أَرَاكِ  
سَنَّتِهِ مِنَ الْمَوَكِّدَاتِ عند الوضوء قيل والصّلاة

شرعية السواك معلومة من ضرورة الدين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الاستياك ويلزمه كثيراً كما دل عليه حديث عائشة قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الرحمن بن أبي بكر ويده سواك ، وأنا مُسِنْدَةٌ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأيتَه ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ، فأشار : أن نعم » [ أخرجه البخاري وغيره ] ، وكان ذلك في مرض موته صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث ابن مسعود أنه « كان يجتني لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواكاً وأنه كان يُحْمَلُ معه في السفر » . وحديث : « أنه أول شيء يَبْدَأُ به إذا دخل بيته » ، وأما ما يستحب أن يستاك به فالأراك ، لحديث أبي خير - بالحاء المعجمة ، والياء المثناة من تحت - قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستاك بالأراك فإن تعذر عليه فبعرابين النخل ، فإن تعذر عليه فبما وجد » [ أخرجه البخاري في التّأريخ والطبراني وأبو نعيم ] ولحديث ابن مسعود : « كنت أجتني لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواكاً من أراك » .



قوله : ( سنته من المؤكّدات ) إشارة إلى حديث أبي هريرة مرفوعاً « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » [ أخرجه مالك والشافعي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي وابن أبي شيبة ، وأخرجه الطبراني في الأوسط بهذا اللفظ عن علي ، وأخرجه من حديث خالد بن زيد الجهني ابن جرير والترمذي ] ، وقال : حسن صحيح ، وللحديث ألفاظ كثيرة منها لفرضت عليهم السواك ، ولحديث : « من أطاق السواك مع الوضوء فلا يدعه » . حكاه في ( الانتصار ) ، ولواظبته صلى الله عليه وآله وسلم كما روته عائشة « أنه كان يوضع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواكه مع وضوئه ، فإذا استيقظ تخلّى ثم استاك » . صححه ابن منده والحاكم ، وأشار بقوله ( والصلاة ) إلى قول من يقول إلى أن السواك من سنن الصلاة مستدلاً بما أخرجه الستة والشافعي وأحمد عن أبي هريرة « لولا أن أشق على أمتي أمرتهم بالسواك عند كل صلاة » ولحديث عائشة : « فضل الصلاة التي يُستاك لها على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفاً » وفي لفظ : « سبعين صلاة » أخرجه أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم وصححه .

### نواقضُ الوضوء

وَيَنْقُضُ الْوُضُوءَ كُلُّ مَا خَرَجَ      من السبيلين قِيْلَ لَا خَرَجَ  
في نادر وفي مني وَالْوُضُوءُ      بنحو نوم وبقيء يَنْقُضُ  
والدم والخلاف فيها يُروى      والقول بالنقض أراه أقوى

لا خلاف في أن للوضوء نواقض في الجملة : « ومعنى نقضه : رفع حكمه الذي هو إجزاؤه في العبادة الذي هو شرط في صحتها ، ونواقض الوضوء نوعان : أحدهما يتعلق ببدن المتوضئ ، ونوع غير متعلق به .

الأول أربعة أنواع :

أولها : ما خرج من السبيلين ، وهو إما أن يكون معتاداً أم لا ، فالمعتاد : البول والغائط والحيض والمني ، فالثلاثة الأولى ناقضة إجماعاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة . وأما الرابع فهو مختلف في النقض به كما أشار إليه الناظم بقوله : ( وقيل لا حرج ) والصحيح أنه ناقضٌ ، وغير المعتاد هو الذي أشار إليه الناظم ، بقوله : ( في نادر ) وذلك كالحصاة والدودة والدم ، فقليل لا ينقض ، والصحيح أنه ينقض .

والنوع الثاني : زوال العقل المشار إليه بقوله : ( نحو نوم ) وسواء كان زواله بالنوم أو بغيره ، أما بالنوم فلحديث علي عند أحمد وأبي داود والدارقطني وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « العين وكاء السّه فن نام فليتوضأ » حسنه البغوي وابن الصلاح ، وصححه السيوطي ، وأخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) بزيادة « فإذا نامت العين استطلق الكواء » وقيل : لا ينقض مطلقاً لحديث أنس « لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوقظون للصلاة حتى أني لأسمع لأحدهم غطيظاً ثم يوقظون فيصلون ولا يتوضؤون » . ولحديث مسلم وأبي داود : « لا وضوء على من نام قاعداً » وفي إسناده ضعيف ، وأما زوال العقل بغير النوم فاستدلوا على النقض به بحديث عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : « ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا ، وهم ينتظرونك ، قال : ضعوا لي ماءً في المسبغ قالت : ففعلنا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق ، فقال : أصلى الناس ؟ قلنا : لا وهم ينتظرونك الحديث فعل ذلك ثلاث مرات وكلما أغمي عليه اغتسل » .

وثالثها : القىء فإنه ينقض الوضوء بشرط كونه ذارعاً لحديث علي « قلت : الوضوء كتبه الله علينا من الحدث فقط قال علي بل من سبع من حدث

وبول وفي رواية وتقطار بول ودم سائل وفي ذارع وسعة تملأ الفم ونوم مضطجع وقهقهة في الصلاة . ذكر المؤيد بالله في التجريد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام وحكاه في ( أصول الأحكام ) و ( الشفاء ) ولحديث « من أصابه قيء أو رعاف أو قلس فليتوضأ » أخرجه ابن ماجه والدارقطني عن عائشة مرفوعاً ، وفي الباب عن علي عند عبد الرزاق بإسناد حسن ، وعند غيره عن أبي سعيد الخدري وابن عباس وسلمان .

ورابعها : الدم ، ودليل كونه ناقضاً حديث علي المتقدم « بل من سيع » وعدة منها ، وحديث تميم الداري مرفوعاً « الوضوء من كل دم سائل » [ أخرجه الدارقطني ] ، وأشار الناظم بقوله : ( والقول بالنقض أراه أقوى إلى آخره ) إلى اختيار النقض بهذه الأشياء وترجيحه .

أدلة الضحك في الصلاة تعارضت في النفي والإثبات  
والمس للفرج ومس المرأة وأكل ما النار له قد مسّت

هذا النوع الثاني من النواقض وقوله : ( تعارضت في النفي والإثبات ) أي : تعارضت في نفي النقض بها والإثبات . إذا عرفت هذا ، فهذه أمور . الأول : الضحك في الصلاة مقيد بالقهقهة ، فالجهور عدم النقض به ، وقيل : بل ينقض ، لحديث علي المتقدم حيث عده صلى الله عليه وآله وسلم من النواقض السبع ، ولحديث جابر عند أبي داود مرفوعاً « إذا ضحك أحدكم في صلاته فليتوضأ ثم ليعد صلاته » ، ولحديث « الأعمى الذي تردى في حفرة كانت في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالناس فضحك كثير من القوم وهم في الصلاة فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ضحك أن يعيد الصلاة والوضوء » [ أخرجه الطبراني ] ، قال ابن المنذر : وحاشا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يضحكوا خلفه وهم خير القرون ، انتهى . وفيه أحاديث

آخر عن جابر ضعيفة ، قال صاحب المنظومة : قد تبين لك عدم النقض به لعدم صحة الأحاديث نفياً وإثباتاً ، كما قاله أحمد وكثيرون من أئمة الحديث .

الثاني : لمس الفرج والمراد به القبل من الرجل والمرأة ، فقال بعضهم : إنه ناقض للوضوء لأحاديث وردت بذلك منها : الصحيح والحسن والضعيف عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، منهم عائشة وأم حبيب وبسرة بنت صفوان وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبي هريرة ، ومن أصحابها حديث بسرة مرفوعاً « من مس ذكره فلا يعجل حتى يتوضأ » وقيل : لا ينتقض الوضوء بذلك لحديث علي بن طلحي « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن مس الذكر في الصلاة فقال : هل هو إلا بضعة منك » [ أخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) وأصحاب السنن والدارقطني ] ، وصححه جماعة من أئمة الحديث وذكر في ( الانتصار ) نحوه عن أبي أمامة ، وروي عن عائشة أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لأبالي مَسَسْتُ فَرْجِي أو أَنْفِي » . [ وأخرجه بهذا اللفظ المؤيد بالله عن علي موقوفاً ] . وحكاة في أصول الأحكام والشفاء ، وأجابوا عن الحديث الأول بأن الأمر بإعادة الوضوء للندب ، وقيل : إن المراد بالوضوء غسل اليد بعد اللمس ، وهذا هو الذي اختار الجلال ، قال : والذي ألهم الله إليه أن الحكم في حديث الوضوء من مسه خارج على حد خروج خبر الاستيقاظ بأنه لم يأتي لفظ نقضه للوضوء وإنما جاء الأمر بالوضوء منه لا غير . قال الناظم : وهو كلام قوي .

الثالث : لمس المرأة ، فقل لا ينقض ، وقيل ينقض ، لقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ وفي قراءة ﴿ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ، والملاسة : حقيقة في اللمس باليد ، ودفع هذا القول بأن الملاسة في الآية مجاز في الوطء ، وهو مجاز مشهور ، وصار عرفاً للشارع ، فلم يرو الملاسة والمماس في الكتاب إلا الجماع ، والحمل على عرفه أولى من الحمل على عرف اللغة ، ولحديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله

وآله وسلم « قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ » [ أخرجه أحمد والنسائي والترمذي ] .

الرابع : أكل مامسته النار ، وفي النقص به خلاف بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فعند الجمهور لا ينقض ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أكل من لحم شاة ثم صلى ولم يتوضأ » كما روته ميونة [ أخرجه البخاري ] ، وقيل ينقض لما روى أحمد ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت مرفوعاً « توضؤوا مما مسته النار » قالوا : وهذا الأمر ناسخٌ لدليل الإباحة ، وأجيب بأن المنسوخ هو الأمر بالوضوء في حديث جابر « كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك الوضوء مما مسته النار » [ أخرجه أبو داود والنسائي ] وصححه ابن خزيمة وأبو حيان .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الغسل

ويجب الغسل من الجنابة قد بين الله لنا إيجابه

وجوب الغسل معلوم من ضرورة الدين ، وقد أمر الله به عباده في كتابه العزيز فقال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا ﴾ [ المائدة ٦/٥ ] . وقال : ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾ [ النساء ٤/٤٣ ] الآية .

وموجباته : ثلاثة أمور ، الأول : يعمُّ الرجال والنساء وهي الجنابة وهي تكون بأحد أمرين ، الأول ما أفاده الناظم رحمه الله بقوله :

موجبُه مس الختان للختان فهو لأو لامستم النساء بيان

في هذا البيت اقتباس من الكتاب العزيز ومن الحديث ، مع الإشارة في

أحدهما إجمالاً بيّنه الآخر ، أما الكتاب فقولهُ : ﴿ أو لامستم النساء ﴾ [ النساء ٤/٤٣ ] وأما الحديث فما روته عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا قعد بين شعبها الأربع ومس الختان فقد وجب الغسل » [ أخرجه المؤيد بالله في التجريد وأحمد ومسلم والترمذي والبيهقي ] ، وفي بعضها زيادة « وإن لم ينزل » .

**كذلك الأمني فهو مُوجب مع شهوة تكون فهو الأغلب**

هذا هو النوع الثاني مما تكون به الجنبابة أي كما أن مس الختان للختان موجب للغسل في حق الرجل والمرأة كذلك الإمني سواء كان بجماع أو باحتلام أو غيرها لحديث « إنما الماء من الماء » [ أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي ] وغيرهم من حديث أبي سعيد وقوله ( مع شهوة ) فيه إشارة إلى القول المختار وهو أن خروج المني غير كافٍ في وجوب الغسل بل مقيّد بخروجه بشهوة لحديث علي كرم الله وجهه لما سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حكم المذي فقال : « والمني الدافق إذا وقع مع شهوة » ذكره المؤيد بالله ، في التجريد بسنده إلى زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام ، وذكره في أصول الأحكام ، وأخرجه جماعة من أئمة الحديث منهم الستة وابن أبي شيبه وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم إلا أنه ليس في شيء في روايتهم زيادة « إذا وقع مع شهوة » لكن في بعضها وصفه بالنضح ، وبعضها بالدفق ، وبعضها بالخذف . قال المقبل : ووصفه بذلك ظاهر في التقييد ، وفي بعض الأحاديث « إذا حذفت الماء فاغتسل من الجنبابة وإذا لم تكن حاذفاً فلا تغتسل » رواه أحمد بل في هذا التصريح بعدم الغسل .

**والحيضُ في المرأة والنفسُ بالنَّفس لا غير فلا يقاسُ**

وجوب الغسل منها معلوم من ضرورة الدين لقوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في الحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن ﴾ الآية ولقوله صلى الله

عليه وآله وسلم : « إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت فاغتسلي » [ أخرجه البخاري ومسلم ] . قوله ( لا غير ) فيه إشارة إلى قول من أوجب الغسل بمجرد وضع الحمل وإن لم تر المرأة دمًا ، وهو مردود بأنّ النفاس لغةً هو الدم الخارج عقيب الولادة ، وإنما وجب الغسل لكونه دم حيض مجتمعاً ، وأما مجرد الوضع فليس بموجب بل هو كما خرج من فرجها حصاة أو لحمة ، وقوله ( فلا يقاسُ ) إشارة إلى رد قول الموجب للغسل بمجرد الوضع قياساً له على المني ، قال : لأن أصله المني فهو أشبه منه بحصاة وهو فاسد لما تقدم .

يُعم بالغسل جميعَ البَشَرِ مُنْقِيّاً مع ذلكهُ للشَّعرِ  
وهيئَةُ الغسل لمن أرادهُ من هديه من غير ما زيادة

في البيت إشارة إلى حديث : « تقوا البشر وبلوا الشعر » [ أخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ] ، وفي بعض ألفاظهم فإن تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأتقوا البشر من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، [ وأخرجه عبد الرزاق عن الحسن مرسلاً ، وعن الحسن عن أبي هريرة موقوفاً ، وأخرجه أيضاً عن طلحة بن نافع عن أبي أيوب مرفوعاً ، وعن أبي الدرداء وابن حذيفة موقوفاً عليها .

من بعد إتقا فرجه يَمْضُ ثم يتم غسل أعضاء الوضوء  
وبعدَهُ يَغسل باقيَ بَدَنِهِ يبدأ بغسل رأسه من أيمنه

في هذا إشارة إلى حديث ميمونة رضي الله عنها قالت : « أدنيت من النبي صلى الله عليه وآله وسلم غسله من الجنابة ، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ، ثم أدخل يده في الإناء ، ثم أفرغ على فرجه فغسله بشماله ، ثم ضرب بشماله الأرض فدلکها دلکاً شديداً ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حثيات ، ملأ

كفيه ، ثم غسل سائر جسده ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجله ، ثم أتته بالمُندِيلِ فرده » [ أخرجه الشيخان ] ، واللفظ لمُسْلِم ، وفي لفظ للبخاري : « توضأ وضوءه للصلاة غير رجله وغسل فرجه وما أصابه من الأذى ثم أفاض عليه ، ثم تنحى فغسل رجله » وقوله : ( يبدأ بغسل رأسه من أيمنه ) فيه إشارة إلى سنة التيامن في الغسل ، وورد ذلك في حديث صحيح [ أخرجه البخاري عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا وُضوء للصلاة بعده      وقيل لا يكفيه ذاك وحده  
والأولُ الأصحُّ للدليل      ويكتفي في الماء بالقليل

الضمير المتصل بالظرف يعودُ إلى الغسل ، أي : لا وضوء للصلاة بعدَ الغسل . وكذلك الإشارة بلفظ ( ذاك ) وهو مسألة خلاف بين العلماء في تداخل طهارتي الحدين الأصغر والأكبر فقول : تتداخل وهو قول الجمهور ، وقيل : لا تتداخل ، ودليل الأول ما تقدم من اكتفائه صلى الله عليه وآله وسلم بالغسل عن الوضوء فيما سبق من حديث ميمونة ولما صرح به حديث عائشة رضي الله عنها عند الترمذي « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتوضأ بعد الغسل » ذكره المؤيد بالله في التجريد عن ابن أبي شيبه قال مامعناه : أنه لا ينهضُ على أجزاء الغسل عن الوضوء وليس فيه تصريح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم « صلى عقيبهِ ولم يحدث وضوءاً » ويندفع هذا بما أخرجه أبو داود عن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغتسل ويصلي الركعتين وصلاة الغداة ولا أراه يحدث وضوءاً » واستدل من قال بعدم التداخل بأدلةٍ أشفها ماروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : « من اغتسل من جنابة ثم حضرته الصلاة فليتوضأ » وأنه عليه السلام « كان يتوضأ بعد الغسل » ويمكن الجمع بحمل حديث الأمر على سنته التجديد للوضوء إذا تراخى حضور الصلاة عن الغسل بمدة يسن في مثلها



التجديد كما يشعر بذلك لفظ ( ثم ) وأما ما روي من فعله ففعل يتطرق إليه الاحتمال ، وقوله ( ويكتفي في الماء ) فيه إشارة إلى كراهة الإسراف في الماء للمغتسل ، فقد كان يكفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لغسله الصاع من الماء ولقول عائشة : « كنت أغتسل أنا ورسول الله من إناءٍ واحدٍ يقال له الفرق » [ أخرجه الشيخان ] ، والفرق يسع ثلاثة أصع وقيل يسع صاعين .

وَحُرِّمَتْ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ لِمَا رَوَاهُ حَافِظُ الزَّمَانِ  
مَا كَانَ يَحْجُزُهُ سِوَى الْجَنَابَةِ وَبَعْضُهُمْ قَاسَ بِهَا الْكِتَابَةَ

المراد بحافظي الزمان أئمة الحديث وحفاظه ، وفيه إشارة إلى حديث علي كرم الله وجهه « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن ويأكل معنا اللحم ، ولم يكن يحجبه أو يحجزه شيء ليس الجنابة » أخرجه جماعة من المحدثين منهم أحمد وأصحاب السنن ، وابن حبان والحاكم ، وابن السكن وابن خزيمة ، وابن أبي شيبة والطحاوي ، وأبو يعلى والدارقطني والبيهقي وغيرهم ، وهو عند المؤيد بالله في ( التجريد ) بلفظ : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ القرآن على كل حال إلا الجنابة » وهو حديث صحيح في الشفاء وغيره وبعضهم قاس بالكتابة فيه إشارة إلى قول من يقول تحريم الكتابة أيضاً قياساً لها على القراءة .

وَلَمْ يَسْخَرْ نَحْوُ مُصْحَفٍ بِالْجَسَدِ وَاللَّبَثُ لَا عبوره في المسجد  
لِنَحْوِ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلِي وَغَيْرِهِ مِنْ وَاضِحِ الدَّلِيلِ  
وَالْغَسْلُ لِلْإِسْلَامِ قِيلَ يَجِبُ وَقِيلَ بَلْ يُنْدَبُ وَهُوَ الْأَقْرَبُ

أي : وحرم على المحدث حدثاً أكبر لمس نحو المصحف ، واللَّبَثُ في المسجد ، وأشار بقوله : ( نحو ) إلى كل ما كتب فيه القرآن من قرطاسٍ ولوح وثوب لقوله

عز وجل : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [ الواقعة ٧٩/٥٦ ] والآية وإن كانت خبراً فهي بمعنى النهي كما يفيد قراءه ﴿ لَا يَمَسُّهُ ﴾ بفتح السين ، والنهي وإن كان عاماً في الحدث الأكبر والأصغر لأن الأمة أجمعت في كل عصر وفي كل قطر أن صبيان المكتب يَمَسُّون المصحف من دون تناكر ، ولو كان الحدث الأصغر سبباً للمس لما أجمعوا على عدم النكير ، وقوله ( واللبث ) إشارة إلى الآية الكريمة وهو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ﴾ [ النساء ٤٣/٤ ] وقوله : ( والغسل للإسلام ) قيل : يجب ، استدل له القائل بوجوب الغسل لحديث ثمامة بن أثال « فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بعد إظهاره الإسلام بأن يذهب ويغتسل » ، وأشار بقوله ( وقيل بل يندب وهو الأقرب ) إلى قول من قال بعدم وجوب الغسل للإسلام ، واستدل بكثرة من أسلم في زمانه ، ولم يرد أنه أمر كل من أسلم بالغسل .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في التيمم

وهديهُ المَأْثُورُ فِي التَّيْمِمْ      أَيْسَرُ هَدْيٍ قَدْ أَتَاكَ فَاعْلَمْ  
فَعْنَهُ قَدْ جَاءَ فِي صَحِيحِ النُّقْلِ      إِذِ الصَّلَاةُ تُدْرِكُ الْمُصَلِّي  
فَعْنَدَهُ الْمَسْجِدُ وَالطَّهْوَرُ      مِنْ أَرْضِهِ وَلَكِنْ الْمَأْثُورُ  
التُّرْبُ أَوْ سَبَخَةٌ أَوْ رَمْلٌ      مِمَّا بِهِ يَعْلَقُ لَيْسَ الْكُلُّ

شرعية التيمم من ضرورة الدين ، ولا خلاف أن تنوب شرعيته بقوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ [ النساء ٤٣/٤ ] والمائدة ٦/٥ . ووردت السنة بتفاصيله ، وأنه قائم مقام الطهور بالماء ، فن ذلك ما أشار إليه الناظم بقوله إذا الصلاة تُدْرِكُ المصلي ، وهو ما أخرجه أحمد عن أبي أمامة مرفوعاً « أيما رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره » ، وهو عند البيهقي بلفظ « أيما

رجل أدركته الصلاة وجد الأرض مسجداً وطهوراً ، ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً فَأَيُّ رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ » متفق عليه من حديث جابر ، وقوله ( مَنْ أَرْضِهِ ) متعلق بلفظ الطهور أي : إن طهور المصلي من أَرْضِهِ ، ويعني به المكان الذي أدركته الصلاة فيه ، ولما كان ذلك ظاهراً في جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض ، كما يقوله بعض العلماء استدرك ذلك بقوله ( ولكن المأثور التُّرْبُ إلى آخره ) فلا يجزي غيره نحو شجر وحجر ، أما التراب فجمع على إجزائه ، بل قال بعض العلماء لا يجزي غيره من الرمل ونحوه ، لأن الله وصفه بالطيب في قوله صعيداً طيباً ، وما لم يُنَبِّتْ ليس بطيب ، وأما الرمل فروى ابن القيم صحة التيمم به لأنه صلى الله عليه وآله وسلم تيمم من الأرض الذي يصلي فيها ، وصح عنه أنه قال « حيثما أدركت رجلاً من أمتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره » وهو نص صريح ، وقوله ( مما به يعلق إلخ ) إلى مما يعلق بعضه بيد المصلي ، لأن ذلك شرط في إجزائه ، لما دل عليه لفظ ( من ) التبعضية في قوله تعالى : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ [ المائدة ٦/٥ ] .

بِضَرْبَةٍ لِلْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ      قِيلَ وَلَمْ يَجْأُزِ الْكَفَيْنِ  
وَقِيلَ بِلِ بَضْرَبَتَيْنِ الْأُولَى      لَوَجْهَهُ وَلِلْيَدَيْنِ الْأُخْرَى

أراد بهذا بيان أعضاء التيمم ، وهو : الوجه واليدان باتفاق العلماء ، وإنما اختلفوا في وجوب تعميمه بالمسح ، واستكمال به بتخليل أصول الشعر والأصابع والبلوغ بالمسح إلى المرفقين ، فقيل : يجب ذلك كما يجب في الوضوء ، وقيل : لا يجب ، لأن التيمم مبني على التخفيف ، ولم يؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، ولأن وضع المسح يصيب ما أصاب ويخطئ ما أخطأ ، كما جاء في بعض رواية أسلع في وصفه تيممه صلى الله عليه وآله وسلم « ثم أمر بيديه على لحيته » والإمرار ليس بتخليل ، وأما تخليل الأصابع والاستكمال بمسحها إلى المرفقين ، فلما ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم تيمم بضربة واحدة للوجه واليدين ولم يتجاوز

المسح كفيه، واستدلّ الموجبون لذلك بأية الوضوء لقوله : ﴿ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [ المائدة ٦/٥ ] . فقيد الأيدي هنا وأطلقها في آية التيمم ، والظاهر : أن المطلقة هنا هي المقيّدة هنالك ، قالوا : ولأن التيمم يدل عن الوضوء ، والظاهر في البديل أن يكون كالمبديل ، ولحديث جابر أنه « أنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أصابتني جنابة وإني تمعكت بالتراب . قال : اضرِبْ ، فضربَ بيده الأرضَ فمسح بها وجهه ومسح بيديه فمسح بها إلى المرافق » . قال الدارقطني زوّاته ثقات ، ولحديث أسلع قال : « كنت أخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بأية الصعيد ، - أي التيمم - فضربت بيدي الأرض فمسحت بها وجهي ، ثم ضربت بها الأرض فمسحت بها يدي إلى المرفقين » أخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) والدارقطني والطبراني ، ولغيره من الأحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة لليدين إلى المرفقين » أخرجه الدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر ، ورواه البزار وابن عدي بهذا اللفظ عن عائشة مرفوعاً ورواه الإمام الهادي عن علي موقوفاً عليه .

هذا ولم يصح في الكيفيّة عن النبي صفة مرويّة

أشار بهذا إلى ما ذكره ابن القيم في الهدي ولفظه ( ولم يصح ) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كيفية التيمم وهيئته شيء وتعقب بأنه وقد ورد في حديث عمار الذي أخرجه البخاري طرقات من الكيفية حيث قال : « ثم مسح ظهره بكفه بشماله وظهره بشماله بكفه » ، وله في النسائي « ثم ضرب بشماله على يمينه وبيمينه على شماله » ، وأما الترتيب ، فقليل « يجب قياساً على الوضوء .

وكالوضوء صلّ ما أردت ما لم تكن أحدثت أو وجدت

يعني : أن التيمم كالوضوء لا يجب تكريره وتجديده لكل صلاة بل يصلي

بالتيم الواحد ما شاء من الصلاة فرضاً ونفلاً ، حتى ينتقض تيممه أو يجد الماء أما  
انتقاضه بنواقض الوضوء فعلوم ضرورة ، وأما وجود الماء فلآية الكريمة ﴿ فَمَنْ  
تَجَدَّاهَا فَامْسَحْ بِرَأْسِهِ وَامْسَحْ بِوُجْهِهِ وَارْتَحِلْ ۚ ﴾ <sup>(١)</sup> [ النساء ٤٣/٤ والمائدة ٦/٥ ] .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان والإقامة

فَصَلِّ : ومن محاسن الإسلام شرعية الأذان للإعلام  
وأجمع الناس على شرعيته واختلفوا فيه وفي كيفيته  
فقيل : واجب ، وقيل ما وجب في غير تجميع ، وقيل مستحب  
أشاد بهذا إلى أن الأذان من شعار الإسلام به يتميز محال الإسلام عن غيرها ،  
وتحقق به الدماء ، كما صح عن أنس أنه قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم لم يكن يغير بنا حتى يصبح فينظر فإن سمع أذاناً كف عنهم ، وإن لم يسمع  
أذاناً أغار عليهم » [ أخرجه البخاري ] ، وعند مسلم نحوه ، وأشار بقوله للإعلام  
إلى أن الأذان إعلام بدخول وقت الصلاة ، وأنه خارج عنها ، فلا تفسد بتركه ،  
وأنه لا يصح قبل دخول الوقت ، واختلفوا فيه ، هل هو واجب مطلقاً ؟ أو  
مسنون ؟ كذلك أو يفصل فيه ، واستدل القائلون بوجوبه بمواظبة النبي صلى الله  
عليه وآله وسلم على تقديره واستمراره مدة حياته ولم ينقل عنه أنه تركه البتة ولا  
رخص في تركه ، فكان بالواجبات أشبه ، واختلف القائلون بوجوبه <sup>(٢)</sup> ؛ هل

(١) وقيل يجب تكريره لكل صلاة لما روي عن ابن عباس أنه قال « من السنة أن لا يصلي بتيم  
واحد إلا فريضة واحدة ، ثم يتيم للصلاة الأخرى » رواه في الشفاء ، وأخرجه الدارقطني  
والبيهقي عنه فيه الحسن بن عمارة وهو ثقة عند بعض ، ضعيف عند أحمد ، ومدلوله مذهب  
المهادوية . ( انتهى جلال )

(٢) الاستدلال بحديث مالك بن الحويرث : « إذا صليتما فليؤذن لكما أحداً وليؤمكما أكبركما »  
أظهر في الاستدلال . ( ج )

عيناً أو كفاية ، وإلى الأخير ذهب الجمهور بوجوبه على الرجال فقط لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس على النساء أذان ولا إقامة ، ومعنى كونه كفاية : أنه يكفي أهل البلد الذي أُذِنَ فيه مطلقاً ويكفي من كان من غير أهلها بشرط أن يسمع النداء<sup>(١)</sup> ، واستدل لذلك بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أمر من لم يسمع النداء في المدينة بالأذان ، ولو كان فرض عين لأمرهم به ، ودليل الوجوب ما في الحديث « أَمَرَ بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة » [ أخرجه البخاري ] ، وفي بعض الروايات أن الأمر له بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وأشار بقوله ( في غير تجميع ) إلى قول بعضهم : إن الأذان يجب في الجمعة فقط كوجوب الجماعة فيها .

فقل مثني ماعدا التكبرا	وما عدا تهليلة الأخير
مثني يكون ماعدا التهليلا	فرةً ويَننوا الدليلا
وقبل بالتثويب والترجيع	وقيل ماها من المشروع
فيفرد الأخير والتكبير	مربع قيل بل المأثور

هذا تفصيل ما تقدمت الإشارة إليه من الخلاف في كيفية الأذان فقل يكون مثني أي تكرر ألفاظه مرتين مرتين إلا التكبير في أوله والتهليل في آخره ، فربع التكبير ، ويفرد التهليل ، واستدل على هذا القول بحديث عبد الله بن زيد الذي أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان وابن خزيمة وابن ماجه قال : « لما همَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبُوق وأَجَعَ أن يُضرب بالناقوس يجمع به الناس للصلاة وهو له كاره لموافقته النصارى طافَ بي من الليل طائف وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس يحمله ، فقلت : يا عبد الله أتبيع الناقوس قال : وما تصنع به ، قال : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ،

(١) لا أثر للبلد وإنما لمن يمكن حضور صلاة الجماعة سواء كان من أهلها أو غير أهلها . (ج)

فقلت : بلى ، قال : تقول الله أكبر إلى آخر ألفاظ الأذان المجمع عليها - بترييع التكبير في أوله وتثنية ماعده وإفراد التهليل آخره - قال : فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته ، قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى ، ثم مع بلال فآلق عليه ما رأيت ، فإنه أندى منك صوتاً ، قال : فقممت فجعلت ألقيه على بلال ، فيؤذن به ، فسمع ذلك عُمَرُ وهو في بيته فخرج يجر زدائه يقول : والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت ما رأى « رواه الترمذي وهو في ( جامع الأصول ) بروايات كثيرة مختلفة ، وفي بعضها زيادة ( ذكر الإقامة ) وزيادة ( قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة بعد قوله : حيَّ على الفلاح ) وقيل : بل المشروع أن يكون ألفاظه مثنى إلا التهليل في آخره ، فاتفقوا على إفراده ، واستدل هؤلاء بحديث زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي أنه قال : الأذان والإقامة مثنى مثنى ويُرْتَل في الأذان ويحدر في الإقامة ، وأخرج المؤيد بالله في ( التجريد ) بسنده إلى عبد الملك بن أبي محذورة عن أبيه قال : « علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأذان ، قال : تقول الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، إلى آخر كلمة في الأذان » [ وأخرج مسلم في صحيحه ] حديث أبي محذورة في الأذان ، وذكر تثنية التكبير في أوله ، ولحديث أنس « أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة » متفق عليه ، قال النووي يشفع : يأتي فيه مثنى ، ولما عند أبي داود من طريق مالك بن دينار قال : « سألت ابن أبي محذورة قلت : حدثني عن أذان أبيك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الله أكبر الله أكبر<sup>(١)</sup> أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله إلى آخر كلمة في الأذان » [ وأخرج المؤيد بالله في ( التجريد ) عن بلال أنه « كان يثنى الأذان ويثنى الإقامة » وأخرج أيضاً بسنده إلى عون بن

(١) وعنده أيضاً أي أبي محذورة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علمه الأذان الله أكبر الله أكبر .

أبي جحيفة بلفظ « أذن بلال بنى مرتين وأقام كذلك » وهو في مجمع الزوائد عن أبي جحيفة قال : « أذن بلال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنى مثنى مثنى ، وأقام مثل ذلك » رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله ثقات ، وروى عن سعيد بن غفلة قال : « سمعت بلالاً يؤذن في منى مثنى مثنى ويقيم مثنى مثنى » حكاه في الشفاء وأخرجه الحاكم والبيهقي في الخلافيات ، والطحاوي عنه بلفظ « كان بلال يثنى الأذان والإقامة » وأخرج ابن خزيمة والديلمي عن علي بن عبد الله بن محيرزانة قال : « إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر نحو عشرين رجلاً فأذّنوا ، فأعجبه صوت أبي محذورة ، فعلمه الأذان مثنى إلا التهليل آخره » قال الظفاري سنده صحيح ، ولحديث ابن عمر « كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين مرتين والإقامة مرة مرة غير أنه كان يقول : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة » وعن أنس كان بلال يثنى الأذان ويوتر الإقامة إلا قوله قد قامت الصلاة . أخرجه أبو عوانة قال العلامة ابن القيم : « وكل هذه الوجوه جائزة لا كراهة فيها وإن كان بعضها أفضل من بعض » فالإمام أحمد أخذ بأذان بلال وإقامته ، والشافعي أخذ بأذان وإقامة أبي محذورة ، ومالك أخذ بما عليه أهل المدينة من الاختصار في الأذان على التكبير مرتين ، وعلى كلمة الإقامة مرة واحدة ، قوله ( وقيل بالتثويب ) قال بعضهم : بزيادة التثويب في أذان الصبح ، وهو أن يقول المؤذن بعد قوله ( حيّ على الفلاح ) : الصلاة خير من النوم لما أخرجه الشافعي ومسلم في رواية وأهل السنن وابن حبان عن أبي محذورة قال : « قلت يا رسول الله علمني سنة الأذان فسح مقدّم رأسه ، قال : تقول الله أكبر ، الله أكبر ، ترفع بها صوتك ، ثم تقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله تحفض بها صوتك ، ثم ترفع صوتك بالشهادتين أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة ، حيّ على الصلاة ، حيّ



على الفلاح ، حي على الفلاح ، وإذا كانت صلاة الصبح قلت : الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم ، ثم تقول الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله « قوله : والتربيع أي قيل بزيادة التربيع في الأذان ، وهو أن المؤذن إذا قال بأعلى صوته ( الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، قال سرّاً بحيث يسمع نفسه ومن بجانبه أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم يعود إلى الجهر بأعلى صوته فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله إلى آخر ألفاظ الأذان ) ودليله حديث أبي مخذرة المتقدم وأشار الناظم بقوله : ( وقيل ماها ) إلى خلاف من لم يثبتها في الأذان ، وقال : إنها بدعة وهو المشهور من مذهب أهل البيت ، وادعى إجماعهم على ذلك ، واستدل له بما رواه مالك في الموطأ « أنه بلغه أن مؤذن عمر جاء ليؤذنه بصلاة الفجر فوجده نائماً فقال الصلاة خير من النوم فأمره أن يجعلها في صلاة الصبح » ولما أخرجه ابن أبي شيبة قال : « جاء المؤذن يؤذن عُمرَ بصلاة الفجر فقال : الصلاة خير من النوم فأعجب ذلك عمر وأمر المؤذن أن يجعلها في أذانه » ذكره المؤيد بالله في ( التجريد ) قال : فدل على أنه لم يكن ذلك في أذان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

واضطربت مواضع الدلالة فيه كذا الخلاف في الإقامة  
ف قيل هي مثنى وقيل تُؤثّر وقيل أن لفظها مكرّر

أي واضطربت الأحاديث في الأذان اضطراباً كثيراً كما يعرفه من راجع كتب الحديث ، وكذا وقع الاختلاف في الإقامة بعد اتفاقهم أن ألفاظها ألفاظ الأذان ماعدا التثويب والترجيع ، فقيل : تكون مثنى لما سبق من حديث علي وسويد بن غفلة ولقول أبي مخذرة في الحديث السابق « علمني رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم الإقامة مرتين مرتين ، الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله  
أشهد أن لا إله إلا الله » ، ولحديثه روايات كثيرة ذكرها الحافظ ابن الأثير بـ  
( في جامع الأصول ) ، وقيل : مرة مرة لحديث أنس قال : « أمر بلال أن يشفع  
الأذان ويوتر الإقامة » واستثنى بعضهم لفظ الإقامة ، أي قد قامت الصلاة ،  
فقال : تكرر مرتين لحديث ابن عمر « كان الأذان على عهد رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم مرتين مرتين ، والإقامة مرة مرة ، غير أنه كان يقول : قد قامت  
الصلاة ، قد قامت الصلاة » .

ومنها حي على خير العمل قال بهذا آل النبي عن كمال  
وقيل لادليل فيه يقبل وأحوط القولين عندي العمل

أي وما اختلف فيه من ألفاظ الأذان والإقامة المشروعة ( حي على خير  
العمل ) والمشهور عن أهل البيت شرعية ذلك ، وادعى كثير من متأخريهم  
إجماعهم على ذلك ، [ وأخرج المؤيد بالله ] في ( التجريد ) بسنده إلى أمير المؤمنين  
علي عليه السلام أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن  
خير أعمالكم الصلاة وأمر بلالاً يؤذن بحج على خير العمل » وأخرج أيضاً بسنده  
إلى نافع عن ابن عمر أنه « كان يقول في أذانه حي على خير العمل » قال ورواه  
ابن أبي شعبة وساق سنده إلى نافع عن ابن عمر أنه كان إذا سافر زاد في أذانه ( حي  
على خير العمل ) وعن ابن أبي شعبة عن أبي جعفر عن أبيه ومسلم بن أبي مريم أن  
علي بن الحسين « كان يؤذن فإذا بلغ : حي على الفلاح قال : حي على خير  
العمل ، ويقول هو الأذان الأول » ، قال المؤيد بالله ، ولا يجوز لأحد أن يحمل  
قوله هو الأذان الأول إلا أنه أذان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وروى  
الإمام زيد بن علي عن أبيه علي بن الحسين أنه كان يقول في أذانه « حي على خير  
العمل ، حي على خير العمل » وقد روى الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن  
الحسين بإسناده إلى زيد بن علي أنه قال : « مما تقم المسلمون على عمر أنه محام

النداء أي في الأذان حي على خير العمل ، وقد كان يؤذّن بها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولأبي بكر وشرطاً من خلافة عمر ، وقد بسط الفقيه يحيى حميد في كتابه ( التوضيح ) الكلام على ذلك ، وفي ( شرح فتح الغفار ) وذكر كثيراً من الأحاديث الدالة على شرعية ذلك مُسْنِداً لأكثرها ، مصححاً لأسانيد كثير منها ، وحكي عن ابن حجر المكي تصحيح ذلك أيضاً وقد بَوَّب البيهقي لذلك في سننه ، فقال : باب الأذان يحيى على خير العمل ، وذكر حديث نافع عن ابن عمر ، وحديث أبي جعفر عن علي بن الحسين ، ونقل في بعض الحواشي عن السيد الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم أبو زير رحمه الله قال : بعد أن ذكر ما ذكره البيهقي بَحَثْتُ عن هذين الإسنادين فوجدتهما صحيحين إلى ابن عمر ، وإلى زين العابدين ، ثم ساق الكلام على ذلك ، وذكر غيرها من الأدلة على شرعية التأذين بحي على خير العمل إلى أن قال فثبت أن التأذين بحي على خير العمل سنة صحيحة ، ومن جنح إلى ذلك من متأخري مجتهدي العلماء العلامة الحسن الجلال في كتابه ( ضوء النهار ) ولفظه : لنا ثبوت ذلك من طريق أهل البيت عليهم السلام وصححوه عن أبيهم علي عليه السلام « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بلالاً يؤذّن بحي على خير العمل » وصحح ابن دقيق العيد وغيره أن ابن عمر وعلي بن الحسين ثبتا على ذلك إلى أن ماتا ، ورفع أبو بكر الشافعي من حديث أبي مخزومة ، وكذا مصنف ( الجامع الكافي ) في كتاب التأذين بحي على خير العمل ، ومن حديث علي وأبي رافع ، ومن حديث جابر فعلاً للصحابة ، وعن الحسنين وعقيل وابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، ومحمد بن الحنفية حتى قال صاحب ( الفتوح المكية ) من مشايخ الصوفية : « أجمع أهل المذاهب على التعصب في ترك التأذين بحي على خير العمل » وقد صحح ابن حزم والمحِب الطبري وسعيد بن منصور ثبوت ذلك عن علي بن الحسين ، وابن عمر وأبي أمامة وسهل بن حنيف مرفوعاً وموقوفاً ، « واشتهر أن عُمر هو الذي نهى عنه خشية

أن يتكل الناس على الصلاة ويدعوا الجهاد ، وبعد أن كان يؤذن بها « وهو إجماع العترة والحسنان وعلي معصومون عن تعمد البدعة .

وقيل : ليس ( حي على خير العمل ) بمشروع في الأذان بل هو بدعة لعدم ثبوت أدلتها في دواوين الإسلام الستة ، وأما ما روي من فعل جماعة من السلف فليس بحجة ، والذي يظهر والله أعلم هو ما أشار إليه الناظم بقوله ( وأحوط القولين عندي العمل ) يعني أن التأذين والإقامة بحی على خير العمل أحوط من تركها ، لتعارض الأدلة من الجانبين ، وللخروج من الخلاف ، وأن من يقول بوجوب الأذان والإقامة من أهل البيت وغيرهم يقول : لا يصح أن يترك حيّ على خير العمل ، ومن قال : بكونها سنة منهم ومن سائر العلماء لا نقول إن فعلها يبطل سنيته على أنه يكاد يترجح مع النظر في أدلة المثبتين والممانعين الجزم بثبوتها لكثرة الأدلة وقوة بعضها لنفسه وبعضها لغيره ، فلا نقص عن بلوغ درجة الصحة أو الحسن كما ذكر في نظائر ذلك .

وَقُلْ كَمَا يَقُولُهُ الْمُؤَذِّنُ      جَاءَتْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ السَّنُّ  
فِيمَا عَدَا حِيَعْلَةَ فَتُبَدَّلُ      حَوْلَقَةً وَالْجَمْعُ قِيلَ أَفْضَلُ  
بَعْدَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ سَلُّ مَا شِئْتَ تَنَلْ فَحِطْ بِذَاكَ عِلْمَا  
وَلِلنَّبِيِّ سَلُّ مَعَ الْوَسِيلَةِ      مَقَامَهُ الْحَمُودَ وَالْفَضِيلَةَ  
قِيلَ مَنكَرًا فَلَمْ يُعَرَّفْ      وَقَدْ أَتَى التَّعْرِيفُ فِيهِ فَاعْرِفْ

أشار بهذا إلى حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا سمعت النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » [ أخرجه الستة ] ، ولحديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا نادى المنادي في الصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء فمن نزل به كرباً أو شدة فليتحين المنادي فإذا كبر كبر ، وإذا تشهد تشهد ، وإذا قال حي على الصلاة قال : حي

على الصلاة ، وإذا قال : حي على الفلاح قال : حي على الفلاح ، ثم يقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة دعوة الحق المستجاب لها أحيانا عليها ، وأمتنا عليها ، وابعثنا عليها ، واجعلنا من خيار أهلها أحياء وأمواتاً ، ثم يسأل الله حاجته . . وأشار الناظم بقوله ( فيما عدا حيلة إلى آخره ) إلى حديث عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال : أشهد أن محمداً رسول الله ، ثم قال حي على الصلاة ، قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال حي على الفلاح ، فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال الله أكبر الله أكبر ، فقال الله أكبر الله أكبر ، ثم قال لا إله إلا الله ، فقال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة » أخرجه مسلم وأبو داود ، قوله : ( والجمع قيل أفضل ) إشارة إلى كلام المحقق المقبلي إن السامع يجمع بين الحيلة والحوالة جمعاً بين الأحاديث ، وقوله : ( بعد الصلاة ) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلاً يقول ثم صلوا علي فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأشار بقوله ( سل ماشئت ) إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص « أن رجلاً قال يا رسول الله إن المؤذنين يَفْضُلُونَا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قل كما يقول فإذا انتهيت فسل تعطاً » أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه ، وأشار بقوله ( سل مع الوسيلة ) إلى حديث جابر أن رسول الله قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » أخرجه البخاري وأهل السنن الأربعة ، ورواه البيهقي وزاد في آخره « إنك لا تخلف الميعاد » وأشار

بقوله : ( قيل منكراً إلى آخره ) أي لفظ ( مقاماً محموداً ) وقد أتى فيه التعريف من رواية علي بن عباس عند النسائي .

هَذَا وَمَنْ أَذِنَ فَلِلْإِقَامَةِ حَقٌّ لَهُ فَلَا يُقَمُّ مَقَامَهُ

أشار به إلى حديث زياد بن حارث الصدائي قال : « أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أؤذن في صلاة الفجر فأذنت ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أخا صدا قد أذن وإن من أذن فهو يقيم » أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، وروي في بعض رواياته أن بلالاً كان غائباً حال النداء .

### هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ

هَدْيُ الصَّلَاةِ وَهُوَ بَابٌ وَاسِعٌ لِلْفَرَضِ وَالْمُنْدُوبِ مِنْهَا جَامِعٌ

أي هذا هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة التي أمر الله بها لقوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [ هود ١١٤/١١ ] ومواضع أخرى . ووجوبها معلوم من ضرورة الدين جملةً ، ثم بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كمياتها وكيفياتها مفصلةً فرضاً ونفلًا ، وهو أوسع باب في العبادات أحكاماً ، كما أشار إليه الناظم بقوله ( وهو باب واسع ) جامع لمفروضها كالصلوات الخمس ومندوبها كروايتها ، وجامع لبيان كيفياتها من الأذكار والأركان والهيئات الواجبة والمسنونة من حين الدخول فيها إلى الخروج منها .

فَلَا زِمَ فِي هَدْيِهِ الْمَأْثُورُ      تَفْتَحُ الصَّلَاةُ بِالتَّكْبِيرِ  
لَا غَيْرَهُ يُسْمَعُ مِنْهُ جَهْرًا      وَقَبْلَهُ مَا قَالَتْ قَطْ ذِكْرًا

أشار بقوله ( فلازم ) إلى لزوم تكبيرة الافتتاح للصلاة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم » [ أخرجه أحمد والشافعي وأصحاب السنن إلا النسائي ] ، والحاكم وصححه ، والبخاري من حديث أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو عند أحمد والترمذي من حديث جابر ، وعند الطبراني من حديث ابن عباس ، ومعنى قوله « تحريمها التكبير » أي أنه يحرم على المصلي ما ينافيها من فعل أو قول ، وأشار الناظم بقوله : ( لا غيره يسمع منه جهراً ) أي لا يجزي الافتتاح بغير التكبير الذي أثر عن الشارع ، وهو ( الله أكبر ) وإن أفاد معناه كما قاله بعضهم من أنه يجزئ كل ما أفاد التعظيم من نحو ( الله أعظم ) ( الله أجل ) لما دل عليه حديث علي كرم الله وجهه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر » رواه البخاري بإسناد صحيح ، وأشار بقوله يُسمع منه جهراً إلى وجوب الجهر به بظاهر أحاديث من رواه من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأشار بقوله ( وقبله إلى آخره ) إلى الخلاف في محل التوجه فقال بعضهم بتقديم التعوذ والتوجه على التكبير مستدلين بما رواه الإمام الهادي من فعل علي عليه السلام لهما قبله ، وعورض برواية زيد بن علي عن علي أنه كان يبدأ بالتكبير قبلها .

وَلَيْسَ فِي تَلْفَظٍ بِالنِّيَّةِ عَنْ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مِنْ سُنَّةِ

أشار بهذا إلى أن نية الصلاة وإن كانت مشروعة ، فإن التلفظ بها ليس بمشروع ، قال ابن القيم : « لم يتلفظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنية ولا قال : نويت أصلي صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماماً أو مأموماً ولا فرض الوقت ولا أداء ولا قضاء فهذه عشر بدع » . لم تنقل واحدة منها عن الشارع بسند صحيح ولا ضعيف ولا مستند ولا مرسل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحبه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة .

يَرْفَعُ مَعَ تَكْبِيرَةِ يَدَيْهِ جَتَّى يَحَاذِي بِهَا أُذُنَيْهِ

ضمير يرفع عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أي من هديه أن يرفع يديه مع التكبيرة ، وذلك سنة ثابتة من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ، رواه عنه عدد كثير من الصحابة قيل ثلاثون ، وقيل خمسون ، منهم العشرة المبشرون بالجنة ، ولا خلاف في ثبوت شرعيته ، وإنما اختلفوا في استمرار ذلك فادعى بعضهم نسخة لحديث جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس اسكنوا في الصلاة » أخرجه مالك وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان ، ودفع الاستدلال به بأن جابر بن سمرة قد بين المنهي عنه ، وهو الإشارة عند السلام كما أخرجه مسلم وأبو داود ، ولفظه عندهما « كنا إذا سلمنا قلنا بأيدينا : السلام عليكم ورحمة الله ، وأشار بيده إلى الجانبين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ماتومون بأيديكم مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها إلى آخر الحديث ... » وفي آخره « إنما يكفي أحدكم أن يضع يده على فخذه ويسلم على أخيه عن يمينه وعن شماله » .

وَالْوَضْعُ لِلْكَفِّ عَلَى الْكَفِّ وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ وَفَعَلَهُ فَلَا يُرَدُّ  
وَالنَّصُّ فِي ذَلِكَ وَاضِحٌ جَلِيٌّ مِمَّنْ رَوَاهُ عَنْهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ

أي وورد وضع الكف على الكف في الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فعله وقوله ، وقد خالف في ذلك أكثر الزيدية ، واشتهر الخلاف عنهم ، وكذا مالك بن أنس وأتباعه من المالكية : يقولون بعدم شرعيته ( وأشار ) بقوله والنص في ذلك إلى آخره إلى عدم الإجماع من أهل البيت على عدم سنيته ، وأن زيد بن علي قد قال بسنيته ، وقد قال بهذا أحمد بن عيسى والحسن بن يحيى



ومحمد بن منصور ، قال الإمام محمد بن إبراهيم الوزير : « لانعلم أحداً من أهل البيت عليهم السلام ولا من شيعتهم روى حديثاً واحداً في المنع من وضع الكف على الكف في الصلاة بل روى أحاديث كونه سنة جماعة من كبار أئمتهم منهم زيد بن علي في كتاب الصيام في مجموعه ومحمد بن منصور في علوم آل محمد ، والأمير الحسين في الشفاء » ، قال : وفي هذه السنة اثنان عشرون حديثاً منها ثلاثة عن علي عليه السلام مرفوعة وأثر موقوف عنه ، ثم ساق الكلام فيمن روى هذه الأحاديث من الصحابة ومن خرجها من أئمة الحديث ومن ذلك ما رواه الإمام زيد بن علي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثلاث من أخلاق المؤمنين تعجيل الفطر ، وتأخير السحور ، ووضع الكف على الكف تحت السرة » وساق الأدلة ، قلت : بل قد روى محمد المرتضى ابن الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام في كتابه الذي سَمَّاهُ المناهي المنطوي عليه ( مجموع ) الهادي عليه السلام قال : ما لفظه « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل الرجل يده على يده في صدره في الصلاة ، وقال ذلك فعل اليهود ، وأمر أن يُرسلها وروى حافظ علوم الآل محمد بن منصور المرادي في ( المناهي ) قال : « ونهى الرجل أن يدخل إحدى يديه تحت الأخرى على صدره ، وقال : ذلك فعل اليهود » وأمره أن يرسلها ، وروى عن القاسم بن إبراهيم عليهما السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا كنت في الصلاة قائماً فلا تضع يدك اليمنى على اليسرى ولا اليسرى على اليمنى فإن ذلك تكثير أهل الكتاب ، ولكن أرسلها إرسالاً فإنه أحرى أن لا يشغل قلبك عن الصلاة » . وعلى كل حال ، فَمَنْ أثبت ذلك فيقول بأنه سنة ، ولا تفسد الصلاة بتركه .

فِيضَ الْيَمْنَى عَلَى يُسْرَاهُ      مَعَ رُسْغِهِ وَبَعْدَهُ دُعَاةُ

الرسغ - بضم الراء بعدها سين مهملة ثم غين معجمة - هو : الفصل بين

السَّاعِدِ والكف ، وأشار بالبيت إلى كيفية الوضع وأن الكف اليمنى تكون على ظهر الكف اليسرى على الرسغ من الساعد ، لما في رواية أبي داود والنسائي عن وائل بن حجر : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ » ، وأما محلها ففيه روايات تحت السرة ، وفوقها ، وتحت الصدر ، وعنده ، وكثير من الروايات مطلقة ولا تنافي فيها إذ الظاهر أنه يكون من العمل المخير فيه ، وأشار بقوله : ( وبعده دُعاء ) إلى أن دعاء الافتتاح يكون بعد التكبير والوضع بصريح حديث علي كرم الله وجهه : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام إلى الصلاة كبر ، ثم قال : وجهت وجهي .. » إلى آخره [ أخرجه مسلم ] .

فتارةً وجهتُ وجهي للذي مَعَ الدعا المأثور والتعوذ  
وتارة على الدعاء اقتصر مع التعوذ الذي قد أثر

أشار بهذا إلى أن المأثور من دعاء الافتتاح اختلفت فيه الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فتارة كان يقول : « وجهت وجهي للذي فطر السموات ... إلى ... المسلمين » ويقتصر على ذلك ، رواه عنه علي عليه السلام كما ذكره زيد بن علي ، وتارة يزيد معه دعاء كما أخرجه مسلم وغيره من رواية علي كرم الله وجهه ، وتارة يقتصر على الدعاء كما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ، قال المقبل : « إنه إذا اقتصر المصلي على صورة منها أجزأه ، وإن جمع بين الصورتين فكذلك ، سيما في صلاة الليل والنوافل ، وأما المكتوبة فالإقتصار على ما صرح فيه الراوي هو الأولى لحديث علي وحديث أبي هريرة .

وبعده يقرأ وهل بالبسملة قرأ قولان لهم في المسألة  
أي بعد ما تقدم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في صلاته ، ولا خلاف بين العلماء في مشروعيتها مطلق القراءة فيها ، وقوله : ( وهل

بالبسمة ) فيه إشارة إلى أنهم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : السنة ترك قراءتها لما أخرجها الشيخان عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين » ، وقال بعضهم : بشرعيتها ، واختلفوا هل يقرأ سراً أو جهراً أو يفصل في ذلك ؛ بأن يجهر بها في الجهرية ، ويُسَرُّ بها في السرية ، استدلل الجميع بحديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ بعدها آية ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [ الفاتحة ٢/١ ] بعدها آية » الحديث .. [ أخرجه الحاكم وابن حزم ] ، وعن عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ يرتل آية آية » أخرجه رزين ، وحديث : « إذا قرأتم فاتحة الكتاب فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها أم الكتاب والسبع المثاني بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة مرفوعاً ، قال الحافظ ابن حجر ورجاله ثقات وعن جابر قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « كيف تقول إذا قمت إلى صلاتك ؟ قال : أقول : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال : قل : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ﴾ » ذكره الظفاري في تخريج ( البحر ) . وأجابوا على أدلة المانعين من ذكرها بأن المراد من قول الراوي : كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين ، بأن المراد السورة الذي يذكر فيها ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ والبسمة من جملتها .

وَقَوْلُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ لَهَا حَكْمَ الْقِرَاءَةِ الَّتِي قَامَ لَهَا  
السِّرُّ فِي السَّرِّيَّةِ وَالْعَكْسُ قَوْلٌ إِلَيْهِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ

أشار بهذا إلى قول من فصل في الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الجهرية والسرية في السرية ، مستدلاً بحديث ابن عمر قال : « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلف أبي بكر وعمر كلهم يجهرون بسم الله الرحمن

الرحيم » أخرجه الدارقطني وذكره في ( أصول الأحكام ) بلفظ : « صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجهر بيسم الله الرحمن الرحيم حتى قبض وصليت خلف أبي بكر .. الحديث » ولحديث علي وعمار وابن عباس ، أما حديث علي وعمار فأخرجهما الدارقطني بلفظ : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر في المكتوبات بيسم الله الرحمن الرحيم » . وله طريق أخرى عند الحاكم في ( المستدرک ) ، وزواه الدارقطني عن علي عليه السلام من طريق أهل البيت ، وقال : هذا إسناد علوي لا بأس به ، وأما حديث ابن عباس فلفظه <sup>(١)</sup> : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح صلاته بيسم الله الرحمن الرحيم » أخرجه الحاكم والدارقطني وصححه الزين العراقي ، وفي لفظ الدارقطني : « أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يجهر في السورتين بيسم الله الرحمن الرحيم » وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أمني جبريل عند باب الكعبة فجهر بيسم الله الرحمن الرحيم » حكاه في ( الانتصار ) ، وحديث أبي الدرداء أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والسراج وغيرهم ، قال الحافظ ابن حجر : هذا أصح حديث ورد في ذلك ، ومما يزيد ذلك « قوة إنكار المهاجرين والأنصار على معاوية لما قدم المدينة في أيام خلافته فصلّى بالناس ولم يجهر بالبسملة في الفاتحة ولا في السورة بعدها ، فلما سلّم ناداه من شهد الصلاة من المهاجرين والأنصار : يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت ، أين بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فلما صلى بعد ذلك جهر بها » وهو حديث حسن ، بل صححه الحاكم ، ورواه الدارقطني من طريق الشافعي ، وقال : رجاله ثقات ، قال النووي : « ويكفي أن سند الحديث على شرط مسلم » ، قال

(١) قلت : أحاديث ابن عمر وعلي عليه السلام وسلام وابن عباس وغيرهم مطلقة مقيدة بحديث الحكم بن عمير قال : « صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجهر في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الجمعة » أخرجه أبو نعيم عنه ، وأخرجه الدارقطني عن الحكم بن عمير أيضاً ، قال : وكانا يرويا النهي بلفظه من تخريج ( الشفاء ) . جلال .

الشافعي : « وكان معاوية سلطان عظيم القوة شديد الشوكة ، فولا أن الجهر بالبسملة كان كالأمر المتقرر لكل من المهاجرين والأنصار لما قدروا على الإنكار عليه » . قال فخر الدين الرازي : « وثبت بهذا أن الجهر بالبسملة كالأمر المتواتر بينهم » .

وقيل بالتخيير وهو يَقرب كما إليه البعض أيضاً يذهبُ  
أشار بهذا إلى قول رابع لبعض العلماء ، منهم ابن أبي ليلي ، وهو أن الحكم في المسألة التخيير .

وَمَنْ يَرى فَاتِحَةَ الْكِتَابِ فَرَضاً فَقَدْ وَفَّقَ لِلصَّوَابِ  
وَكُونَهَا تَقْرَأُ بِكُلِّ رَكْعَةٍ عَنْهُ أَتَى بِهِ صَحِيحُ السَّنَةِ

أي قول من قال : إن قراءة الفاتحة في الصلاة فرضٌ ، هو القول الموافق للصواب ، وهو إشارة إلى خلاف الحنفية القائلين بأن قراءتها وإن كانت واجبة فليست بفرض بل يأثم تاركها وتصح صلاته بدونها ، بناء على مذهبهم من الفرق بين الواجب والفرض ، واستدلوا بقوله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [ المزل ٢٠/٧٣ ] ، وبقوله في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ، وأُجِيبَ بأنه قد ثبت حديث : « لا صلاة إلا بقرآن » وأن قوله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ مجمل مبين بالسنة أو محمول على الفاتحة ، وبأنه قد ثبت بحديث ( النبي صلى الله عليه وآله وسلم ) كما أخرجه أبو داود من حديث رفاع بن رافع : « فإذا قمت فتوجهت فكبر ، ثم اقرأ بأم القرآن وما شاء الله أن تقرأ » . ولحديث أبي سعيد بسند قوي : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نقرأ بفاتحة الكتاب وما تيسر » ، ولحديث أبي هريرة مرفوعاً : « لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب » أخرجه ابن خزيمة وابن حبان بإسناد صحيح والبيهقي وهو عند الدارقطني بهذا اللفظ وحسنه ، والبيهقي في كتاب القراءة من حديث عبادة بن

الصامت ، وفي المنتقى لابن تيمية أن إسناده صحيح ، ولغير ذلك من الأحاديث حتى قال بعض العلماء : لو ادعى تواتر أحاديث وجوبها لم يكن بعيداً هذا مع استمراره صلى الله عليه وآله وسلم على قراءتها في صلاته حتى أنه لم ينقل عنه أنه تركها في صلاة واحدة البتة ، واستمرار فعله يدل على الوجوب ، وأما كونها تقرأ في كل ركعة فدليلة ما أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد : « لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة » في فريضة وغيرها ، ولما ورد في حديث ( المسيئ صلاته ) في رواية أحمد وابن حبان مرفوعاً ، ثم يفعل ذلك في كل ركعة بعد أن أمره بقراءتها ، ولحديث أبي قتادة عند البخاري : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب » . قال ابن حجر : وهذا مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » دليل على الوجوب .

وقول أمين عقيب الفاتحة فيه أحاديث صحاح واضحة سراً وجهاً حسب تلاها بالمد فيه قال من رواها أي شرعية التأمين وهو قول المصلي : ( أمين ) عقيب قراءة الفاتحة جاء في ذلك أحاديث صحاح واضحة من فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقوله منها عن أبي هريرة عند الدارقطني والحاكم قال : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ من قراءة أم القرآن رفع صوته وقال : آمين » ، صححه الحاكم والبيهقي ، ومنها عن وائل بن حجر عند الترمذي وأبي داود ، ومنها عن أبي هريرة وعند ابن ماجه ، ومنها عن بلال عند أبي داود ، ومنها عن علي عند ابن ماجه وغير ذلك من الأحاديث الدالة على أنه كان يقولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قوله : ﴿ ولا الضالين ﴾ [ الفاتحة ٧/١ ] ويرفع بها صوته ، وقوله : ( فيه أحاديث ) منها حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا قال الإمام : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [ الفاتحة ٧/١ ] فقولوا : آمين ، فإن من

وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وأشار بقوله : ( سراً وجهراً .. إلى آخره ) إلى كلام ابن القيم في سياق صفة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « فإذا فرغ من قراءة الفاتحة قال : آمين فإن كان يجهر بالقراءة رفع بها صوته وقالها مَنْ خَلْفَهُ » <sup>(١)</sup> .

كذا السكوت قد رواه الأعلام عقيب تأمينٍ وبعد الإحرام أشار بهذا إلى سنية السكوت في الموضعين المذكورين لما رواه الأعلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما رواه سمرة بن جندب من طريق قتادة قال : سكتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأنكر ذلك عليه عمران بن الحصين فقال : حفظنا سكتة واحدة ، فكتب إلى أبي بن كعب وكتب أبي : أن قد حفظ سمرة ، فقلنا : ماهذان السكتتان ؟ قال : « إذا دخل في الصلاة ، وإذا فرغ من القراءة ، وقال : بعد وإذا قال : ﴿ ولا الضالين ﴾ [ الفاتحة ٧/١ ] » [ أخرجه أبو داود والترمذي ] .

وكان يقرأ معها قرآننا مُلازماً لذاك كيف كانا في كل ركعة من الفجر وفي أو التي ما قد عداها فاعرف مشروعية القراءة مع الفاتحة لا خلاف فيه بين العلماء وإنما اختلفوا هل حكم هذه المشروعية الوجوب ، أو : لا ؟ ذهب إلى الأول كثير من العلماء مستدلاً على ذلك ببلازمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك ، والأحاديث كثيرة ، وأفعاله في الصلاة بيان لواجب مجمل ، وما كان كذلك فحكمه الوجوب ، مع انضمام قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » لذلك ولما في حديث

(١) قلت : وأخرج المؤيد بالله في ( شرح التجريد ) عن علي عليه السلام بأربع طرق وعن أبي هريرة والدارقطني عن أبي هريرة في سننه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا قال الإمام ﴿ ولا الضالين ﴾ فأنصتوا وترك التأمين » هذا مذهب العترة عليهم السلام . انتهى جلال .

عبادة بن الصامت مرفوعاً : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وفي بعض الروايات : « وقرآن معها » . وحديث أبي هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن يخرج فينادي : لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد » .

يقرأ بسورة من ابتدائها      ولم يكن يقرأ من أثنائها  
وربما فرقها في ركعتين      وكان لا يجمع بين سورتين  
في ركعة واحدة من فرض      والجمع في النفل صحيح مرضي  
ضمير ( يقرأ ) ويكن وكان كلها تعود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد به الإشارة إلى هديه صلى الله عليه وآله وسلم في قراءته للصلاة ، وأن السنة للمصلي أن يقرأ السورة من ابتدائها فلا يبتدئ ببعض سورة من أثنائها ، فإن شاء قرأ سورة كاملة في كل ركعة وفي الثانية سورة كذلك ، وإلا اقتصر على أوائل سورة في ركعة ، وقرأ باقيها في الأخرى ، إلا أن قراءة السورة كاملة في كل ركعة هو الأولى ، لأن ذلك هو الغالب في فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك الجمع بين سورتين في ركعة من المكتوبة لم يؤثر عنه ، إنما أثر عنه في صلاة الليل ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : ( وكان لا يجمع .. إلى آخره ) وهذا هو الذي ذكره ابن القيم .

وإن قرأ السجدة فيها سجدة      ندباً في غير الصلاة ورد  
أشار بهذا إلى حديث رافع قال : « صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ [ الانشقاق ١/٨٤ ] فسجد فيها ، فقلت : ماهذه السجدة ؟ قال : سجدت بها خلف أبي القاسم فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه » أخرجه مالك والشيخان وأبو داود والنسائي ، ولحديث ابن عمر : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظهر فسجد ، فظننا أنه قرأ ﴿ ألم ﴾ تنزيل ﴿ [ السجدة ١/٣٢-٢ ] » أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم .



وقوله : ( وفي غير الصلاة ورد ) اعلم أنه لا خلاف في مشروعية سجود التلاوة في الجملة ، وإنما اختلفوا في قدر السجدة المشروعة ، وفي حكم هذه الشرعية ، الصحيح أنها خمس عشرة سجدة لحديث عمرو بن العاص : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة من القرآن منها ثلاث في المفصل وسجدة في الحج » أخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم بإسناد حسن ، وأما حكم هذه المشروعية ، فالصحيح هو النَّدب ، وإلى ذلك أشار النَّاظِمُ بقوله : ( ندباً ) لما ثبت من ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض المواضع كما في حديث زيد بن ثابت قال : « قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سجدة والنجم فلم يسجد » متفق عليه ، وأخرجه أصحاب السنن ، ولحديث ابن عمر عند البخاري : « وأمرنا بالسجود عند التلاوة فمن سجد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه » .

وقوله : ( وفي غير الصلاة ورد ) إشارته إلى حديث ابن عمر : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد ، حتى لا يجد أحداً مكاناً لموضع جبهته » أخرجه الشيخان وأبو داود ، وفي رواية : « في غير وقت صلاة » وفي لفظ : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ عام الفتح سجدةً ، فسجد الناس كلهم ، فمنهم الراكب ومنهم الساجد على الأرض ، حتى إن الراكب يسجد على يده » .

وقد أطال مرةً وخففاً لعارضٍ فعنة هذا عُرِفَا  
ومستمر هديته التوسطُ هذا الذي عنه الرواة ضَبَطُوا

أي كانت حالته صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته تختلف فرضاً ونفلًا في التخفيف والتطويل ، فأما في المكتوبة فالغالب من حالاته التوسط وقد يطول أحياناً ، وربما يخفف لعارضٍ ، وأما النوافل فالظاهر أنها عدا صلاة الليل وصلاة الكسوف

فالهدى فيه التخفيف ، وأما صلاة الليل فالغالب من حالاته التطويل لأنه مقام التوسع ، وكذلك صلاة الخوف .

في الظهر يقرأ دون ما في الفجر وقدروا في العصر نصف الظهر  
بالشمس والتين وسبح يقرأ ونحوهن في العشاء الأخرى  
ولم يكن على القصار اقتصر في مغرب بل بالطوال قد قرأ  
والندب في التخفيف غير ثابت فيها لذا أنكره ابن ثابت

أشار بالبيت الأول إلى ما رواه أبو سعيد الخدري قال : « كنا نحذر قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الظهر والعصر فحزنا قيامه في الركعتين الأوليين في الظهر قدر ( ألم ) السجدة وحزنا قيامه في الآخرين قدر النصف من ذلك » ، وفي رواية : « وحزنا قيامه في الركعتين الأوليين في العصر على قدر قراءته في الآخرين من الظهر وفي الآخرين من العصر على النصف من ذلك » . وفي رواية بدل قوله : ( ألم السجدة ) : « قدر ثلاثين آية وفي الآخرين قدر خمسة عشر آية وفي العصر في الأوليين في كل ركعة قدر خمس عشر آية وفي الآخرين قدر نصف ذلك » . وفي رواية لابن ماجه : إن الذين أحزروا ذلك ثلاثون من الصحابة ، وأما صلاة العشاء فكان يقرأ فيها بما ذكره الناظم ، أما قراءته ﴿ والشمس وضحاها ﴾ فرواه عنه بريدة ، أخرجه أحمد والترمذي ، وأما ( بالتين ) فأخرجه البخاري عن البراء بن عازب إلا أنه قال : « كان في السفر » ، وأما ﴿ سبح ﴾ فيستدل على قراءتها بعموم حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : « ما من سورة من المفصل صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤم بها في الصلاة المكتوبة » أخرجه مالك ، ولأمره صلى الله عليه وآله وسلم مُعَاذاً أن يقرأ بها فيها ، وأما المغرب فقد أخرج الشيخان عن ابن عباس عن أمه أم الفضل أنها « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قرأ فيها بالمرسلات » ، وعن ابن مسعود « أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ بالدخان » أخرجه النسائي ، و ( بالطور ) رواه ابن ماجه ، وأشار بقوله : ( ولم يكن على القصار .. إلى آخره ) إلى خلاف من يقول : أن السنة في صلاة المغرب أن يقرأ بقصار المفصل ، صرح به النووي ، واستدلوا بذلك بحديث سليمان بن يسار عن أبي هريرة : « ما رأيت رجلاً أشبهه صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فلان لإمام كان في المدينة ، قال سليمان : فصلت خلفه فكان يطيل في الأوليين من الظهر ويخفف في الآخرين ، ويخفف العصر ، ويقرأ في الأوليين من صلاة المغرب بقصار المفصل ويقرأ في العشاء من وسط المفصل ، ويقرأ في الغداة بطوال المفصل » قالوا : وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك ، وقد ردّ هذا القول ابن القيم ، وقال : « إن المداومة على قراءة قصار المفصل في المغرب من فعل مروان ، ولهذا أنكره عليه زيد بن ثابت ، وقال له مالك : تقرأ في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بطولا الطويلين » ، قال الراوي : وما طولوا الطويلين ؟ قال : الأعراف . وإلى هذا الحديث أشار الناظم بقوله : ( والندب في التخفيف .. إلخ ) .

واللهدي في القراءة الترتيل والمد والتحسين والتطويل  
وعند كل آية كان يقف إذا تلا وقيل عنه ما عرف  
ما قيل من تتبع المقاصد في الوقف عنه ذاك غير وارد  
أي وكان هديه صلى الله عليه وآله وسلم في قراءة القرآن في صلاة ونحوها الترتيل ، وهو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف كما أمر الله في قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [ المزمل ٤/٧٣ ] . ولما أخرجه أبو داود وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، وفي البخاري عن أنس :

« أنه سُئِلَ عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : كانت مدّاً ثم قرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ يمد ﴿ الله ﴾ ويمد ﴿ الرحمن ﴾ ويمد ﴿ الرحيم ﴾ . قال ابن القيم : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع قراءته ويقف عند كل آية فيقول : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [ الفاتحة ٢/١ ] ويقف ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ [ الفاتحة ٣/١ ] ويقف ... » وهذا هو الأفضل وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع بعض المقاصد والأغراض والوقوف عند انتهائها واتباع هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنته أولى « انتهى . وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : ( وقيل عنه ما عرف .. إلى آخره ) .

ولم يُلَازِم سوراً معيّنة في غير جُمعة كما قد بيّنه حفاظٌ هديهِ وفي العيدين كان ملازماً لسُورتين

أشار إلى هديه صلى الله عليه وآله وسلم في أنه لم يلزم قراءة سور معينة في صلاته المكتوبة إلا أنه كان يلزم قراءة سورة ﴿ آلم ☆ تنزيل ﴾ [ السجدة ١/٣٢-٢ ] في الركعة الأولى من صلاة فجر يوم الجمعة ، وسورة ﴿ هل أتى ﴾ [ الإنسان ١/٧٦ ] في الركعة الثانية أخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن ماجه . وكان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين كاملتين أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ، « وحيناً ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [ الأعلى ١/٨٧ ] وسورة ( الغاشية ) » أخرجه أبو داود والنسائي عن ابن عباس ، وأمّا صلاة العيدين فكان تارة يقرأ سورة ﴿ ق ﴾ [ ق ١/٥٠ ] و ﴿ اقتربت الساعة ﴾ [ الانشقاق ١/٨٤ ] كاملتين ، وتارة يقرأ ب ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ و ( الغاشية ) أخرجه مسلم وأصحاب السنن ومالك عن النعمان بن بشير .

واللهدي في قراءة غير الأوليين اختلفوا فيه على روايتين

فسورة الحمد بلا زيادة هي التي روى أبو قتادة  
اختلف العلماء في قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في الثالثة المغرب والآخرين  
من العصرين ومن صلاة العشاء ، فقيل : السنة الاقتصار على قراءة الفاتحة لما  
رواه أبو قتادة : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في الركعتين  
الأوليين من صلاة الظهر بفاتحة الكتاب وسورتين يطول في الأولى ويقصر في  
الثانية وفي الآخرين بأم الكتاب وكان يقرأ في العصر بأم الكتاب وسورتين  
يطول في الأولى ويقصر في الثانية وفي الركعتين الآخرين بأم الكتاب » أخرجه  
الشيخان ، وقيل : السنة أن يقرأ مع فاتحة الكتاب غيرها لحديث أبي سعيد  
قال : « كنا نحزرقىام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الظهر والعصر  
فحزرننا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر آلم السجدة وحزرننا قيامه في  
الآخرين بقدر النصف من ذلك » ، وفي رواية : « حزرننا قيامه في الركعتين  
الأوليين من العصر على قدر قراءته في الآخرين من الظهر وفي الآخرين من  
العصر على النصف من ذلك » ، وفي رواية بدل قوله : « آلم السجدة » : « قدر  
ثلاثين آية وفي الآخرين قدر خمسة عشر آية وفي العصر في الأوليين في كل ركعة  
قدر خمسة عشر آية ، وفي الآخرين قدر نصف ذلك » قال الأولون : حديث  
أبي سعيد محتمل لما قاله أبو قتادة فليس صريحاً في قراءة السورة في الآخرين إنما  
هو حزر وتخمين .

والجهر في الصلاة قيل حتماً فيما سوى العصرين فهي عجباً

لا خلاف بين العلماء في مشروعية الجهر بالقراءة في بعض الصلاة والإسرار في  
بعض ، وإنما اختلفوا في حكم هذه المشروعية هل واجبة أو مسنونة ، فمن قال إنها  
واجبة استدل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « صلاة النهار عجباء » ذكره الإمام  
المهدي في ( البحر ) وابن بهران في تخريجه عن أبي هريرة بلفظ : « قال صلى الله

عليه وآله وسلم : إذا رأيتم من يجهر في صلاة النهار فارموه بالبعر ، ويقول : صلاة النهار عجماء » ذكره في ( شرح المذهب ) و ( الشفاء ) والمراد بصلاة النهار الظهر والعصر لا غيرها كالجمعة والعيدين ، فالمشروع فيها الجهر ، واستدلوا بملازمته صلى الله عليه وآله وسلم على الجهر فيما ذكر من الصلاة والإسرار فيما ذكر ، ولم ينقل عنه أنه خافت في الفجر ولا الأولين من العشاءين البتة ولا جهر في الثالثة المغرب ولا في الآخرين من العشاءين ولا في شيء من صلاتي العصرين كذلك إلا ما روي من أنه كان يسمعهم الآية من السورة في صلاة الظهر أحياناً ونادراً ، ولا يقدح في الاستدلال بالأعم الأغلب لاحتمال أنه كان يفعله لبيان الجواز ، وقيل : بل هو سنة لهذا الحديث .

ويتبع القراءة الركوع والرفع في ابتدائه مشروع

المأثور من هديه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا فرغ من القراءة كبر ورفع يديه ثم ركع ، لما رواه الشيخان وأهل السنن عن ابن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه إذا افتتح الصلاة ، وإذا كبر للركوع ، وإذا رفع رأسه من الركوع » ، وقيل : لا يسن ذلك إلا عند افتتاح الصلاة لحديث البراء بن عازب : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلى قريب أذنيه ثم لم يعد » رواه أبو داود والدارقطني ، ولحديث ابن مسعود : « لأصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى فلم يرفع يديه إلا مرة واحدة » رواه أحمد وأبو داود والترمذي ، ورواه ابن عدي والدارقطني بلفظ : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر فلم يرفعوا أيديهم إلا عند افتتاح الصلاة » وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حزم .

كذلك التكبير في رفع وفي خفض أتى عن النبي فاعرف

أشار بهذا إلى شرعية التكبير المعروف بتكبير النقل وهو مع تكبيرة الإحرام اثنتان وعشرون تكبيرة في الرباعية ، وأحد عشرة في الثنائية ، وسبعة عشرة في الثلاثية ، لما رواه عمران بن حصين « أنه صلى خلف أمير المؤمنين علي عليه السلام بالبصرة فكان يكبر في كل رفع وخفض ، فلما قرع ، قال عمران : ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع ( أو : قال ) خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي . وعن أبي هريرة « أنه كان يصلي فيكبر كلما خفض ورفع ، فإذا انصرف قال : إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » هذا في حق الإمام ، وأما المأموم فيدل له حديث جابر عند مسلم والنسائي قال : « صلى بنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر خلفه فإذا كبر كبراً أبو بكر يسمعا » . إلا أنه قال أئمة الحديث أنه يبلغ المأموم من خلفه للحاجة فلا يكون مشروعاً إلا للبعض للحاجة .

سَوِيّاً لظْهَرِهِ إِذَا يَرْكَعُ مَاصِوْبَ الرَّأْسِ وَلَا يَقْنَعُ

صوب رأسه : نكسه ، وقنعه : رفعه ويقال : قنعه بمعنى : نكسه ، وعلى الوجهين قوله تعالى : ﴿ مَقْنَعِيْ رُؤُوسِهِمْ ﴾ وأشار الناظم بالبیت إلى هيئة الركوع ، وأن هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسوية ظهره وجعل رأسه بجياله ، لا يصوبه حتى ينخفض عنه ، ولا يقنعه حتى يرتفع عليه ، فلو صَبَّ عليه الماء لاستقرت به كما أخرجه أحد من حديث علي كرم الله وجهه « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُسوي ظهره حتى لو صب الماء على ظهره لاستقر » ، وفي رواية : « ما هراق » [ أخرجه المؤيد بالله ] في ( التجريد ) ، وحكاه الأمير الحسين في ( الشفاء ) وأشار الناظم بقوله ( ماصوب الرأس إلى آخره ) إلى حديث عائشة في الصحيح « كان إذا ركع لم يشخص رأسه » أي لم يرفعه ، ومنه سمي الشخص شخصاً لارتفاعه ، ولم يصوبه : أي لم ينكسه ، ومنه : الصيب : للمطر ، ويقال : صاحب يصوب : إذا نزل .

وواضعاً يديه فوق ركبتيه كقابضٍ عليهما براحتيه

أشار بهذا إلى حديث أبي حميد الساعدي الذي وصف به صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه : « ثم ركع فوضع يديه على ركبتيه كالقابض عليهما ، ووتر يديه متجافاً بهما عن جنبيه وفي لفظ : « ونحى يديه عن جنبيه » وهو عند البخاري بلفظ « أمكن يديه من ركبتيه » . وعند ابن خزيمة بلفظ « ونحى يديه عن جنبيه » . وأخرج ابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للمسيء صلاته : « وإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك ، وفرق بين أصابعك ، ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذَه . »

مكرراً تسبيحَه ملازماً مناسباً لما تلاه قائماً

أشار بهذا إلى مشروعية الذكر حال الركوع ، واختلفوا فيه هل هو واجب أم لا ، والجمهور على أنه سنة غير واجب ، واختلفوا في كيفيته ومقداره ، فأما كيفيته فقليل هو التسبيح ولا يجزئ غيره لما في الحديث من « أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ [ الواقعة ٧٤/٥٦ ، ٩٦ والحاقة ٥٢/٦٩ ] . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اجعلوها في ركوعكم ، ولما نزل قوله تعالى ﴿ سبح اسم بك الأعلى ﴾ [ الأعلى ١/٨٧ ] . قال : اجعلوها في سجودكم » أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم وابن حبان وسعيد بن منصور وغيرهم وقوله مناسباً لما تلاه قائماً ، فيه إشارة إلى حديث البراء المتفق عليه « رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ كَرُكْعَتِهِ ، وَاعْتَدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ كَسُجُودِهِ ، فَجَلَسَتْهُ بَيْنَ السُّجُودَيْنِ كَجَلَسَتِهِ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالْإِنْصِرَافِ قَرِيباً مِنَ السَّوَاءِ » وفي رواية البخاري « ما خلا القيام والقعود قريباً من السَّوَاءِ » .

ثم يُقيم صَلْبَه مُعْتَدِلاً مع رفعه يديه حين اعتدلاً  
يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالتَّسْمِيحِ وذكره في الطول كالركوع



أي وبعد الركوع كان صلى الله عليه وآله وسلم يعتدل ويقيم صلبه أي يطمئن ، وفيه إشارة إلى حديث « لا تجزي صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه »<sup>(١)</sup> .

وقوله : ( مع رفعه ) إشارة إلى سنية الرفع هنا ، وقد تقدّم الخلاف في ذلك مع ذكر الأدلة للقائلين بالسنية ، والقائلين بعدمها ، وقوله : ( يجمع بين الحمد والتسميع ) فيه إشارة إلى ما أخرجه البخاري من حديث ابن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اعتدل من ركوعه قال : سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد » . وفي رواية : « كان يقول : سمع الله لمن حمده حين يرفع صلبه من الركعة ثم يقول وهو قائم : ربنا ولك الحمد » ، وفي رواية : بغير واو ، وإثباتها أولى ، وقوله : ( وذكره في الطول كالركوع ) فيه إشارة إلى حديث ثابت عن أنس بن مالك عند الشيخين قال أنس : « لا ألوان أصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . قال ثابت : « فكان أنس يصنع شيئاً ما أراكم تصنعونه ، كان إذا رفع من الركوع اعتدل قائماً حتى يقول القائل : قد نسي ، وإذا رفع رأسه بين السجدين مكث حتى يقول القائل : قد نسي » .

ثم يَخِرُّ لِلسُّجُودِ وَاضِعاً	يديه قبل ركبتيه خاشعاً
وَقِيلَ عَكْسُهُ مَعَ الْأَنْفِ عَلَى	سبعة أعظم كما قد قيل
مَجَافِياً مُنَحِّياً يَدَيْهِ	حتى يرى البياض من إبطيه
وَبَاسِطاً كَفَّيْهِ وَالْأَصَابِعَا	وناصباً لمرفقيه رافعاً
مُحَازِياً لِخَدَّهِ وَالْمَنْكِبِ	بكفه فاحذ على فعل النبي

اعلم أنه لا خلاف في وجوب مطلق السجود وكونه ركناً من أركان الصلاة ، وإنما الخلاف في كفيته ، والمأثور من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود بلفظه ، وزيادة « في الركوع والسجود » .

ما اشتل عليه هذه الخمسة أبيات ، وهو أنه إذا خرَّ للسجود وضع يديه قبل ركبتيه ، وفي ذلك خلاف ، فقد قيل : إن السنة تقديم الركبتين على اليدين ، وقيل : بالتخير ، ودليل الأول حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا سجد أحدكم فلا يبرك بروك البعير ، وليضع يديه قبل ركبتيه » حكاه في الشفاء ، وأخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) وأبو داود والنسائي وابن تيمية في ( المنتقى ) . ودليل القائلين بتقديم الركبتين حديث وائل بن حجر : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه ، وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه » أخرجه أصحاب السنن ، ودليل من قال بالتخير للجمع بين الأحاديث ، قال النووي : « ولا يظهر ترجيح أحد المذهبين على الآخر من السنة » . وأشار الناظم بقوله : ( مع الأنف ) إلى كيفية السجود ولفظ ( على ) متعلق بلفظ السجود ، في قوله : ( ثم يخر للسجود ) وفيه إشارة إلى حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة ، وأشار إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا يَكْفُ الثياب والشعر » أخرجه الشيخان وأصحاب السنن ، ووضع الأنف دليلاً حديث ابن عباس : « لا صلاة لمن لا تمس أنفه من الأرض ما عسى الجبين » أخرجه الحاكم والبيهقي ، وفي ( مجمع الزوائد ) بلفظ قال صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم ينزل أنفه مع جبهته الأرض إذا سجد لم تجزئه صلاته » ، وأشار بقوله : ( مجافياً ) إلى الأحاديث الواردة في التجافي والتحوية في السجود وتنحية الذراعين ورفعها ، فمن ذلك حديث عبد الله بن بحنة : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو لنا بياض إبطيه » أخرجه مسلم ، ومنها حديث عائشة : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع » ، ومنها حديث عبد الله بن أقرن : « صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكنت أنظر إلى إبطيه إذا سجد »

أخرجه الترمذي ، وحديث ميونة : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجافي يديه فلو أن بهمة أرادت أن تمر تحته لمرت » ، وأشار الناظم بقوله : ( وباسطاً كفيه ) إلى أن من هيئة السجود بسط الأصابع لليدين فلا يقبضهما إلى باطن كفيه وكذلك أصابع الرجلين ، وفي الهدي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعتدل في سجوده ويستقبل بأصابع رجله القبلة وكان يبسط كفيه وأصابعهما ، ولا يفرق بينهما ولا يقبضهما ، وأشار الناظم بقوله : ( محاذياً لِحَدِّهِ ) إلى حديث وائل بن حجر في وصفه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « فَلَمَّا سجد سجد بين كفيه » .

وذكره سبحانه رَبِّي الأعلى      وغيره قَدْ صَحَّ عَنْهُ تَقْلًا  
كذا الدُّعَاءُ فِي السَّجُودِ شُرْعًا      فَقَمِينَ فِيهِ إِجَابَةُ الدُّعَاءِ

أي ذكر السجود المشروع فيه هو التسبيح ، وفيه إشارة إلى حديث حذيفة بن اليمان في وصفه صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه : « ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريباً من قيامه » [ أخرجه مسلم ] ، واختلفوا في غير التسبيح ، والصحيح جوازُه لحديث علي كرم الله وجهه : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سجد يقول : اللهم لك سجدت وبك آمنتُ ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » أخرجه مسلم وابن حبان وابن خزيمة ، وأشار بقوله : ( كذا الدعاء في السجود شُرْعًا ) إلى حديث ابن عباس مرفوعاً : « أما الركوع فعظموا فيه الربُّ وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِينَ أن يستجاب لكم » [ أخرجه مسلم ] ، ومعنى ( قَمِينَ ) : حقيق وجديرٌ ، ولفعله صلى الله عليه وآله وسلم فقد رويت عنه أدعية كثيرة كان يدعو بها في السجود .

وعند رَفَعِ رَأْسَهُ يُكَبِّرُ      ويطمئن قاعداً ويذكرُ

مُطَوَّلًا فِيهِ لَقَوْلِ أَنَسٍ يَقْعُدُ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ نَسِيَ

أراد بهذا بيان هيئة الاعتدال من السجود ، وأن السنة فيه أن يكبر عند ابتداء رفع رأسه ، وقد تقدم دليله ، وتقدم أيضاً بيان وجوب الطمأنينة ، وقوله : ( مطوَّلاً فيه ) قد تقدم ذكر تطويل الجلوس بين السجدين ، ودليله ما رواه أنس قال : « كان رسول الله يَقْعُدُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ حَتَّى يَقُولَ قَدْ نَسِيَ » .

وهيئةُ الجلوس فيما ذَكَرَ نَصَبُ اليَمِينِ وافتراشُ اليُسرى لليد فوق الفخذين واضِعٌ بِالْغَةِ رُكْبَتَيْهِ الْأَصَابِعُ

فيه إشارة إلى ما رواه أبو حميد الساعدي أنه « كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلسَ بين الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب رجله اليمنى » أخرجه البخاري ، وأيضاً فيه إشارة إلى ما رواه النسائي عن ابن عمر أنه قال : من سنة الصلاة أن تنصب القدم اليمنى واستقباله بأصابعها القبلة والجلوس على اليسرى .

والسجدة الأخرى كمثلي الأولى واختلفوا يَقْعُدُ بَعْدُ أَوْ لَا

هذا مما لا خلاف فيه بين العلماء ، وإنما اختلفوا في حال المُصَلِّي إذا رفع بينهما ، هل السنة أن يجلس جلسة خفيفة وتسمى جلسة الاستراحة ؟ قال بذلك بعضهم مستدلاً بما روي عن مالك بن الحويرث أنه « رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان في وتر من صلاته ينهض حتى يستوي قاعداً » رواه البخاري وأهل السنن ، وقيل : السنة أن لا يجلس بعد رفعه ، لما رواه وائل بن حجر : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رفع رأسه من السجدين استوى قائماً ولم يقعد » ، ولما رواه رفاعة في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسيئ صلاته : « إذا رفعت رأسك فكبر وانفض قبل أن تستوي قائماً » ، وفي رواية للبخاري : « ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اركع حتى تطمئن قائماً » . وإلى عدم كونها سنة جنح العلامة ابن القيم فقال بعد أن ذكر حديث

مالك بن حويرث : « وسائر من وصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يذكر هذه الجلسة ولو كان هديّه فعلها دائماً لذكرها كل من وصف صلاته ، ومجرد فعله لا يدل على أنها من سنن الصلاة إلا إذا علم أنه فعلها سنة يُقتدى به فيها ولم يدل دليل على أنها سنة من سنن الصلاة » .

ثم يقوم ناهضاً للثانية وهي للأولى ترى مساوية إلا سكوتاً لافتتاح بل ولا تكبير إحرام وأن يُطوّل

أي وكان من هديه أن ينهض في الركعة الثانية وهي مساوية للأولى في جميع أركانها وأذكارها إلا في ثلاثة أمور ، أولها : السكوت المشروع بعد تكبيرة الإحرام فإنه لا سكوت في الثانية لحديث أبي هريرة : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا نهض في الركعة الثانية افتتح بالحمد لله رب العالمين » ولأن السكوت إنما شرع لدعاء الافتتاح ولا يفتح في الثانية بغير القراءة . ثانياً : تكبيرة الإحرام ، فإنه لا تكبير في غير الأولى . ثالثاً : أن لا يطول القراءة كالأولى بل يكون قيامها أخف من قيام الركعة الأولى ، وقد تقدم دليل ذلك .

وحين تم سجديتها قَعَدَ قُعوده وحالُه تشهد

أي وحين فرغ صلى الله عليه وآله وسلم من الركعة الثانية ورفع رأسه منها قعد قعوداً مثل قُعوده الماضي الذي قعد بين السجدين وينصب قدمه اليمنى ويفترش اليسرى ووضع يديه على فخذه ، قال ابن القيم : لم يرد عنه في هذه الجلسة غير هذه الصفة . وقوله : ( وحالُه تشهد ) أي حال القعود تشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو التشهد الأول ولا خلاف في شرعيته ، وإنما الخلاف هل حكمه الوجوب أو لا ، ومن قال هو واجب ، استدل بمواظبته صلى الله عليه وآله وسلم على فعله مع قوله : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ولورود الأمر به في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات .. إلى

آخره « والأمر للوجوب ، ومن قال بعدم وجوبه ، استدل بما رواه عبد الله بن مالك : « صَلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام وعليه جلوس » وسيأتي الحديث في فصل سجود السهو بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستمر على فعله بل تركه سهواً وَلَمْ يَعُدْ لَهُ ، وللتشهد صفات كثيرة ، من ذلك تشهد أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه : « بسم الله وبالله والحمد لله والأسماء الحسنى كلها لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ذكره الإمام الهادي في الأحكام ، وأخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام ثم ذكره بسنده إلى الإمام زيد بن علي عن آبائه عن علي إلا أنه قال : « وأشهد أن محمد رسول الله » ، ومنها تشهد ابن مسعود قال : « علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التشهد كَفِّي بين كفيه كما يعلمني السورة من القرآن : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » رواه الجماعة كلهم ، وقد روي صفات أخر .

مُخَفِّفًا فِيهِ كَمَا عَنْهُ وَرَدُ حَتَّى كَأَنَّهُ عَلَى الرَّضْفِ قَعْدُ

أشار بهذا إلى حديث ابن مسعود : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جلس في الركعتين الأوليين كأنه على الرضف » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ، والرضف - بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة ثم فاء - : الحجارة المَحْمَاة .

ثُمَّ يَقُومُ لِتَمَامِ مَا بَقِيَ      كَمَا مَضَى مِنْ وَصْفِهِ الْمُحَقَّقِ  
ثُمَّ الْقَعُودُ عَنْهُ فَرَضًا بَعْدَ جَاء      تَوْرَكَ وَقَدَمَيْهِ أَخْرَجَ  
وَقَبِضُهُ لِمَا عَدَا السَّبَابَةَ      مِنْ كَفِّهِ الْيُمْنَى رَوَى الصَّحَابَةُ  
أَيُّ ثُمَّ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ التَّشْهَدِ الْأَوْسَطِ إِنْ كَانَتِ الصَّلَاةُ غَيْرَ صَلَاةِ الصُّبْحِ قَامَ لِتَمَامِ

الباقى من الركعات ، وأشار بقوله : ( كما مضى ) إلى أن الباقي من الركعات تكون في هيئته وصفاته مثل ماضى في الركعتين الأوليين التي قد سبق في المنظومة بيان كل ذلك فيها إلا في القراءة فالإقتصار فيه على الفاتحة هو السنة ، وأشار بقوله : ( ثم القعود عنه فرضاً ) أي بعد التمام لذلك الباقي يجب أن يقعد كما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأشار إلى وجوب ذلك بقوله فرضاً ، وإلى كيفية بقوله : ( توركاً .. إلى آخره ) فالسنة أن يخرج المصلي قدميه إلى جانب ، ويقعد على وركه كما هو المأثور من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والجانب الذي يخرج إليه قدميه هو الأيمن كما روي في صفات صلاته صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي حميد قال : « فرش قدمه اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته » وهذه أحد الصفات التي رويت في التشهد ، والصفة الثانية : هو أن يخرج قدميه من ناحية ويفضي مقعدته على الأرض ، والصفة الثالثة : مارواه عبد الله بن الزبير راوه مسلم : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه ويفترش قدمه اليمنى » وهذه تخالف الصفتين الأوليين في إخراج اليسرى من جانب ونصب اليمنى ، وأشار بقوله : ( وقبضه لما عدا السبابة ) إلى المأثور من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وضع يديه في هذا الجلوس ، وأنها يكونان على فخذه مع بسط أصابع كفه اليسرى وقبض أصابع كفه اليمنى ما عدا السبابة ، لما روي عن ابن عمر : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا تشهد وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض أصابعه وأشار بأصبعه التي تلي الإبهام » ، وفي رواية : « وأشار بالسبابة » ، وفي رواية : « ورفع أصبعه التي تلي الإبهام يدعو بها » رواه مسلم وأحمد والنسائي ، وفي حديث وائل بن حجر : « وقبض اثنتين وحلق حلقة ثم رفع أصبعه فرأيتَه يحرّكها يدعو بها » . وفي حديث ابن عمر : « وعقد ثلاثة وخمسين » . قال ابن بهران : وصفته أن يقبض الخنصر والبنصر والوسطى ويرسل المسبحة ويجعل إبهامه تحتها .

## تنبيه

اختلفَ في الإقعاء في الصلاة ، فقليل : إنه مكروهٌ لحديث أبي هريرة : « نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تقرٍ كنقر الغراب وإقعاء كإقعاء الكلب » وفي لفظ : « الفرد والتفات كالتفات الثعلب » ، وعن أنس : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التورك والإقعاء في الصلاة » <sup>(١)</sup> ، وعن أبي هريرة : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن السدْل والإقعاء في الصلاة » .

وحالُه التَّشَهُّدُ الأخيرُ فرضاً وطوْلُه هُوَ المَشْهُورُ فيه الصلاة وجبتُ على النبي والآلِ والبعضُ له لم يوجبِ أي حال القعود يكون التشهد الأخير ، واختلفوا في وجوبه ، وإلى اختياره ، أشارَ الناظم بقوله : ( فرضاً ) للأدلة المتقدمة في التشهد الأوسط ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا صلى أحدكم فليقل : التحيات لله .. إلى آخره » ولحديث : « لا صلاة إلا بتشهد » أخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) ، وأخرج البخاري وسعيد في سننه عن عمر : « لا تجزئ صلاة إلا بتشهد » ، ولما روي عن علي : « لا صلاة لمن لا تشهد له » أخرجه الطبراني في ( الأوسط ) ، وقوله : ( فيه الصلاة وجبت على النبي .. إلى آخره ) دليله ما أخرجه أحمد والترمذي وصححه ، والحاكم وابن خزيمة ، والبيهقي في سننه ، وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود وعقبة بن عامر : « أن رجلاً قال : يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه ، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا ؟ فصمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : إذا أنتم صليتم عليّ فقولوا : اللهم صلّ على محمد

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ، والبيهقي في سننه عن أنس بلفظه .



وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ » .

وإنه لموضع الدعاء فادعُ بما شئت مع الثناء

أي وإن هذا التشهد وهذا القعود الذي فيه التشهد من مواطن الدعاء لورود الأمر به كما في حديث ابن مسعود : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال - بعد أن علمه التشهد - : ثم لِيَسْتَخِرْ من الدعاء أعجبه إليه » ، وفي رواية : « فليستخير من المسألة ما شاء » فدل على أنه يُسن الدعاء هنا بما شاء المصلي من خير ديني أو دنيوي ، مأثور وغير مأثور ، ووقته بعد الفراغ من التشهد والصلاة على النبي وآله لما رواه أبو هريرة : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ من أربع : من عذاب النار وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال » أخرجه البخاري ومسلم ، وقد روي أدعية كثيرة في ذلك .

ثم السلام آخر الصلاة رواه عنه حافظ الرواة  
على اليمين وعلى اليسار بلفظه المأثور في الأخبار

اعلم أنه لا خلاف في مشروعية التسليم آخر الصلاة ، وإنما اختلفوا في وجوبه ، ومن قال بوجوبه استدل بحديث عائشة مرفوعاً : « يفتتح الصلاة بالتكبير .. الحديث » وفيه : « كان يختم بالتسليم » ، وأشار بقوله : ( على اليمين وعلى اليسار ) إلى حديث عقبة بن عامر قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره : السلام عليكم ورحمة الله السلام عليكم ورحمة الله » وأخرجه ابن أبي شعبة عن البراء ، وزاد : « حتى يرى بياض خده » .

وهديُّه كالأقبال على صلاته بغيرها ما اشتغلا

أي هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا قام إلى صلاته أقبل عليها بقلبه

وجوارحه ، فلا يشغله عنها شاغلٌ ، ولا يتحرك ، ولا يتأمل ، ولا يرفع بصره إلى غير موضع سجوده إذا كان قائماً ، ومحل إشارته إذا كان قاعداً إلاً لمقتض يعرض ، كان هذا هديه المستمر منذ أنزل الله عليه : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ [ المؤمنون ١/٢٣ ] إلى آخره [ أخرجه سعيد بن منصور ] .

لكن يُراعي حال من ورّاه	كأَمْ طِفْلٍ سَمِعْتُ بُكاه
فخاف أن يشغلها فخفّفا	كذا يسيرُ الفعل عنه عُرِفا
وإن أردت حَده فنحو ما	عنه أتى كفاية مُعلّما
مثل التفات وكذا التنحُّج	في حالها به الرواة صرحوا
وغمزه بيده وحمله أمانة	قد صحَّ عنه فعله
وطول السجود لما ارتحلّه	ابن له ولم يكن ليُعجّلّه
وقد أشار في الصلاة والتفت	والمشي فيها صح عنه وثبت
ودروّه وخنقّه الشيطاناً	وفتح باب كلّه قد كان

اعلم أنه وإن كان الإقبال على الصلاة والخشوع فيها بالمكان الذي عرفت فإنه لا ينبغي للمصلي أن يستغرقه ذلك استغراقاً كلياً بحيث لا يشعر بما عداها ، فقد كان سيد الخاشعين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بلغ من خُشوعه كأنه خِرقة بالية مُلقاة كما روته عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه البيهقي كان يفعل الفعل الذي يظن أنه مناف للخشوع وليس كذلك وإنما اقتضاه مقتض كراماته حال من ورائه من المصلين المؤمنين به محافظة منه صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا يدخل على أحدهم مشقة بسبب العبادة ، كما صرح به الحديث الذي أشار إليه الناظم بقوله : ( لكن يُراعي ) وهو ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني لأَدْخُلُ في الصلاة أريدُ إطالتها

فأسمع بكاء الصبي فأخفف خشية وَجْد أمه » ، وفي لفظ : « كراهية أن يشق على أمه » وقد بين قدر هذا التخفيف الواقع منه صلى الله عليه وآله وسلم فيقرأ بالسورة قوله : ( كذا يسير الفعل عنه عُرِفَ ) أشار بهذا إلى بيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعل في الصلاة ، الفِعْلَ اليسير إما لإصلاحها وإما لغير ذلك ، والفِعْلُ اليسير مجمع عليه ، واختلف العلماء في مقدار ما يجوز منه وما لا يجوز ، وفي نسبته إلى قدر ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه فعله ، فما ظننت أنه جاوزه هو غير جائز ، وما ساواه في ظنك أو كان دونه فهو جائز .

قوله : ( مثل التفاتٍ ) أشار به إلى ما رواه سهل بن الحنظلية قال : « ثُوبَ رسول الله بالصبح فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلتفت إلى الشعب وقد كان أرسل إلى الشعب فارساً من الليل يحرس » أخرجه أبو داود ، وأما التنحنح فرواه أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : « كان لي من زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعة آتية فيها ، فإذا أتيتها استأذنته فإن وجدته يصلي تنحنح وإن وجدته فارغاً أذن لي أخرجه أحد والنسائي ، وأما الغمز بيده فروثه عنه عائشة » وأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي وهي معترضة فإذا سجد غَمَزَها بيده وقبضت رجلها ، وإذا قام يصلي بَسَطَها « متفق عليه ، وأما حملُه أَمَامَةَ بنت ابنته زينب لأبي العاص بن الربيع فأخرجه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي قتادة ولفظه في رواية أبي داود « بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الظهر أو العصر وقد دعاه بلال إلى الصلاة إذ خرج إلينا أَمَامَةُ بنت أبي العاص بن الربيع بنت ابنته زينب على عاتقه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقمنا خلفه وهي بمكانها الذي هي فيه ، وكبر فكبرنا ، حتى إذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يركع أخذها فوضعها ، ثم ركع وسجد حتى إذا فرغ من سجوده وقام أخذها وردها مكانها ، فما

زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك حتى فرغ من صلاته « وأما إطالته في الصلاة في حال سجوده فرواه عبد الله بن شداد عن أبيه قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . في إحدى صلاتي العشي وهو حامل حسناً أو حسيناً فتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوضعه ، فأطال سجدة من الصلاة ، فرفعت رأسي فإذا بالصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت إلى سجودي ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة قيل يا رسول الله : إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك ، قال كل ذلك لم يكن ، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته « أخرجه النسائي . وأما إشارته في الصلاة ، فلما رواه ابن عمر قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى قباء ليصلي فجاءت الأنصار وسلموا عليه ، فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد عليهم حين كانوا يسلمون عليه ، قال : يقول هكذا وبسط كفيه « . وأما المشي فيها فلما رواه سهل بن سعد « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام على المنبر وكبر وقام الناس خلفه فقرأ وركع وركع الناس خلفه ثم رجع القهقري ثم سجد على الأرض ثم عاد إلى المنبر فقرأ ثم ركع ثم رفع ثم رجع القهقري حتى سجد في الأرض « متفق عليه .

قوله : ( وَخَنَقَهُ الشَّيْطَانُ ) أشار إلى ما رواه أبو داود قال : « قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فسمعتة يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة الله وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا : يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقول قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك ، فقال : إن إبليس عدو الله جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن أخذه ، والله لولا دعوة أخي سليمان

لأصبح مَوْثِقاً يلعب به ولُدان المدينة » أخرجهم مسلم ، وفي رواية أنه صلى الله عليه وآله وسلم خنقه خنقاً شديداً حتى سال لعابه على يده ذكره في ( الهدي ) .  
وأما درؤه فأشار به إلى مارواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُصلي فجاءت بهيمة لتمرُّ بين يديه فجعل يدرؤها حتى لصق بطنه بالجدارِ ففرت من ورائه » ، وأما فتح الباب في الصلاة فأشار به إلى حديث عائشة قالت : « جئتُ يوماً من خارج ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في بيتي والباب عليه مغلق فتقدم وفتح لي ثم رجع القهقري وأتم صلاته » .

وَسَبْعَةٌ مَوَاطِنُ الدُّعَاءِ فِي	حَالِ الصَّلَاةِ ذَكَرَوْنَهَا فاعرفِ
إِذَا افْتَتَحْتَ ثُمَّ إِنْ رَكَعْتَ	وَسَاجِداً وَكَلِمَاتٍ اعْتَدَلْتَ
وَفِي قُنُوتِ الْفَجْرِ ثُمَّ الْوُتْرِ	آخِرُ رُكْعَةٍ بِغَيْرِ نَكْرٍ
بَعْدَ التَّشْهِيدِ الْآخِرِ السَّابِعُ	هَذَا الَّذِي هَدَى إِلَيْهِ الشَّارِعُ

تقدم الكلام على شرعية الدعاء في حال الصلاة جملة ، وأراد الناظم تعداد مواطن الدعاء فيها تفصيلاً وهي سبعة على الترتيب المذكور ، أولها : دعاء التوجه . ثانيها : الدعاء في الركوع . الثالث : الدعاء في السجود ، وهو من أخصها . رابعها : الدعاء بعد الاعتدال من الركوع وبين السجدين ، أعني بعد اعتداله من السجدة الأولى ، والخامس والسادس القنوت في صلاة الفجر وصلاة الوتر ، وأشار بقوله : ( بغير نكر ) إلى أنه في آخر ركعة منها بلا خلاف ، والسابع : بعد التشهد الأخير ، وقد تقدمت الأدلة في ذلك كل في موضعه إلا في القنوت .

وَفِي الْقُنُوتِ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ	مُنْتَشِرٌ وَالْحَقُّ وَالْإِنْصَافُ
تُبَّعَ الْأَدْلَةُ الْمَرْوِيَّةُ	ثُمَّ اتَّبَعَ الْحُجَّةُ الْقَوِيَّةُ

إذا عرفت هذا فاعلم أنه اختلف العلماء ، هل يسن القنوت مطلقاً أو مقيداً بالنوازل أو بالنصف الأخير من رمضان ، فقال بالإطلاق كثير من العلماء ومنعه آخرون ، واختلفوا هل يستحب في غير الصلاتين المذكورتين ، وفي محله هل بعد الركوع أو قبله أو على التخيير ، وهل يجوز بدعاء وإن لم يكن من القرآن ، وإلى جميع ذلك أشار الناظم البيهقي ، والأدلة منها ما أخرجه المؤيد بالله في التجريد وأحمد والدارقطني والبخاري والحاكم في الأربعين ، وصححه عن أنس « ما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا » ، قال في البحر صح عن الخلفاء الأربعة القنوت في صلاة الفجر رواه البيهقي ، وعن أنس صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يزل يقنت حتى فارقت ، وصليت خلف أبي بكر وخلف عمر وذكر مثل ذلك حكاها في الشفاء ، وروى البيهقي بسند صحيح عن عبد الله بن مقرن ، قال : قنت علي عليه السلام في الفجر رواه الشافعي ، وفي مجموع زيد بن علي عن علي أنه كان يقنت في الفجر قبل الركوع . وفي الوتر بعد الركوع ، وفي رواية في الفجر ، والوتر قبل الركوع ، ورواه من فعل علي الهادي عليه السلام والمؤيد بالله وغيرهم ، وعنه كرم الله وجهه أنه قال : كلمات علمهن جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولهن في قنوت الوتر : « اللهم اهديني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك ولا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت » . رواه زيد بن علي في المجموع عن علي وأخرجه المؤيد بالله في التجريد وهو في أمالي أحمد بن عيسى أيضاً من طريق أبي جعفر ، وزاد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم إني أسألك الهدى والغنى والعفة والتقوى وأعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وبوار الأئم » ، أي كسادها وهو عند أحمد وأهل السنن الأربعة عن الحسن بن علي قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلمات أقولهن في

صلاة الوتر : « اللهم اهديني ... إلى آخره » إلا أنه ليس فيه زيادة « ولا يعز من عادت » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال في الإمام : هو مما يلزم البخاري ومسلم إخراجهم ، ورواه الطبراني والبيهقي بزيادة : « ولا يعز من عادت » وزاد النسائي في آخره « صلى الله على النبي » ، وأخرج عن ابن الحنفية « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهذه الكلمات : « اللهم اهديني ... إلى آخره » وعن البراء « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقنت في الفجر والمغرب » أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وصححه عن أنس ، وعن علي عليه السلام : راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان يقنت في صلاة الوتر ، حكاها في الانتصار وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قنت في صلاته بعد الركوع شهراً ، إذا قال : « سمع الله لمن حمده ، يقول في قنوته : « اللهم نجني الوليد بن الوليد ، اللهم نجني سلمة بن هشام ، اللهم نجني عياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية ، عصت الله ورسوله قال أبو هريرة : « أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ترك الدعاء » أخرجه البخاري ومسلم وعن ابن عمر أنه « سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول : اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً ، بعدما يقول : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [ آل عمران ١٢٨/٣ ] » أخرجه البخاري . وعبد بن حميد وعن أبي جعفر بن محمد بن علي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في القنوت : « لا إله إلا الله العليم أو العظيم والحمد لله رب العالمين ، سبحان الله عنا يُشركون والله أكبر أهل التكبير والحمد لله رب العالمين الكبير ، ربنا لاتزعغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِنْ نَسِينَا ﴾ [ البقرة ٢٨٦/٢ ] إلى آخر السورة «

أخرجه المؤيد بالله في التجريد ، وعن علي أنه كان يقنت في الفجر ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾ الآية [ البقرة ١٣٦/٢ ] أخرجه المؤيد بالله في التجريد ، ودليل من منع القنوت في الوتر ما أخرجه الدارقطني والبيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « قنت شهراً ثم تركه ، وأما في الصبح فلم يزل يقنت حتى فارق الدنيا » ، ودليل من قال بالتخير بين القنوت قبل الركوع أو بعده ما أخرجه ابن ماجه عن حميد قال : سئل أنس عن القنوت قبل الركوع ، فقال : كنا نقنت قبل الركوع وبعده .

وكان أن قضى الصلاة انفتلاً عَنْ يَمْنَةٍ أَوْ يَسْرَةٍ وَأَقْبَلَ عَلَى الَّذِينَ خَلْفَهُ بِوَجْهِهِ وَلَمْ يَكُ اسْتِدْبَارُهُمْ مِنْ هَدْيِهِ  
 أي كان هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا قضى صلاته وفرغ من صلاته استقبل الناس ، كما رواه جابر بن سمرة ، قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا صلى صلاته أقبل علينا بوجهه ، وما روي عن ابن مسعود لا يجعلن أحدكم للشيطان من صلاته جزءاً يرى إن خفى عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه أكثر ما رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينصرف عن يمينه ، وعن أوس الثقفي قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأيت أنه ينفتل عن يمينه وعن يساره .

وَالذِّكْرُ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ وَالِدَعَا فِي دُبْرِ الصَّلَاةِ أَيْضاً شَرْعاً لَيْسَ عَلَى هَيْئَتِهِ الْمُبْتَدَعَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ بَلْ كَمَا قَدْ شَرَعَهُ  
 الذِّكْرُ عَقِيبُ الصَّلَاةِ نَدَبٌ إِلَيْهِ الشَّارِعُ ، قال البغوي أجمع العلماء على استحبابه بعد الصلاة وجاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة وهو كما قال ، فمن ذلك ما أخرجه الترمذي عن أبي أمامة قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي الدعاء أسمع قال : « جوف الليل الآخر ودبر الصلاة » ، قال الترمذي حديث



حسن ، وعن ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً قال : « اللهم إنك السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » ، وعن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوصيك يا معاذ لاتدعن ذُبُر كل صلاة ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »<sup>(١)</sup> وعن أبي أمامة قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة<sup>(٢)</sup> إلا الموت » ، وعن سعد بن أبي وقاص كلمات كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو بهن دبر كل صلاة : « اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أرَد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر » أخرجه البخاري ، وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا انصرف من الصلاة يقول : « اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم إلقاءك فيه » ، وورد أدعية كثيرة وقوله : ( ليس على هيئته ) ، أشار به إلى ما قاله ابن القيم من أن الهيئة التي يفعلها الناس من استمرار الإمام مستقبلاً القبلة والناس وراءه ، كذلك يذكرون ويدعون ليس بسنة ، ولم يؤثر من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك أصلاً وإنما المأثور عنه شرعية انفتاله واستقباله المأمومين بوجهه ، وقد توهم بعضهم أن ابن القيم ينفي شرعية الأذكار والدعاء بعد التسليم وليس كذلك ، وإنما ينفي ذلك بقيد هذه الهيئة التي لم تؤثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلا فهو قد عقد فصلاً في كتابه ( الهدي النبوي ) في الأذكار المشروعة بعد الصلاة ، وانفتال الإمام وإقباله على المأمومين بوجهه ، قال صاحب المنظومة : وأما سائر ما ذكر عني اعتقاد كون هذه الهيئات سنة فكما قال وأما مطلق القعود والذكر والجهربه فليس ببدعة ، كما

(١) أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما عنه بلفظه .

(٢) أخرجه النسائي والطبراني عن أبي أمامة بلفظه .

يدل عليه قول ابن عباس : « إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

وَاللَّبْتُ بَعْدَ الْفَجْرِ فِي مَحَلِّهِ إِلَى الشَّرْقِ صَرَّحُوا بِفِعْلِهِ

أشار بهذا إلى ما رواه جابر بن سمرة قال : « كان إذا صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الغداة جلس في مُصلاه حتى تطلع الشمس » أخرجه أحمد ومسلم والنسائي ، وزاد الطبراني « يذكر الله » .

هَذَا فِي ثَوْبٍ وَفِي ثَوْبَيْنِ صَلَّى وَحَافِيًّا وَفِي النَّعْلَيْنِ

أشار بهذا إلى كيفية هديه صلى الله عليه وآله وسلم ، فكان يُصلي في ثوبين وهو الأكثر وصلى في ثوب واحد كما رواه عنه عمر بن أبي مسلم قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى في ثوب واحد متوشحاً ، وقد ألقى طرفيه على عاتقه » أخرجه الجماعة كلهم ، وإلى حديث جابر « أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ثوب واحد يَشْتَمِلُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا هَذَا الْاِشْتِمَالُ الَّذِي لَأَنْتَ قُلْتَ كَانَ ثَوْبًا قَالَ فَإِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحَفَ بِهِ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزَرَ بِهِ » أخرجه البخاري ومسلم ، وقوله حافياً أشار به إلى حديث سعيد بن زيد الأزدي ، سَأَلْتُ أَنَسًا : أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُصلي فِي نَعْلَيْهِ ، قَالَ : نَعَمْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ .

وَصَرَّحُوا بِجَعْلِهِ لِلْسِتْرِ	فِي قِبْلَةِ الصَّلَاةِ غَيْرَ مَرَّةٍ
رَاحِلَةً وَالرَّحْلَ وَالْجِدَارَ	وَنَحَوَهَا جَاءَتْ بِهَا الْأَخْبَارُ
بَسَمْتُ حَاجِبِ الْمُصَلِّي تَوَضَّعُ	وَلَيْدُنْ أُولَى فَالصَّلَاةُ تَقْطَعُ
إِنْ مَرَّ كَلْبٌ أَسْوَدٌ فِي الْقِبْلَةِ	أَوْ الْحِمَارُ أَوْ مُرُورَ الْمَرْأَةِ
وَقِيلَ لَا يَقْطَعُ وَلَكِنْ يَدْرَأُ	بِمَا اسْتَطَاعَ فَعَلَهُ مَا مَرَّ

أي صرح أئمة الحديث أنه كان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم جعل السترة تلقاء وجهه ، وأن ذلك سنة ثابتة من قوله : ( وفعله ) ، أما قوله : فعن أبي هريرة مرفوعاً « إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً ، فإن لم يجد فلي نصب عصا ، فإن لم يجد فليخط خطاً ثم لا يضره ما مر » أخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والشافعي ، وأما فعله فعن ابن عمر « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إذا خرج يوم العيد أمر بالحربة فتوضع بين يديه فليصلي إليها والناس وراءه » أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي .

وقوله : ( بسمت حاجب المصلي ) أشار به إلى محل السترة من المصلي ، وأنها تكون بسمت حاجبه لما رواه المقداد بن الأسود قال : « مارأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى إلى عود أو عمود أو شجرة إلا جعله عن حاجبه الأيمن أو الأيسر ولا يصمد إليه صمداً » أخرجه أبو داود .

وقوله ( وليدُنْ أولى ) ، أشار به إلى حديث سهل بن أبي حثمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منها لا يقطع عليه الشيطان صلاته » أخرجه أحمد وابن أبي حميد ، وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعاً بلفظ : « إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يمر الشيطان بينه وبينها » .

وقوله : « إن مرّ كلب أسود إلى آخر هذه المسألة » فيها خلافة بين العلماء فقال بعضهم بأن مرور المرأة والحمار والكلب الأسود بين يدي المصلي مما يقطع صلاة المصلي واستدلوا بحديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا قام أحدكم يصلي فإنه يستره إذا كان بين يديه مثل مؤخرة الرجل فإنه إذا لم يكن بين يديه مثل مؤخرة الرجل فإنه يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود ، وقيل : يا أبا ذر ما بال الكلب الأسود من الكلب الأصفر من الكلب

الأحمر قال : يا ابن أخي سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سألتني فقال : الكلب الأسود شيطان « أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الجمهور لا قطع بشيء مما ذكروا واستدلوا بما رواه أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يقطع الصلاة شيء وادروا ما استطعتم » أخرجه أبو داود عن أبي سعيد بلفظه ، وزيادة « فإنما هو شيطان » .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في سجود السهو

وفي الصَّلَاةِ قَدْ سَهَى فَسَجَدَا وَحِكْمَةُ السَّهْوِ بِهِ لِيُقْتَدَا

هذا مشروع في بيان شرعية سجود السهو وهديه صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، وهو مما لا خلاف فيه أنه مشروع على سبيل الجملة ، وثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه قد سهى في صلاته فسجد والسهو جائز على الأنبياء فيما ليس طريقه التبليغ ، وقد استوفى الكلام على ذلك القاضي عياض وأتى فيه بما شفى وكفى ، والحكم في ذلك ما ذكره الناظم بقوله ( وحكمه السهو به ليقتدى ) ، وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إنما أنسى لأسن » ، وجعل سجود السهو جبراً لما يلحق المصلي في صلاته من النقص لطفاً منه ورحمةً واتفق العلماء بأنه سجدتان : لحديث : « لكل سهو سجدتان » أخرجه أحمد وأبو داود والطيالسي .

وَحُصِرَتْ مَوَاضِعُ السَّهْوِ الَّتِي فِيهَا سَهَى فَانْحَصَرَتْ فِي خَمْسَةٍ قَامَ مِنْ اثْنَتَيْنِ لَمْ يَتَشَهَّدْ وَحِينَ سَبَحُوا لَهُ لَمْ يَقْعُدْ فَكَمَّلَ الْأَرْبَعَ ثُمَّ سَجَدَ قَبْلَ السَّلَامِ بَعْدَ أَنْ تَشَهَّدَ

في هذا إشارة إلى حديث عبد الله بن مالك بن بحينة « أن رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم صلى بهم الظهر ، فقام في الركعتين الأوليين وعليه جلوس ، وفي رواية : ولم يجلس ، فقام الناس معه حتى إذا قَضَى الصلاة كَبَّرَ وهو جالس وسجّد سجدتين قبل أن يَسلم « أخرجہ الستة وابن ماجه ، وهذا لفظ البخاري وفي رواية الصحيحين زيادة « وسجدهما الناس معه مكان مانسي من الجلوس » وفي رواية النسائي : « أنهم سبحوا له لما قام فلم يقعد ومضى فلما فرغ من الصلاة سجد سجدتين قبل أن يسلم » ، وفي هذا الحديث دلالة على أن المصلي إذا ترك التشهد الأوسط لم تبطل صلاته وأنه يجبره سجود السهو .

سلم في إحدى صلاتي العشي من اثنتين ثم زاد مـانسي وسجّد السهو عقيب سـلمـا وكان قبل الذكر قد تكلمـا

هذا هو الموطن الثاني من مواطن سهوه صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو ما رواه أبو هريرة قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إحدى صلاتي العشي ، قال ابن سيرين : وسماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا ، فقام فصلي ركعتين ثم سلم فقام كأنه غضبان إلى خشبة مغروسة في المسجد فاتكأ عليها ووضع يده اليمنى على يده اليسرى وشبك بين أصابعه وخرجت السرعة من المسجد ، أي من عجل من الناس ، فقالوا قصرت الصلاة وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وفي القوم رجل في يده طول يقال له ذو اليدين ، فقال يا رسول الله : أقصرت الصلاة أم نسيت ، فقال : لم أنسى ولم تقصر ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم أو كما يقول ذو اليدين ، قالوا : نعم ، فتقدم فصلي ما ترك ثم كبر وسجد مثل سجوده الأول أو أطول ، فرجا سألوه أي ابن سيرين ، ثم سلم فيقول : فنبئت أن عمران بن الحصين قال : ثم سلم « أخرجہ الستة ، وصلاتي العشي المراد بها الظهر أو العصر ، وقوله : ( وكان قبل الذكر قد تكلم ) أشار إلى الخلاف أنه إذا سلم ساهياً عن بعض الركعات ثم تكلم هل تفسد صلاته بالكلام فلن يجزه التكميل ويجب عليه الاستئناف

أولاً ، وقيل إن كان كلامه لإصلاح الصلاة لم تبطل ولو بعد الذكر وأستدل القائل بهذا بما وقع في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلام ذو اليمين .

وَقَدْ سَهَا عَنْ رُكْعَةٍ فَرَجَعَ      مِنْ بَيْتِهِ فَكَمَّلَ الْعَصْرَ أَرْبَعًا  
بِرُكْعَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَجَدَ      مِنْ بَعْدِ تَسْلِيمٍ كَمَا قَدْ وَرَدَ

هذا الموطن الثالث وفيه إشارة إلى ما رواه عمران بن حصين : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى العصر فسلم في ثلاث ركعات ، ثم دخل مَنْزِلَهُ فقام إليه رجل يقال له : الخرباق بن يسار ، وكان في يديه طول فقال : يا رسول الله مذكراً صنيعه ، فخرج وهو غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس ، فقال : أصدق هذا ، قالوا : نعم ، فصلى ركعة ، ثم سلم ، ثم سجد سجدتين ، ثم سلم » أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي .

كَذَا سَهَا عَنْ رُكْعَةٍ فَاَنْصَرَفَ      وَعَادَ لِلتَّيْمِ لَمَّا عُرِفَ  
وَبِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ قَدْ أَمَرَ      هُنَا كَمَا رَوَى الْحَدِيثُ ذِكْرًا

هذا هو الموطن الرابع ، وفيه إشارة إلى حديث معاوية بن خديج : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى يوماً بأصحابه فسلم وانصرف ، وقد بقي من الصلاة ركعة فأدركه رجلٌ فقال : نسيت من الصلاة ركعة ، فدخل المسجد ، فأمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى بالناس ركعةً » أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ، وزاد في آخره : « قال معاوية : فأخبرت الناس ، فقالوا : أتعرف الرجل ؟ قلت : لا إلا أن أراه ، فمرّ بي ، فقلت : هذا ، فقالوا : هذا طلحة بن عبيد الله » .

خَامُسُهَا زِيَادَةٌ فِي الظَّهْرِ      بِرُكْعَةٍ وَذَا تَمَامَ الْحَصْرِ  
فِي هَذِهِ سَجَدَ بَعْدَ التَّسْلِيمِ      وَكُلُّهَا مَوَاطِنٌ لِلتَّعْلِيمِ

هذا الموطن الخامس ، وفيه إشارة إلى حديث ابن مسعود : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظهر خمساً ، فقالوا : يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء ؟ قال : ولماذا ؟ قالوا : فإنك صليت خمساً ، فتنى رجله واستقبل القبلة وسجد سجدتين ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : أما إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به ولكني إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني » أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي .

والشك ما عَرَضَ في صلاته      ولم يكن ذلك من عاداته  
لكنه أمر باليقين      من شك فليأت بسجدتين  
وبتحريره الصواب أمر      وموضع السجود فيما ذكر  
قيل سلام من تحرى الحق      وبعده لمن لشك ألقى

أشار بهذا إلى أن من أسباب سجود السهو وقوع الشك للمصلي في صلاته ، وهذا السبب لم يقع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والسر في ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد عصم من الشيطان ، وحيل بينه من الوسوسة وفي ذلك إشارة إلى حديث أبي هريرة عند الجماعة كلهم : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أحدكم إذا قام إلى صلاته جاءه الشيطان ، فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فإذا وجد أحدكم ذلك فلم يدر أصلى ثلاثاً أم أربعاً ، فليسجد سجدتين وهو جالس » ، وأشار الناظم بقوله : ( وبتحريره ) إلى أن المصلي إما أن يفيد التحري أو : لا ، الأول أشار الناظم إلى حكمه بقوله : ( وبتحريره ) فهذا فرضه التحري والبناء على ما غلب على ظنه ، والثاني من لا يفيد التحري فهذا هو المأمور باليقين ، وإليه أشار الناظم بقوله : ( لكنه أمر باليقين ) ودليل الأول ما أخرجه الجماعة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إذا شك أحدكم في صلاته فليتحري الصواب فليتم عليه ثم يسلم ، ثم يسجد

سجدين » ، ودليل الثاني حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثاً أو أربعاً فليطرح الشك وليبن على ما بقي ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم فإن كان صلى خمساً شفعت له صلاته وإن كان صلى تماماً لأربع كان ترغياً للشيطان » أخرجه أحمد وابن أبي شعبة ومسلم وأبو داود ، وحديث عبد الرحمن بن عوف : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا شك أحدكم بالاثنتين أو الواحدة فليجعلها واحدة ، وإذا شك في الثلاث أو الأربع فليجعلها ثلاثاً حتى يكون الوهم في الزيادة ثم يتم ما بقي ويسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم » أخرجه أحمد والحاكم وابن ماجه والبيهقي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وقوله : ( وموضع السجود ) إلى آخره ، فيه إشارة إلى الخلاف في محل السجود فيما سببه الشك ، ف قيل : إن الشاك يسجد قبل السلام مطلقاً ، وقيل : بعده مطلقاً ، وقيل : بالتفصيل ، فإن كان الشاك فرضه التحري فحل السجود بعد السلام ، وإن كان فرضه البناء على اليقين فحل سجوده قبل السلام للأحاديث المتقدمة ، وأما ما كان سببه النقص أو الزيادة المتحققين كما وقع من سهوه صلى الله عليه وآله وسلم ، ف قيل : محله قبل السلام مطلقاً ، وقيل : بعده كذلك ، وقيل : إن كان عن نقص فقبله وإلا فبعده ، وقيل : بل الساهي مُخَيَّر في محل السجود مطلقاً سواء كان سببه زيادة أو نقصاً متحققاً ، أو مشكوكاً فيه وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

وقيل كل من سهواً خيراً من قبل أو بعد وهذا أظهر  
وأدلة كل من الأقوال مأخوذ من الأحاديث المذكورة .



## هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي السُّنَنِ الرُّوَاتِبِ وَصَلَاةِ اللَّيْلِ وغير ذلك من التطوع

فصل وأما السُّنَنُ الرُّوَاتِبُ فهو عليها لم يَزَلْ مُوَاطِبُ

أي هذا فصل يشتمل على ذكر هديه صلى الله عليه وآله وسلم في السنن الرواتب المترتب فعلها على فعل الفرائض والمضافة إليها ، فيقال : سنة الفجر ، سنة الظهر ، سنة العشاء ، وقول الناظم : ( فهو عليها ) الضمير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وَحَصَرُوا جَمْلَتَهَا فِي عَشْرِ  
ثِنْتَانِ ثُمَّ بَعْدَهُ اثْنَتَانِ  
فَرَكْعَتَا الْفَجْرِ وَقَبْلَ الظُّهْرِ  
وَسُنَّةُ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَانِ  
بَعْدَ الْعِشَاءِ رَكْعَتَانِ وَرَدَتْ  
وَبَعْضُهُمْ زَادَ وَبَعْضٌ نَقَّصَ  
وَالْكُلُّ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ لُخْصَ

أشار بهذا إلى حديث ابن عمر : « حفظت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر ركعات » ، وفي بعض الروايات : « صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر ركعات ، ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب في بيته ، وركعتين بعد العشاء في بيته ، وحدثني حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى ركعتين خفيفتين حين طلع الفجر » ، وفي بعض الروايات : « وركعتين بعد الجمعة في بيته » .

وَسُنَّةُ الْفَجْرِ إِذَا صَلَّاهَا  
أَمْرًا أَبُو هَرِيرَةَ وَفَعْلًا  
فَالَاِضْطِجَاعُ سُنَّةٌ رَوَاهَا  
عَائِشَةُ وَهِيَ أَصَحُّ نَقْلًا

أشار بهذا إلى الاختلاف في الاضطجاع بعد صلاة ركعتي الفجر إلى الشق

الأمين ، فقيل : سنة لثبوته من فعلِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله ( وأما فعله فقد روته عائشة ) قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سكت المؤذن من الأذان الأول من صلاة الفجر ، قام وركع ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر ، بعد أن يستبين الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن » أخرجه الشيخان وأهل السنن إلا الترمذي . وأما قوله ( فروى أبو هريرة أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ) بذلك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الفجر فليضطجع على يمينه » أخرجه أبو داود والترمذي .

قوله :

وقيلَ لا لكن بات يَدُأَبْ فهي استراحةٌ وليست تندبُ

أشار بهذا إلى قول بعض العلماء من أن الاضطجاع غير سنة مستدلين بإنكار ابن عمر وابن مسعود وإبراهيم النخعي ، قال ابن عمر : إنها بدعة ، وقال ابن مسعود وإبراهيم النخعي : هي ضجة الشيطان .

والوثر منْ أكدها في السنّةِ لأنها زيادةٌ في النعمةِ

أي ومن أكد السنن المؤكدة صلاة الوتر وهي الصلاة التي يختم بها صلاة الليل ، وقد تطلق على قيام الليل وقد ورد في فعلها والمحافظة عليها عدة أحاديث منها ما أشار إليه الناظم بقوله : ( زيادة ) إلى آخره ، لأنه قصد به الإشارة إلى حديث ابن عباس مرفوعاً : « إن الله قد زادكم صلاةً وهي الوتر » أخرجه الطبراني ، وفي رواية خارجة بن حذيفة : « إن الله قد أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النعم فجعلها لكم ما بين العشائين إلى طلوع الفجر » <sup>(١)</sup> ،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن أبي الحسين عن عمرو بن العاص ، وعقبة بن عامر بلفظه إلا أنه قال : « قد زادكم » . جلال .

وعن علي عليه السلام مرفوعاً : الوتر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة لكن سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « إن الله وتر يحب الوتر » <sup>(١)</sup> .

وَالزَمَ قِيَامَ اللَّيْلِ عَنْهُ لَا تَنَمُ فَشَرَفُ الْمُؤْمِنِ فِيهِ يُغْتَنَمُ  
حَثٌّ عَلَى الْقِيَامِ فِيهِ الْمُصْطَفَى أُمَّتُهُ فِي الْوُجُوبِ اخْتَلَفَ

أشار بهذا إلى حديث سهل بن سعد ، قال : « جاء جبريلُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا محمد عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَحْبَبُ مِنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامَ اللَّيْلِ وَعَزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ » أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

وحديث ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل » رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وعنه : « أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة الليل ولو ركعة » ، وقوله : ( وفي الوجوب اختلف ) أشار به إلى الخلاف بين العلماء في وجوب قيام الليل على الأمة ، أو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والصحيح عدم الوجوب لحديث علي المتقدم : « الوتر ليس بحتم .. إلى آخره » .

من كل ليله النبي أوتر أوله ووسطه وآخره  
أشار بهذا إلى أن وقت الوتر الليل كله لحديث عائشة قالت : « من كل الليل أوتر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من أول الليل وأوسطه وآخره حتى انتهى وتره إلى السحر » متفق عليه .

وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من خاف أن

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي وعبد الرزاق وأحمد وأبو داود والترمذي وقال : حسن ، والنسائي وأبو يعلى وابن خزيمة والحاكم وغيرهم عن علي عليه السلام من دون قوله : « فقال » . جلال .

لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل » أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم .

وحَفَظَ الثَّغَاةَ عَنْهُ وَتَرَهُ	وَحَصَرُوا فِيهَا رَوَاهُ قَدْرَهُ
ثَلَاثَ عَشْرَةَ الَّتِي رَوَاهَا	الْحَبْرُ عَبْدُ اللَّهِ لَا سَوَاهَا
وَقِيلَ إِحْدَى عَشْرَةَ الْوُتْرَ كَمَا	عَائِشَةُ رَوَتْ وَكَانَتْ أَعْلَمَا
وغير هذا عنه أيضاً ثَقِيلاً	منها ثلاث فعلها علي الولي
كَذَا بِخَمْسِ رَكَعَاتٍ أَوْتَرَ	وَرَكْعَةً أَيْضاً وَكَانَتْ أَكْثَرَ
وَرَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ صَلَّاهَا	عَدَاهُ كُنَ بَيْنَهُمَا مَسَلَاهَا
وإن أردتَ فثَمَانٍ تُسَرِّدُ	على الولي وأربعٌ وتَقْعُدُ
أَخْرَجَهَا وَبَعْدَهُنَّ تَوَتَّرُ	وكلها عن النبي تُؤَثَّرُ
وغيرها من الصفات رويت	عن النبي وإليه عُزِيَتْ
يَفْتَتِحُ الْوُتْرَ بِرَكَعَتَيْنِ	لكن تكونان خَفِيفَتَيْنِ

بين العلماء اختلاف في كمية الوتر وكيفيته ؛ لاختلاف الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فعله وقوله ، أما فعله فروي أنه واظب على إحدى عشرة ركعة ، روته عائشة قالت : « ما كان يزيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة » ، وكانت أعلم بصلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الوتر ، إذ كان يصلي في بيته . وفي رواية عن ابن عباس : « أن صلاته من الليل ثلاثة عشرة ركعة » أخرجه الستة إلا الترمذي ، واختلفوا في أقل الوتر فقليل : لا يجزي أقل من ثلاث ، وقيل : يجزي بركة . وأما كيفية الوتر أي ما يختم به الشفع من صلاة الليل ، فعن ابن عباس

إنها ثلاث ركعات متواليات ، وعن أم سلمة إنه كان يوتر بخمس ، وروي عنها بسبع ، والأفضل أن يصلي ركعتين لحديث « صلاة الليل : مثنى مثنى فإن رأيت الصبح مدرّكك فأوتر بواحدة » . وقال ابن القيم : « كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسرد ثمان ركعات ثم يُسلم أو يصلي أربعاً ثم أربعاً أو ركعتين ركعتين » . وفي حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الوتر بركعتين خفيفتين » أخرجه مسلم .

مُخَفَّفًا حِينًا وَحِينًا طَوِيلًا وَالْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ عَنْهُ تَقِيلًا  
وَقَاعِدًا بَرَكَتَيْنِ صَلَّى عَقِيبَ وَتَرَصَّحَ عَنْهُ تَقِيلًا

كان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخفف القراءة في صلاة الليل . أحياناً ويطولها أحياناً والتطويل هو الغالب لما روته عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً » وفي رواية : « يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية » أخرجه الجماعة . وعن حذيفة قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المئة ، فمضى فقلت : يركع بها ، ثم افتتح سورة النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران يقرأ مَرَّسَلًا فإذا مَرَّ بآية تسبيح سَبَّحَ وإذا مَرَّ بآية سؤال سأل وإذا مَرَّ بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم قال : سمع الله لمن حمده - وفي رواية - ربنا لك الحمد ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد وقال : سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه » أخرجه مسلم والنسائي .

قوله : ( وَالْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ ) إلى آخره ، فيه إشارة إلى ما رواه أبو داود عن

أبي هريرة في صلاة الليل : « يرفع صوته طوراً ويخفض صوته طوراً » سكت عليه أبو داود والمنذري .

قوله : ( وقاعداً بركعتين ) إلى آخره ، قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم : أما جواز الركعتين بعد الوتر فقال أحمد : لا أفعله ولا أنهى عنه ، وأنكرها مالك ، والصواب أن هاتين الركعتين فعلهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الوتر لجواز الصلاة بعد الوتر وبيان جواز النفل جالساً وهذا في النادر وإلا فقد كان الغالب آخر صلاته في الليل وترّاً .

واختلفوا على النبي في الضحى هل سنة فبعضهم قد صحح تأكيدها وقيل كانت ندبا وبعضهم قال تُصلى غيباً

اختلف العلماء في صلاة الضحى فقال بعضهم سنة مؤكدة من السنن التي يلزم ويؤاخذ عليها كسائر السنن الرواتب لحديث أبي هريرة في الصحيحين : « أوصاني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصيام ثلاثة أيام في كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام » ، ولحديث أبي ذر عند مسلم قال : « يُصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكلّ تسبيحة صدقة وكلّ تحميدة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويُجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » ، وقال بعضهم ليست بسنة مؤكدة بل من أحب أن يصلّيها تطوعاً فليفعل لا بنية كونها سنة مستدلين بما رواه زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « ما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضحى إلا يوم فتح مكة » ، وقوله وبعضهم قال : تُصلى غيباً أي تُصلى يوماً وتترك يوماً ، والمراد عدم المواظبة لما روي عن عائشة وقد سئلت « أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الضحى قالت : لا » ، وأوضح من ذلك حديث أبي سعيد أخرج الترمذي : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي صلاة الضحى

حتى تقول لا يدعها ويدعها حتى تقول لا يصليها .

هذا وكان يكثر التطوعا      إذ الصلاة خير شيءٍ وُضِعَ  
فصلٌ في الليل وفي النهار      وفي الفضا أو مسجداً ودارٍ  
وصلٌ ماشئت من المندوب      وكيفما كنت مع الركوبِ  
مستقبلاً وقيل شرطه السفر      وقيل لا فرقَ لظاهر الخبر  
يركع إيماءً كذا إن سجد      أخفض من ركوعه قد ورد

أي وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع مواظبته على السنن الرواتب والمؤكدة لا يقتصر عليها بل يكثر التطوع ، وصح عنه أنه قال : « حُبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة » أخرجه أحمد والنسائي وأبي سعيد وأبي يعلى والحاكم والبيهقي ، وقوله : ( إذ الصلاة ) إلى آخره إشارة إلى حديث « الصلاة خير<sup>(١)</sup> موضوع » ، وقوله : ( وصل في الليل وفي النهار ... ) إلى آخره أي صل من التطوع ماشئت في أي وقت وفي أي موضع شئت ماعدا الأوقات المستثناة ، وقوله : ( صل ماشئت ... ) إلى آخره فيه إشارة إلى جواز الصلاة حال الركوب وفيه خلاف هل على العموم أم يخص النوافل وإلى الأخير . أشار الناظم بقوله ( من المندوب ) لحديث علي : « أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أصلي على ظهر بعيري ؟ قال : نعم في النوافل حيث توجه بك بعيرك ويكون سجودك أخفض من ركوعك فإذا كانت المكتوبة فالقرار القرار » وقوله : ( مستقبلاً فيه ) إشارة إلى الخلاف في اشتراط استقبال القبلة ثم لا يضره عدمه بعد استدلاله بحديث أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سافر وأراد أن يتطوع استقبال القبلة بناقته ثم كبر ثم صلى حيث وجهه ركابه »

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة بلفظه وزاد : « فن استطاع أن يستكثر فليستكثر » . جلال .

وقيل لا يجب لظاهر حديث جابر : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي التَّطَوُّعَ وَهُوَ رَاكِبٌ فِي غَيْرِ الْقِبْلَةِ » والظاهر أنه لاتنافي بين الحديثين وأنها مما يُبْنَى فِيهِ الْعَامُ عَلَى الْخَاصِّ ، وقوله : ( وقيل شرطه السفر ) فيه إشارة إلى الخلاف في كون السَّفر شرطاً في صحّة صلاة المتنفل راكباً ، فقال بعضهم بكونه شرطاً مستدلاًً بفهوم حديث أنس « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ » ، وقوله : ( يركع إيماءً ) إلى آخره أشار إليه حديث علي السابق .

### هديه صَلَّى الله عليه وآله وسلم في صلاة الجماعة

فصلٌ وكن ملازم الجماعة	في كلِّ فرضٍ فهي خيرُ طاعةٍ
في حكمها أهل العلوم اختلفوا	والكلُّ بالتأكيد فيها اعترفوا
هل فرضُ عينٍ هي أو كفاية	أو سنةٌ إذ جاء في الرواية
تفصيلٌ من صَلَّى جماعةً على	فدُّ في الفضل اشتراكٌ حصل

لاخلاف بين العلماء في مشروعية الجماعة ، وإنما اختلفوا هل هي مشروعة في كل صلاة أم تختص بالفروض ، الجمهور أنها مشروعة مطلقاً لحديث ابن عباس « في صلاته مع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ليلة بات عند خالته ميمونة » ، ولصلاة أبي مسعود وحذيفة معه في صلاة الليل ، قال المانعون : امتنع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم عن التّجميع بهم في صلاة الليل ولو كان مشروعاً لما امتنع ، ولحديث : « أفضل صلاة التطوع صلاة المرء في بيته وحيث لا يرى المصلي إلا الله » ، أجاب الأولون بأن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم بيّن لأصحابه سبب امتناعه وهو خشية أن يفرض عليهم ، ولو كان السبب عدم الصّحة لبيّن لهم من أوّل ما صلّوا معه ، قوله : في حكمها إشارة إلى حكم هذه



المشروعية ، وقيل : الوجوب لقوله تعالى : ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [ البقرة ٤٣/٢ ] وقد فُسِّرَ بصلاة الجماعة وهو أمر مقتضاه الوجوب ، ولقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ ، [ القلم ٤٣/٦٨ ] والدعاء هو إتيان المسجد لصلاة الجماعة ولما أخرجه الشيخان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لقد هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ بِحَطْبٍ فَيَحْطُبُ ثُمَّ أَمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذِّنُ لَهَا ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُؤَمُّ النَّاسَ ثُمَّ أَخَالَفْتُ إِلَى رَجَالٍ فَأَحْرَقُوا عَلَيْهِمُ بَيْوتَهُمْ » . وقيل : إنها فرض كفاية لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الحريق كَانَ سَيَتْرَكُ الجماعة وهو والذين معه اكتفاءً بصلاة من يَأْمُرُهُ بالجماعة في المسجد وَرَدَّ هَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَيَصْلِي بِمَنْ ذَهَبَ مَعَهُ جَمَاعَةً ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِالسُّنِّيَّةِ فَقَدْ اسْتَدَلُّوا بِمَا رَوَاهُ ابْنُ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعَشْرِينَ دَرَجَةً » . متفق عليه ، ووجه الاستدلال ما أشار إليه الناظم بقوله ( ففي الفضل اشتراك ) لأن لفظَ أَفْضَلَ أَفْعَلُ يَقْتَضِي الْإِشْتِرَاكَ فِي الْأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ . وذلك يقتضي وجوب فَضِيلَةٍ فِي صَلَاةِ الْفَذِّ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [ البقرة ٤٣/٢ ] فَالْآيَةُ خُطَابٌ لِلْيَهُودِ وَلَكِنْ سَلِمَ فَيَكُونُ الْأَمْرُ لِلنَّدْبِ بِقَرِينَةِ الدَّلِيلِ السَّابِقِ وَهُوَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَمَّا حَدِيثُ أَنَّهُ هَمَّ بِالتَّحْرِيقِ فَالْحَدِيثُ إِنَّمَا وَرَدَ فِي الْمُنَافِقِينَ بِدَلِيلِ أَوَّلِهِ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ : « أَثْقَلَ صَلَاةُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حُبًّا وَلَقَدْ هَمَمْتُ ... » الْحَدِيثُ .

والمشي بالوقار والسكينة إلى الصلاة هيئة مسنونه  
فَصَلِّ مَا أَدْرَكَتْهُ وَتَمِّمْ مافات هذا خير هدي عليم  
وَأَنْ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهَا رَكْعَةً أَدْرَكَهَا فَا مَشِ بِغَيْرِ سُرْعَةٍ

أشار بهذا إلى حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم : « إذا سمعتم النداء فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فَمَا أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » أخرجه الجماعة . وفي رواية لمسلم : « وما فاتكم فاقضوا » وأشار بقوله : ( وأن من أدرك ) إلى آخره إلى أن إدراك الجماعة يحصل للاحقين بإدراك ركعة من الصلاة لحديث أبي هريرة : « من أدرك ركعة من الصلاة مع الإمام فقد أدرك الصلاة كلها » أخرجه مالك والشيخان وأبو داود وهو عند ابن عدي بلفظ : « فقد أدرك فضل الجماعة » ، وهل المراد بالركعة مَسْمَاها الحقيق من ابتدائها إلى انتقضائها ، أم المراد من الركعة الرُّكُوع من إطلاق اسم الكلّ على البعض ، ودليلهم مقابلة لفظ الركعة بلفظ السجود لقوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « إذا جئتم إلى الصلاة ونحن سجود فاسجدوا ولا تعدّوها شيئاً ومن أدرك الركعة فقد أدرك الصلاة » أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة . ولأنه جاء في التصريح بلفظ الرُّكُوع لِمَا أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة مرفوعاً : « مَنْ أدرك الرُّكُوع من الركعة الأخيرة يوم الجمعة فليضف إليها ركعة أخرى ومن لم يدرك الركوع فليصَلْ الظهر أربعاً » وهذا الحديث وإن ضَعَّفَهُ ابنُ حجر فيُغني عنه ما أخرجه ابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « مَنْ أدرك ركعة من الصَّلَاة قبل أن يَقِمَ الإمام صلبه فقد أدركها » فهو يدل أن المراد من أدرك الإمام رَاكِعاً وانضمَّ لاحقاً به وافتتح وشاركه في القدر الواجب من الاطمئنان في الركوع فقد ثبت له ركعة من صلاتِهِ وإن لم يفعل ماوجب قبل الرُّكُوع من القيام والقراءة لأنه لو قيل أن المراد من أدرك مِنْ قيام الإمام قدر قراءة الفاتحة فقرأها وركع معه لضاع فائدة التقييد بالقبلية .

وَحَلَفَ كُلُّ مُسْلِمٍ فَصَلِّيَ وَقِيلَ لَا إِنْ كَانَ غَيْرَ عَدَلٍ

أشار الناظم بهذا إلى الخلاف في اشتراط عدالة الإمام في صحّة الجماعة ، فقيل : هي شرط فلا تصحّ الصَّلَاة خلف غير عدل لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [ هود ١١٣/١١ ] ، وتعليق المؤتم صلاته بإمام الصلاة ركون إليه

لقوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [ البقرة ١٢٤/٢ ] ، فقد طلب إبراهيم أن يجعل الله من ذريته أئمة ولحديث جابر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ تَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ » ... الحديث وفيه : « لَا يُؤْمِنُ امْرَأَةٌ رَجُلًا وَلَا فَاجِرٌ مُؤْمِنًا » أخرجه المؤيد بالله في التجريد وابن ماجه والبيهقي كلهم من طريق عبد الله محمد العدوي عن علي ابن زيد بن جدعان ، والعدوي متهم بالوَضْعِ ويغني عنه حديث علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا يُؤْمِنُكَ ذُو جُرْأَةٍ فِي دِينِهِ » رواه محمد بن منصور وروى أيضاً بسنده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا يُؤْمِنُ فَاجِرٌ مُؤْمِنًا وَلَا يَصْلِي مُؤْمِنٌ خَلْفَ فَاجِرٍ » رواه الأمير الحسين في الشفاء والإمام محمد بن المطهر في المنهاج ، وروى الإمام زيد بن علي في كتاب الحقوق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تَخَيَّرُوا الْأُئِمَّةَ فَإِنَّهُمْ الْوَفْدُ بِكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ » . وقال الجمهور ليست العدالة شرطاً في صحّة الصَّلَاةِ فمن صحّت صلاته لنفسه صحّت إمامته لغيره لما رواه أبو هريرة مرفوعاً : « صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَارٍّ وَفَاجِرٍ » وقد قدح في إسناده ، وكذا ما روي عن ابن عمر : « صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مرفوعاً ، وقد قدح في إسناده .

وَيَقِفُ الْوَاحِدُ أَيْمَنَ الْإِمَامِ وَأَنَّ لَلْأَكْثَرِ خَلْفَهُ مَقَامَ

أشار بهذا أن الجماعة تنعقد برجل مع الإمام لحديث « اثنان فما فوقهما جماعة » ولحديث علي : « أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَتَقَدَّمْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَخَلَفْنَا خَلْفَهُ ثُمَّ صَلَّى بِنَا ثُمَّ قَالَ : إِذَا كَانَ اثْنَانِ فَلْيَقِمَ أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِ الْآخَرِ » رواه زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي ، وفي رواية سمره : « فَإِنْ كَانُوا ثَلَاثَةً تَقْدُمُ أَحَدُهُمْ » .

وكان من هدي النبي المرسلِ تَسْوِيَةُ الصَّفِّ وَسَدُّ الْخَلَلِ

أشار بهذا إلى حديث ابن عمر عند أبي داود وابن خزيمة وصححه الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدّوا الخلل ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفّاً وصله الله ومن قطع صفّاً قطعه الله » ، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا قمت إلى الصلاة فأقيموا صفوفكم والزموا عواتقكم ولا تدعوا خلاً يتخللكم الشيطان كما يتخلل أولاد الحدق » رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عنه كرم الله وجهه ، وعن أبي مسعود البديري في رواية مسلم قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمح مناكبنا في الصلاة ويقول استقيموا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم » رواه مسلم ، وعن أبي أمامة مرفوعاً : « لتسون صفوفكم أو ليطمسن الوجوه أو لتطمسن أبصاركم » .

### تنبيه

فيستحب المحافظة على الصلاة في الصف الأول لورود أحاديث كثيرة منها قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها » وروى الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي موقوفاً بلفظ « أفضل الصفوف أولها وهو صف الملائكة وأفضل المقدم ميامن الإمام » .

وللإمام تجب المتابعة	وترك من يسمعه المنازعة
قيل قراءة الإمام كافية	سريّة تكون أو علانية
وقيل بل في السر يقرأ سراً	والترك إن قرأ الإمام جهرًا
والحق يقرأ مطلقاً بالفاتحة	أدلة الثبوت فيها واضحة

أشار بهذا إلى ما يجب على المؤتم ، أما المتابعة للإمام في الأفعال فما لا خلاف فيه في وجوبها لحديث : « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعين » [ أخرجه الستة ] .

قوله ( وترك من يسمعه المنازعة ) أشار به إلى حديث أبي هريرة ( أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرف من صلاة جهر فيها فقال : هل قرأ معي منكم أحد فقال رجل نعم فقال مالي أنزع القرآن فاتمى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه بالقراءة » أخرجه مالك والشافعي والبخاري في جزء القراءة وصححه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هل تقرأون إذا جهرت ، فقال : بعضنا إننا لنفعل فقال : لا تفعلوا أنا أقول مالي أنزع القرآن فلا تقرأوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلا بأمر القرآن » أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وفي بعضها زيادة « فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » وأشار بقوله ( قيل قراءة الإمام كافية ) إلى الخلاف بين العلماء في حكم قراءة المؤتم فقيل لا يقرأ شيئاً في سرية ولا جهرية وأن الإمام يتحمل عنه ذلك واستدلوا بحديث « قراءة الإمام قراءة له » . الثاني : أنه يجب أن يقرأ بالواجب مطلقاً . الثالث : إن كانت جهرية وسمع الإمام يقرأ فلا يقرأ شيئاً وإلا قرأ . الرابع : أنه يقرأ بالفاتحة مطلقاً . وإلى اختيار الرابع أشار الناظم بقوله ( والحق يقرأ مطلقاً ) . إلى آخره والأدلة المشار إليها بقوله ( أدلة الثبوت ) إلى آخره هي الأدلة السابقة في إيجاب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، ومنها حديث عبادة المذكور هنا وهو في بعض الروايات بلفظ : « لا تقرأوا بشيء من القرآن إذا جهرت إلا بأمر القرآن » أخرجه الدارقطني قال ورجاله ثقات ولبعض محققي المتأخرين وهو السيد الحسن الأحفش رحمه الله رسالة مفيدة مستقلة بذلك مشتملة على رجحان هذا القول واستوفى فيها أدلته .

أقوال العلماء في قراءة الفاتحة على أربعة أقوال :

الأول للهادي ومالك : أنه يقرأ في السرية لا في الجهرية ، ودليلها :  
( فقراءة الإمام له قراءة ) ومحتجين بالآية ﴿ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾  
وبحديث أبي هريرة « إنما جعل الإمام ليؤتم به » ، قال الإمام أحمد أجمع الناس  
على أن هذه الآية في الصلاة ، والإنصات لا يكون إلا مع الجهر ، وقال صاحب  
( الثمرات ) وثمرة الآية الإنصات عند سماع القرآن في الصلاة وغيره ، لكن خرج  
الوجوب في غير الصلاة بالإجماع ، وبقيت الصلاة .

الثاني لأبي حنيفة وأصحابه : أنه لا يقرأ مطلقاً ، واحتجوا بعموم قوله  
صلى الله عليه وآله وسلم « فقراءة الإمام له قراءة » وحديث أبي هريرة « إنما جعل  
الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا » رواه الخمسة إلا الترمذي وقال  
مسلم : هو صحيح . واحتجت الحنفية بحديث سداد أن النبي صلى الله عليه وآله  
وسلم قال : « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » رواه الدارقطني .

الثالث للناصر : أنه يقرأ الفاتحة وثلاث آيات لأن مذهبه وجوب الزيادة .

الرابع للشافعي وأصحابه : أن المؤتم يقرأ الفاتحة مطلقاً سواء في الجهرية أو  
السرية ، سمع الإمام أم لم يسمع ودليل الشافعي حديث عبادة بن الصامت قال  
كنا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الفجر فتقلت عليه  
القراءة ، فلما فرغ ، قال لعلكم تقرؤون خلفي ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تفعلوا إلا  
بفاتحة الكتاب . واختلفوا في محلها ف قيل محلها بين سكتاته بين الآيات ، وقيل  
في سكوته بعد تمام الفاتحة ، ولا دليل على ذلك ، بل حديث عبادة دال أنه يقرأ  
عند قراءة الإمام .

والإجابة عن أدلة الأولين بأنه لا تعارض بينها وعلى ما استدلوا به ، لإمكان  
الجمع ، فإن قوله تعالى بأن الآية تلك دالة على منع القراءة خلف الإمام على  
العموم ، وحديث عبادة بن الصامت وما في معناه من الأحاديث دال على شرعية

قراءة الفاتحة خصوصاً ، والواجب بناء العام على الخاص ، ووجه العموم في أدلة الأولين أن قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ﴾ يعم الفاتحة وغيرها وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « فقراءة الإمام له قراءة » يعم قراءة الفاتحة وقراءة غيرها والمسموعة وغيرها والقراءة في الجهرية وغيرها .

وقال الإمام المهدي في ( البحر )

وأجيب بأنه ورد بما يصرف عن الوجوب في حديث عبادة بأن حديث عبادة بن الصامت معارض لحديث « مالي أنازع القرآن » وهي من معارضة العام بالخاص .

وحديث « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » يتعلق به ثلاث مسائل : الأول اختلف العلماء في تعيين ما يحزئ من القراءة في الصلاة ، فذهب العترة والشافعي ومالك : إلى أن قراءة الفاتحة في الصلاة فرض لا تجزئ بدونها ، محتجين بالحديث ، وقال أبو حنيفة : بل يستحب ، وحجته « فاقروا ما تيسر منه » وبحديث المسيء صلاته « ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن » .

المسئلة الثانية هل تجب قراءتها في كل ركعة ، فالشافعي تجب في كل ركعة واستدل بحديث المسيء صلاته « وافعل ذلك في صلاتك كلها » وقال الهادي تجب في الأوليين ، وذهب الناصر وزيد بن علي وأبو حنيفة لما تقدم من سنية التسميع في الآخرتين .

المسئلة الثالثة : هل تجب الزيادة على الفاتحة ؟ ذهب القاسم إلى آية طويلة واحدة والهادي ثلاث آيات بعدها ، والشافعي إلى عدم وجوب ما زاد عليها ، احتج الأولون بحديث المسيء صلاته « ثم اقرأ بأمر القرآن وبما شئت أن تقرأ » وبحديث أبي سعيد « أمرنا أن نقرأ بفاتحة الكتاب فما تيسر » رواه أبو داود .

واحتج الآخرون بحديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « قام فصلي ركعتين لم يقرأ فيها إلا بفاتحة الكتاب » أخرجه ابن خزيمة .

وإن تكن منفرداً صليت فصلها جماعة هُديت

أشار بهذا أنه يُسن لمن أدرك الجماعة بعد أن كان قد صلى تلك الصلاة منفرداً أن يصلي مع الجماعة لحديث يزيد بن عامر قال : « جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الصلاة فجلست ولم أدخل معهم في الصلاة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرآني جالساً فقال : ألم تُسلم يا يزيد قلت بلى يا رسول الله فقال : مامنك أن تدخل مع الناس في صلاتهم . قلت كنت صليت في بيتي وأنا أحسب أن قد صليت ، وفي رواية : قد صليت ، قال : إذا جئت الصلاة فوجدت الناس فصل معهم وإن تكن قد صليت فتلك نافلة لك وهذه مكتوبة » أخرجه أبو داود .

ولا تُصل عندما تُقام مكتوبة لما روى الأعلام

أشار بهذا إلى كراهة الصلاة تطوعاً إذا أقيمت الفريضة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » رواه مسلم وأصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة وقوله ( إذا أقيمت ) أي إذا شرع في الإقامة لحديث ابن حبان بلفظ « إذا أخذ المؤذن في الإقامة » والنفي هنا بمعنى النهي ، والمراد بالمكتوبة أي : التي أقيمت .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجمعة

والله خصنا بيوم الجمعة	والخير فيه للأنام جمعه
بكل فضل خصه الله الأحد	فالسبت لا يعدله ولا الأحد
وإنه للمسلمين يوم عيد	وفي السما يدعونه يوم المزيّد
في ساعة منه الدعاء يقبل	نص على هذا النبي المرسل



وَلَيْسَ فِيهِ سَفَرٌ وَصَوْمٌ	إِلَّا إِذَا ضُمَّ إِلَيْهِ يَوْمٌ
وَالْغُسْلُ فِيهِ سَنَةٌ مُؤَكَّدَةٌ	جَاءَتْ بِهِ أَدْلَةٌ مَعْدَدَةٌ
وَالطِّيبُ وَالسَّوَاكُ وَالتَّجْمُلُ	بِأَحْسَنِ الثِّيَابِ فِيهِ أَفْضَلُ
وَصَلَاةُ الْأَرْحَامِ وَالتَّصَدَّقُ	أَفْضَلُ مِمَّا فِي سِوَاهِ يُنْفَقُ
وَكثيرة الصلاة والسلام	عَلَى النَّبِيِّ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ
وَمَنْ تَلَا الْكَهْفَ فَنُورٌ أَضَاءَ	وَنَالَ غَفْرَانَ الذُّنُوبِ وَالرِّضَا
وَالْمَشْيُ بِالْوَقَارِ وَالتَّجْمِيرُ	لِمَسْجِدِ الصَّلَاةِ وَالتَّبَكُّيرِ
إِلَيْهِ ثُمَّ الذِّكْرُ وَالتَّنْفِلُ	قَدْ نُدِبَا حَتَّى الْإِمَامِ يَصْلُ
وَقُرْبَةٌ مِنَ الْإِمَامِ قُرْبَةٌ	مُحَافِظاً عَلَى اسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ

أشار بقوله : ( والله خصنا ) إلى أن هذا اليوم من خصائص هذه الأمة التي خصها الله به كما في حديث أبي هريرة وحذيفة عند مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل يوم الجمعة والسبت والأحد فكذاك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة والمقضي لهم قبل الخلائق » وأشار بقوله ( والخير فيه إلى آخره ) إلى حديث سعد بن عبادَةَ « أن رجلاً من الأنصار قال : يا رسول الله أخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير فقال فيه خمس خلال فيه خَلْقُ آدَمَ وفيه أُهْبِطَ إِلَى الدُّنْيَا وفيه سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ الْعَبْدَ فِيهَا شَيْئاً إِلَّا آتَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ مَأْتِماً أَوْ قِطِيعَةً رَحِمَ فِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ » . وقوله ( فكل فضل خصه الله الأحد ) أشار به إلى الخصائص التي خص الله يوم الجمعة أما فضله ففيه أحاديث كثيرة منها ما أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن مردويه من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة » وعن أبي لبابة ابن المنذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم : « يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى » أخرجه أحمد وأشار بقوله ( بكل فضل خصه الله الأحد ) إلى خصائصه وقد عدَّ منها ابن القيم أكثر من ثلاثين وقوله ( في ساعة ) إلى آخره وَرَدَ بذلك عدة أحاديث منها حديث أبي هريرة مرفوعاً : « أن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه » أخرجه أحمد وأهل السنن ومنها ما أشار إليه بقوله ( يوم عيد ) أشار به إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صومكم » .. الحديث ومنها كونه يوم المزيّد كما في حديث أنس بن مالك قال « أتى جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمراءة بيضاء فيها نكتة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فقلت ما هذه قال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك الناس لكم تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يدعو الله الخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيّد فقال : يا جبريل وما يوم المزيّد فقال : إن ربك اتخذ وادياً أفيح فيه كثث من مسك » .

وقوله ( وليس فيه سفر وصوم ) أشار به إلى خصوصية هذا اليوم بكراهة إنشاء السفر منه وإفراده بالصوم أما السفر فلحديث عمران بن الحصين « من سافر يوم الجمعة من دار إقامة دعت عليه الملائكة أن لا يصحب في سفره » وفي رواية البخاري من حديث ابن عمر « ولا يعان على حاجته » وأما الصوم فلحديث المتقدم لحديث محمد بن عباد سألت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم الجمعة فقال نعم ورب هذا البيت » أخرجه الشيخان . وفي الصحيحين عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا يصومن أحدكم الجمعة إلا يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده » وفي صحيح البخاري عن جويرية بنت الجارث « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وهي صائمة فقال : أصمت أمس قالت : لا قال :

أفتريدون أن تصومي غداً قالت : لا ، قال : فأفطري « وغير ذلك من الأحاديث .

وأما الغُسل يوم الجمعة فهو أكد سنيته ، بل قال بعضهم بوجوبه لكثرة أحاديثه ولأنه قد جاء في بعضها بلفظ الوجوب ولفظ الحق من ذلك حديث أبي سعيد « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » أخرجه الستة إلا الترمذي وفي لفظ « على كل مسلم » . وسواك ويمس من الطيب إن قدر عليه وعن ابن عباس : « من جاء الجمعة فليغتسل وإن كان له طيب فليس منه وعليكم بالسواك » . وأما الطيب والسواك والتجمل ففيه الحديث السابق عن ابن عباس وعن أبي سعيد وحديث أبي أيوب مرفوعاً : « من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان له طيب ولبس أحسن ثيابه ثم خرج لم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله ولم يبلغ عند الموعظة كان له كفارة لما بينهما » <sup>(١)</sup> .

وأما فضل الصدقة يوم الجمعة فقد ورد في حديث كعب الأحبار بلفظ « والصدقة فيه أفضل من الصدقة في سائر الأيام » .

وأما كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ففيه حديث أبي مسعود الأنصاري : « أكثروا عليّ من الصلاة في يوم الجمعة فإنه ليس يصلى علي أحد يوم الجمعة إلا عَرِضت علي صلاته <sup>(٢)</sup> » وقوله ( ومن تلا الكهف ) إلى آخره أشار به إلى حديث ابن عمر « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة صدع له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء » أخرجه ابن مردويه .

وقوله ( والمشي بالوقار والسكينة ) أشار به إلى حديث أبي الدرداء الذي ذكر فيه بعض سنن الجمعة وفيه « ومشى إلى الجمعة وعليه السكينة والوقار »

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة . جلال .

(٢) أخرجه مالك عن أبي مسعود الأنصاري .

الحديث قوله : ( والتجمير فيه ) عن عمر بن الخطاب أنه أمر نعيم الجمر أن يجمر مسجد المدينة كل يوم جمعة حتى ينتصف النهار ، التجمير : التبخير بالطيب .

وَأَمَّا التَّبْكَيرُ إِلَى الصَّلَاةِ فِيهِ حَدِيثٌ : « من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة » . وَأَمَّا الْقَرَبُ مِنَ الْإِمَامِ لِسَمَاعِ الْخُطْبَةِ فِيهِ حَدِيثٌ : « من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام فأنصت كان له في كل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها » <sup>(١)</sup> قوله :

وَتَجِبُ الصَّلَاةُ بِالْإِجْمَاعِ      بِغَيْرِ لَأَشْكَ وَلَا نِزَاعِ

اعلم بأنه لا خلاف بين علماء الإسلام في وجوب صلاة الجمعة واختلفوا هل هي فرض على الأعيان أم على الكفاية والقول بالأخير شاذ ودليل الوجوب قوله ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ [ الجمعة ٩/٦٢ ] . الآية . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور والطبراني عن أبي سعيد : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريضاً أو مسافراً أو امرأة أو صبيّاً ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد » . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليطّبع الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » .

قوله :

وإنها بلا خلاف ركعتان      وشرط صحة الصلاة الخطبتان

قدر صلاة الجمعة ركعتان ولا خلاف فيه بين العلماء ولا خلاف في شرعية الخطبتين قبلها وهل هما شرطان في صحة الصلاة ذهب الجمهور إلى اشتراطهما

(١) أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربع وابن حبان والحاكم عن أوس بن أوس .

لاستمراره صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك ثم استمر على ذلك خلفاؤه الراشدون :  
قوله :

والحمد والوعظ مع الشهادة      هذا الذي أوجب لازيادة  
وقيل فيها الصلاة تجب      وقيل لا وجوب لكن تندب  
أي وتكون الخطبتان مشتملتان على حمد الله والثناء عليه والشهادتين والوعظ  
وجوباً لثبوت ذلك من فعله صلى الله عليه وآله وسلم والحديث جابر كان رسول  
الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه » . الحديث  
أخرجه مسلم وأبو داود . والحديث ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم إذا تشهد قال : « الحمد لله نحمده ونستعينه .. » الحديث . وفيه التصريح  
بالشهادتين أخرجه مسلم إلا البخاري . وعن أبي هريرة مرفوعاً : « كل خطبة  
ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء » . وأما الوعظ فلما أخرجه مسلم وأحمد  
والنسائي وابن ماجه عن جابر بن سمرة « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
يخطب ويجلس بين الخطبتين ويقرأ آيات ويذكر الناس » . وأما الصلاة على  
النبي في الخطبة فادعى بعض العلماء : الإجماع على ذلك ، وقال بعض :  
بالتدب .

قوله :

وحالها الإنصات أيضاً ذكروا      فيه الخلاف والوجوب أظهر  
وصح أن المصطفى تكلم      لكنه كان به معلماً  
فصار ما قال كجزء منها      لا خارجاً ذاك الكلام عنها  
أي ذكر العلماء الخلاف في وجوب الإنصات حال الخطبتين والوجوب أظهر

للأمر<sup>(١)</sup> بذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ ... ﴾ الآية [ الأعراف ٢٠٤/٧ ] ، أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في تفسيره للآية وجب الإنصات في اثنتين : في الصلاة وفي الجمعة والإمام يخطبُ ، وأمّا الأحاديث المقتضية لوجوب ذلك فكثيرة منها حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت » أخرجه الشيخان وأهل السنن ومعنى لغوت بطلت فضيلة جمعتك ، ولما رواه ابن عباس مرفوعاً : « مَنْ تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو مثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول لصاحبه أنصت ليست له جمعة »<sup>(٢)</sup> ، وأشار الناظم بقوله : ( وصح أن المصطفى ) إلى آخره إلى احتجاج من قال : بعدم وجوب الإنصات فيما رواه الشيخان من حديث جابر « أن سليماً الغطفاني جاء ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال له : صليت يا فلان ؟ قال : لا ، قال : فقم فاركع ركعتين » ، وعن أنس « أن رجلاً دخل ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال : متى الساعة ؟ فأوماً إليه الرسول بالسكوت فلم يقبل وأعاد الكلام فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما أعددت لها ؟ قال : حب الله ورسوله ، قال : فأنت مع مَنْ أحببت » أخرجه النسائي والبيهقي ، وقد أجيب على هذا الاستدلال بأجوبة أشقها ما أشار إليه الناظم من أن كلامه كان تعليماً فهو كالجزء من الخطبة ، وأقوى منه الجواب بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يقع كلامه حال الخطبة بل مع قطعه لها فهو تشريع مستقل ، وأمّا الاستدلال بكلام السائل متى الساعة فلادليل فيه لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنكر عليه ونهاه بالإشارة أن اسكت .

طُولُ قِرَاءَةِ الْإِمَامِ تُنْدَبُ      وَقِصْرُ الْخُطْبَةِ مِنْهُ أَنْسَبُ

(١) الدليل أخص من الدعوى .

(٢) أخرجه أحمد عن ابن عباس بلفظه .

لَأَنَّهُ مُنَّةٌ مِنْ فَقْهِهِ      بِنَصِّ مَنْ لَا هَدْيَ غَيْرَ هُدْيِهِ

أشار بهذا إلى حديث عمار بن ياسر فيما أخرجه مسلم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئة من فقهه فاقصروا الخطبة وأطيلوا الصلاة » ومعنى مئة : علامة .

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُهَا تَتَفَلَّ      وَإِنَّمَا سَلَّمَ حِينَ دَخَلَ  
وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ثُمَّ سَلَّمَ      وَانْتَظَرَ الْأَذَانَ حَتَّى خَتِمَ  
فَقَامَ كَالْغَضْبَانِ فِيمَا ذَكَرَ      كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ حَضَرَ  
يَخْطُبُهُمْ وَصَوْتُهُ بِهَا عَلَا      وَسُورَةٌ كَامِلَةٌ فِيهَا ثَلَاثَا  
كُتُوبُ الْمَلِكِ وَقَافٍ قَدْ قَرَأَ      فَحَفِظَتْ مِنْ فِيهِ مِمَّا كُرِّرَ

أشار بهذا إلى بيان هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجمعة من حين دخوله المسجد إلى انقضاء الخطبة فمن ذلك أنه لم يكن يتنفل قبل الخطبة ، وأنه كان يسلم على أهل المسجد حين يدخل حتى ذلك ابن القيم ولما أخرجه ابن أبي شيبة عن الشعبي قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه ثم قال : السلام عليكم وحمد الله ويثني عليه ويقرأ بسورة ثم يجلس ثم يقوم فيخطب ثم ينزل » ، ولما في حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا خرج يوم الجمعة قعد على المنبر وأذن بلال » أخرجه الحاكم ، وأشار بقوله ( وقام كالغضبان ) إلى آخره ، إلى حديث جابر : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساءكم ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصابعه » أخرجه مسلم وابن ماجه وأشار بقوله : ( وسورة كاملة ) إلى آخره إلى حديث أم هشام بنت حارثة قالت : « ما حفظت ق والقرآن المجيد إلا من في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأها على

المنبر كل جمعة . أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وفي رواية : وكان تعودنا وتعود رسول الله واحداً .

ولحديث أبي بن كعب : « أنه صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في يوم الجمعة تبارك وهو قائم يذكر بأيام الله »<sup>(١)</sup> .

قوله :

يخطب وهو قائم مستقبل بوجهه أصحابه ويفصل بينهما بجلسة خفيفة كما أتى في السنة الشريفة وإنه حين قضى التاماً قام بلال مُسرِعاً أقام أشار بهذا إلى قيامه صلى الله عليه وآله وسلم حال الخطبة ، وقد نبّه الله تعالى عليه في قوله : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِماً ﴾ [ الجمعة ١١/٦٢ ] . وقد روي عن ابن مسعود أنه سئل : « أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب قائماً أم قاعداً ؟ فقال : أما تقرأ ﴿ وَتَرَكُوكَ قَائِماً ﴾ [ الجمعة ١١/٦٢ ] . وتبعه في ذلك خلفاؤه الراشدون وأول من خطب قاعداً معاوية ، قوله : « ويفصل » ثبت ذلك في عدة أحاديث في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة منهم علي رضي الله عنه رواه عنه زيد بن علي وعن ابن عمر وجابر بن سمرة وسلمة بن الأكوع .

قوله :

هذا وفي منبره ما اعتمد قط على شيء ولكن ورد قيل اتخذاه اعتماده على عصا وقوس غير ذا ما نقل أشار بهذا إلى ما احتج به ابن القيم من أن السنة عدم اعتماد الخطيب على شيء إذا خطب على المنبر لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بعد اتخاذه المنبر

(١) رواه ابن ماجه .



يعتمد على شيءٍ وأما قبل أن يتَّخذه فقد صحَّ أنه اعتمد على عصا أو قوس لا غير ذلك .

قوله :

والوقتُ وقت الظُّهر لكن رُبَّما حيناً يكون وقتها تقدِّمًا  
فربَّما من بعد أن قد صلُّوا عادوا وليس للجدارِ ظل

أشار بهذا إلى بيان وقت صلاة الجمعة وأنه وقت صلاة الظُّهر ولا خلاف بين العلماء أنها تصح فيه ، وإنما اختلفوا في صحتها قبله ، فقال الجمهور : لا تصح وخالفهم طائفة من العلماء ، واستدل الآخرون بأدلة منها حديث أنس : « كُنَّا نَبْكَرُ بِالْجُمُعَةِ وَنَقِيلُ بَعْدَ الْجُمُعَةِ » أخرجه البخاري . وحديث سهل بن سعد : « مَا كُنَّا نَقِيلُ وَلَا نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ الْجُمُعَةِ » ، وحديث سلمة بن الأكوع : « كُنَّا نَصَلِّيُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَنْصَرِفُ وَلَيْسَ لِلْحَيْطَانِ ظِلٌّ » أخرجه الشيخان رواه ابن ماجه . وفي رواية : « كُنَّا نُجْمِعُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ لِلْحَيْطَانِ ظِلٌّ يَسْتَظِلُّ بِهِ » . وفي رواية : « كُنَّا نُجْمِعُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ نَرْجِعُ نَتَتَّبِعُ الْفَيْءَ » ، قالوا : وقد ثبت أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْخُطْبَةِ سُورَةَ كَامِلَةَ كَسُورَةِ قَ ، وَيَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ بِسُورَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ وَسُبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَالْعَاشِيَةِ ، فَلَوْ كَانَتِ الصَّلَاةُ لَا تَقَعُ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ لَمَا انْصَرَفُوا إِلَّا وَقَدْ امْتَدَّ الظِّلُّ امْتِدَادًا يَسْتَظِلُّونَ بِهِ فَاقْتَضَى الْحَدِيثُ وَقُوعَ الْخُطْبَتَيْنِ قَبْلَهُ . وقد أجاب الجمهور عن ذلك بأجوبة تأولوا بها هذه الأحاديث . أمَّا التَّبْكَيرُ فَقَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ : كَانَ أَصْلُهُ مَا ذَكَرْتُ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي فِعْلِ الشَّيْءِ أَوَّلَ وَقْتِهِ وَعَلَى هَذَا وَرَدَ حَدِيثُ بُرَيْدَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ : « بَكَّرُوا بِالصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » ، وَقَالَ الْأَسْيُوطِيُّ : « بَكَّرُوا بِالصَّلَاةِ أَوَّلَ وَقْتِهَا وَكُلُّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى شَيْءٍ فَقَدْ بَكَّرَ » ،

وأما حديث الغداء والقيلولة فقد قيل في تأويله : أنهم كانوا يشتغلون عنها يوم الجمعة بالتأهب للصلاة وفعل ما يندب قبلها من غسل ودهن وطيب وزيارة رحم ويسارعون إلى الخروج إلى المسجد قبل أن يقيلوا ويتغدوا فيدركوا ذلك بعد انصرافهم من الجمعة . وأما حديث سلمة فالرواية الثانية عنه تثبت أن الصلاة كانت تقع بعد الزوال ، والأولى لم تنفي الظل رأساً بل ظلاً مقيداً بكونه ظلاً يستظل به ، وإنما يتم الاستدلال لو لقي أصل الظل على أن لأهل الحساب كلاماً في عرض المدينة يقدر في الاستدلال بامتداد الظل وعدمه ، وأما قراءة الخطبة والصلاة فلم يحصل الجزم باستمراره صلى الله عليه وآله وسلم على قراءة سورة طويلة كاملة في الخطبة ولا سورتين طويلتين في صلاة الجمعة دائماً ويؤكد ذلك حديث : « من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى .. » إلى آخر الحديث ، أخرجه الستة عن أبي هريرة ، والزواح لا يكون إلا بعد الزوال .

واختلفوا في ساعة الإجابة فصَحَّ عن جمع من الصحابة بأنها تكون بعد العصر أو ساعة الصلاة وقت الذكر وأول القولين قيل أظهر فانظر ورجَّح ما اقتضاه النظر

أشار بهذا إلى اختلاف العلماء في تعيين ساعة الإجابة واتفقوا على ثبوتها في مجمل اليوم للأحاديث الكثيرة البالغة حد التواتر ، وفي تعيينها من اليوم أقوال بلغ بها الحافظ ابن حجر إلى أربعين قولاً أصحابها ما اقتصر الناظم على التصريح بها : الأول : من بعد صلاة العصر إلى الغروب . والثاني : من جلوس الخطيب على المنبر إلى انصرافه من الصلاة . والقولان أحدهما أرجح من الآخر ، وفي أيهما الأرجح خلاف . قيل : الأول لحديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعاً : « إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه وهي بعد العصر » أخرجه أحمد في مسنده وعند الحاكم أنه قيل : « أي الساعة هي يا رسول الله ؟

قال : ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس . وعن جابر : « يوم الجمعة اثني عشر ساعة منها ساعة لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا آتاه إيَّاه فالتسوها آخر ساعة بعد العصر » . والدليل الثاني ما أخرجه مسلم عن أبي بريدة ابن أبي موسى أن ابن عمر سأله : أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ ؟ قال : نعم سمعته يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تنقضي الصلاة » .

## هديه صَلَّى الله عليه وآله وسلم في العيدين

قوله :

وهديُهُ الثَّابِتُ في العيدين	كليهما صلاة ركعتين
يُخْرِجُ مَاشِياً إلى المصلَّى	حتى إذا انتهى إليه صَلَّى
مَعْجُلاً صلاة عيد التَّحَرُّ	والعكس في صلاة عيد الفِطْرِ
وَلَمْ يَصْحَ نَفْلَهُ قَبْلَهُمَا	وَلَمْ يَقُمْ وَلَمْ يَسْجُدْ لَهَا
فَكَلَّ هَذَا والصلاة جامعة	خلاف سنة النبي الشَّايعة

لا خلاف في شرعية صلاة العيدين ولا في أنها ركعتين إلا رواية عن الإمام زيد بن علي أن المنفرد يصليهما أربعاً ، واختلفوا هل هي فرض عين أم سنة مؤكدة ؟ فقال بعضهم : إنها فرض عين لأمر الله تعالى لرسوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم بها في قوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ [ الكوثر ٢/١٠٨ ] فشره بعضهم بصلاة العيد منهم قتادة ، ولحديث ابن عمير عن أنس عن عمومة له من الصحابة : « أَنْ رَكِبًا جَاؤُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشَهِدُوا أَنَّهُمْ رَأَوْا الْهَلَالَ بِالْأَمْسِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْطَرُوا وَإِذَا أَصْبَحُوا أَنْ يُغْدُوا إِلَى مَصْلَاهُمْ » رواه أحمد وأبو داود

وصَحَّحَ إِسْنَادَهُ ابْنُ السَّكَنِ وَابْنُ حَزْمٍ ، وَقَدْ اشْتَمَلَ الْحَدِيثُ عَلَى الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ وَهُوَ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ وَلَآئِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ جَمَاعَةَ الْعِيدِ يَسْقُطُ بِهَا فَرَضُ الْجُمُعَةِ وَالنَّفْلِ لَا يَسْقُطُ الْفَرَضُ ، وَلِمَوَاطِبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَتْرَكْهَا حَتَّى يَفَارِقَ الدُّنْيَا إِلَّا فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ لِعُذْرِ السَّفَرِ كَمَا تَرَكَ الْجُمُعَةَ ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهَا سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ قَالَ : إِنَّ الْأَدْلَةَ لَا تَنْتَهِزُ عَلَى الْوُجُوبِ أَمَّا الْآيَةُ فَتَفْسِيرُهَا غَيْرُ مُشْرُوعٍ ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَالْأَمْرُ لِلنَّدْبِ وَإِلَّا لَزِمَ أَنْ يَجِبَ الْعُدُو إِلَى الْمَصَلَّى وَالصَّلَاةُ جَمَاعَةً وَلَا قَائِلَ بِهِ ، وَأَمَّا إِسْقَاطُهَا لِلْجُمُعَةِ فَمَنْعُوه لَأَنَّ الْجُمُعَةَ لَمْ تَسْقُطْ بِهَا وَإِنَّا ذَلِكَ تَرْخِيسٌ مِنَ الشَّارِعِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْقُطْ بِهَا ظَهَرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَمَّا مَوَاطِبَتُهُ فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مَنْ تَأَكِيدُ سُنَنِيَّتَهَا وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ عَدَمُ شَرِيعَةِ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ ، إِذْ هِيَ مِنْ أَخْصِيَّةِ الْفَرَائِضِ ، وَلَآئِنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ فَرَائِضِ الصَّلَاةِ ، فَأَجَابَ : « بَأَنهَا خَمْسٌ » فَأَقْسَمَ السَّائِلُ بِاللَّهِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ ، فَقَالَ : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » ، قَوْلُهُ : ( خَرَجَ مَاشِياً إِلَى الْمَصَلَّى ) أَشَارَ بِهَذَا إِلَى حَدِيثِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : « مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِياً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ ، وَرَوَى سَعْدُ الْقُرْظِيُّ فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِذَلِكَ ، وَفِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ لِلْأَسْيُوطِيِّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مَاشِياً وَيَرْجِعُ مَاشِياً » ، وَقَوْلُهُ : ( مُعْجَلاً ) إِلَى آخِرِهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي حَكَاهُ فِي الْمَهْذَبِ عَنْ جُنْدُبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « كَانَ يَصْلِي يَوْمَ الْفِطْرِ وَالشَّمْسُ عَلَى قَدَرِ رَمَحَيْنِ وَفِي يَوْمِ الْأَضْحَى وَالشَّمْسُ عَلَى قَدَرِ رَمَحٍ » وَلَمْ يَصِحْ فَعَلُهُ : أَيُّ لَمْ يَصِحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ تَنَفَّلَ قَبْلُهَا ، وَفِي التَّنَفُّلِ لَغِيْرُ الْإِمَامِ خِلَافٌ ، فَقِيلَ : مُنْدُوبٌ . وَقِيلَ : يَكْرَهُ لِكُلِّ مَصَلٍّ ، وَهَذَا الْأَصَحُّ ، وَاسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِأَنَّهُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَدَمُ التَّطَوُّعِ بِشَيْءٍ قَبْلُهَا فِي الْمَصَلَّى ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ فَعَلَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً قَطْ ، وَمَنْ اقْتَدَى فَقَدْ اهْتَدَى . أَخْرَجَهُ الْجَمَاعَةُ كُلُّهُمْ . قَوْلُهُ : ( وَلَمْ يَقَمْ وَلَمْ يُؤْذِنْ لَهَا ) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى

حديث جابر بن سمرة عند أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي : « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ » ، وحديث جابر بن عبد الله : « شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْعِيدِ فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ وَلَا أَذَانَ وَلَا إِقَامَةَ » إلى آخر الحديث المتفق عليه . وأمّا النداء بالصَّلَاةِ جامعة فقال ابن القيم : أَنَّهُ بَدْعَةٌ وَخَالَفَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْفُقَهَاءِ لَمَّا رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ عَنِ الثَّقَفَةِ عَنِ الزَّهْرِيِّ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ فِي الْعِيدَيْنِ أَنْ يَقُولَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ » ذكره ابن حجر العسقلاني وحكاها في ( الانتصار ) .

قوله :

وَصِفَةُ الصَّلَاةِ فِيمَا ذَكَرَ	بِأَنَّهُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ كَبَّرَ
كَبَّرَ فِي أَوَّلَاهُمَا عَلَانِيَةً	سَبْعًا وَخَمْسًا جَهْرَةً فِي الثَّانِيَةِ
وَأِنْ قَضَى تَكْبِيرَهُ فِيهَا قَرَأَ	بِالْحَمْدِ ثَمَّ سُورَةَ وَجْهَرًا
وَقِيلَ بَلْ يُوْخَّرُ التَّكْبِيرُ	وَقِيلَ فِي الْأَوَّلَى لَهُ التَّأْخِيرُ
مَعِينًا لِأَرْبَعٍ مِنَ السُّورِ	سَبَّحَ وَقَ هَلْ أَتَاكَ وَالْقَمَرُ

قوله : ( وصفة الصلاة ) إلخ ، أشار به إلى حديث عائشة قالت : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَكْبِرُ فِي الْفِطْرِ فِي الْأَوَّلَى سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَفِي الْآخَرَى بِخَمْسِ تَكْبِيرَاتٍ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَفِي رِوَايَةٍ : « سَوَى تَكْبِيرَةِ الرُّكُوعِ » . وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَبَّرَ فِي الْعِيدَيْنِ فِي الْأَوَّلَى سَبْعًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ وَفِي الثَّانِيَةِ خَمْسًا قَبْلَ الْقِرَاءَةِ » أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابِيهَقِي .

قوله : ( معيناً لأربع من السور ) أي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مُعِيناً سوراً من القرآن يقرأ بها في صلاة العيدين وهي أربع فكان يقرأ سورة قَ في الركعة الأولى وسورة القمر في الثانية ، رواه أبو واقد الليثي أخرجه عنه مسلم وأهل السنن ، أو يقرأ ب ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ [ الأعلى ١/٨٧ ] في الأولى و ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ [ الغاشية ١/٨٨ ] في الثانية ، لما أخرجه الجماعة إلا البخاري عن النعمان بن بشير أن رسول الله كان يقرأ بها .

بعد تمامه الصلاة يخطب بخطبتين قائماً يَرُغِبُ فيها إلى مكارم الأخلاق يوصي بتقوى الله والإنفاق وكان بالحمد افتتاح الخطبة لا غير فالتكبير غير سُنَّة

شرعية الخطبة في صلاة العيدين لا خلاف فيه إنما الخلاف هل بعد الصلاة أو قبلها ؟ الجمهور على أنها بعد الصلاة لحديث ابن عباس : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة » أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي ورواه زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه كان يخطب في العيدين بعد الصلاة . قال أبو سعيد : « فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المؤمنين في يوم أضحى أو في فطر فلما أتينا المصلى إذا بمنبر قد بناه كثير بن الصلت فإذا هو يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجذبت بثوبه فجذبنى وارتفع وخطب قبل الصلاة فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد ذهب ماتعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ، فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة » أخرجه الشيخان ، قلت : وإنما كان الناس يَفِرُّون من استماع الخطبة بعد الصلاة أيام

(١) لا يصح خلاف لأحد من أهل العلم إلا أن به مروان بن الحكم ومعاوية وهو ابتداء لاشك فيه ولا يصح إدخاله في خلاف أهل العلم .

مروان وغيره من أمراء بني أمية لسبهم علياً على المنابر وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من سبَّ صحابياً فقد كفر » .

قوله : ( يُرغب ) لحديث جابر بن عبد الله عند الشيخين قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومَ العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ولا أذان ولا إقامة ثم قام متوكئاً على بلال فأمرَ بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى حتى أتى النساء فذكرهن ووعظهن فقال : « تصدقن فأنتن أكثر حطب جهنم » فقامت امرأةٌ من بسطةِ النساء سفعى الخدين فقالت : لِمَ يا رسول الله ؟ قال : لأنكن تكثرن الشقاق وتكفرن العشير فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقن في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن » . ولما روي عن أبي سعيد : كان يصلي بالناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبتدئ بالركعتين فإذا سلم استقبل الناس فيقول : « تصدَّقوا » .

قوله : ( وكان بالحمد افتتاح ) إشارة إلى ما ذكره ابن القيم من عدم شرعية افتتاحها بالتكبير ، وأما حديث سعد المؤذن عند ابن ماجه : « كان يكبر في أضعاف الخطبة يكثر التكبير في خطبة العيدين » فليس فيه دلالة على افتتاحها بالتكبير وقيل : بل من السنة أن يفتتح الأولى بالتكبير فيُكَبَّرُ تسعاً ، لما رواه عبد الله بن عبد الله بن مسعود : « السنَّة أن يخطب الإمام خطبتين في العيدين يفصل بينهما بجلوس ، والسنَّة في التكبير في الأضحى والفطر على المنبر قبل الخطبة أن يبتدئ الإمام قبل الخطبة وهو قائم على المنبر بتسع تكبيرات تترى لا يفصل بينهم بكلام » رواه الشافعي والبيهقي وابن أبي شبة .

وكان لا يطعم حتى يَرَجُوع في عيد نحر ثم منه وقع  
في عيد فطر أكل تمر وترا ثم الرجوع من طريق آخر  
غير التي قد جاء في الذهاب لحكم جامعة الثواب

أشار بهذا إلى حديث بريدة : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يَطعم ولا يَطعم يوم الأضحى حتى يصلي » أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وعند الدارقطني : « لا يأكل يوم النحر حتى يرجع فيأكل من أضحيته » ، وفي رواية : « وكان إذا رجع أكل من كبده أضحيته » ، وفي صحيح ابن حبان والحاكم بلفظ : « ماخرج يوم فطر حتى يأكل تمراتٍ ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً » ، والحكمة في الأكل في الفطر قبل الصلاة لئلا يتوهم وجوب الصوم حتى يصلي صلاة العيد ، وقيل : مبادرة إلى امتثال الأمر بالفطر . وأما قوله : ( ثم الرجوع من طريق أخرى ) ففيه إشارة إلى ما رواه جابر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج يوم العيد رجع في غير الطريق الذي خرج فيه » أخرجه أحمد والترمذي والحاكم ، وعند البخاري بلفظ : « إذا كان يوم عيد خالف الطريق » . وأشار بقوله : ( لحكم ) إلى ما ذكره العلماء وهو تشريف الجهتين وقيل : ليشهدا له هما وسكانها من الإنس والجن أو ليفقه أهلها أو ليغيظ المشركين حسن حاله أو ليرهبهم بكثرة من معه أو لينال بركته كلاهما أو ليشم منه ريح المسك أو تفأؤلاً بتغيير حال الأمة من الضلال إلى الهدى أو لئلا يزدحم الناس أو ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفِجاج والطرق وغير ذلك .

رَخَّصَ فِي الْجُمُعَةِ حِينَ اجْتَمَعَ مَعًا وَقَالَ مِنْ أَحَبِّ جَمْعًا  
أي رخص النبي في صلاة الجمعة لمن صلى العيد وفيه إشارة إلى حديث زيد بن أرقم وقد سأله معاوية : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيدين اجتمعا في يوم ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنع ؟ قال : صلى العيد ثم رخص في الجمعة ثم قال : « من شاء أن يصلي فليصل » أخرجه أبو داود ، وفي رواية أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اجتمع في يومكم عيدان فمن شاء أجزأه عن الجمعة وإننا مجمعون » أخرجه أبو داود ، وفي رواية الإمام زيد بن علي : « فمن



أحب أن يحضر فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن ترك ذلك فلا حرج عليه .

وكان فيما ذكروا يُكَبِّرُ أيام تشريق ويوم يُفْطِرُ لا خلاف في شرعية التكبير المذكور في أيام التشريق ويوم الفطر وإنه سنة مؤكدة بل قال بعضهم بوجوبه ، أما في أيام التشريق فلقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ [ البقرة ٢٠٣/٢ ] وفسرها ابن عباس بأيام التشريق وهي من فجر عرفة إلى آخر اليوم الخامس ، ولما رواه جابر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر يوم عرفة من صلاة الغداة إلى صلاة العصر آخر أيام التشريق » أخرجه البيهقي والدارقطني ، وأما في يوم الفطر فلما رواه ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكبر يوم يفطر حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلى » أخرجه مالك والحاكم والبيهقي ولقوله تعالى : ﴿ وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ [ البقرة ١٨٥/٢ ] ، ولما رواه أنس مرفوعاً : « زينوا أعيادكم بالتكبير » أخرجه الطبراني في الصغير .

وَيُسْتَحَبُّ لِبَسِ أَحْسَنِ الثِّيَابِ والطيب والأكل لما غلا وطاب أشار بهذا إلى ما ذكر ابن القيم من قوله : وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلبس للخروج إلى صلاة العيد أجمل ثيابه ، كان له حلة يلبسها للعديد والجمعة ومرة كان يلبس بردين أخضرين ومرة برداً أحمر وليس هذا أحمر مصمت وإنما فيه خطوط حمراء . وسيأتي إن شاء الله في هديه في اللباس على شرح قوله : ( فلم تكن حمراً بحتاً إنما خطوطها حمراء ) فراجع مسلماً ما يكفي .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الكسوف

فَصَلَ كَانَ هَدْيُهُ المعروف في عصره إن وَقَعَ الكسوف  
خُرُوجَهُ إِلَى المصَلَّى مُسْرِعاً ومشفقاً من العذاب فَرَعَا

أَي كَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا وَقَعَ الكسوفُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ  
بَيْتِهِ مُسْرِعاً فَرَعاً كَمَا فِي صحيح البخاري وغيره عن أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ : « كُنَّا عِنْدَ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَنكَسَفَتِ الشَّمْسُ فَقَامَ يَجْرُ رِدَاءَهُ » زَادَ  
الْبُخَارِيُّ : « مُسْتَعْجِلاً فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَقَالَ : إِنْ الشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ فَإِذَا رَأَيْتُمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا » ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ  
بَعْدَ قَوْلِهِ : لِمَوْتِ أَحَدٍ : « وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ » . وَأَشَارَ  
النَّازِمُ بِقَوْلِهِ : ( مِنَ الْعَذَابِ ) إِلَى أَنَّ السَّبَبَ فِي اسْتَعْجَالِهِ وَفَرَعِهِ إِشْفَاقٌ مِنْ  
عَذَابٍ يَنْزِلُ بِأَمْرِهِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ ابْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَسَلَّمَ نَفَخَ فِي سَجُودِهِ فِي صَلَاةِ الكسوفِ قَالَ : « أَفْ أَفْ » فَقَالَ : « رَبِّ أَلَمْ تَعْدِنِي  
أَنْ لَا تَعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ ، أَلَمْ تَعْدِنِي أَنْ لَا تَعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ .

ومرة وَقَعَ فِي حَيَاتِهِ واختلّفوا مع ذاك في صلاته  
فِي الوصف لا القدر فركعتان وقيل بل فِيهِ لَهُم قَوْلَانِ

الضَّيْرُ فِي ( وَقَعَ ) عَائِدٌ إِلَى لَفْظِ ( خُرُوجِهِ ) فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ  
يَكُونَ الْمُرَادُ الْكسوفِ وَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَرَّةً  
وَاحِدَةً وَتِلْكَ الْمَرَّةُ يَوْمَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ لِلتَّصْرِيحِ فِي  
بَعْضِ الرِّوَايَاتِ بِتَكَرُّرِ وَقُوعِ الْكسوفِ كَمَا سَيَأْتِي ، وَقَوْلُهُ : ( وَاخْتَلَفُوا مَعَ ذَاكَ )  
أَي وَمَعَ كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصَلِّ صَلَاةَ الْكسوفِ جَمَاعَةً إِلَّا مَرَّةً  
وَاحِدَةً ، كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ فِي وَصْفِ صَلَاتِهِ لَا فِي قَدَرِهَا وَهُوَ كَوْنُهَا رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ

إجماع والإجماع في كون الركعتين أقلها ، وإلا فقد صرح بعض العلماء بمجاوز كونها أكثر من ركعتين لحديث النعمان بن بشير قال : « كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى ركعتين ركعتين وسأل عنها حتى انجلت » أخرجه أبو داود والنسائي .

في كل ركعة ركوعان معا فكان ذلك الركوع أربعاً  
هذا قول جمهور العلماء وجنح إليه ابن القيم وابن حجر لكثرة الأحاديث الصحيحة المصروفة ، منها حديث عائشة قالت : « كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى بالناس وأطال القراءة ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه فأطال القراءة وهي دون القراءة في الأولى ثم ركع وأطال الركوع وهو دون ركوعه الأول ثم رفع رأسه فسجد سجدتين ثم قام فصنع في الركعة الثانية مثل ذلك » أخرجه الستة .

وقيل بل تكرر الركوع ثلاثة فسِتّ المجمع

أشار بذلك إلى ما رواه مسلم عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى بست ركعات في أربع سجعات » وفي رواية : « أنه قام قياماً شديداً يقوم قائماً ثم يركع ثم يقوم ثم يركع ثم يقوم ثم يركع في ثلاث ركعات وأربع سجعات » .

وقيل خمسة وقيل أربعة في كل ركعة وكل رفعه  
رواية الثقات في الصحيح فليُنظر الناظر في الترجيح

أما دليل القول بكونها خمس ركوعات في كل ركعة فما رواه أبي بن كعب قال : « انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى بالناس قرأ في الركعة الأولى بسورة من الطوال ثم ركع بخمس ركوعات وسجد

سجدتين ثم قام في الثانية فقرأ بسورة من المطول وركع بخمس ركوعات وسجد سجدتين ثم جلس كما هو مستقبل القبلة حتى انجلي كسوفها » أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وفيه أبو جعفر الرازي هَجَرَهُ الشيخان ، ورواه زيد بن علي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام : « أنه كان إذا صلى بالناس صلاة الكسوف بدأ فكَبَّرَ ثم قرأ بالحمد وسورة من القرآن يمجهر بالقراءة ليلاً أو نهاراً ثم يركع نحواً مما قرأ ثم يرفع رأسه من الركوع فيكبر حتى يفعل ذلك خمس مرات يكبر كلما رفع رأسه من الركوع الأربع ويقول في الخامس : سمع الله لمن حمده فإذا قام لم يقرأ ثم يكبر فيسجد سجدتين ثم يرفع رأسه كما فعل في الأول يكبر كلما رفع رأسه من الركوعات الأربع ويقول : سمع الله لمن حمده في الركوع الخامس ولا يقرأ بعد الركوع الخامس » وهذا رأي أهل البيت ، وحكى الإمام المهدي إجماع العترة على ذلك . وأما دليل القول بأن جملة الركوعات أربعة في كل ركعة ، فروى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عباس عن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ : « ثماني ركعات في أربع سجعات » وصححه الترمذي ، وقال ابن حبان في صحيحه : هذا ليس بصحيح لأنه من رواية حبيب وكان يُدلس . وذكر ابن القيم ترجيح القول بأنه ركوعين في كل ركعة ، ورجح آخرون كونها خمسة ركوعات في كل ركعة كما رواه أبي بن كعب لأن ذلك زيادة على رواية أقل من ذلك وهي مقبولة ، ولفعل علي عليه السلام ومثله توقيف ، ولما روي من إجماع العترة على ذلك ، ورجح القبلي القول بأنها خمس ركوعات . وقيل :

وقيل تَكَرَّرَتْ صَلَاتُهُ      فَاخْتَلَفَتْ فِي وَصْفِهَا رَوَاتُهُ

إذا الكسوفان مراراً وقعا      بين الروايات بهذا جُمعا

قال بعض العلماء أن سبب اختلاف الروايات تكرر وقوع الكسوف في

عهده صلى الله عليه وآله وسلم فصلى صلاة الكسوف بصفات مختلفة لما رواه النسائي عن عائشة أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى في كسوف في صفة زمزم أربع ركعات في أربع سجعات ولما رواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه بسنده إلى الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « كان جبريل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة إذ كسف القمر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما هذا فقال جبريل : أما إنه أطوع لله منكم أما إنه لم يعصِ ربه منذ خلقه وهذه آية وعبرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا جبريلُ فما ينبغي عنده وما أفضل ما يكون من العمل ، قال : الصلاة وقراءة القرآن . »

قوله

وكان من بعد الصلاة يَخْطُب      يُطِيل في خطبته وَيُطْنِبُ  
والشمس والقمر آتِيَان      ليس لموت قال يكسفان  
فادعوا وصلوا عند ذاك واذكروا      تصدقوا وسبحوا وكبروا

أي من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخطبة في الكسوف بعد فراغه من الصلاة ، فثبت ذلك عنه في عدة أحاديث في دواوين للإسلام الستة وغيرها أَنَّه خطب في كسوف خطبة طويلة حمد الله فيها وأثنى عليه وتشهد ووعظ وأخبر فيها أنه رأى حال صلاته الجنة والنار وأنه رأى أكثر مَنْ في النار النساء ورأى أول من غير دين إبراهيم يجر قضبه في النار أي إمعائه ، ورأى امرأة تعذب في هرة حبستها فلم تطعمها ، ورأى سارق الحاج بمحجنه وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب الحديث ومما حفظ من خطبته ما أشار إليه الناظم بقوله : « والشمس والقمر إلى آخره » وهو الحديث الصحيح عند الستة وغيرهم وعن جماعة من الصحابة ولفظه عند البخاري عن أبي بكرة : « الشمس والقمر آيتان من آيات

الله لا ينكسفان لموتٍ أحدٍ فإذا رأيتوهما فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » وفي رواية لموت أحد ولا لحياته .

قوله

واختلفوا هل الصلاة تُشرع لفَزَعٍ سِوَاهِ لَكِنْ أَجْمَعُوا فِيهِ عَلَى الذِّكْرِ لِكُلِّ فَزَعٍ كَزَلْزَلٍ وَنَحْوِ رِيحِ زَعَزَعٍ

أي اختلف العلماء في شرعية صلاة الكسوف لسائر الأفراع من زلزلة وريح زعزع وظلمة شديدة فقليل يستحب لِمَا رواه البيهقي بسنده إلى الشافعي أنه بلغه عن علي أنه صلى في زلزلة ست ركعات في أربع سجعات وسجدين في ركعة وركعة وسجدين ، وروى عن ابن مسعود أنه قال : « إذا سمعتم هاداً من السماء فافزعوا إلى الصلاة » ذكره الظفاري في تخريج البحر وأخرج أبو داود ، عن ابن عباس إذا رأيتم آية فاسجدوا وقيل لا يُستحب إلا الدعاء والاستغفار وحديث أبي موسى يرفعه أنه قال : « إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته ولكن الله يرسلها يُخوف بها عباده فإذا رأيتم منها شيئاً فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره » أخرجه البخاري ومسلم .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الاستسقاء

وهديه كان في الاستسقاء	في غالب الأوقات بالدعاء
وربما خرج وهو خاشع	تواضعاً وليديه رافع
قبل رقى المنبر ثم خطب	مكثراً سؤأله والطلب
حتى رأى الراؤون مما رفع	بياض إبطيه وإذ قضى الدعاء

استدبر الناسَ وحول الرّداء      وكان ذلك الرّداء أسوداً  
وركعتين بعد ذاك صلى      قرأ في أولاهما بالأعلى

أي كان من هديه الاستسقاء وهو طلب السقيا وكان غالب استسقاؤه بالدعاء وأما الصلاة للاستسقاء فرويت عنه من وجوه من ذلك حديث ابن عباس قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متذلاً متخشعاً حتى أتى المصلّى فرقى المنبر ولم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين » أخرجه أحمد والأربعة وابن حبان والحاكم وصحّحه هو والترمذي . وفي رواية « وحول رداءه جعل عطافه الأيسر على عاتقه الأيمن ثم دعا » ، وفي رواية « استسقى وعليه خميصة <sup>(١)</sup> سوداء فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها فثقلت عليه فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه » ، وقوله « حتى رأى الراؤون » أشار به إلى حديث أنس « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه » أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي . وقوله : ( إذ قضى الدعاء ) أشار به إلى الخلاف هل المشروع في الاستسقاء مع الصلاة خطبة أم مجرد الدعاء فقليل : لا خطبة لقول ابن عباس : لم يخطب كخطبتكم ، وقيل : بل يخطب للتصريح بذلك في رواية أبي هريرة أخرجه ابن ماجه لما رواه زيد بن علي عن آبائه عن علي « أنه كان إذا صلى بالناس في الاستسقاء صلى مثل صلاة العيدين وكان يأمر المؤذنين وحمله القرآن والصبيان أن يخرجوا أمامه ثم يصلي بالناس مثل صلاة العيدين ويخطب ويقلب رداءه ويستغفر الله مئة مرة يرفع بذلك صوته » .

قوله : ( واستدبر الناس ) إشارة إلى ماروته عائشة وعبد الله بن زيد في

(١) الخميصة ثوب خز أو صوف مُعلم وقيل لاتسى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديماً وجمعها الخماص ، نهاية .

رواية أحمد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حول رداءه قلبه ظهراً لبطن ،  
والحكمة في ذلك التفاؤل بتحويل القحط كما في حديث جابر عند الحاكم وفي  
حديث أنس بلفظ قلب رداءه لكي ينقلب القحط إلى الخصب ، وأشار بقوله في :  
( وكان ذلك الرِّداء أسود ) إلى حديث عبد الله بن زيد أنه صلى الله عليه وآله  
وسلم : « استسقى وعليه خيصة سوداء » الحديث تقدم أخرجه أبو داود والنسائي  
وفي رواية أحمد بزيادة وحول الناس .

وما استغاث الغيثَ إلا أمطِرَ      وطلبوا استصحائه إذ كثر  
ويَحسِرُ الثوبَ لَمَّا يُصيب      بدنه فعهده قريبُ  
أي وما استسقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحد من الناس إلا أجابه  
وسقوا كما طفحت بذلك الأحاديث الكثيرة وقوله : ( وطلبوا استصحائه إذ كثر )  
أي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يستسقي لهم فيطبق المطر عليهم حتى يطلبوا  
منه أن يستصحي لهم كما في حديث أنس : « أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة  
ورسول الله يخطب فاستقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائماً فقال :  
يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم يديه فقال : اللهم أغثنا اللهم أغثنا قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من  
سحاب فطلعت سحابةً مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فلا  
والله ما رأينا الشمس سبعة ، ثم دخل رجل في الجمعة الثانية ورسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم يخطب فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع  
الله يسكها فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يديه فقال : اللهم حوالينا ولا  
علينا اللهم على الآكام والظراب وبُطُون الأودية ومنابت الشجر فانقطعت »  
أخرجه البخاري ومسلم وأحمد قوله : ( ويَحسِرُ الثوب إلخ ) إشارة إلى حديث  
أنس قال : « أصابنا مطرٌ ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَحَسِرَ



ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول الله لِمَ صنعت هذا فقال : إنه حديث عهد بربه « أخرجه أحمد ومسلم وأبي داود وفي رواية : ( كان إذا سال الوادي ) قال : « اخرجوا بنا إلى هذا الذي جعله الله طهوراً حتى نحمد الله عليه ونتطهر منه » حكاه في ( المذهب ) .

قوله :

ثم الدعاء حاله يجاب إذ في السماء تفتح الأبواب  
أشار به إلى حديث أبي أمامة مرفوعاً : « تفتح أبواب السماء ويستجاب الدعاء في أربعة مواطن عند التقاء الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة وعند رؤية الكعبة »<sup>(١)</sup> .

هديه صلى الله عليه وآله وسلم في السفر والجمع بين الصلاتين  
والقصر في السفر عنده أثر فلم يسافر قط إلا قصر  
إلى اثنتين ما يصلي أربعاً ولم يزل يقصر حتى يرجع  
لم يصلي أربعاً تماماً إن سار أو نزل أو أقام  
شرعية قصر الصلاة الرباعية في السفر مما لا خلاف فيه بين الأمة في الجملة  
ومحل الإجماع فيه قصر المسافر الخائف واختلفوا في الأمن الجمهور على شرعيته لما  
أشار إليه الناظم بقوله : ( فلم يسافر إلخ ) وكان يقصر في جميع أسفاره ومنها  
ما هو سفر آمن كسفر حجة الوداع فإنه ثبت أنهم كانوا آمنين وأشار بقوله : ولم  
يزل يقصر إلى ما ذكره ابن القيم من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بلفظه .

« كان يقصر الرباعية فيصلها ركعتين من حين يخرج مسافراً إلى أن يرجع إلى المدينة » ولم يثبت أنه أتم الرباعية البتة ، وقول الناظم : ( إن سار أو نزل ) ، إشارة إلى دفع توهم أن رخصته القصر إنما هي لمن كان في أثناء السير ، وأما إذا نزل أو أقام في محل أياماً مع استمرار على نية السفر فلا . فعن علي كرم الله وجهه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بمكة ركعتين ركعتين حتى رجع » رواه زيد بن علي عن آبائه <sup>(١)</sup> .

وَمُنْتَهَا السَّفَرِ لَا يُقْدَرُ      كَذَا تَعْدِي الْمِيلَ لَيْسَ يُؤَثَّرُ

أشار النَّاظِمُ بِمَا ذَكَرَهُ إِلَى الْخِلَافِ فِي تَحْدِيدِ السَّفَرِ الَّذِي لِأَجْلِهِ شَرَعَ الْقَصْرُ ،  
فَقِيلَ : بَرِيدٌ . وَقِيلَ : مَرَحِلَتَانِ . وَقِيلَ : ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . وَقِيلَ : غَيْرُ ذَلِكَ .  
وَقِيلَ : لِاتَّحْدِيدِ لِقَدَرِ مَعِينٍ ، بَلْ مَا يَسْمَى سَفَرًا لُغَةً وَهُوَ فِي اللُّغَةِ قَطْعُ الْمَسَافَةِ ،  
وَهَذَا هُوَ الَّذِي جَنَحَ إِلَيْهِ ابْنُ الْقَيِّمِ ، وَاسْتَدَلَّ الْقَائِلُونَ بِالتَّحْدِيدِ لِلْمَسَافَةِ بِأَحَادِيثِ  
رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سَمِيَ فِيهَا الْمَسَافَةُ الَّتِي حُدِّدَهَا كُلُّ مَنْهُمْ  
سَفَرًا ، فَتَسْمِيَةُ الْبَرِيدِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَتَسْمِيَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَيَوْمَيْنِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ عِنْدَ  
الْبُخَارِيِّ ، وَفِي بَعْضِهَا يَوْمَيْنِ عِنْدَ أَحْمَدَ وَمُسْلِمٍ ، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ وَرَدَتْ فِي  
اِشْتِرَاطِ الْحَرَمِ لِلْمَرْأَةِ فِي سَفَرِهَا وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي هَذَا الْبَابِ وَلَا يُلْزَمُ مِنْ تَسْمِيَةِ  
هَذِهِ الْمَقَادِيرِ سَفَرًا أَنْ لَا يَكُونَ مَا دُونَهُ سَفَرًا ، وَلَا وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ  
مَا نَتَمَسَّكُ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا حَدِيثُ أَنَسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ بَرَكِيَّةٍ . قَالَ :  
« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَافَرَ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةَ فَرَاسِخَ  
قَصَرَ الصَّلَاةَ » ، وَبَيَّنَّ مُسْلِمٌ أَنَّ الشَّكَّ مِنْ شُعْبَةِ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : فَإِذَا الثَّلَاثَةُ  
الْفَرَاسِخَ مُتَيَقِّنَةٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ وَإِنْ ثَبَتَ بِفِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) وأخرج ابن أبي شيبة وابن منيع والعدني ومسدّد والبخاري عن علي عليه السلام قال : « صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة السفر ركعتين ركعتين إلا المغرب فإنه صلاة ثلاثاً » .  
جلال .

وسلم أن هذه المسافة تسوغ لمن أرادها القصر ، فذلك لا ينفي كون مادونها مسافة للقصر ، وقد علق الشارع الرخصة بالسفر ، وهو كما قيل مشتق من سَفَرًا إذا كشف ، فيصدق على قصر السفر وطويله ، وقد أجاب بعض المحققين : بأننا وجدنا العرب لم تستعمل السفر إلا فيما أدرك فيه المشقة ، ولا يسمّى من خرج من بيته مُسَافِرًا ؛ فحينئذٍ لا بد من شيء يرجع إليه وما هو إلا ماورد عن الشارع . وقد بحثنا فلم نجد شيئاً صحيحاً متمسك به في هذا المقام إلا حديث أنس السابق فرجعنا إليه ، وقوله : ( كذا تعدى الميل إلى آخره ) اختلفوا في ابتداء القصر ، فقيل إذا عزم على السفر وتهيأ للخروج قصر ولو من منزله ، وقيل : لا يقصر حتى يجاوز ميل بلده ، وقيل : حتى يجاوز ثلاثة أميال ، وقيل : إذا سافر النهار فلا يقصر حتى يدخل الليل ، وإذا سافر الليل فلا يقصر حتى يدخل النهار ، وقيل : لا يقصر حتى يبرز عن البلد ويجاوز بنيانها ، وهذا هو الصحيح لقيام الدليل عليه من فعل علي ، وهو ما أخرجه البخاري تعليقاً ؛ أنه خرج من الكوفة مسافراً فقصر الصلاة وهو يرى البيوت ، ولما رجع قيل له : هذه الكوفة . قال : لا حتى ندخلها . ووصله الحاكم عن طريق علي بن ربيعة . قال السيد علي بن أحمد بن عامر : والمراد رواية تفاصيل البيوت دون أعلامها لأن جملة البيوت ترى من بريد وأكثر . قال المؤيد بالله وأخوه أبو طالب :

واختلفوا هل التمام أولى      وهل يصح أن يتم أو : لا  
لأنها صدقة ومنة      تقبل والسنة ترك السنة  
فما عدا الوتر فكان يُوتر      وسنة للفجر عنه تؤثر

أي وبعد اتفاقية العلماء على مشروعية القصر اختلفوا في حكم هذه المشروعية هل هي رخصة أو عزيمة ، وإذا كانت رخصة هل الإتمام أفضل من القصر أو العكس . فقيل : القصر رخصة ويجوز الإتمام بقوله : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا

مِنَ الصَّلَاةِ ﴿ [ النساء ١٠١/٤ ] . ورفعُ الجناح يقتضي الإباحة للاحتم ولأنها قالت عائشة : « كان ذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتم في السفر وقَصَرَ وصَامَ وأفطَرَ » أخرجه البغوي في شرح السنة وصحح الدارقطني إسناده ، ولأن الصحابة كانوا يسافرون مع النبي فمنهم القاصر ومنهم المتم ومنهم المفطر ومنهم الصائم لا يعيب بعضهم على بعض ذكره البغوي ولما أخرجه الشيخان أن عثمان أتم الصلاة في منى ، ولأن عائشة أتمت الصلاة في سفرها ، واحتج من قال : يكون القصر عزيمه ، بحديث عائشة : « فُرِضَت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فزيد في صلاة الحضر ، وأقرت في صلاة السفر » أخرجه مالك والشيخان وأبو داود والنسائي وزاد في رواية « قال الزهري : قلت لعروة : ما بال عائشة تتم . فقال : تَأَوَّلْتُ كَمَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ » . ولحديث ابن عمر قال : « سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاةَ السفر ركعتين وهما تمام غير قصر والوتر في السفر سنة » ، ولحديث يعلى بن أمية قال سألت عمر بن الخطاب فقلت : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ [ النساء ١٠١/٤ ] . وقد أَمِنَ الناس فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد والدارمي وأهل السنن وابن الجارود وابن خزيمة والطحاوي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان . فقلوه : ( فاقبلوا صدقته أمرٌ يقتضي الوجوب ) .

والجمع للصلاة في الأسفارِ	جاءت به صحيحة الأخبارِ
فإن يكن بعد الزوال ارتحلا	فالعصر وقت الظهر قالوا عَجَلَا
أو قبله صلى الصلاتين معاً	في وقت عَصْرٍ وكذا قد جَمَعَ
بين العشائين كما تقدم ما	مؤخراً حيناً وحيناً قدم

أشار الناظم بقوله : ( في الأسفار ) أي لأجل السفر ، وذلك لما ثبت من جمعه صلى الله عليه وآله وسلم في السفر في أحاديث كثيرة ، منها ما أشار إليه بقوله ( فإن يكن ) أشار به إلى حديث معاذ بن جبل . قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس آخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر ، وإن ارتحل بعد زيف الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً ثم سار ، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصلها مع العشاء ، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلها مع المغرب » أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود وأخرجه المؤيد بالله عن ابن عباس ، وكذا أخرجه أحمد ، ذكره أبو داود تعليقاً .

وإنما يجمع إن جد السير أو سار في وقت الصلاة لا غير  
وقيل مطلقاً وفيه جمع غير مسافر خلافاً وقّع

أشار بهذا إلى الخلاف في أنه هل يقتضي الرخصة للجمع مجرد السفر ، سواء كان المسافر سائراً أو نازلاً غير مرید للارتحال عقيب صلاته ، أو لا بد أن يكون سائراً أو مریداً للارتحال عقيب صلاته ، قيل : بالأول ، وقيل : بالثاني لما أشار إليه الناظم بقوله : ( إن جد السير ) ، وهو حديث ابن عمر : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا جدَّ به السير جمع بين المغرب والعشاء » أخرجه الستة ، ولحديث ابن عباس : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع بين الظهر والعصر إذا كان على ظهر سائر ويجمع بين المغرب والعشاء » أخرجه البخاري وغيره ، وأشار بقوله : ( في وقت الصلاة ) إلى الأحاديث المتقدمة من أنه كان إذا زالت الشمس أو إذا غربت ، وأشار بقوله : ( وفيه جمع إلخ ) إلى الخلاف في الجمع في الحضر ، فقيل : يجوز مطلقاً ، وقيل لا يجوز إلا لعذر ، ثم اختلف هؤلاء ، فبعضهم خصه بأعذار مخصوصة كالمرض والمطر ، وبعضهم جوزه لأي عذر كان مما يظهر فيه مشقة التوقيت بشرط أن لا يتخذ خلقاً وعادة ؛ إذ

هدي النبي المستمر هو التوقيت في الحضر ، ولم يؤثر عنه الجمع إلا نادراً لرفع الحرج عن أمته .

ويستحب إن غدا البكور وفي الخميس يُتَّيَّداً مَأْثُورٌ  
وثُمَّ أَذْكَارٌ تُخَصُّ في السفر وفي الركوب غير أوقات الحضر  
فكن لذاك ذاكراً مُوَاطِباً وَصَلَ نَفْلاً إن أردت راكباً

أي يُستحب للمسافر أمور منها البكور في سفره لحديث : « باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح » أخرجه الطبراني في الأوسط ، ومنها استحباب أن يكون ابتداء السفر يوم الخميس لما أخرجه الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما كان يخرج إلا يوم الخميس » ، وفي لفظ للبخاري : قَلَّ مَا يَخْرُجُ .. « الحديث . وفي رواية للبخاري وأحمد من حديث كعب بن مالك : « كان يجب أن يخرج إذا غدا يوم الخميس » . ومنها ما أشار إليه الناظم بقوله : ( وَثُمَّ أَذْكَارٌ تُخَصُّ ) المسافر غير الأذكار التي تستحب له إذا كان حاضراً لأن المسافر أحق الناس بذلك لأن السفر مظنة للخوف والمشاق ، وقد ذكرها ابن القيم في ( الهدى ) فمن أراد أن يطلع عليها فذاك ، وأما قوله : ( وَصَلَ نَفْلاً إلى آخره ) فقد تقدم في هديه في نوافل الصلاة أدلة شرعية ذلك .

## فصل في هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الخوف

فَصَّلَ رَوَوْا مِنْ هَدِيهِ الْمَعْرُوفِ عَنْهُ صِفَاتٍ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ  
لأنهم تكرر مراراً فكل شاهد روى أخباراً  
لذا أتت صفاتها مختلفة وإن ترد تحقيقها والمعرفة  
فقد كفاك أمرها ابن القيم في هديه فخذ منه تعلم

أي روى الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الخوف صفات كثيرة ، قيل ستاً وقيل عشراً وقيل أربعة عشرة ورجح ابن القيم أنها ست ، وإنما تكررت الصفات لتكرر وقوع صلاة الخوف فكل من الصحابة الرواة لها رَوَى مارآه ، وبين الفقهاء اختلافٌ فيها ومذاهب مختلفة والمتبع ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد حصلت الإحالة إلى ما ذكره ابن القيم في كتابه الهدى النبوي ، ولا حاجة لنا إلى تطويل الكلام في هذا المقام لقلّة حاجة الناس إلى ذلك في هذا الزمان ، فكثيراً ما تركت الصلاة جماعة في الأمان فضلاً عن السفر والخوف .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في عيادة المرضى

عِيَادَةُ الْمَرْضَى مِنَ الْعِبَادَةِ	فاسمع هديتَ الرشدَ في العيادة
كَانَ النَّبِيُّ لَهُمْ يَعْـوْذُ	وَيَسْأَلُ الْمَرِيضَ مَا يَرِيدُ
يَقْعُدُ عِنْدَهُ وَيَدْعُو بِالشِّفَاءِ	وَرُبَّمَا أَرْقَى لَهُ وَوَصَفَ
مُبَشِّرًا لَهُ بِقَوْلٍ لَا بَأْسَ	اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ أَذْهَبَ الْبَأْسَ

اعلم أن عيادة المرضى مما لا خلاف في شرعيته لثبوتها من قول النبي وفعله فقوله : « حق المسلم على المسلم خمس وعد منها عيادة المريض » أخرجه الشيخان وأبو داود وغيرهم ، من حديث أبي هريرة وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله عز وجل يقول : يا ابن آدمَ مَرَضْتُ فلم تعدني . فقال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، فيقول : أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده » أخرجه مسلم . وعن علي مرفوعاً : « من عَادَ مريضاً كان له مثل أجره وكان في خرفة الجنة حتى يرجع » . وأما فِعْلُهُ وعياداته لأصحابه فما يبلغ حد التواتر ، وكان من هديه إذا

عاد مريضاً يدنو منه ويقعد عند رأسه ويقول : « كيف تجدك ويسأله عن حاله وعما يشتبهه فإذا انتهى شيئاً وعلم أنه لا يضره أمر له به .

من رَمَد وغيره كان يُعوَد وعاد خادماً له من اليهود أشار بهذا إلى أنَّ السَّنة العيادة من كل مرض رمداً أو غيره لما رواه زيد بن أرقم قال : « عادني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من وجع كان بعيني » أخرجه أبو داود ، وأشار بقوله : ( وعاد خادماً له ) إلى استحباب العيادة لكل مريض مسلماً أو غيره لما أخرجه البخاري وأبو داود من حديث أنس بلفظ : « أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرض ، فعاده صلى الله عليه وآله وسلم فقعد عند رأسه . فقال له : أسلم فنظر إلى أبيه وهو عنده . فقال : أطع أبا القاسم وأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار » . ويستحب للعائد أن يخفف الجلوس عند المريض لما روي عن ابن عباس أنه قال : « من السنة تخفيف الجلوس وقلة الصخب » ، وفي رواية الضحك في عيادة المريض أخرجه رزين ، ويستحب أن لا يأكل لديه شيئاً لحديث ورد في ذلك <sup>(١)</sup> :

وَيُؤْمَرُ الْمَرِيضُ بِالتَّخْلُصِ	فَوَرَأَ وَيُوصِي وَيُعِينُ الْوَصِي
وَيُؤْمَرُ الْحَاضِرُ أَنْ يُكْرَرَ	تَلْقِينَهُ إِذَا سَهَا مُذَكَّرَا
لِيُخْتَمَ الْكَلَامُ بِالشَّهَادَةِ	فَإِنَّهُ أَمَارَةُ السَّادَةِ

أي ويستحب لمن عاد المريض أن يأمره بالتخلص مما عليه فوراً على وجه ليس فيه إيجاش وإيأس له من العافية ، لأن ذلك من التعاون على البر ، وكذلك يأمره بالوصية نحو أن يذكر له ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

---

(١) وهو ما روي أنه قال : « إذا زار أحدكم مريضاً فلا يأكل لديه شيئاً فإن حظه من الأجر » .



« ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبیت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » أخرجه الستة من حديث ابن عمر ، وأشار الناظم بقوله : ( ويؤمر الحاضر ) أي ويؤمر حاضر المريض إذا احتضر أن يلقيه كلمة الشهادة لما رواه مسلم وأحمد وأهل السنن وابن حبان عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » . وعند الطبراني من حديث أبي هريرة : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه من كان آخر كلامه عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة ، يوماً من الدهر يُصيبه قبل ذلك ما أصاب <sup>(١)</sup> .

وقوله : ( إذا سها مذكراً ) أشار به إلى أنه يستحب أن يكون التلقين برفق ويكرر له ذلك ويذكره به إذا سها المريض فتكلم المريض بعد الشهادة بكلام غيرها ليختم كلامه بها لحديث : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » . قال السبكي : حديث صحيح . ولما رواه زيد بن علي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام أنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل من ولد عبد المطلب يعودده وهو يجود بنفسه وقد وجهوه لغير القبلة فقال : « وجهوه إلى القبلة فإنكم إذا فعلتم ذلك أقبلت الملائكة عليه وأقبل الله عليه بوجهه فلم يزل كذلك حتى يُقبض » ، قال : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقيه لا إله إلا الله وقال : « لقنوها موتاكم فإنه من كان آخر كلامه دخل الجنة » .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجنائز

فصل يعم الهدي في الجنائز من جائز الفعل وغير الجائز من هديه إذا قضى المريض تسجيّة الميت والتغميض

أما تغطية البدن وتغميض العين فذكرها ابن القيم في ( الهدي ) ، قال :

(١) أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة .

كان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم تسجية الميت وتغميض عينيه ، وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى . وحديث تسجية النبي حين مات أخرجه البخاري ، وصحّ من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل على أبي سلمة حين مات وقد شقّ بصره فأغمضه ، وحديث : « إذا حضرت موتاكم فاغضوا البصر ، فإن البصر يتبع الروح ، وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ما يقول أهل البيت <sup>(١)</sup> » أخرجه أحمد وابن ماجه .

ويخشع النبيُّ عند الموت      وربما بكى بغير صوتٍ  
وقال لم أنسه عن البكاء      ما لم يكن مُنافي الرضاء  
وتدمع العينُ ويخشع القلب      ولا نقول غير ما يرضي الرب  
وكثرة الحمد وأن يسترجع      مع الرضا للمصاب شرعا

أي كان من هديه أن يخشع عند موت الميت ، وربما بكى بغير صوت ، كما في حديث عائشة قالت : « قَبَّلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدمع يسير على وجهه » أخرجه أحمد والترمذي ، وأشار بقوله : ( وتدمع العين ) إلى حديث جابر رضي الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابنه إبراهيم يجودّ بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان ، فقال ابن عوف : وأنت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : يا ابن عوف إنها رحمة ، ثم أتبعها بأخرى فقال : إن العين تدمع وإن القلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » أخرجه الشيخان وأبو داود ، وفي رواية : « يحزن القلب » . وفي رواية البيهقي أنه قال له عبد الرحمن بن عوف : « أتبكي وأنت تنهى الناس عن البكاء ؟ فقال : لم أنه عن البكاء إنما نهيتُ عن صوتين أحقّين

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم في المستدرک عن شداد بن أوس بلفظه .

فاجرين ، صوتٌ عند نغمةٍ لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوتٌ عند مصيبة ورثة ، وهذا هو رحمةٌ ومن لا يرحم لا يرحم ، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق ودعوة صدق وأن آخرنا يلحق بأولنا لحزننا عليك حزنأ هو أشد من هذا وإننا بك لحزونون تبكي العين ولا تقول ما يسخط الرب »<sup>(١)</sup> . وأشار بقوله : ( وكثرة الحمد ) إلى حديث أبي موسى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا مات ولدُ العبد قال الله للملائكة : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيتَ الحمد » أخرجه أحمد والترمذي ، والاسترجاع هو أن يقول المصاب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كما في حديث أم سلمة مرفوعاً : « إذا أصاب أحدكم مصيبةٌ فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحسب مصيبتى فأجرني بها وأبدلني خيراً منها » .

لا النعي والصراخ والنياحة للمسلمين لم تكن مباحة واللطم والحلق وشق الجيب من مَغْضِبِ الرب بغير ريب أشار بهذا إلى الأدلة على تحريم كل ما ذكر ، منها حديث علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس منا من حلق ولا من سلق ولا من خرق ولا من دعى بالويل والثبور » رواه الإمام زيد بن علي عن آبائه ، وروي عنه أيضاً أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن النوح ، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثلاثة من الكفر : شق الجيب والطعن في النسب والنياحة » أخرجه ابن حبان والحاكم ، وعن ابن مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن النعي ويقول : « إياكم والنعي فإنه من عمل الجاهلية » ، وروي عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن سعيد والبيهقي عن جابر بلفظه . « انتهى من تخريج الشفاء » .

عليه وآله وسلم برئ من الحالقة والسالقة والشاقة . السالقة والصالقة بهما : التي ترفع صوتها ، والخالقة : التي تحلق رأسها عند المصيبة ، والشاقة : التي تشق جيبها .

والسنة التعجيل للتجهيز مالم يعارض مقتضى التجويز

أشار بهذا إلى حديث علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا علي لا تؤخر ثلاثاً : الصلاة إذا أتت ، والجنابة إذا حضرت ، والأيم إذا حضر كفؤها » أخرجه البزار والحاكم . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينبغي لجيفة المسلم أن تحبس بين ظهري أهله » أخرجه أبو داود من حديث أبي الحصين ، وأشار بقوله : ( مالم يعارض ) إلى الاحتراز عن الغريق فإنه يجب التأني به حتى يتيقن موته .

غير الشهيد واجب أن يغسلَ      أمراً وفِعلاً في الحديث نُقِلَ  
إما ثلاثاً غسله أو أكثرًا      بحسب ما غاسِلَ ميّت يَرى  
يَجْعَلُ في آخره الكافورا      قد كان ذا من هديه مأثورا  
مالم يكن بحجة قد أحرم      فالطيب كالحى عليه حُرِمَ

شرعية غسل الميت مما لا خلاف فيه فيما عدا الشهيد ، وحكم هذه الشرعية الوجوب قيل إجماعاً ، وأدلة ذلك كثيرة من أمر النبي وفعله ، وأما الأمر فلحديث الموقوص سيأتي قريباً ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم لغاسلات ابنته<sup>(١)</sup> : « اغسلنها ثلاثاً وخمساً واجعلن في الآخرة كافورا » ، وأما الفعل - أي فعل ذلك في زمنه - فبالغ حد التواتر مع تقديره له ، وقوله : ( غير الشهيد ) أشار به إلى أن السنة في الشهيد تحريم غسله لما رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قتلى أحد « أنه أمر أن يدفنوا بدمائهم ولم يغسلوا ولم يُصلّ عليهم »

(١) هي زينب وقيل أم كلثوم والأول أشهر وزينب هي زوجة أبي العاص وأم كلثوم زوجة عثمان .

أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه وعند أحمد والجماعة كلهم عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهداء أحد : « لا تغسلوهم فإن كل جرح أو كل دم يفوح مسكاً يوم القيامة » ولم يصلّ عليهم ، وعن أنس نحوه ، وعن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا مات الشهيد في يومه أو من الغد فواروه في ثيابه وإن بقي أياماً حتى تغيرت جراحته غُسل » رواه الإمام زيد بن علي . وأشار بقوله : ( إما ثلاثاً ) إلى أن الواجب غسل الميت غسلة واحدة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اغسلوه » ولم يقيد السنّة بالتثليث وأما الزيادة فقليل : إن ذلك موكل إلى نظر الغاسل أخذاً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لغاسلات ابنته : « اغسلنها ثلاثاً أو خمساً » ، والسنّة أن تغسل بالسدر وأن يجعل في آخر الغسلات كافوراً . وقوله : ( ما لم يكن بحجة ) أشار به إلى أن الذي يموت محرماً يبقى على إحرامه فلا يطيب ولا يخطأ كفنه ولا يخمر رأسه لحديث ابن عباس : بينما رجل واقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ وقع عن راحلته فوقصته فمات ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً » .

وَحَرِّمُوا عَلَى الشَّهِيدِ الْغُسْلَ      ثُمَّ عَلَيْهِ قِيلَ لَا يَصَلِّي

تحريم الغسل للشهيد تقدمت أدلته ، أما الصلاة على الشهيد فقال ابن القيم : لا يصلّي عليه مستدلاً بأنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلّى على شهداء أحد ، وقيل : بل تجب الصلاة لحديث : « صلّوا على من قال : لا إله إلا الله » ، ولحديث علي قال : لما كان يوم أحد أصيبوا فذهبت رؤوس عامتهم فصلّى عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يغسلهم ، وقال : « انزعوا عنهم الفراء » ، رواه زيد بن علي عن آبائه عن علي ، وعن عقبة بن عامر « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج فصلّى على شهداء أحد صلّاته على الميت »

متفق عليه ، وعن جابر أن حمزة جيءَ به فصلّى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يجاء بالشهداء فوضعوا إلى جانب حمزة ، فيصلّي عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم يُرفعون ويُترك حمزة حتى صلّى على جميع الشهداء صحّحه الحاكم .

وذكر في بلوغ المراد من رواية ابن اسحق ما يدل بذلك .

قوله :

وَيُدفَنُ الشهيد في ثِيَابِهِ      لَأَنَّهُ يَزِيدُ في ثَوَابِهِ  
أشار بهذا إلى أن السنّة أن لا تُنزع عن الشهيد ثيابه ، ولأنه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كفّن شهيداً في غير ثيابه ، كما ذلك مبسوط في كتب الحديث والسيرة .

وغيره يجبُ أن يُكفَّنَ      يؤمّر من وليه أن يُحسِنَا  
تكفينَه وفي البياض أحسنُ      وقد نهى عن أن يُغالى الكفنُ  
يعم بالكفن كلَّ البدنِ      أو نحو أشجار لنقص الكفنِ

الضمير في ( غيره ) عائد إلى الشهيد ولا خلاف في وجوب تكفين الميت ، وقوله : ( يؤمر من وليه .. ) إلى آخره ، أشار به إلى حديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا كفّن أحدكم أخاه فليحسن كفنَه » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود ، وأشار بقوله : ( وفي البياض ) إلى حديث : « البسوا البياض وكفنوا فيه موتاكم » ، ولما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفّن في ثياب بيض ، وأشار بقوله : ( وقد نهى .. إلى آخره ) إلى حديث علي مرفوعاً : « لا تُغالوا في الكفن فإنه يُسلَب سلباً سريعاً » أخرجه أبو داود والبيهقي ، وأشار بقوله : ( يعم بالكفن ) إلى وجوب تعميم البدن بالكفن ، وإن نقص شيء كل ولو بنحو شجر لحديث : إن مُصعب بن عمير لما استشهد في أحد

لم يترك إلا نمره<sup>(١)</sup> كانت عليه فكان إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجله بدا رأسه ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نجعل على رجله شيئاً من الأذخر » أخرجه الترمذي والنسائي من حديث خباب بن الأرت ، وروي نحوه أيضاً في كفن حمزة ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « غطوا رؤوس موتاكم وخمروها ولا تكشفوها كاليهود » أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات .

وبَعْدَهُ كَانَ النَّبِيُّ يُصَلِّي عَلَيْهِ مِنْ مُكَلَّفٍ وَطِفْلٍ  
أي وبعد الغسل وجوب الصلاة على المكلف المسلم مما لم يعلم فيه خلاف ، والأدلة على ذلك مستفيضة ، وأما الطفل إذا استهل ففي الصلاة عليه خلاف الصحيح ، وجوب ذلك لحديث جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا استهل الطفل ورث وصلى عليه » رواه ابن حبان والنسائي والبيهقي والحاكم وصححه . وروى زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي أنه قال في السقط : « إذا استهل ورث ووُريث وصلي عليه » . وروي نحوه عن المغيرة مرفوعاً وزاد فيه « ويدعى لوالديه بالعافية والرحمة » صححه الترمذي والحاكم .

وليس في المسجد أن يُصَلَّى لِسُنَّةٍ بَلْ فِي سِوَاهِ أَوْلَى  
أشار بهذا إلى ما ذكره ابن القيم في ( الهدي ) من أنه لم يكن من هديه صلى الله عليه وآله وسلم الراتب الصلاة على الميت في المسجد ، وإنما هديه الغالب الصلاة على الجنائز خارج المسجد ، وقد صلى على بعضها في المسجد كما صلى على سهيل بن بيضاء وأخيه في المسجد .

قيامه حال الصلاة شُرْعَ مُكَبَّرًا خَمْسًا وَإِلَّا أَرْبَعًا

(١) كل شملة مخططة من مئزر الأعراب فهي : نمره . وجمعها غمار كأنها أخذت من لون التمر لما فيها من السواد والبياض ، وهي من الصفات الغالبة .

يقرأ في أولاهما بالحمد ثم الدعاء وهو جُلّ القصد  
بالعفو عنه ودخول الجنة وما عدا التكبير فهو سنة  
ومثله صلاته على النبي

أشار بهذا إلى كيفية صلاة الجنازة ، وأنها مجرد قيام وذكر لا ركوع فيها ،  
وقوله : ( مكبراً ) لا خلاف في شرعية التكبير ، وإنما اختلفوا في مقدار ذلك ،  
ف قيل : خمس تكبيرات لحديث ابن أبي ليلي : « كان زيد بن أرقم يكبر على جنازة  
أربعاً وأنه كبر على جنازة خمساً ، فسأله فقال : سنة نبيكم » . وعن حذيفة « أنه  
كبر على جنازة خمساً ثم التفت فقال : ما نسيت ولا وهمت ولكن كبرت كما كبر  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة فكبر خمساً » . وأخرج محمد بن منصور  
« أن علياً كرم الله وجهه كبر على فاطمة رضي الله عنها خمساً » ، وروي « أن  
الحسن كبر على أبيه خمساً » ، وقيل : المشروع أربعاً لحديث علي قال : « لآخر  
جنازة صلى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة رجل من بني  
عبد المطلب ، كبر عليها أربع تكبيرات رواه زيد بن علي في مجموعه ، وعن  
ابن عباس : « آخر ما كبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الجنازة أربعاً » ،  
وروى زيد بن علي عن علي « بأنه كبر أربعاً وخمساً وسبعاً » ، وروى البيهقي  
عن علي « أنه كان يكبر على أهل بدر ستاً وعلى سائري الصحابة خمساً وعلى سائر  
الناس أربعاً » ، وهذه آثار صحيحة لا موجب للمنع عنها فالنبي صلى الله عليه  
وآله وسلم لم يمتنع من الزيادة بل فعله وأصحابه من بعده ، وقد ظهر من ذلك أن  
أقل التكبير أربعاً فلا يجزئ أقل من ذلك . قوله : ( يقرأ في أولاهما بالحمد )  
إشارة إلى ما روي عن ابن عباس « أنه صلى على جنازة ، فقرأ بفاتحة الكتاب  
وقال : لتعلموا أنها سنة » ، وفي رواية للحاكم : « فجهر بالقراءة وقال : إنما  
جهرت لتعلموا أنها سنة » سنده حسن ، وفي مجموع زيد بن علي عن علي أنه قال في  
صلاة الجنازة : « يبدأ في التكبيرة الأولى بالحمد والثناء على الله ، وفي الثانية



بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والثالثة الدعاء لنفسك وللمؤمنين  
والمؤمنات ، وفي الرابعة الدعاء للميت والاستغفار له ، والخامسة يكبر ثم يسلم .  
وقوله : ( ثم الدعاء ) إشارة إلى ما ذكره ابن القيم ، قال : مقصود الصلاة على  
الجنّاة الدعاء للميت . وكذلك حَفِظَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قراءة الفاتحة  
والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وما حفظَ من دعائه : « اللهم اغفر  
له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالثلج والبرد وتقه  
من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً  
خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب  
النار » ، وأشار بقوله : ( وما عدا التكبير .. ) إلى آخره إلى أن الواجب الذي تتم  
به الصلاة على الميت هو التكبير قائماً ، وما عداه فسنة لحديث ابن مسعود : « لم  
يؤقت لنا في الصلاة على الميت قراءة ولا قول كبر ما كبر الإمام وأكثر من طيب  
الكلام » أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وقوله : ( ومثله صلاته على  
النبي ) أي ومثل ما عدا التكبير الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
فهو سنة .

قوله :

هــذا وكل ميت لم يغب	صلى عليه حاضراً أو قَبِراً
صلى على القبر كما قد ذُكِرَا	عكس الذي يموت وهو غائب
كان على الصلاة لا يواظبُ	مع كثرة الأموات فين غابوا
من صحبه فتركها الصوابُ	وقيل سنة عليه ذلُّ
على النجاشي النبي صلى	وقيل بالتفصيل إن يكن لم
صلى عليه أحد فتلزم	

اعلم أنه لا خلاف في أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي على الميت الحاضر

إذا أُوذِنَ به وإذا لم يؤذن به حتى دُفِنَ ففَقِيلَ : أَنه كان يَصلي على القبر . ورد بذلك أَحاديثٌ منها صلاته على قبر البراء بن معرور بعد دفنه بشهر<sup>(١)</sup> ، ومنها صلاته على قبر أم سعيد بن عبادَة أخرجه البيهقي ورواه الطبراني من حديث ابن عباس ، ومنها « صلاته على المرأة السوداء والشاب الذي كانت أو كان يقيم المسجد ففقدوها أو فقد رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فسأل عنها أو عنه فقالوا له : ماتت أو مات . فقال : هَلَّا أَذْنَتُونِي ؟ ، قال : وكأنهم صَغُرُوا أمرها أو أمره ، فقال : دلوني على قبره ، فدلوه فصلى عليه ، ثم قال : إن هذه القبور مظلمة على أهلها وإن الله ينورها بصلاحي عليهم » . وقيل : لا يصلى عليه لما روي عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال : « صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة ، فلما فرغنا من دفنه ، جاء رجل فقال : يا رسول الله لم أدرك الصلاة أفأصلي على القبر ؟ قال : « لا ولكن قم على قبر أخيك فادع له وترحم عليه واستغفر له » ، ولا يخفى ما في الاستدلال بهذا ، إلا إنه قد يقال : إنما المنع لكون الصلاة فرض كفاية قد سقطت بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والنزاع فيمن دفن قبل أن يُصَلَّى عليه . قوله : ( عكس الذي يموت .. ) إلى آخره فيه الإشارة إلى الخلاف في الصلاة على الميت الغائب فقيل : لا تشرع مطلقاً لأنه لم يؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه صلى على غائب مع كثرة من مات من أصحابه غائباً عنه ، وحملوا صلاته على النجاشي على الخصوصية ، وأنه يحتمل أنه رفع له سريرته حتى رآه ، وهذا لا سبيل إليه لغيره صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل : بل يُصَلَّى على الغائب بدليل صلاته على النجاشي ، والخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ، وقيل : بالتفصيل ، فإن كان قد صَلَّى عليه فلا صلاة ، وحمل على ذلك تركه الصلاة على من مات غائباً من

(١) أخرجه البيهقي عن أبي قتادة حديث « أنه صلى على قبر امرأة سوداء » أخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة ، وابن ماجه وابن خزيمة عن أبي سعيد . وحديث الشاب أخرجه أحمد عن أنس . جلال .

أصحابه ، وإلا لزمتم بدليل صلاته على النجاشي لأنه كان كاتباً لإيمانه فلذلك صلى عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

وَسُنَّةٌ لِدَفْنِهَا أَنْ يَتَّبَعَ      وَكَانَ لَا يَقْعُدُ حَتَّى تُوَضَعَ  
بِالْقُرْبِ يَمْشِي خَلْفَهَا أَوِ الْأَمَامَ      لِقَاعِدٍ مَرَّتْ بِهِ سُنُّ الْقِيَامِ  
وَيُكْرَهُ الرُّكُوبُ لَكِنْ إِنْ رَكِبَ      فَخَلْفَهَا قَدْ قِيلَ هَذَا وَنُدِبُ  
أَنْ يَسْرِعُوا فِي مَشْيِهِمْ وَيُعْجِلُوا      فَمَعَهَا كَانَ النَّبِيُّ يَرْمِلُ

أشار بهذا إلى سنن تشييع الجنازة ، فأما مجرد اتباعها والمشي معها فالأدلة بسنيته كثيرة قولاً وفعلًا ، منها حديث أبي هريرة يرفعه : « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل : وما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين ، - وفي رواية - أصفرهما مثل أحد » أخرجه البخاري ومسلم ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه » رواه مسلم والترمذي وابن ماجه ورواه نحوه أحمد عن ابن عمر ، وأما كونه لا يقعد حتى توضع ، فلحديث علي كرم الله وجهه : « قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى توضع وأقام الناس معه ثم قعد بعد ذلك وأمرهم بالقعود » أخرجه البيهقي ، وعن عبادة بن الصامت قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا تبع جنازة لم يقعد حتى توضع في اللحد ، فعرض له خبر من اليهود فقال : إنا هكذا نضع يا محمد ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : خالفوهم واجلسوا » أخرجه أبو داود والترمذي ، والمراد بالوضع الوضع على الأرض ، وقد صرح بذلك أبو هريرة في حديث ذكره ابن القيم . قوله : ( بالقرب يمشي خلفها .. ) إلى آخره أشار به إلى أن السنة المشي إما خلف

الجنّازة أو أمامها فكل ذلك مروى من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ، فعن ابن عمر : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمرَ يمشون أمامَ الجنّازة » أخرجه أصحابُ السنن ، وزاد البخاري : « أنتم مشيعون فامشوا بين يديها وخلفها وعن يمينها وشمالها وقريباً منها » ، وقيل أن المشروع خلف الجنّازة أفضل لقول علي : « إن فضل المشي خلف الجنّازة على المشي أمامها كفضل الصلاة المكتوبة في جماعة على الواحدة » أخرجه أحمد . قوله : ( أن يسرعوا في مشيهم ) أشار به إلى حديث ابن مسعود : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن المشي خلف الجنّازة فقال : دون الخُبيب فإن يكن خيراً عجلتموه وإن كان شراً فبعداً لأهل النار » ، والجنّازة متبوعة ولا تتبع وليس معها من يَقدمها ، قال ابن القيم : وأما مشي الناس اليوم خَطوة فبدعة مكروهة مخالفة للسنة متضمنة التشبه باليهود . قوله : ( ويكره الركوب .. ) إلى آخره فيه إشارة إلى أن المشي هو المأثور من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يُؤثر عنه أنه ركب مع جنّازة ولأن ذلك موطن من مواطن الله التي ينبغي فيها الخُضوع والخُشوع ، وقد كان علي يمشي مع الجنّازة حافياً ، وعن ثوبان قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنّازة فرأى أناساً رُكبناً فقال : ألا تستحيون أن ملائكة الله على أقدامهم وأنتم على ظهور الدواب » أخرجه أبو داود والترمذي ، وقوله : ( إن ركب ) أشار به إلى حديث المغيرة مرفوعاً : « الراكب يمشي خلف الجنّازة ، والماشي كيف شاء منها ، والطفل يصلّي عليه » . وقوله : ( لِقَاعِدِ مَرَّتْ بِهِ .. ) إلخ أشار به إلى حديث جابر : « مَرَّتْ بِنَا جنّازة فقام لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقلنا : يا رسول الله إنها جنّازة يهودي ، قال : إذا رأيتم الجنّازة فقوموا لها » أخرجه الشيخان وأحمد ، وعن علي : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بالقيام للجنّازة ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس » أخرجه أبو داود ومسلم وابن ماجه رواه زيد بن علي عن آبائه عن علي وزاد في آخره قال : « إنه من فعل اليهود » .

وبعد ذاك الدفنُ للأموات      فيما عدا الثلاثة الأوقات  
واللحدُ والتعميقُ والتوسيع      في القبر قد جا به التشريع  
وقولُ بسم الله في سبيله      والحثُ قد رَوَّه عن رسوله  
وقام بعد الدفن فوق قبره      يسألُ تثبيتاً له من أمره

قوله : ( فيما عدا ) إلخ ، أشار به إلى كراهية الدفن في ثلاثة أوقات لحديث عقبة بن عامر قال : « ثلاث ساعات نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا ، حين تطلع الشمس بازغةً حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة ، وحين تضيف حتى تغرب » أخرجه أحمد ومسلم والأربعة ، تضيف بالضاد المعجمة المفتوحة وياء مثناة من تحت مشددة وفاء : أي تميل ، وأما سنية اللحد فلحديث علي رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « اللحد لنا والضرع لغيرنا » رواه زيد بن علي عن آبائه عن علي ، وهو عند أحمد من حديث جرير بلفظ : « اللحد لنا والثرع لغيرنا من أهل الكتاب » <sup>(١)</sup> ، وأما التعميق فلقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « احفروا وأعسقوا وأحسنوا وادفنوا » أخرجه الترمذي والنسائي من حديث ابن هشام بن عامر ، وأما التوسيع فلحديث أخرجه أحمد وأبو داود عن رجل من الأنصار قال : « خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجلس على حفيرة القبر فجعل يُوصي الحافر : أوسع من قبل الرأس » ، وأما التسمية فأشار به إلى حديث علي قال : « قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جنازة رجل من بني عبد المطلب ، فأمر بالسريير فوضع من قبَل رجلي اللحد ثم أمر به فسلَّ سلاً ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ضعوه في حفرته لجنبه الأيمن وقولوا : بسم الله وعلى ملة رسول الله ، ولا تكبُّوه على وجهه ولا تلقوه على قفاه ثم قولوا : اللهم لقَّنه

(١) أخرجه أحمد عن جرير بلفظه .

حجته وصعد بروحه ولقَّه رضواناً فلما ألقى عليه التراب قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحثا عليه ثلاث حثيات ثم أمر بقبره فَرَبَعَ ورَش عليه قربة من ماء ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، ثم قال : اللهم جاف الأرض عن جنبه وصعد بروحه ولقَّه منك رضواناً » ، رواه زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام . قوله : ( وقام بعد الدفن ) أشار به إلى حديث عثمان قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا فرغ من دَفْن الميت وقف عليه فقال : استَغْفِرُوا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل » .

والدَّرْسُ فوق القبر ليس يُشَرَّعَ      كلاً ولا تلقينه المتدع  
وقيل بل كلاهما قد شرعا      لأن فيها دليلاً رُفِعَ

عدم شرعية الدرس فوق القبر ذكره ابن القيم وقال : إنه ليس بسنة ، إلا أنه ناقض قوله هذا في كتاب الروح ، وذكر فيه ما يقضي بكونه مستحباً ، واستدل له بأن جماعة من السلف أوصوا أن يُقْرَأ عند قبورهم ، منهم ابن عمر أوصى أن يُقْرَأ عند قبره بسورة البقرة وغيره ، وأن الأنصار كانوا إذا مات الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون القرآن عنده ، قلت : وذكر السيوطي في جمع الجوامع حديثاً مرفوعاً صريحاً في المقام عن ابن عمر : « إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجله بخاتمة البقرة » أخرجه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان ، وأما التلقين ففيه خلاف بين العلماء وتناقض كلام ابن القيم فيه ، فرجَّح في الهدى أنه يدعه وضَعَّف الحديث الوارد فيه ، ورجح في كتابه ( كتاب الروح ) خلافه مستدلاً له بعمل الناس بالتلقين في سائر الأمصار والأعصار ومن غير نكير ، ولحديث : « اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه الآن يُسأل » ، وجنح القبلي أنه بدعة ، قال : وكذلك عمرو بن العاص أوصى بالوقوف عند قبره مقدار ما يُنْحر جَزور ليستأنس بهم عند مراجعة ربه ،

لا شهادة فيه فإنه لا دلالة فيه عن التلقين ، وإنما هو كغريق يتعلق بما لا ينجيه فإنه حين اختار الدنيا على الدين وحارب أمير المؤمنين ، وعنى بخداعه للمسلمين واستبد بأموالهم حين أقطعه معاوية مصر طعنة له ومات على ذلك فتهول عند حضور الموت وطلب الأنس بغير الله يخليهم مع ذلك الفعل قريباً منه ليستفيد بهم أنساً وهيهات ذاك ، وأما ما ذكره ابن القيم من إطباق الناس على العمل به بلا نكير فممنوع ، فروايته عن أحمد بن حنبل أنه لم يرَ أحداً فعله غير أهل الشام فظاهر في عدم الإطباق ، وأيضاً إن جماهير العلماء يذكرون ذلك في كتبهم ويصرحون بكونه بدعة ، وكل ذلك ظاهر في وقوعه منهم عند من فعله .

وسنة عَزَاءِ أَهْلِ الْمَيِّتِ      أما اجتماعهم له لم يثبت  
ولا لديهم يُجمع الإخوان      لكي عليه يُدرس القرآن  
وسنة أن يُصنع الطعام      لهم ولا عليهم إطعام

أشار بقوله : ( سنة عَزَاءِ أَهْلِ الْمَيِّتِ ) إلى حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من عَزَى مصاباً كان له مثل أجره » رواه الترمذي وابن ماجه . وأشار بقوله أما اجتماعهم له إلى آخره إلى ما ذكره ابن القيم من عدم سنية ما ذكر وأنه لم يكن من هديه أن يجتمعوا للعزاء ويُقرأ له القرآن لا عند القبر ولا غيره ، وقيل : أما إذا قصدوا بالاجتماع التخفيف على المعزى يَقصد كل من أهل الميت إلى منزله فلا بأس به مع ما في ذلك من كثرة الدعاء لهم والميت . قوله : ( ولا لديهم يجمع الإخوان لكي يُدرس القرآن ) هذا أشار به إلى كلام ابن القيم ، وهو كما قال : إلا أنه قد يكون من البدع المستحسنة فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء للميت والاستغفار ، وحسن إهداء ثواب بعض الطاعات ، وأنه يصله ذلك وينفعه ، والقراءة من أعظمها نفعاً ، فإذا اجتمعوا لدرس القرآن بنية إهداء ثواب ذلك له ، فلعله حسنٌ سيما والاجتماع للذكر

مستحب ، والأعمال بالنيات والقرآن سيّد الذكر وأفضله . وأشار بقوله : ( وسنة أن يُصنع الطعام لهم ) إلى آخره إلى حديث عبد الله بن مسعود قال : « لما جاء نعي جعفر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد جاء ما شغلهم ». أخرجه أحمد وأبو داود .

وقوله : ( ولا عليهم إطعام ) ، أشار به إلى ما تعرف به في بعض الجهات من أن أهل الميت يصنعون طعاماً لمن حضر وذلك بدعة منكرة .  
قوله :

والنهي عن تعلية القبور      قد صح في حديثه المشهور  
وعن بناء القباب والمشاهد      أو اتخذوا ذهن كالمساجد  
وعن صلاة أحد إليّها      ووطئها والاتكا عليها  
كذلك التّسريح فوق القبر      النهي عنه واردة للحضر

قال ابن القيم : « نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها ، ونهى عن الصلاة إلى القبور ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً ، وكان هديه أن لا تهان القبور وتوطأ ويجلس عليها ويتكأ عليها ، ولا تعظم بحيث تتخذ مساجداً وأعياداً وأوثاناً » انتهى ، وورد في ذلك عدة أحاديث منها ما رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم السلام : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وحديث أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : اذهب فلا تدع مثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وعن جابر رضي الله عنه : « نهى



رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أن يقصص القبر وأن يُبنى عليه وأن يُتعد عليه وأن يكتب عليه وأن يُوطأ » أخرجه الخمسة إلا البخاري .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في زيارة القبور

وهديه المعروف في الزيارة	رواه كل حافظي آثاره
يُزورهم مُسَلِّماً عليهم	ومُهَدياً دُعَاءَهُ إِلَيْهِمْ
وسَائِلاً عَافِيَةً لَهُمْ وَلَهُ	لامِثْلَ مَا يَفْعَلُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ
من النداء باسم من يزوره	يَحْسَبُ أَنْ تُقْضَى بِهِ أُمُورُهُ
معفراً بِتَرْبَةِ جَبِينِهِ	مُكْثِراً مِنَ الشَّكَا حَنِينِهِ
ورافعاً لصوته كالشاي	إِلَيْهِ ذَا نَوْعٍ مِنَ الْإِشْرَاكِ
والذبح عند القبر للأُنعام	أَشْبَهَ بِالْقُرْبَانِ لِلْأَصْنَامِ

أي هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في زيارة القبور ، الذي رواه عنه حافظو أخباره من الصحابة ، فعن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها منه يخرج إلى البقيع فيقول : السلام عليكم ديار قوم مؤمنين وآتاكم ماتوعدون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لبقيع الغرقد » رواه مسلم وأبو داود والنسائي ، وزاد أبو داود والنسائي : « اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم » . وعن بريدة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة » أخرجه الخمسة إلا البخاري . ومن حديثه عند مسلم والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم

العافية . وعن عائشة قالت : « قلت : كيف أقول يا رسول الله ، تعني في زيارة القبور . قال : قل : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المتقدمين منا والمتأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » أخرجه مسلم . وعن محمد بن النعمان يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غُفِرَ له » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وهو مُغضَّل ، وأخرجه الحكيم والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وهو عند ابن عدي والديلمي وأبو الشيخ وابن النجار عن عائشة عن أبي بكر مرفوعاً بلفظ : « من زار قبري والديه أو أحدهما في كل جمعة مرة فقرأ عنده ﴿ يس ﴾ غُفِرَ له بعدد كل حرف منها » . وعن ابن عمر عند أبي عدي والحكيم نحو ذلك من غير تقييد بالجمعة . وما تقدم من الأحاديث صريح في استحباب زيارة القبور وهو مما لا خلاف فيه في حق الرجال ، وأما النساء فيعارضه : « لعن الله زورات القبور » ، هكذا قال بعضهم ورده بعضهم بأن قوله : ألا فزوروها شمل الرجال والنساء ، وحديث عائشة المتقدم يدل على جواز الزيارة للنساء ، وقيل بل يجمع بين الأحاديث بأن النهي لمن يكثر جزعها مع الزيارة ويقل صبرها أو كانت شابة تخاف الفتنة ، وإذا انتفى ذلك جاز .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الزكاة

فَصَلِّ : وجا في الزكاة الهدي عن خير مُنْزَل عليه الوحيُ  
فإنها تطهرة في المال ونعمة تكون في المال  
أشار الناظم أنها تطهرة إلخ إلى قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [ التوبة ١٠٣/٩ ] ، وإلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه أنس وقد سأله رجل : كيف تُنْفِق ، قال : « تُخْرِج الزكاة ، فإنها تطهرة تُطَهِّرُكَ »

قوله :

وَشَاعَ فِيمَا تَجِبُ الْخِلَافُ      فَقِيلَ قَدْ خُصَّ بِهَا أَصْنَافُ  
أَرْبَعَةٌ مِنْ مَالِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ      أُولَئِهَا فِي سَائِمَاتِ الْأَنْعَامِ  
الثَّانِي الزَّرْعُ مَعَ الثَّامِرِ      ثَالِثُهَا مَا كَانَ لِلتَّجَارِ  
وَالْجَوْهَرَانِ فَضَّةٌ وَذَهَبٌ      رَابِعُهُمَا فِي غَيْرِ ذَا لَا تَجِبُ

أي وقع الاتفاق على وجوب الزكاة في الجملة وقد شاع الخلاف بين العلماء فيما تجب فيه ، فلهم في ذلك مذاهب كثيرة أظهرها ما ذكره الناظم من كون ما تجب أربعة أجناس : أولها الأنعام السائمة ، الثاني الزرع والثمار ، الثالث كل مال أعد للتجارة ، الرابع الذهب والفضة لثبوت الأدلة على ذلك قولاً وفعلاً . قال ابن القيم : « وإنما خص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الأربعة لكونها أكثر الأموال دوراناً بين الناس وحاجاتهم إليها ضرورية » .

قوله :

وَقِيلَ لَا تَجِبُ فِي النَّبَاتِ      فِي غَيْرِ مَا يُعَدُّ لِلْأَقْوَاتِ  
وَقِيلَ بَلْ خَصَّ الدَّلِيلُ أَرْبَعَةً      مِنْهَا وَفِي سَائِرِهَا مَا شَرَعَهُ  
الْبَرَّ وَالزُّبَيْبَ وَالشَّعِيرَا      وَالتَّمْلِيحَ غَيْرَهَا مَذْكُورَا  
وَقِيلَ لَا بَلَّ الْعَمُومِ يَقْضِي      فِي كُلِّ شَيْءٍ نَابِتٍ فِي الْأَرْضِ  
تَجِبُ مِمَّا بَلَغَ النَّصَابَا      وَانْظُرْ دَلِيلَهُمْ تَرَى الصَّوَابَا

أشار بهذا إلى الخلاف الواقع بينهم في الأنواع التي تجب فيها الزكاة مما أنبتت الأرض فقيل : لا تجب إلا في مقتات مدخر ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس في الخضراوات صدقة » أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه راو متروك وروى زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : « ليس في

الخضروات صدقة » وقيل : لا تجب إلا في أربعة : البر والشعير والزبيب والتمر .  
 لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى الين : « لا تأخذَا  
 الصدقة إلا من هذه الأربعة ، الشعير ، والحنطة . والزبيب والتمر » أخرجه الحاكم  
 وصححه البيهقي وقال رجاله ثقات ، قال الظفاري : رجاله رجال الصحيح .  
 وأخرج البيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مثله . وكذا أخرجه ابن  
 ماجه ، زاد : « والذرة » . قال : وقيل تجب في كل ما أنبتت الأرض إلا الحشيش  
 ونحوه فما الناس فيه شركاء لعموم قوله : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [ الأنعام  
 ١٤١/٦ ] ولعموم قوله : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ  
 الْأَرْضِ ﴾ [ البقرة ٢٦٧/٢ ] وعموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « فيما سقت  
 السماء والعيون ، أو كان عَثْرِيَا » بفتح المهملة والمثلثة ، وكسر الراء - العثر وفيما  
 سَقِي بالنضح نصف العشر » أخرجه المؤيد بالله في التجريد ، والبخاري ، وابن  
 حبان ، وابن الجارود ، وأبو داود ، والنسائي قال ابن حجر : قال أبو زرعة :  
 الصحيح وقفه عن ابن عمر ، رواه المؤيد بالله في التجريد ، ومسلم من حديث  
 جابر ، والترمذي ، وابن ماجه عن أبي هريرة والنسائي وابن ماجه من حديث  
 معاذ . ورواه يحيى بن آدم في الخراج من حديث أنس بلفظ ، قَرَضَ رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم : « فيما سقت السماء العشر وفيما سَقِي بالسواني والدوالي  
 والقِرْب والناضح نصف العشر » . وقوله : ( تجب مهما بلغ النصاب ) يعود إلى  
 جميع ما ذكر . فإنه مشروط ببلوغ النصاب على خلاف بينهم فيما أخرجت  
 الأرض ، هل يُشترط فيه نصاب أم يجب في كثيره وقليله واستيفاء أدلة الجميع ،  
 وترجيح راجحها مستوفى في كتب الحديث وشروحه وكتب الفقه كما أشار إليه في  
 قوله : ( وانظر دليلهم ترى الصواب ) .

قوله :

وَقَدَرُهَا وَالْأَنْصَابُ قُدِّرَتْ عَنْ النَّبِيِّ فِي الصَّحَاحِ ذُكِرَتْ

كالعد في الأول والأسنان      وعشر أو نصفه في الثاني  
ورُبُعُه في ثالث ورابع      تفصيلُها في الكتب الجوامع  
والشرط في الكل مُضي الحول      فيما عدا النَّبات فاستمع قولي

أشار بهذا إلى أن الزكاة الم جملة فيما تقدم مقيدة بالمقادير ، ومشروط وجوبها ببلوغ نصاب عيَّنه الشارع ؛ كالعد في الأول وهو في سائمت الأنعام فإن الشارع شرط وجوبها بعدد مخصوص . واعتبر فيه السن كما هو مفصل في كتب الحديث ، وكتب الفقه . واشترط في جميعها السوم لا إذا كانت معلوفة كما أشار بقوله : ( سائمت الأنعام ) . وأما في الصنف الثاني فالقدر فيه هو العُشر ، أو نصفه . وذلك ما أخرجت الأرض ، ونصابه الذي تجب فيه هو ما يبلغ خمسة أوسق من المكيل لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » ، أخرجه الستة ، وبنحوه ، عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام مرفوعاً . والثالث أموال التجارة ، ونصابه ؛ ما بلغ قيمته مئتا درهم ، وفيه ربع العشر ، والرابع الذهب والفضة ، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً ، والفضة مئتا درهم . وقدر الواجب فيها ربع العشر . وأشار بقوله : ( والشرط في الكل ) إلى آخره ، إلى حديث علي عليه السلام مرفوعاً : « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول » أخرجه الترمذي . وقال سنده حسن ، أو صحيح . وهو عند البيهقي في السنن ، وابن ماجه عن عائشة مرفوعاً . ويستثنى من ذلك ما أخرجت الأرض فلا يشترط فيه الحول بل المعتبر الحصاد لقوله تعالى ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [ الأنعام ١٤١/٦ ] .

قوله :

واختلفوا عن النبي في العسل      فقليل لم يأخذ وقيل قد فعل  
اختلفت الأحاديث المروية في الزكاة في العسل ؛ فمنها ما دل على الوجوب ،

ومنها ما دل على عدمه ، فمن ذلك حديث أبي سياره « قلت يا رسول الله إن لي نخلاً . قال أذ العشر . قلت : يا رسول الله احم لي حَبْلَهَا . فحما لي حَبْلَهَا » أخرجه أحمد ، وابن ماجه ، والبيهقي وفيه انقطاع ، قال البيهقي هو أصح ما ورد في وجوب العشر في العسل . وعن ابن عمر مرفوعاً في العسل « في كل عشرة أزقاق زِق » أخرجه الترمذي والبيهقي . وفيه صدقة بن عبيد الله فيه كلام وثقة أبو حاتم وغيره . وقيل : لا يجب لحديث معاذ وأبي موسى المتضمن لحصر ما تجب فيه الزكوة .

مصارفُ الزكاة مَنْ في الآية      يَصْرِفُهَا فِيهِمْ ذَوُوا الْوَلَايَةِ  
كان النبي إن أتاه سائلٌ      وهو لما هو عليه جاهلٌ  
أعطاه مُخبراً له أن القَوِيَّ      لاحق في ذاك له ولا الغني  
وإن يكن يعرفه أعطاه      من سهمه بحسب ما يراه

أشار بهذا إلى مصارف الزكاة المذكورين في الآية . وهو قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ [ التوبة ٦٠/٩ ] إلخ الآية . وفي تعريف الفقير اختلاف بين العلماء رجَّح بعض العلماء المتأخرين قول من قال ، إنه الذي لم يكن له مال يكفيهِ . الثاني المسكين وهو دون الفقير لما نبّه عليه وصفه بالمرتبة في قوله تعالى : ﴿ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [ البلد ١٦/٩٠ ] . أي من يلصق جسمه بالتراب من العري . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يُغْنِيهِ ، ولا يُفْطِنَ له فيتصدق عليه ، ولا يَقُومُ فيسأل الناس » أخرجه أحمد والشيخان . الثالث ؛ العامل ، وهو الذي يتولى جمع الصدقة ، المجتهد في أخذها ، فيعطى منها بحسب ما يراه من وِلَاة . الرابع ؛ المؤلفة قلوبهم ، وهو من يُعطى لدفع شره ، أو فساد ، أو طمعاً في إسلامه . الخامس ؛ الرقاب ، وهم المكاتبون يُعانون على الكتابة . السادس ؛

الغارمُ ، وهو المدين . السابِعُ ؛ سبيل الله ، وهو المجاهد . وقيل بل يعم كلما يصدق عليه سبيل الله من أنواع الخير والمصالح العامة . وجنح إلى هذا القبلي في المنار . الثامن ؛ ابن السبيل ، وهو المسافر المنقطع ، فيعطى منها ما يبلغه إلى وطنه ولو غنياً . وأشار بقوله : ( يصرفها فيهم ) إلى آخره إلى أن ولاية صرف الزكاة إلى أولي الأمر لفعله صلى الله عليه وآله وسلم بيعته للسعاة ، وأشار بقوله : ( بأن النبي إن أتاه ) إلخ . إلى حديث عبيد بن عدي أن رجلين أخبراه بأنها أتيا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسألانه من الصدقة فقلب بهما البصر فرأهما جُلدين فقال : « إن شئتما أعطيتكما ولا حق فيهما لغني ولا لقوي مكتسب » أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ، وعن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي ولا لذي مرة سوي <sup>(١)</sup> » .

قوله :

وهديهِ يَبْعَثُ لِلزَّكَاةِ      سَعَاتِهِ وَالْأَمْرَ لِلسَّعَاةِ  
بأنه يُعْطِي ذَوُوا اسْتِحْقَاق      في بلد المال وحمل الباقي  
وإن مِنْ أَوْسَطِهَا يَخْتَار      لا يُؤْخَذُ الْخِيَارَ وَالشَّرَارَ

أشار بهذا إلى ما ذكره ابن القيم قال كان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم تفريق الزكاة على المستحقين ، الذي في بلد المال وما فَضَّلَ مِنْهَا حُمْلَ إِلَيْهِ وَكَانَ يَبْعَثُ سَعَاتِهِ إِلَى الْبُوَادِي ، ولم يكن يبعثهم إلى القرى ، بل أمر معاذاً أن يأخذ الصدقة من أهل اليمن ويعطيها فقرائهم ، ولم يأمره بحملها إليه . ولم يكن يبعث سعاته إلا إلى الأموال الظاهرة من المواشي ، وأشار بقوله : ( وإن من أوسطها )

(١) المرة :: القوة والشدة ، والسوي : الصحيح الأعضاء ( نهاية ) .

إلخ إلى حديث معاذ ، وفيه النهي له أن يأخذ كرائم الأموال ، وأما الثاني ؛ وهو الشرار ، فلقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ ﴾ [ البقرة ٢٦٧/٢ ] إلخ الآية .

وقد دعا لِمَنْ بها يَأْتِيهِ بقوله اللهم بَارِكْ فِيهِ

أشار بهذا إلى ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث ابن أبي أوفى قال :  
« كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى » .

والخرصُ للأغراب والنخيل جلا بذلك وضحُ الدليل  
يَأْمُرُ مَنْ يَخْرِصُهُ أَنْ يَدَعَ ثَلَاثَ مَا خَرَصَهُ أَوْ رُبْعًا

أشار بقوله : ( والخرص ) إلخ إلى حديث عائشة ، قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث ابن رواحة فيخرص التمر حين يطيب الثمار فيخير يَهُودَ أَنْ يَأْخُذُوهُ بِذَلِكَ الْخَرْصِ أَوْ يَدْفَعُوهُ إِلَيْهِ بِهِ لِكَيْ يَحْصِرَ الزَّكَاةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْكُلَ الثَّمَارُ » أخرجه أبو داود . وأما ترك بعض الصدقة في الخرص ، فذلك لما يعرض بالثمار من الآفات وفيه حديث سهل بن أبي خثمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : « إِذَا خَرَصْتُمْ فَخُذُوا وَدَعُوا الثَّلَاثَ فَإِنْ لَمْ تَدَعُوا الثَّلَاثَ ، فَالرَّبْعَ » . وعن جابر مرفوعاً : « خَفَفُوا فِي الْخَرْصِ فَإِنْ فِي الْمَالِ الْأَكْلَةُ وَالْعَرِيَّةُ وَالْوِاطِئَةُ » <sup>(١)</sup> .

(١) الواطئة : سقطة التمر تنبع فتوطأ بالأقدام . فاعله بمعنى مفعوله ( نهاية ) .



## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في زكاة الفِطر

والفرضُ كان في زكاة الفِطرُ صاعاً من الشعير أو من تمر  
أو نَحْوَهُ وَنِصْفَ صَاعٍ بَرّاً عَمَّنْ يُبَانُ ذَكَراً أو حِراً  
وَضَدَّ ذَيْنِ قَبْلُ أَنْ تُصَلَّى صَلَاةَ عِيدٍ قَبْلَ ذَلِكَ أَوَّلَى  
وَقِيلَ بَلْ مِنْ بَعْدِ لَنْ تُصَحَّ كَالنَّحْرِ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْأَضْحَى  
يَصْرِفُهَا قَبْلَ أَدَا الصَّلَاةِ لَيْسَ عَلَى مَصَارِفِ الزَّكَاةِ  
بَلْ فِي الْمَسَاكِينِ وَقِيلَ بَلْ هُمْ فِي هَذِهِ كَتَلَكْ صَنَفَ مَعَهُمْ

أشار بهذا إلى حديث أبي سعيد المتفق عليه قال : « كنا نخرج زكاة الفطر  
ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا ثلاثة أصناف ؛ صاعاً من طعام أو صاعاً  
من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أَقِطٍ » وأما كونها نصف  
صاع من بر فلما رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « صدقة الفطر على المرء المسلم يخرجها عن  
نفسه وعن في عياله صغيراً كان أو كبيراً ، ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً نصف صاع  
من بر أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير » وقوله ضد ذين : الأثنى والحر لما رواه  
الدارقطني عن ابن عمر مرفوعاً : « زكاة الفطر على الصغير والكبير والحر والعبد  
والذكر والأنثى ممن يموتون » وأما وقت إخراجها فالسنة أن تؤدي قبل الصلاة ،  
لحديث ابن عمر رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرض  
زكاة الفطر ، وأمر أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة » متفق عليه ، فإن لم  
تخرجها قبل صلاة العيد ، فاختلف في صحتها بعد وإلى ذلك أشار بقوله ، وقيل  
إلخ أي بعد فعل الصلاة ، لحديث ابن عمر المتقدم ، ولحديث ابن عباس مرفوعاً :  
« فرض زكاة الفطر طهرة للصيام من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » أخرجه  
أبو داود ، وابن ماجه ، والدارقطني ، وأخرجه الحاكم من طريق عكرمة ، وفيه :

« من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات » وقوله: ( ليس على مصارف الزكاة ) ، إشارة إلى الخلاف في مصرف الفطرة فقيل : مصرف الزكاة ، وقيل يخص به المساكين . واستدل بما رواه البيهقي وابن سعد في ( الطبقات ) عن عائشة رضي الله عنها وابن عمر وأبي سعيد من حديث طويل وأمر فيه ؛ يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأخذها قبل الصلاة ، وقال : اغنوم ؛ يعني المساكين ، عن طواف هذا اليوم .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صدقة التطوع

والهدي في صدقة التطوع	هدي النبي الصادق المشرع
من طبعه اللازم حُب الإعطا	فكان لا يُسأل إلا أعطى
يُعطي الذي يجد عند المسألة	كأنما يُمناه ريح مُرسلة
بقوته وباللباس يؤثر	إن جاءه ذو حاجة مفتقر
إن قل مامعه أو كثرا	أعطى ولم يكن له مستكثرا

أشار بهذا إلى بيان هديه صلى الله عليه وآله وسلم في عطائه وصدقته ، ولا ريب في أنه أكرم الناس ، وأسخاهم وأجودهم وأسمحهم على الإطلاق . وكان لا يُسأل إلا أعطى فعن جابر قال : « ماسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً قط فقال لا » متفق عليه . وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » قال ابن القيم : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العطاء أحب شيء إليه ، وكان فرحه وسروره بما أعطى أكثر من سرور الأخذ بما أخذ ، وكان إذا عرض له محتاج أثره على نفسه تارة بطعامه ، وتارة بلباسه » . وكان يعطي نوافل مامعه أو كثر ولم يكن مستكثراً .

عطاؤه كان على أصنافٍ      حيناً على هدية يكافي  
بالضعف أو أضعافها وحيناً      صدقةً يُغني به المسكينا  
وتارةً يُهدي وحيناً يهبُ      لسائلٍ به ولمن لا يطلب  
وكان يقترض ثم يقضي      أكثر من لازمه بالقرض  
وقد شرى السلعة ثم سلّم      أكثر من قيمتها ورُبّما  
أعطاه مع ثمنها من باع      منوعاً عطائه أنواعاً

أي كان عطاؤه صلى الله عليه وآله وسلم أصنافاً ؛ منها مكافأة له على الهدية كما في حديث معوذ بن عَفْرَاء قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصاع من رُطْبٍ وقِثَاء فأعطاني ملاً كفيه حلياً وذهباً » أخرجه الترمذي . وعن أبي هريرة « أن أعرابياً أهدى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بكرةً فعوضه بها ست بكرات » أخرجه أبو داود والترمذي وتارة كان يُهدي لما روته أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لها : « إني أهديت للنجاشي حُلَّةً وأواق مسك » الحديث . وأما كونه كان يقترض للسائل ثم يقضي الذي اقترض منه أكثر من ذلك فلما في حديث أبي هريرة « أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلٌ يسأله فاستلف له صلى الله عليه وآله وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضى فأعطاه وسقاً وقال : نصف وسق قضاء ونصف نائل » . وأما إعطاؤه أكثر من الذي اشتراه وأعطاه ذلك مع الثمن ففيه حديث جابر في غزوة ذات الرقاع « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرى منه جَمَلَه أعطاه الثمن وزاد شيئاً ثم أعطاه مع ذلك الجَمَل » وفي الحديث قصة استوفائها الناظم في ( بلوغ المراد ) والأحاديث في تنويع عطائه كثيرة مشهورة لا يحتملها هذا المختصر .

والجودُ من أسبابِ الصدرِ      وأنها في العَدِّ فوق العِشرِ  
ذَكَرَها في هديهِ ابنُ القيمِ      فأعْمَلُ بها عن ضيقِ صدرِ تسَلِّمِ

أشار بهذا إلى ما ذكره ابن القيم في ( الهدى ) من أن لشرح الصدر أسباباً منها الكرم والجود فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيباً في شرح الصدر لذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشرح الناس صدرأ وأنعمهم قلباً ، وأطيبهم نفساً ، وإنصافاً إلى ذلك ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها . وشرح صدره حسياً ؛ بإخراج حظ الشيطان من قلبه ، ثم عقد ابن القيم فصلاً في أسباب شرح الصدر ، فأولها التوحيد ، وعلى قدر قوته وكاله وضعفه يكون شرح صدر صاحبه ﴿ أَقَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [ الزمر ٢٢/٣٩ ] ومنها العلم فإنه يشرح الصدر ويوسع حتى يكون أوسع من الدنيا ، وعكسه الجهل فإنه يضيق الصدر . وليس هذا بكل علم بل العلم النافع وهو العلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنها ؛ الإنابة إلى الله ، والتوكل عليه في كل الأمور . ومنها إخلاص المحبة له ، والإقبال عليه بكل القلب . ومنها دوام الذكر والملازمة له في كل حال ، وفي كل موطن ، وللغفلة تأثير في ضيق الصدر وخرجه ، ومنها الإحسان إلى الخلق بما يمكن فعله لهم من الجاه والمال .

ومنها : الشجاعة ؛ فالشجاع منشرح الصدر ، وطيب النفس ، وعكسه الجبان . ومنها ، بل أعظمها إخراج وغل القلب وتنزيهه عن الصفات المذمومة من الحسد والحقد والكبر فإنها موجبة لضيقه ، وتحول بينه وبين خصال البر .

ومنها : الحلم والصفح عن المسيء وقت القدرة فإن لذلك تأثيراً عجيباً في شرح الصدر .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الصيام

فصل يَخُصُّ الهدي في الصيام والقصد حبس النفس عن شهوات كسراً لها بالجوع عن سورتها لتستعد للذي أراده مذكراً لها الفقير الجائعاً وإن في الصوم لتعديل القوى وكم وكَم في الصوم من مَنَافِع قد قال ربُّ الناس في ترغيبه وإنه ركن من الإسلام وفطمها عن درء مألوفات وقُل ما يَضُرُّ من حدتها منها إلهها من العِبادة وربما الشبع أنسى الشابعا وهو لذي البائة أنفع الدوا لو جُمِعَتْ لَجاء باباً واسعاً الصوم لي وأنا أجزي به

أشار بهذا إلى حديث ابن عمر عند أحمد والشيخين والترمذي والنسائي وابن حبان والدارقطني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بني الإسلام على خمس . شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان » . وقوله على خمس أي خمس دعائم ، وفي رواية « على خمسة » أي خمسة أركان ولشرعية الصَّوم فوائد كثيرة تفرَّد بعلم جميعها علام الغيوب ، وتفضل على بعض عبادته بمعرفة جزئيات يسيرة ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : والقصد حبس النفس إلخ ؛ أي القصد من شرعية منع العبد نفسه عن شهواتها ، لما يترتب على ذلك من مصالحه التي لا تنال بغير ذلك . كما نبه عليه حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان » <sup>(١)</sup> ،

(١) أخرجه أحمد والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرک ، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر بلفظه .

وقوله : ( كسراً لها ) إلخ ؛ أي للنفس . والسورة بالفتح ؛ أي الثورة فإنها وإن لم تمنع وتكسر عن ثورتها جمحت في ميدان الشهوات فتستولي الغفلة عليها عما أريد منها من العبادة ، وإذا كُسرَت شوكتها استعدت لما خَلِقت له . وقول : ( مذكراً لها ) ؛ أي الصوم يذكر الصائم ، بالفقير الجائع ويحمله على الصدقة فإن الشيع ، ربما يُنسى الشايع فيغفل عن ذكر الجائع . وأشار بقوله : ( وإن في الصوم ) إلخ . إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اغزوا تغنوا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا » أخرجه الطبراني في الأوسط ، وأشار بقوله : ( وهو لذي البائة ) إلخ إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » <sup>(١)</sup> وقوله : ( ومم ومم في الصوم من منافع ) . يعني إن ما ذكر من الحكم ليس إلا من النزر الحقيق . وقوله : ( قد قال رب الناس ) إلخ . أشار به إلى لفظ حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » إلخ وقد استشكل الحديث بأن العبادات كلها له وأنه هو الذي يجازي <sup>(٢)</sup> على الأعمال كلها فإوجه تخصيص الصوم به . وأجيب بأجوبة كثيرة منها ؛ أنه لا يدخله الرياء لحديث أبي هريرة مرفوعاً « الصيام لارياء فيه » وقيل : إنه لم يعبد بالصوم سواه .

وَأَنَّ شَهْرَ الصَّوْمِ خَيْرُ شَهْرٍ      وَصَوْمُهُ فَرَضُ بَنَصِ الذِّكْرِ  
عَلَى مَكْلَفٍ بَلَّا تَخْيِيرٍ      إِلَّا لِشَيْخٍ عَاجِزٍ كَبِيرٍ  
فَإِنَّهُ يَصُومُ أَوْ يَكْفُرُ      وَغَيْرُهُ يَقْضِي إِذْمَا يَفْطُرُ

(١) أخرجه أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربع عن ابن مسعود بلفظه وزيادة في وسطه ، وهي قوله ( بعد فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع .. ) ( الخبر بلفظه ) .

(٢) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة من أنباء حديث فيه طول .

كمرضع أو حامل أو ذي سفرٍ أو مرض يخشى من الصوم الضرر  
المراد بشهر الصوم ؛ شهر رمضان ، وأشار بقوله خير شهر إلى حديث  
أبي سعيد مرفوعاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سيد الشهور  
شهر رمضان وأعظمها حرمة شهر ذي الحجة » <sup>(١)</sup> وقوله : ( على مكلف ) إلخ أي  
لا يجب على غير مكلف ، كالصبي والمجنون إجماعاً وإنما يجب على كل مكلف وأشار  
بقوله : ( بلا تخيير ) إلى حديث سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية  
﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَ فِدْيَةَ طَعَامٍ مِسْكِينَ ﴾ [ البقرة ١٨٤/٢ ] ، كان من أراد  
أن يصوم صام ، ومن أراد أن يفطر ويفدي أفطر ، فنسخها قوله تعالى ﴿ فَمَنْ  
شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [ البقرة ١٨٥/٢ ] أخرجه الستة إلا الموطأ . والنسخ  
إنما في حق غير الشيخ الكبير والمرأة العاجزين عن الصوم وقوله ( وغيره يقضي  
أي غير من لم يباح له الفطر بالعجز والكبر من يباح له الإفطار لعذر فيجب عليه  
القضاء ، كالمرض والحامل لحديث زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليهم  
السلام أنه قال : « لما أنزل الله فريضة صوم شهر رمضان أتت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم امرأة فقالت يا رسول الله إني امرأة حبلى وهذا شهر رمضان مفروض  
وأنا أخاف على ما في بطني ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : انطلقى  
فأطري ، وإذا أطقت فصومي ، وأتته امرأة مرضعة فقالت يا رسول الله هذا شهر  
رمضان مفروض وأنا أخاف إن صمت أن ينقطع لبنى فيهلك ولدي فقال :  
انطلقى فأطري فإذا أطقت فصومي » الحديث . وأما المسافر والمريض فقد نص  
الله تعالى في كتابه على إباحة الفطر لها وعلى وجوب القضاء عليهما والمراد بالمرض  
هو المشقة لا مطلق المرض الذي لا مشقة عليه فيه أو فيه مشقة لا يعتد لمثلها .

وقيل : لا يشترط ذلك بل المعتبر ما يسمى مرضاً لغة ولو خفيف لامشقة  
فيه على المريض لإطلاق الأمر .

(١) أخرجه البزار والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد بن قيس .

وهديه أن يُكثّر الطاعات      فيه من الصّلاة والصّلاتِ  
والاعتكاف فيه والإحسان      إلى الورى والدرس للقرآن  
يُخصّه عن سائر الشهور      بكل فعل صالح مبرور  
يُدارس القرآن فيه جبريل      لأنه بالنص شهر التنزيل

أشار بهذا إلى ما كان عليه هديه صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان من الاستكثار فيه من الطاعات . أما الصلاة فقالت عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيرها ، وعنهما كان إذا دخلت العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وشد المنزر ، وأما الصّلات فالمراد صلة الأرحام والصدقات والإحسان لما روي عن ابن عباس أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل ، فكان يلقاه جبريل كل ليلة في رمضان يعرض عليه القرآن حتى ينسلخ » ، وفي رواية كان يُدارسه القرآن ، وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل » وأما الاعتكاف فسياقي الكلام عليه في بابه .

وكان لا يصوم قبل أن يرى      هلاله أو من رآه أخبرا  
فالصوم في آخر شعبان      مجوّزاً لكونه من رمضان  
قد صح عنه النهي قيل حتماً      وقيل لا إذا الهلال غمما  
إذ صامه عليّ الإمام      وعمر وغيرهم قد صاموا  
والترك فيه للصيام أفضل      لقوله إن حال غيم فاكلوا  
وهكذا الكلام في الإفطار      برؤية تكون أو إخبار

أشار بقوله : ( وكان لا يصوم ... إلخ ) ، إلى هديه صلى الله عليه وآله وسلم



في الدخول في صوم رمضان والخروج عنه ، فالمعروف من هديه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يصوم إلا لرؤية الهلال إما أن يراه هو أو يراه غيره ويُخبر برؤيته هذا هو المأثور المعروف عنه فعلاً وقولاً أمراً ونهياً ، أما الفعل فلم ينقل عنه من طرق صحيحة أنه كان يتقدم رمضان بصوم ، وروي عن عائشة أنها قالت : « كان رسول الله يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فإن غم عليه عدّ ثلاثين يوماً ثم صام » أخرجه أبو داود ، ومعنى يتحفظ أي يتكلف لتحفظ بعد أيامه ومعرفة أول دخوله وأما أمره بالصوم للرؤية ونهيه عن الصوم قبلها ففيها عدة أحاديث ، ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدرُوا له » ، وفي رواية عن أبي هريرة يرفعه : « لا يتقدم أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل يصوم صوماً فليصم ذلك اليوم » ، وفي رواية عن أبي هريرة : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة » ، وفي رواية فأكملوا عدة شعبان ثلاثين أخرجه الستة إلا الترمذي ، وقيل : لا يحرم صومه أي آخر شعبان مطلقاً وقيل إن صامه بنية مقطوعة لكونه من رمضان حَرَم وإلا فلا ، وهذا هو الذي تنصرف إليه أحاديثُ النهي ، وقيل : إن كانت السماء مغية بحيث يظن أنه لولا حال الغيم عن رؤية الهلال لرؤي ، فهذا لا يكره صومه بل يستحب ، وقيل : إن كانت السماء صاحية ومحل الهلال صاف خال عن السحاب وتراه الناس فلم يره أحد فهذا هو الذي يكره صومه استدلال الجميع بما أشار إليه الناظم من قوله : ( إذ صامه علي عليه السلام ... إلخ ) ، وهي آثار كثيرة عن كثير من كبار الصحابة وساداتهم أنهم صاموه ، بل ذكر الإمام المؤيد بالله في ( التجريد ) عن أبي بكر بن أبي شيبة أنه روى عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصوم يومَ الشك ، وهذا الخبر إن صح فهو قاطع للنزاع ، ويؤيد ذلك أحاديثُ الترغيب في مطلق الصوم وفي شعبان بخصوصه ،

وكلها عامة شاملة ليوم الشك ، وبذلك فيظهر أن النهي مَحْمُولٌ على الكراهة .

يَأْمُرُ بِالصَّوْمِ لِقَوْلِ الشَّاهِدِ	رَأَيْتُهُ وَيَكْتَفِي بِوَاحِدٍ
لَا الْفِطْرَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اثْنَانِ	قَدْ شَهِدَا فَحَالُ يَأْتِيَانِ
يَأْمُرُ بِالْإِفْطَارِ لَا الصَّلَاةِ	فَفِي غَدٍ تَكُونُ لِلْفَوَاتِ
وَقِيلَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا اثْنَانِ	فِطْرًا وَصَوْمًا فَهِيَ سَيَانِ
وَقِيلَ فِيهَا بِقَوْلِ الْوَاحِدِ	يُعْمَلُ فَلْيَنْظُرْ بَعَيْنَ النَّاقِدِ

أشار بقوله : ( يأمر بالصوم ... ) إلخ البيت إلى حديث ابن عباس عند أبي داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني قال : « جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : رأيتُ الهلال قال : أتشهد أن لا إله إلا الله ، قال : نعم ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ، قال : نعم ، قال : يا بلال أذن في الناس أن يصوموا » ، وإلى ما أخرجه أبو داود عن أبي حراش عن رجل من الصحابة ، قال : « اختلف الناس في آخر رمضان ، فقام أعرابيان فشهدا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالله لأهل الهلال أمس ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يفطروا » ، وأشار بقوله : « لا يقبل إلا اثنان » إلى الحديث ، أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عبد الله بن يزيد أنه خطب الناس بالموسم . فقال : يا أيها الناس إننا قد شهدنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعنا منهم وحدثونا بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صوموا لرؤية الهلال وأفطروا لرؤيته ، فإن خفي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً ، وإن شهد ذوا عدل فصوموا لرؤيتها وأفطروا لها وأنسكوا لها » ، وقوله : ( وقيل فيها بقول الواحد ... ) إلخ ، استدل القائلون بذلك بأنه قد قام الدليل على قبول خبر الواحد كما ذهب إليه جماهير المحققين ، وقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر الواحد في أول شهر رمضان ، فكذلك يقبل خبر الواحد في أول شهر شوال ، وأما

أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يَقْبَلَ الإِثْنَانِ فلا يلزم منه أن لا يَقْبَلَ الواحد ، وأشار بقوله : ( يَأْمُرُ بِالْإِفْطَارِ لَا الصَّلَاةَ ... ) إلخ ، إلى حديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار أنهم قالوا : « غُمَ عَلَيْنَا شَهْرُ شَوَّالٍ فَأَصْبَحْنَا صِيَامًا . فَجَاءَ رَكْبٌ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فَشَهِدُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ رَأَوْا الْهَلَالَ بِالْأَمْسِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَفْطُرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ وَأَنْ يَخْرُجُوا لِفَدْمِ » أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان ، قال الظفاري : صححه غير واحد .

من هديه في صومه السحورَ لكنه قد نُدِبَ التَّأخيرَ  
لا الفطرَ فالتعجيل فيه أولى عند الغروب قبل أن يصلى  
صلاة مغرب بنحو وترٍ مع الدعاء عنده والذكر

أشار بهذا إلى حديث أنسٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تسحروا فإن السحور بركة » أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي ، وعن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إِنْ فَضَّلَ بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ الْيَهُودِ أَكَلَةُ السَّحْرِ » أخرجه مسلم وأهل السنن ، وقوله : ( لا الفطر ) ... إلخ ، أشار به إلى حديث سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لَا تَزَالُ أُمْتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَلُوا الْفِطْرَ » . وعند الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، قال الله تعالى : « أَحِبَّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلَهُمْ فِطْرًا » ، وأما كونه كان يفطر قبل أن يصلي بتمرٍ ، ففيه حديث عن سلمان بن عامر أخرجه أبو داود والترمذي ، يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ » ، وأشار بقوله : ( مع الدعاء ) إلى ما رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول إذا أفطر : « اللَّهُمَّ لَكَ صُمْنَا وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا فَتَقَبَّلْ مِنَّا » ، وحديث ابن عمر عند أبي داود والنسائي قال : « كَانَ

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أفطر يقول : ذهب الظمُ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله .

وَيَبْتَ النِّيَّةَ حَيْثُ أَمَكْنَ حَتَّى لِوَأَجِبٍ وَلَوْ مُعِينًا

أشار به إلى حديث حفصة : « من لم يجمع الصيام من الليل فلا صيام له »<sup>(١)</sup> ، وقوله : ( ولو مُعِينًا ) فيه إشارة إلى خلاف من يقول : لا يجب إلا في الواجب المطلق كالنذر غير المعين والكفارة ، وأما عدم اشتراط التبييت في صوم التطوع ، فلما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا لم يجد الغداء قال إني إذن أصوم .

وَصَحَّ نَهْيُهُ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ لِلْأَيَّامِ بِاللَّيَالِي

أشار به إلى حديث ابن عمر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الوصال : فقليل : إنك تواصل ، فقال : إني لست كأحدكم ، إني أبيتُ أطعمُ وأسقي » ، وفي رواية عن أنس : « إني أبيتُ أطعمُ وأسقي » أخرجه الشيخان . قال ابن القيم في المهدى مالفظة : المراد في قوله : « إني أبيتُ أطعمُ وأسقي » : ما يُغذيه الله به من معارفه وما يُفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينيه لقربه وتنعمه بحبه ، وتوابع ذلك من الأحوال هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وللقلب والروح بها أعظم غذاء وأنفعه ، وقد يقوى هذا حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمن كما قيل لها :

لها أحاديثٌ عن ذكراك تشغلها	عن الشراب وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نورٌ يستضاء به	ومن حديثك في أعقابها حاد
إذا شكت من كلال السير أوعدها	روح القدوم فتجئ عند ميعاد

(١) أخرجه أحد وغيره عنها بلفظه مرفوعاً .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم فيما يفطر الصائم

قوله : ويفطر الصائم بالإجماع بالأكل والشرب وبالإجماع والخلف في حجامه وقيء لكنه صح عن النبي قد أفطر الحاجم والمحجوم له ولم يصح أنه قد فعله

الفطر بالأكل والشرب والإجماع مما لا خلاف فيه مع العمدة ، وسيأتي الكلام في الناسي إن شاء الله واختلف في الحجامه والقيء ، فقيل لا يفطران لحديث أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاث لا يفطرن ، الحجامه ، والقيء والاحتلام » أخرجه الترمذي وضعفه ، وعند الطبراني من حديث ثوبان : « ثلاث لا يمنعن الصيام ، الحجامه والقيء والاحتلام » ، وفي خصوص الحجامه حديث ابن عباس « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجم وهو مُحَرَّمٌ ، واحتجم وهو صائم » ، وقيل أنها يُفَطِّران ، أما الحجامه فلحديث : « أفطر الحاجم والمحجوم له » ، قالوا : وأما الحاجم فلا يخلو أن يَدْخُلَ في جوفه شيء من الدم ، وأما المحجوم فلما يعرض له من الضعف ، وأما القِيء فلحديث معدان بن أبي طلحة أن أبا الدرداء أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاء فأفطر ، وقال بعضهم في القِيء إن كان باستدعائه واستقاء أفطر لحديث ثوبان ؛ وفيه : ولا يتقيأ متعمداً ، ولحديث « من دَرَعه القِيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض » أخرجه الدارمي والطحاوي وأصحاب السنن وابن حبان وابن عساكر والحاكم وصححه على شرط الشيخين ، قال المؤلف : والذي يظهر في المسألتين والله أعلم ؛ إنَّ القِيء إن لم يكن باستدعاء ولا تسبب له فلا فطر به لعدم انتهاض حديث معدان على الدلالة على ذلك لما فيه من الاختلاف والاضطراب ، وعلى فرض صحته فهو محمول أن النبي استقاء وأما إذا كان القِيء باستدعاء واستقاء ، فالأحوط أن يلزم المستقيء إن كان صومه واجباً أن يقضي

يوماً مكانه احتياطاً فإنّ الحديث الدال على فطر المتعمد قوي لولا ما عارضه « ثلاث لا يفطرن » ، وكذا نقول في الحجامة أن الأخط عدم جواز الحجامة للصائم فرضاً فإن فعل لعذر أمسك ولزمه القضاء احتياطاً لتعارض الأحاديث فيها .

والأكل والشرب مع النسيان      يختلف فيه لهم قولان  
وأظهر القولين لا فطر كما      لا إثم فـ الله سقى وأطعم

أشار إلى الخلاف في الصائم إذا أكل وشرب ناسياً ، ف قيل : يفطر لأن الصيام قد فات ركنه ، وهو من باب المأمورات ، والقاعدة أن النسيان لا يؤثر في باب المأمورات ، وقيل : لا يفطر لما أشار إليه الناظم بقوله : ( فالله سقى وأطعم ) ، وهو حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من نسي فأكل أو شرب وهو صائم فليتم صومه وإنما الله أطعمه وسقاه » متفق عليه ؛ وفي رواية ابن حبان والحاكم والدارقطني وابن جرير والطبراني في الأوسط بلفظ : « إذا أكل الصائم ناسياً فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه » ، قال المؤلف الحديث عند مسلم من هذه الطريق وليست هذه الزيادة فيه وقد روى أحمد وعبد بن حميد في مسنده في سبب الحديث عن أم إسحاق « أنها كانت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتي بقصعة من ثريد فأكل وأكلت معه ثم تذكرت أنها صائمة ، فقال ذو اليمين : الآن وقد شبع ، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أمتي صومك فإنما هو رزق ساقه الله إليك » ، وروى زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : « مَنْ أكل ناسياً لم ينتقص صيامه فإنما ذلك رزق رزقه الله » .

وجنباً أصبح ثم اغتسل      فصام وهو صائم قد قبل  
أشار بهذا إلى الخلاف في صحة صوم من أصبح جنباً ، فالجمهور على صحته

لقلوه تعالى : ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ البقرة ١٨٧/٢ ، فقد جعل جلّ وعلا غاية الإباحة لمباشرة النساء ، تَبَيَّنَ الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، ومن لازم ذلك أن لا يغتسل إلا بعد التَّبَيُّنِ ، ولحديث عائشة وأم سلمة عند الشيخين وغيرها قالتا : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصبح جنباً من غير احتلام ثم يصوم » ، زاد مسلم : « ولا يقضي » ، وفي مجموع زيد بن علي بسنده إلى علي ، قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه يقطر ، فصلّى بنا الفجر في شهر رمضان وكانت ليلة أم سلمة فأتيته فساألته فقالت : نعم كان ذلك بجماع من غير احتلام فأتى رسول الله صيام ذلك اليوم ولم يقضه » ، وأما حديث أبي هريرة : « من أصبح جنباً فلا صوم له » أخرجه الشيخان عن أبي هريرة فقد رجع عنه لما أخبر بما قالتاه عائشة وأم سلمة واعتذر بأنه إنما أخبره بهذا الحديث الفضل بن عباس ، وفي رواية : أسامة . وأشار بقوله : ( وهو صائم قد قبل ) إلى حديث عائشة وأم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبل وهو صائم أخرجه الشيخان وغيرها ، وفي رواية بأن الصيام كان فرضاً ، وفي رواية أبي داود عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبلها ويَمُصُّ لسانها وهو صائم » قال ابن حجر : اسناده ضعيف .

وقوله :

وَتَرَكْ كُلَّ خَصْلَةٍ ذَمِيَّةٍ      كالْفُحْشِ وَالْغَيْبَةِ وَالنِّمَةِ  
شَرْطٌ لِنَيْلِ الْأَجْرِ بِالصِّيَامِ      لا نفس ترك الشرب والطعام

أشار بهذا إلى ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التهيب للصائم عن ملابسة مذام الخصال وقبائح الأفعال والأقوال وإن كان ممنوعاً من ذلك على كل حال ، إلا أنه في حال الصيام أشدّ فإنه يبطل به عليه ثواب هذه

العبادة ، وفي ذلك عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » أخرجه البخاري وأهل السنن عن أبي هريرة ، وعن أبي هريرة مرفوعاً : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » أخرجه النسائي وابن خزيمة والحاكم .

ومن يكن أنشأ فيه سفره يَفْطِر ولا مسافة مقدَّره ولا اعتبار أن يُجَاوِز البيوت فليس للدليل فيها ثبوت

أشار بهذا إلى جواز الإفطار للمسافر في السَّفر ، وهذا مما لا خلاف فيه لتصريح الكتاب العزيز به وتواتر السنة ، واختلفوا أهل الأقطار فيه : رخصة الصوم أفضل أو هو عزيمة ؟ الجمهور أنه رخصة ، واستدلوا بأن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ ﴾ | البقرة ١٨٤/٢ | يعني : فأفطر فعليه عدة من أيام آخر ، وبأنه قد ثبت « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ، ف قيل له : يا رسول الله إن الناس قد شق عليهم الصوم وإنما ينظرون فيما فعلت ، فدعا بقدر من ماء فشرب والناس ينظرون فأفطر بعضهم وصام بعضهم ، فقال : أولئك العصاة » أخرجه مسلم والنسائي والترمذي ، واحتج من قال بأنه عزيمة بالآية ، وأن المراد منها فعليه عدة من أيام آخر ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أولئك العصاة » يعني الصائمين في السفر ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس من البر الصيام في السفر » <sup>(١)</sup> ، والبر يقابله الإثم ، وبقوله : « الصائم في السفر كالمفطر في الحضر » <sup>(٢)</sup> ، وأجاب من قال : إنه رخصة أن المراد بالآية : فأفطر فعليه عدة من أيام آخر ، أما

(١) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي عن جابر وابن ماجه عن ابن عمر بلفظه .

(٢) أخرجه الخطيب عن عبد الرحمن بن عوف بلفظه .



قوله : « أولئك العصاة » فإنه يحتمل أنهم أمروا بالإفطار حتماً لبيان الجواز وظهوره في الناس ، وكذلك يُجاب في حديث : « ليس من البر الصيام في السفر » ، وأيضاً فإن الرواية المطلقة فيه مبيّنة برواية من ساق القصة بكاملها ، وذلك ما أخرجه الشيخان وأحمد عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فرأى زحاماً ورجل قد ظلَّلَ عليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : صائم ، قال : « ليس من البر الصيام في السفر » ، ويؤيد هذا ما في بعض روايات الحديث من زيادة : « فعليكم بِرُخَصِ الله التي رخص لكم فاقبلوها » فإن ذلك ظاهرٌ في أن من كلف نفسه الصوم حتى يبلغ به مشقته إلى مثل هذه الحالة فإنه لم يقبل الرخصة واختلفوا : هل الصوم أفضل ؟ أم الفطر أفضل ؟ فالجمهور على أن الصوم أفضل لما ثبت أن الصحابة كانوا يسافرون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فمنهم الصائم ومنهم المفطر فلم يعب أحدهم على الآخر ، ولصوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر عام الفتح وهو لا يعمل إلا الأفضل . وفي قوله : ( ولا مسافة مقدرة ) أشار إلى ما اختاره ابن القيم بعدم تقدير المسافة للإفطار ، وقد تقدم البحث في هديه في قصر الصلاة .

### هدية صلى الله عليه وآله وسلم في صوم التطوع

وهديّة في صومه التطوعاً      يُسرّ لمن كان له متبوعاً  
ما صام شهراً كاملاً قط سوى      شهر الصيام رمضان بل روى  
في سنن ابن ماجه عن النبي      النهي عن صيام شهر رجب

أي هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صوم التطوع سهل لمن كان يريد اتباع هديه فإنه لم يكن يسرد الصوم شهراً كاملاً كما روته عائشة ، قالت : « ما رأيته صام شهراً كاملاً منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان » أخرجه

الشيخان والترمذي ، ولا تعارض بين هذا وبين حديث عائشة في صوم شعبان من أنه كان يستكمل شهر شعبان ، فإنه محمول أنه كان يصوم أكثره كما جاء في بعض روايات الحديث : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان » ، وفي رواية : « كان يصوم شعبان إلا قليلاً » ، وما جاء في بعض الروايات من أنه كان يصوم شعبان كله ، فالتأكيد بقصد المبالغة ، وقيل : في الجمع بين الأحاديث أنه تارة كان يصوم شعبان كله وتارة لا يستكمله وهو الأغلب وهو قول الناظم ، ( بل روى في سنن ابن ماجه النهي ) .. إلخ . أي روى بعض الصحابة كما في سنن ابن ماجه النهي ... إلخ . قال الذهبي : حديث لا يصح تفرد به داود عن عطاء ، وقد قال البخاري فيه متروك ، وإذا صح فيمكن أن المراد استكمال صومه بدليل حديث ابن عباس قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام رجب كله هذا إذا اعتقد أن صومه كاملاً سنة » .

قوله :

وفي صيام الدهر قال مُنْكَرًا لا صامَ من قد صامَه ولا أفطر

اختلف العلماء في صيام الدهر هل يجوز أو يكره ، ومن قال يكره فهل الكراهية للحظر أو للتنزيه ، فقيل : للحظر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صام الأبد فلا صام ولا أفطر » أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه ، وهذا دعا عليه وهو وهو يقتضي التحريم ويدل لكونه دعاء عليه مارواه أبو يعلى في سبب الحديث أنه « قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن فلاناً ما أفطر منذ كذا وكذا فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضباً شديداً قال : لا صام ولا أفطر ، فلما رأى عمر غضب رسول الله قال : نعوذ بالله من غضب رسول الله ثم قال : يا رسول الله صيام يومين وإفطار يوم ، فقال :

أَوْ يَطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ » ، ولما رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام ، قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم الدهر » ، وَمَنْ قَالَ بَأْنَ الْكَرَاهَةِ لِلتَّنْزِيهِ قَالَ لِأَنَّ مِنْ اعْتَادَ الصَّوْمَ يَصِيرُ عِنْدَهُ كَالْفَطْرِ فَلَا يُدْرِكُ عِنْدَهُ مَشَقَّةُ وَالثَّوَابُ مِنْ لَازِمِ الْمَشَقَّةِ ، وَقِيلَ : إِنْ الْكَرَاهَةُ لِمَا يُؤْدِي إِلَيْهِ مِنَ الضَّعْفِ عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبَاتٍ وَمُسْنُونَاتٍ فَعَلَهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّوْمِ .

وَصَوْمُ يَوْمٍ ثُمَّ فِطْرُ يَوْمٍ صِيَامُ دَاوُدَ خِيَارُ الصَّوْمِ

أشار بهذا إلى ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من تفضيل صيام داود على صيام الدهر قال : « أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنني قلت : لأقومنَّ الليل ولأصومنَّ النهار ما عشت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنت الذي تقول ذلك قال : قد قلت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنك لن تستطيع ذلك فقمْ ونَمْ وَصُمْ وَأَفْطِرْ ، صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَثَتْ أَمْثَالَهَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ ، قَالَ : قُلْتُ : فَأَنِي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : صُمْ يَوْمَيْنِ وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ ، قَالَ : فَقُلْتُ : فَأَنِي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » ، رواه الجماعة كلهم .

قوله :

مِنْ هَدِيهِ إِنْ شُتَّ صَائِمًا تَرَى رَأَيْتَهُ كَذَا تَرَاهُ مَفْطَرًا  
يَصُومُ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ يُفْطِرُ وَهَكَذَا يَفْطِرُ وَهُوَ أَكْثَرُ

أشار بهذا إلى حديث أنس قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفطر من الشهر حتى يُظَنُّ أَنَّهُ لَا يَصُومُ ، وَيَصُومُ حَتَّى يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَفْطِرُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ لَانْشَاءِ أَنْ نَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ قَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ » أخرجه

الشيخان والترمذي والمعنى أنه كان يصوم في بعض الشهور حتى يظن أنه لا يفطر شيئاً ، وفي بعضها يفطر حتى يخرج الشهر ولا يصوم منه شيئاً ، وكذلك القيام كان تارة يقوم من أول الليل وتارة من وسطه وتارة من آخره ، وتارة يتابع بين صيامه وتارة يفارقه ، فكان إذا أراد أحد أن يراه قائماً من الليل فنظر المرة بعد المرة ، فلابد أن يصادفه قائماً وكذلك إن أراد أن يراه نائماً وهكذا في الصوم كذا قيل :

لكنه مخصّصاً أيّاماً لصومها فمن يردّها صام  
كيوم عاشوراء وكان واجباً وبعد نسخه غداً مواظباً

أي كان صلى الله عليه وآله وسلم يخصص بعض الأيام بكثرة صومه لها ومواظبته على صومها ، وكذلك كان يحض على صيام أيام معينة ، ومن ذلك يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر محرم ، وإنه لما نسخ وجوبه برمضان بين بعد نسخه لاستحباب صومه بقوله وفعله ، أما فعله فعن ابن عباس : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتحرى صوم يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم أعني عاشوراء ، وهذا الشهر أعني شهر رمضان » أخرجه الشيخان ، وأما قوله فعن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن صيام يوم عاشوراء ، إني أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » أخرجه الترمذي ، ويُنَدب أن يصوم معه التاسع لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع » ، والمراد أن يُضَيِّفَهُ إلى يوم عاشوراء مخالفة لليهود لما روي عن ابن عباس مرفوعاً : « صوموا يوماً قبله أو يوماً بعده خالفوا اليهود » ، وفي رواية عنه مرفوعاً : « صوموا التاسع والعاشر خالفوا اليهود » .

والصوم للخميس والاثنين والسبت والأحد لليومين

يجمع أما السبت وحده فقد روى حديث النهي عنه أحمد

أي كان يخص يوم الخميس ويوم الاثنين لما روي عن أبي هريرة ، قال : « تعرض الأعمال على الله يوم الإثنين ويوم الخميس وأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم » أخرجه الترمذي ، وأما السبت والأحد فلحديث أم سلمة قالت : « كان أكثر ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصوم السبت ويوم الأحد ، وكان يقول هما يوما عيد المشركين ، وأنا أحبُّ أن أخالفهم » ، وقول الناظم ( يجمع إلى آخره ) قيد ليوم السبت ويوم الأحد وفيه إشارة إلى أن المستحب أن يجمع الصائم بين يومي السبت والأحد في الصيام ، ولا يفرد يوم السبت بالصيام ، لما رواه أحمد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ذلك .

وصح عنه صوم أيام البيض والحثُّ في صيامها والتحريض

أشار بهذا إلى ما رواه ابن عباس : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يفطر أيام البيض في سفر ولا حضر » ، وأما حثه على ذلك فلما رواه عبد الملك بن ملحان عن أبيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بصوم أيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر ، وقال : هي كهيئة صيام الدهر » أخرجه أبو داود والنسائي .

كذلك الستُّ عقيب الفِطر صُمها تنل بها عظيم الأجر  
وليس في شهر يصوم أكثر من شهر شعبان وعنه ذكر  
الحثُّ في محرم على الصيام والعشر والصيام في شهر حرام  
وسنة صيام يوم عرفة في غيرها في قول أهل المعرفة

أما الستُّ ففيها حديث أبي أيوب عند مسلم وأبي داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ صام رمضان ثم أتبعه بست من

شوال كان كصيام الدهر» ، وأما فضل الصوم في شهر شعبان فعن أسامة بن زيد قال : « قلت يا رسول الله لم أراك تصوم في شهر من الشهور ما تصوم في شعبان ؟ قال : ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع علي وأنا صائم » أخرجه الترمذي وأبو داود ، وأما شهر محرم ففيه حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الْمُحَرَّم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » ، وأما فضل الصوم في عشر ذي الحجة والمراد التسع إذ العاشر ليس محلاً للصوم ففيها حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبّد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة بقيام ليلة القدر » <sup>(١)</sup> ، وأما فضل الصيام في الأشهر الحرم ففيه حديث أنس يرفعه : « من صام من شهر حرام ثلاثة أيام وإلى بينهم غفر له ماتقّدّم من ذنبه » أخرجه الدارقطني ، وأما صوم يوم عرفة ففيه عدّة أحاديث منها حديث أبي قتادة قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم عرفة ، فقال : تكفّر السنة الماضية والباقية » ، رواه مسلم وأهل السنن وأشار الناظم بقوله : ( في غيرها ) أي في غير عرفة إلى قول من يقول إنما يستحب صوم يوم عرفة لِغَيْرِ الْحَاج لِيَتَقَوَّى فِيهِ عَلَى الدَّعَاء ، ولأنه يوم عيد لأهل عرفة ، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يَصُمْه يوم حج هالك ، ولحديث : « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام يوم عرفة بعرفة » أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة وصحّحه ابن خزيمة ، وقال الحاكم على شرط البخاري .

وصوم يَوْمِ الْعِيدِ وَالتَّشْرِيقِ محرمٌ عند أولي التَّحْقِيقِ

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة بلفظه .

أشار بهذا إلى ما هو الأصح المختار من تحريم صوم يومي العيدين عيد الفطر وعيد الأضحى وأيام التشريق لورود النهي عن ذلك ، فعن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يصلح الصوم في يومين يوم الفطر ويوم الأضحى » ، وفي رواية عند الشيخين وأبي داود نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام يومين يوم الفطر ويوم النحر ، وأما أيام التشريق فقد روي عن ابن عمرو بن العاص أنه دخل على أبيه وهو يأكل فقال : كل ، فقلت : إني صائم ، فقال : إن هذه الأيام التي كان يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإفطارها ونهانا عن صومها » ، قال مالك : هي أيام التشريق أخرجه مالك ومسلم وأبو داود وابن المنذر وصحّحه وابن خزيمة والحاكم ، وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يَوْمُ عَرَفَةَ ويوم النحر وأيام التشريق عِيدُنَا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب » أخرجه أهل السنن ، وعن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ أَنْ يَنَادِيَ مُنَادِي أَنْ لَا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَأَيَّامٌ مِنْ أَيَّامِ أَكْلٍ وَشَرْبٍ » أخرجه مسلم ، وعن حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ قَالَ : « بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْيَادِي أَيَّامَ مِنْى أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرْبٍ وَيَقَالُ » أخرجه الدارقطني .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الاعتكاف

فَصَلَ وَهَدِيَهُ فِي الْاِعْتِكَافِ	لِمَنْ يُرِيدُ الْاِهْتِدَاءَ كَافٍ
فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنْ شَهْرِ الصِّيَامِ	أَكْثَرَ مَا اعْتَكَفَ فِيهِ غَيْرَ عَامٍ
فَإِنَّهُ اعْتَكَفَ فِي شَوَالٍ	مَعْتَكِفًا فِيهِ عَلَى التَّوَالِي
يَضْرِبُ فِي مَسْجِدِهِ خِيَاءَةً	وَلَمْ يُبَاشِرْ حَالَهُ نِسَاءَهُ
وَفِيهِ مَا أَفْطَرَ يَوْمًا قَطُّ	لِذَاكَ قَدْ قِيلَ الصِّيَامُ شَرْطُ

وليس يَأْتِي بَيْتَهُ لغير ما      يحتاجه الإنسان ثم رَبِّا  
يَمَرُّ بِالْمَرِيضِ لَا يَعْجُزُ      عليه من مسجده لَا يَخْرُجُ  
وَالسِّرُّ فِي ذَاكَ عَكُوفُ قَلْبِهِ      لِرَبِّهِ مَعَ خُلُوهِ بِهِ

الاعتكاف في عرف الشرع لبث في المسجد بنية مخصوصة لأنه لم يؤثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أحد من أصحابه أنه اعتكف في غير المسجد ، فدل ذلك على كونه شرطاً ، وقد ادّعى بعض محققي المتأخرين الإجماع على ذلك ، وقد ورد في فضل الاعتكاف أحاديث منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين » أخرجه البيهقي عن علي بن الحسين ، وقوله : ( في الثلث الأخير ) أشار به إلى أنه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ما كان يعتكف في شهر رمضان في العشر الأخيرة منه ، وأشار بقوله : ( أكثر ) إلى أن ذلك كان هو الغالب وإلا فقد اعتكف فيه في غير العشر الأواخر منه ، واعتكف في غير رمضان وقوله : ( غير عام ) استثناء من شهر الصيام يعني أن هديه الاعتكاف في رمضان إلا مرة واحدة فإنه اعتكف في شوال لما روته عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه ، ثم أمر بخبائه فضرب لما أراد الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ، فأمرت زينب بخبائها فضرب وأمرت غيرها من أزواج النبي بخبائها فضرب ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصبح نظر فإذا الأخبية فقال : البر تَرُدْنَ ، فأمر بخبائه فقوض وترك الاعتكاف في شهر رمضان حتى اعتكف العشر الأول من شوال » أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وللحديث روايات مختلفة متقاربة الألفاظ وقوله : ( يضرب ) ، أشار به إلى أنه يجوز للمعتكف أن يستقل في المسجد بكان يعتكف فيه وأن يجعل ما يحول بينه وبين المصلين من خباء ونحوه كقبة صغيرة بشرط أن لا يضيق بذلك المسجد ولا يتضرر به المصلون ، وقوله : ( فعنه ما أفطر ) إلخ إشارة إلى الخلاف في شرعية



الصَّوْمُ في صحة الاعتكاف ، فقيل : هو شرط لا يصح الاعتكاف بدونه ، ولما كان مقصود الاعتكاف لا يتم إلا مع الصوم شرع الاعتكاف في أفضل أيام الصوم وهي العشر الأخيرة من رمضان ، ولم يُنقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه اعتكف مفطراً قط ، بل قالت عائشة : « لا اعتكاف إلا بصوم ولم يذكر الله الاعتكاف إلا مع الصوم » ويدل عليه ما رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : « لا اعتكاف إلا في مسجد جامع ولا اعتكاف إلا بصوم » ، وقيل إنه غير شرط لما في الصحيحين وغيرها « أن عمر نذر في الجاهلية أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أوف بنذرك » ، قالوا والليل لا يصلح للصوم وتُعقب بأن في بعض روايات مسلم أنه نذر بيوم وليلة فمن أطلق من الرواة أراد بيومها ، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر عمر بالصوم وقال له : « اعتكف وصم » أخرجه أبو داود والنسائي ، وقوله : ( وليس يأتي بيته ) إلخ ، أشار به إلى أن من شرط الاعتكاف ملازمة المعتكف المسجد وعدم خروجه منه لما رَوته عائشة قالت : « السنّة للمعتكف أن لا يعود مريضاً ولا يشهد جنازة ولا يمس امرأة ولا يباشرها ولا يخرج لحاجة إلا لما لا بد منه ، قالت : ولا اعتكاف إلا بصوم » ، وفي رواية : « كان يمر بالمريض وهو معتكف فلن يُعرج يسأل عنه » ، وفسر الزهري الحاجة بالبول والغائط ، وزاد بعضهم : الأكل والشرب .

وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ التي في الذِّكْرِ تُطلب في أفراد هــذي العشر

أشار بذلك إلى ما أخرجه أحمد وابن أبي شيبه من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . وأخرج ابن أبي شيبه عن عمر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من كان ملتصقاً ليلة القدر فليلتسها في العشر الأواخر » ، وفي ذلك أحاديث كثيرة تطلب في مظانها .

## هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ

فصلٌ وفرضُ الحجِّ ثمَّ العمرة في العمر لا يجب إلا مرةً واعتمر النبي أربَعَ عُمَرٍ كما رواه أنسٌ وابنُ عمر

اعلم أنه لا خلاف في شرعية الحج والعمرة بين علماء المسلمين ، وأنه مما علم من ضرورة الدين واتفقوا أيضاً على فرضية الحج ووجوبه إذا تكاملت شروطها لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [ آل عمران ٩٧/٣ ] بيّن الشارع عليه أفضل الصلاة والسلام أنه لا يجب في العمر إلا مرة واحدة كما في حديث أبي هريرة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « أيها الناس قد فرض الحج فحجوا ، فقال رجل : أفي كل عام يارسول الله ، فسكت حتى قالها ثلاثاً ، فقال : ذَرُونِي ما تركتكم فلو قلت نعم لوجبت وما استطعتم وإنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، إذا أمرتكم بشيء فأتوا به ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » أخرجه مسلم والنسائي ، ولحديث ابن عباس أن الأقرع بن حابس سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الحج في كل سنة أم مرة واحدة ، فقال : « بل مرة واحدة فمن زاد فتنطوع » أخرجه النسائي وأبو داود واللفظ له ، أما العمرة فقليل هي واجبة مرة واحدة كالحج لقوله تعالى : ﴿ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [ البقرة ١٩٦/٢ ] . فقرنَ بينهما ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت » أخرجه الدارقطني من حديث زيد بن ثابت ، وهو ضَعِيفٌ لانقطاعه مع ضعف أحد رواته ، وقيل لا تجب وإنما هي سنة مؤكدة ، والأمر في الآية بإتمام الحج والعمرة إنما هو لِمَنْ دخل في أيهما ولا نزاع فيه ، ولما رواه الإمام زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العمرة : أواجبة مثل الحج ، قال :

لا ولكن لأن تعتمر خير لك » ، وأشار الناظم بقوله : ( واعتمر النبي ) إلى قدر العُمْر التي اعتمرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة ، وقد ورد بذلك أحاديث صحيحة منها حديث أنس وابن عمر المشار إليهما في المنظومة ، أما حديث أنس فلفظُهُ : اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربع عمر وتَمَّاه كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجه عمره من الحديبية في ذي القعدة ، وعمره في العام المقبل في ذي القعدة وعمره من الجعرانة حين قَسَمَ غنائم حنين في ذي القعدة وعمره مع حجه ، رواه الشيخان وغيرهما ، وأما حديث ابن عمر فأخرجه البخاري وغيره عن مجاهد قال : « دخلنا أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبدُ الله بن عمر ، الحديث ، وفيه : فقال له : كم اعتمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أربعاً إحداهن في رجب ، فكرهنا أن نَرُدَّ عليه ، قال : وسمعنا استِنَان أم المؤمنين عائشة في الحجرة فقال عروة : يا الله يا أم المؤمنين أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ، قالت : ما يقول ، قال : يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب ، قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وهو شاهد وما اعتمر في رجب قطُّ » .

ولم يكن من هديِهِ لِعُمْرة	يَخْرُجُ قاصِداً لَهَا من مَكَّة
وقيل بل يخرج وهو أرجح	إذ تَقُلُّ أمرِهِ بِهِ مُصَحِّحٌ
في أشهر الحج تكون أفضل	وقيل مكروه بها أن تُفَعِّلَ
ومرة في العام قيل تُفَعِّلُ	والحق كما شئتَ فهو أَفْضَلُ

أشار بهذا إلى ما ذكره ابن القيم من أن الخروج من مكة إلى الحل لقصد إنشاء العمرة مِنْهُ ليس بسنة لأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه فعل ذلك لاقبل الهجرة ولا بعدها ، وإنما كان جميع عُمْرِهِ التي اعتمرها داخلاً إلى مكة وقد

أقام بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر سنة ، ولم يؤثر عنه أنه خرج إلى العمرة قاصداً إلى العمرة كما يفعله كثير من الناس اليوم ، ولا فعله أحد من الصحابة إلا عائشة وحدها ؛ لأنها أحرمت بعمرة فحاضت وأمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدخلت الحج على العمرة فصارت قارِنةً ، وأخبرها أن طوافها وسعيها قد وقع عن حبها وعمرتها ، فوجدت في نفسها أن ترجع صواحِبُها بحجة وعمرة مستقلين فإنهن كن متعت ولم يحضن ولم يقرنَّ وهي بعمرة دخلت في الحج ، فأمر أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التَّعْمِيمِ تطييباً لنفسها ، وقال الجمهور إن الخروج من الحرم إلى الحل مشروع لأن ميقاته من مكة أدنى الحِلِّ إليها ، ولا يصح العمرة إلا بالخروج إليه ، واستدلوا لذلك بحديث عائشة الذي سبق ، وأن عائشة لما حاضت شكت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : « فقال ارفضي عمرتك وأهلي بالحج ، قالت : فلما كانت ليلة الحِصْيَةِ أرسل معي عبد الرحمن إلى التَّعْمِيمِ ، فأهللت بعمرة مكان عمرة » أخرجه البخاري ، وقوله : ( في أشهر الحج ) أشار به إلى الخلاف في العمرة في أشهر الحج ، فقيل هو الأفضل لأنه اعتمر رسول الله عمرة كلها في أشهر الحج ، ولما في ذلك من مخالفة المشركين ، وقولهم إن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور وقيل تكره في أشهر الحج ، لما في ذلك من الشغل بأعمال الحج ، وذلك تعليل غليل غير مستند إلى دليل ، وأشار بقوله : ( مرة في العام ) ، أشار به إلى خلاف من يقول بكَراهية العمرة في العام أكثر من مرة ؛ لأنه لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، وقيل : لا كراهة مطلقاً ؛ إذ هو تكثير من الطاعة ، وقد ثبت تكريرُ العمرة عن جماعة من الصحابة ، وأما ترك النبي لتكرير العمرة فلا دليل فيه ، فقد كان يترك الفعل المستحب لبيان الجواز ، ولا يدل على الترك على الكراهة مع أنه كان مشغولاً بما هو أهم من العمرة من أعمال الجهاد مع قصر المدة التي عاش فيها بعد الفتح .

واختلفوا هل حَجَّ قبل الهجرة وبعدها حَجٌّ من المدينة

فَاعْلَمْ النَّاسَ بِهِ وَشَاعَ      لِيَخْرُجُوا فَمَلَوُْوا الْبَقَاعَ  
 مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ النَّبِيِّ أَحْرَمَ      بَعْدَ اغْتِسَالِ وَأَهْلِ مُحْرَمًا  
 بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ قَارِنًا كَمَا      رَوَاهُ مَنْ كَانَ بِـذَلِكَ أَعْلَمَ  
 وَقِيلَ بِالْأَفْرَادِ قَدْ أَهْلَ      وَقِيلَ بَلْ تَمْتَعًا وَحَلَّ  
 وَالْحَقُّ فِيهَا لِلدَّلِيلِ الْوَاضِحِ      هُوَ الْقِرَانُ فَاعْتَبِرْ بِالرَّاجِحِ

اعلم أنه قد اختلف أقوال العلماء في صحة هل حج صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة أم لا فقليل لم يحج وقيل بل حج ، لما أخرجه الترمذي من حديث جابر قال : « حج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يهاجر حجتين وحجة بعدما هاجر معها عمرة » ، قال الترمذي : حديث حسن غريب ، وفي صحيح البخاري عن جبير بن مطعم قال : « أضللتُ بغيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً بعرفة ، فقلت : هذا والله من الحمس فما شأنه هاهنا » . رواه ابن خزيمة وابن راهويه بلفظ : « كانت قریش تدفع من مزدلفة ويقولون نحن الحمس فلا نخرج من الحرم ، وقد تركوا الموقف بعرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة » ، قال في النهاية : الحمس قریش وكنانة وجديلة سُموا حمساً ؛ لأنهم تحمّسوا في دينهم أي تشددوا ، واعلم أنه لا خلاف بين العلماء في أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يحج بعد الهجرة غير حجة الوداع ، فحين عزم على الحج أذن في الناس بذلك ، كما في حديث جابر صفة الحج الطويل قال : « مكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة تسع سنين ، ثم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجٌ ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتسون أن يأتهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما شاع خبر حجه خرج معه خلائق لا يحصون كثرة ، منهم من وافاه إلى المدينة ، ومنهم من لحقه في الطريق ، ومنهم

من قدم إلى مكة ، ومنهم من قدم إلى عرفات فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من كل جهة ملء البصر » ، وإلى ذلك أشار الناظم بقوله : ( ملؤوا البقاع ) ، وخرج نساؤه كلهن معه وابنته فاطمة وكثير من النساء ، فخرج من المدينة بعد صلاة الظهر ونَزَلَ بذِي الحليفة فبات بها ، فلما كان وقت الظهر اغتسل للإحرام وتطيب ولبس إزاراً ورداءه ف صلى الظهر ركعتين ، ثم أحرم وأهل من موقفه واختلف الناس بما أهل ، ف قيل بالحج والعمرة معاً ، وهو الذي رجحه ابن القيم واستدل له بأكثر من عشرين حديثاً ، وقيل بل تمتعاً وقيل إفراداً وقد جمع بين الأقوال أبو العباس بن تيمية ، كما ذكره ابن القيم في ( زاد المعاد ) مما لا يبقى معه شك للمُصنّف .

وغير فرض الظهر لم يُصل نَفلاً كما رواه أهل النقل ورافعاً لصوته بالتلبية وأمر بكونها عَلائيّة

أشار بهذا إلى الخلاف في أنه هل يشرع أن يعلي للإحرام صلاة قبله أم لا . جنح إلى الأخير ابن القيم : لأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه صلى شيئاً في عمره التي اعتبرها قبل الحج ولا في إحرام حجة الوداع فلم يصل غير فرض الظهر ، وقيل بل يندب صلاة ركعتين لحديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاجاً ، فلما صلى بمسجد ذي الحليفة ركعتين أوجب في مجلسه ، فأهل الحج حين فرغ من ركعتيه » الحديث وهو طويل ، وأجيب بأن الأحاديث صحيحة صرح أن هذه الركعتين هي صلاة الظهر مقصورةً للسفر ، وقوله : ( ورافعاً لصوته ) أشار به إلى شرعية رفع الصوت بالتلبية لثبوت ذلك من فعله ، وعليه قول الصحابة ( أهل ) والإهلال : رفع الصوت ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، فعن جَلَاد بن السائب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أتاني جبريل فقال :

يا محمد مَرُّ أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنه شعار الحج « أخرجه أحمد وأهل السنن وابن حبان والحاكم والبيهقي ، قال الظفاري هو حديث صحيح .

وَنُسْكَ الصَّحَابَةِ اتِّفَاقاً تَمْتَعُ إِلَّا الَّذِي قَدْ سَاقَ هَدِيّاً فَلَمْ يَحِلْ حَتَّى خْتَمَ نُسْكَهُ الَّذِي بِهِ قَدْ أَحْرَمَ أَيُّ نُسْكَ الصَّحَابَةِ كَانَ تَمْتَعاً بِاتِّفَاقٍ وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ الْحَالُ ، وَإِلَّا فَقَدْ ثَبِتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَهْلَ بِعَمْرَةٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَهْلَ بِحَجٍّ مُفْرَداً وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَارِناً ، لَكِنَّهُ ثَبِتَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِفَسْخِ حَجِّهِمْ إِلَى عَمْرَةٍ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ وَسَاقَهُ .

وَفَسْخُهُمْ لِلْحَجِّ لَا يَخْتَصُّ بِهِمْ فَقَدْ عَمَّ الْأَنْبَاءُ النَّصُّ إِذْ قَالَ فِي جَوَابِهِ لِلْأَبَدِ وَقَالَ مَا لِحُكْمِهِ مِنْ نَسْخٍ وَقِيلَ بَلْ يَخْصُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ

أشار بهذا إلى ما وقع من الخلاف في حكم الفسخ للحج إلى العمرة بعد اتفاقهم على وقوعه من الصحابة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم به ، فقيل باستمرار ذلك وأن حكمه الجواز أو الوجوب على قولين ، وقال الجمهور : لا يجوز الفسخ وبأن ذلك خاص بالصحابة ، وإلى الأول جنح ابن القيم قال : « وقد روي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفسخ الحج إلى العمرة أربع عشر صحابياً وأحاديثهم كلها صحاح » ، وأظهر ما استدل به على استمرار حكم الفسخ لعمامة المسلمين وعدم اختصاصه بالصحابة ما في الصحيحين وغيرهما من حديث جابر قال : « أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس مع أحد منهم هدي غير النبي وطلحة ، وقدم علي من اليمن ومعه هدي ، فقال أهملت بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمر النبي أصحابه أن يجعلوها عمرة وأن يطوفوا ويقصروا ويحلوا إلا من

كان معه هدي ، قالوا ننطلق إلى منى ومذاكير أحدينا تقطر بالمنى فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام فينا فقال : قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ، ولولا هديي لحللت كما تحلون ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي فحلوا ، فحللنا وسمعنا وأطعمنا « وفي رواية : « حتى إذا كان آخر طواف على المروة فقال : لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة ومن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقه بن جعشم فقال : ألعامنا هذا أم للأبد ، فشبك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال : دخلت العمرة في الحج مرتين بل لأبد الأبد » ، وقوله : ( والحَبْرُ رأيه وجوب الفسخ ) أشار إلى أن مذهب ابن عباس وجوب الفسخ مستتراً على كل من لم يسق الهدي ، واستدل الجمهور بعد جواز الفسخ لغير الصحابة بأدلة أقواها حديث بلال بن الحارث ، قال : « قلت يا رسول الله فسخ الحج للعمرة لنا خاصة أم للناس عامة ، فقال بل لكم خاصة » ، أخرجه أبو داود والنسائي ، وحديث أبي ذر قال : « المتعة لأصحاب محمد خاصة » .

وكلُّ مُحَرَّمٍ عَلَيْهِ يَحْرَمُ	أشياءَ والجُبُران فيها يَلْزَمُ
كَرَفَتْ كَذَا الْفُسُوقَ وَالْجِدَالَ	وَالطَّيِّبُ وَالنِّكَاحُ لَمْ يُبَحَّ بِحَالِ
لِبَسِ الْخَيْطِ سِتْرَ رَأْسِ الرَّجُلِ	وَالْوَجْهَ فِي الْمَرْأَةِ بِالْمُتَّصِلِ
وَالصَّيْدَ أَكْلًا وَاصْطِيادًا يَحْرَمُ	وَحَلَقَ ————— لَشَعْرَهُ مُحَرَّمِ
جَمِيعُهَا قَدْ ذَكَرْتُ مَفْصَلَةً	فِي الْفَقْهِ فِي كِتَابِهِ الْمَطَوَّلَةِ

أي كلُّ مُحَرَّمٍ بأي النَّسْكِينَ واجباً أو تطوعاً فإنه يَحْرَمُ عليه أشياء من المباح ويتأكد بعض ما لم يكن مباحاً ، فمنها الرُّفْثُ والفسوق والجِدال ، جاء التَّصْرِيحُ بها في القرآن ، واختلف في تفسير ذلك ، فعن ابن عباس الرُّفْثُ : التَّعْرِيزُ



للنساء بالجماع ، والفسوق : المعاصي كلها ، والجِدال : مِرَاء الرَّجُل صاحِبَه .  
أخرجه الطَّبْراني عنه ، وروى أبو أَمَامَة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ :  
« لارْفَث ولا جَماع ولا فسوق » . وقيل : المعاصي كلها ، وقيل : الكذب ،  
وقيل : غير ذلك . وأما عَقْد النِّكاح فيحْرُمُ في القول الصحيح ، وأما الطَّيِّب فلما  
رواه الجماعة مرفوعاً : « في الذي وَقَصَتْه نَاقَتَه وهو محرم فمات فقال النبي  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : فلا تَمْسُوهُ بطيب » ، وأما لبس الخيْط فلما رواه السَّنة  
عن ابن عمر : « سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ عما يلبس المحرم فقال :  
لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا ثوباً من بورس ولا زعفران  
ولا الخفين إلا أن لا يجد نعلين فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين ، وأما  
تغطية رأس الرجل ففيه حديث الموقوص المتقدم ، وأما وجه المرأة فلما ثَبَّتَ في  
البخاري من حديث ابن عمر : « أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ نهى عن  
أن تنتقب المرأة » ، ولحديث : « ليس على المرأة إحرام إلا في وجهها » ، وفي  
رواية : « إحرام المرأة في وجهها والرجل في رأسه » ، ومنها تحريم صيد البر على  
المحرم اصطديداً أو أكلاً بالنص في القرآن الكريم ، ومنها إزالة شعر أو بشر منه أو  
قتل قمل<sup>(١)</sup> منه ، والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى  
يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ [ البقرة ١٩٦/٢ ] . ثم سبب نزول قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ  
مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ ... ﴾ إلخ الآية [ البقرة ١٩٦/٢ ] ، وفي كثير  
مما ذكر خلاف بين العلماء ، وكذا في وجوب الفدية وتقديرها ، وكل ذلك  
مبسوط في كتب الفقه كما أشار إليه الناظم بقوله : ( وكلها إلخ ) فليراجع ذلك  
من أرادَه .

وَنَفِست بِذِي الحليفة أسما فَاغْتَسَلت وَأَمِرتُ أَنْ تُحَرِّمَما

(١) ليس في ( منظومة الهدي ) ولا في ( الهدي ) كلام عن قتل القمل ، والفدية هي في الحلث  
لا لقتل القمل . ج .

وأمر الصديقَ فيها يَقْسِمَ      حَمَارَ وَحْشٍ لَمْ يَصْدَهُ مُحَرِّمٌ  
وَحَرَّمَ الضِّيَّ الَّذِي لَمْ يَعْلَمْ      بِأَنَّهُ صَيْدٌ لَغَيْرِ مُحَرِّمٍ  
كَذَاكَ قَدْ رَدَّ حَمَارَ صَعْبٍ      وَإِنَّا لَحَرَّمُ قَالَ النَّبِيُّ  
وَحِينَ فِي السَّيْرِ انْتَهَوْا إِلَى سِرِّفٍ      عَائِشَةُ حَاضَتْ وَلَكِنْ اخْتَلَفَ  
قَوْلُهُمْ فِيمَا عَلَيْهِ رُتَبَا      مِنْ حَكْمِ حَجَّهَا وَفِيهِ أَطْنَبُ  
الْعَالَمِ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ      مُسْتَوْفِي الْأَدْلَةِ الْقَوِيَّةُ  
فَحَكْمُ حَيْضِ النِّسَاءِ مِنْهُ      خَذَهُ فَذَاكَ لَا غِنَاءَ عَنْهُ

هذا رجوع إلى سياق حجته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وقد تقدّم أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بات بذِي الحليفة وأحرم منها ، وفيها نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر ، فأمرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالغسل ، وأن تهلّ بالحج ، وتصنع ما يصنع الناس إلا أنها لا تطوف بالبيت ، كما في حديث أبي بكر عند النسائي ، وعن أسماء نفسها عند مالك والنسائي ، وعن عائشة عند مسلم وأبي داود ، وأشار بقوله : ( وأمر الصديق ) إلى ما أخرجه مالك في الموطأ والنسائي : « أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خرج يريد مكة وهو مُحَرِّمٌ حتى إذا كان بالروحاء إذا حمّار وحشٍ عقيرٍ فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال : دعوه يوشك أن يأتي صاحبة ، فجاء صاحبُه البهزي فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار ، فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبا بكر أن يقسمه بين الرفاق ، ثم مضى حتى إذا كان بالإثائي إذا ظبي حاقفٌ في ظلٍّ وفيه سهم فزعم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر رجلاً أن يقف عنده ولا يُريه أحدًا من الناس حتى يجاوزوه » هكذا في جامع الأصول ، وأشار بقوله : ( لم يصدّه مُحَرِّمٌ ) إلا أن المحرّم على المُحرّم أكله من صيد البرّ هو ما صاده مُحَرِّمٌ أو شارك في اصطیاده ولو بإعانة ، أو إشارة أو صيد لأجله ، لما في حديث أبي قتادة عند الجماعة كلهم : « أنه صاد في عام الحديبية حماراً وحشياً وهو غير محرّم ، وسائر

أصحابه حَرَّمَ فَأَكَلُوا مِنْهُ وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِ أَوْ أُشَارَ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَكَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِهَا ، ، وفي رواية : « هل بقي معكم منها شيء ، فقال أبو قتادة : قلت : نعم ، فناولته العُضْدَ فَأَكَلَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ » ، وأشار بقوله : ( كَذَاكَ قَدْ رَدَّ إِلَيْكَ ) إِلَى مَا أَخْرَجَهُ السَّيِّدُ إِلَّا أَبَا دَاوُدَ « أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِالْأَبْوَاءِ أَوْ بِوَادِ الشَّعْبِ حِمَارًا وَحَشِيًّا فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ مِنْ رَدِّهِ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حَرَمٌ » ، وفي رواية للنسائي : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « إِنْ الصَّعْبُ بْنُ جَثَامَةَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلَ حِمَارٍ يَقْطُرُ دَمًا » الْحَدِيثُ . قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنَّهُ عِلْمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَادَهُ لِأَجَلِهِ ، بِخِلَافِ حِمَارِ الْبَهْزِيِّ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : ( وَحِينَ فِي السَّيْرِ إِلَيْكَ ) إِلَى حَدِيثِ عَائِشَةَ الَّذِي أَخْرَجَهُ السَّيِّدُ إِلَّا التِّرْمِذِي بِرَوَايَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، قَالَتْ : « خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَخَمْسِ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَلَا نُرِيدُ إِلَّا الْحَجَّ ، فَلَمَّا كُنَّا بِسَرِفٍ حَضْتُ ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : مَا لَكَ أَنْفَسْتِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : إِنْ هَذَا أَمَرَ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ فَافْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ » .

وَلَدَخُولِ مَكَّةَ بِذِي طَوًى	غَسَلَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ لَه رَوَى
وَلَيْسَ بِالْمَسْجِدِ إِذَا جَاءَ رَكَعًا	تَحِيَّةً بَلْ بِالطَّوَّافِ شَرَعَ
وَلَا نَوَى جَهْرًا وَلَا دَعَا لَا	شَرَعَ بِالتَّكْبِيرِ فِيمَا نَقَلَا
بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ كَانَ يَبْتَدِي	مُسْتَلِمًا بِمَحْجَنِ أَوْ بِالْيَدِ
مَقْبَلًا لَهُ وَلَهَا وَقَدْ	جَاءَ بِأَنَّهُ عَلَيْهِ قَدْ سَجَدَ
وَفِي بَعْضِ أَشْوَاطِ الطَّوَّافِ يَرْمِلُ	وَالْمَشْيُ فِي أَرْبَعَةٍ قَدْ تَقْلُوا

أراد بهذا بيان هديه صلى الله عليه وآله وسلم من حين دخوله مكة إلى انتهاء طوافه ، فمن ذلك الغسل لدخول مكة ، وفيه حديث ابن عمر : « أنه كان لا يقدم مكة إلا يأت بذى طوى حتى يصبح فيغتسل ثم يدخل مكة نهراً ، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفعله » أخرجه مالك والشيخان ، ومنها أنه يسقط عن القادم المسجد الحرام تحية المسجد المندوبة إذ لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بل لما انتهى إلى المسجد بدأ بالطواف فتحية المسجد الحرام الطواف ، ومنها عدم مشروعية نية الطواف جهراً كما يفعله بعض الناس ، وكذلك الدعاء وافتتاح الطواف بالتكبير ، كل ذلك غير مشروع ، وأشار بقوله : ( بالحجر الأسود إلخ ) إلى حديث علي كرم الله وجهه أول مناسك الحج أول ما يدخل مكة يأتي الكعبة فيمسح الحجر ويطوف بالبيت ، وقد خالف بعض العلماء ما قاله ابن القيم من عدم مشروعية الدعاء والتكبير ، فقالوا بمشروعيتها مستدلين بما روي عن عبد الله بن السائب : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول في ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بوعدك ووفاء بعهديك » ، وفي رواية البيهقي والطبراني : « أن علياً عليه السلام كان يقول إذا استلم الحجر : اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ، واتباعاً لسنة نبيك » ، وفي رواية للطبراني : « ثم يصلي على النبي » ، وفي رواية ابن ماجه عن جابر قال : « أمرنا أن نقول واتباعاً لسنة نبيك » ، وقول الناظم : ( مقبلاً له ) : أي الحجر بلا واسطة ، وفي قوله ( ولها ) أي لليد والحجر ، فكان يستلم بأحدهما ثم يقبل ما استلمه به كما أخرج الستة عن عمر : « أنه قبل الحجر الأسود فقال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبلك ما قبلتك » ، وقد ردّ عليه علي كرم الله وجهه بقوله : بلى إنه يضر وينفع سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الحجر يأتي يوم القيامة وله لسان طلق ذلق ، يشهد لمن استلمه

بحقّ « هكذا لفظ الحديث أو معناه . وعن نافع : « رأيتُ ابنَ عمرَ يستلم الحجر بيده ثم قبل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله » أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي ، وعن أبي الطفيل رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بالبیت ويستلم الركن بحجن معه ، قال ابن القيم : « هذه ثلاث صفات ثبتت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم » ، وأما السجود عليه ففيه حديث ابن عمر عن عمر بن الخطاب : « أنه قبل الحجر ثم سجد عليه ، ثم قبله فسجد عليه ثلاث مرات ، وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنع » رواه أبو يعلى . وروى البيهقي عن ابن عباس مثله ، ويسنّ استلام الركن اليماني مع الركن الأسود ، قال ابن القيم : ولم يثبت عنه أنه قبل الركن اليماني ولا قبل يده عند استلامه ، وقيل : بل يستحبّ تقبيل الأركان كلّها لحديث جابر قال : « كُنَّا نَقْبِلُ الأركانَ كلّها » أخرجه المؤيد بالله في ( التجريد ) وحكاه في ( الانتصار ) بزيادة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاهدُ وقوله : ( في بعض أشواط الطّوافِ يرمل ) أشار إلى أن المشروع المرمل في ثلاثة منها ، والمشي في أربعة ، لثبوت ذلك من فعله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم عند أحمد والبخاري ، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك عند الشيخين وأبي داود وأحمد .

ثم أتى مقامَ إبراهيم صلى به مُخَفَّفاً تعليةً  
بالكافرون قد قرأ وبالصمد فيما رواه مسلم وأحمد

أشار بهذا إلى حديث ابن عمر عند الشيخين قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطاف بالبیت سبعاً ، ثم صلى خلف المقام ركعتين » أخرجه الشيخان . وفي رواية مسلم والنسائي عن جابر : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما انتهى إلى مقام إبراهيم قرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

مُصَلَّى ﴿ [ البقرة ١٢٥/٢ ] وصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وَقَرَأَ : فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، وَ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [ الكافرون ١/١٠٩ ] ، وَ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [ الإخلاص ١/١١٢ ] ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الرُّكْنِ وَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ ، وَفِي رِوَايَةٍ ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَقَرَأَ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [ البقرة ١٢٥/٢ ] ، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْحَدِيثَ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : ( مَخْفَفًا ) إِلَى أَنَّهُ يَسْتَحِبُّ تَخْفِيفَ هَاتَيْنِ الرُّكَعَتَيْنِ .

ثُمَّ أَتَى الصِّفَا وَمِنْهُ قَدْ بَدَأَ      بِالسَّعْيِ إِذْ لَاهِنًا بَدَأَ  
مُسْتَقْبِلًا مَكْبَرًا وَدَاعِيًا      يَشُدُّ فِي بَطْنِ السَّيْلِ سَعِيًا  
وَكَانَ بِـ الْمُرْوَةِ خَتَمَ السَّعْيِ      رَحَلَ مِنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ هَدْيِ

أَيُّ بَعْدَ أَنْ فَرَّغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَكَعَتِي الطَّوَّافِ أَتَى الْمَسْعَى فَبَدَأَ بِالصِّفَا وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ « إِلَى هُنَا - إِلَى آخِرِهِ » إِلَى أَنَّ الْوَجْهَ الشَّرْعِيَّ الْإِبْتِدَاءَ بِالصِّفَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدَمَهُ فِي الذِّكْرِ إِذْ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ إِنْ الصِّفَا وَالْمُرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ثُمَّ بَيْنَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثِ جَابِرٍ مِنْ مُسْلِمٍ أَنَّهُ لَمَّا دَنَا مِنَ الصِّفَا قَرَأَ ﴿ إِنْ الصِّفَا وَالْمُرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَرَفَعَ عَلَيْهِ وَوَحَّدَ اللَّهُ وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، ثُمَّ دَعَا مِثْلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمُرْوَةِ فَلَمَّا انْصَبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي رَمَلَ حَتَّى إِذَا صَعَدَ مَشَى وَفَعَلَ ذَلِكَ عَلَى الْمُرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصِّفَا ، وَفِي رِوَايَةٍ « اِبْدِئُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ » بَلْفِظِ الْأَمْرَ وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ « يَشُدُّ فِي بَطْنِ السَّيْلِ إِلَخَ » إِلَى حَدِيثِ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ عَنْ امْرَأَةٍ قَالَتْ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْعَى فِي بَطْنِ السَّيْلِ تَقْوًا لَا يَقْطَعُ الْوَادِي إِلَّا كَذَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ .

والسعي سبعة أشواط إجماعاً واختلف في حكمه ، فالجمهور على وجوبه بل ادعى بعضهم الإجماع على ذلك وتعقب بخلافهم بعض العلماء واستدل لوجوبه بفعله صلى الله عليه وآله وسلم مع قوله : « خذ واعني مناسككم » ويعضده ما حكاه في ( المذهب ) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يأيتها الناس اسعوا إن السعي قد كتب عليكم » . وعن حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم يسعى حتى أرى ركبته من شدة السعي يدور به إزاره وهو يقول : « اسعوا إن الله كتب عليكم السعي » وأشار الناظم بقوله ( وكان بالمروة إلخ ) إلى أن المشروع البداية بالسعي من الصفا ويختم بالمروة . وأشار بقوله : ( وحل من ليس له من هدي ) أشار به إلى ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصرح بالحج صراحاً ، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نجعلها عمرة إلا من ساق الهدي ، فلما كان يوم التروية ورحنا إلى منى أهلكننا بالحج » . وفي صحيح بخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة وأهللنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من معه الهدي » . وذكر الحديث في الحج في باب قوله تعالى : ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ . وفي السنن عن البراء بن عازب قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فأحرمنا بالحج فلما قدمنا مكة قال : اجعلوا حجكم عمرة ، فقال الناس : يا رسول الله قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة ، قال : انظروا ما أمركم به فافعلوه فردوا عليه القول ، فغضب ، ثم انطلق حتى دخل على عائشة وهو غضبان فرأت الغضب في وجهه فقالت : من أغضبك يا رسول الله أغضبه الله فقال : وما لي لا أغضب وأنا أمر أمراً فلا يتبع » أخرجه أحمد وابن ماجه في باب ( فسح الحج إلى العمرة ) ، وما

ذكر هو مبني على جواز فسخ الحج إلى العمرة وأنه لم يكن خاصاً بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم أقام أربعاً وارتحَلَ	إلى منى وكلُّ من تحلَّل
عادَ إلى ما كان قبل حلِّه	وعقد الإحرام من محلِّه
صلى بها العصرين ثم أمسى	وحين أطلع الصباح المشا
سار إلى عرفة ونزلاً	بقريّة شريفة ثم علا
ناقته وقت الزوال ركباً	حتى أتى الوادي ثم خطباً
خطبته الطويلة المشهورة	جامعة الشرائع الماثورة
مستشهداً على البلاغ حتّى	قالوا له : نعم ، وقد نصحت
فأشهد الله عليهم يرفع	أصبعه إلى السماء ويضع

أي أقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قدومه مكّة أربعاً وارتحَلَ يوم الخامس وهو يوم التّروية ، وكان ذلك يوم الخميس ، وأشار بقوله : ( وكلُّ من تحلّل ) إلى ما تقدّم من تحلّل من لم يبق من أصحابه بأمره لهم بذلك وأمرهم أن يحرموا إذا خرجوا إلى منى وأحرموا يوم التّروية كلّ منهم أحرم من محله لم يقصدوا المسجد لإنشاء الإحرام منه ، كما يذهب إليه بعض العلماء ، وقوله : ( صلى بها ) : أي بمنى الظُّهر والعصر وبات بها ، وصلى بها الفجر وبقي إلى أن طلعت الشمس ، فارتحل إلى عرفة ، قال ابن القيم : « وكان من الصّحابة الملبّي ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على أحد » فلما انتهى إلى هنالك وجد قبّة قد ضربت له بنمرة بأمره ، وهي قرية ، وهي خرابة اليوم ، والآن لم يوجد أثر القرية ، حتّى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت حتى أتى الوادي من بطن عرنة فخطب الناس خطبة عظيمة قرر فيها قواعد الإسلام وتحريم المحرمات



التي اتفقت الملل على تحريمها ، وهي الدِّماء والأموال والأعراض ، ووضع فيها دماء الجاهلية وجعلها تحت قدمه ، ووضع فيه ربا الجاهلية كله وأبطله ، وأوصاهم بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذي لهنّ وعليهنّ ، وأشار بقوله ( مستشهداً ) إلى ما في حديث جابر في ذكر خطبته ، وفي آخرها : « وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وإنكم تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بَلَغْتَ وأَدَّيْتَ ونصحتَ ، فقال : بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكسها إلى الناس ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد » ثلاث مرات .

وحين منها قد قضى التاماً      أمر بالصلاة أن تُقام  
صَلَّى بها العصرين هُوَ ومن معه      قصراً وجمعاً ولم يُصلِّ جُمعَه  
ولا أمر أن يتمّ المكي      فالسُّنة القصر بغير شكّ

أي وحين فرغ النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم من خطبته ، أمر المؤذّن أن يؤذّن وأقيمت الصّلاة ، فصَلَّى الظُّهر والعصر جميعاً جمع بينهما جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين ، ولم يُصلِّ بينهما شيئاً ، والجمع هاهنا مما لا خلاف في جوازه ، وكلّما ذكر ثابت في الصّحيح وأشار بقوله : ( لم يُصلِّ جمعة ) إلى ما تقدّم في هديه صَلَّى الله عليه وآله وسلم في صلاة الجمعة ، من أن السفر عذرٌ يسقط به فرض الجمعة ، قوله : ( ولا أمر أن يتمّ المكي ) فيه إشارة إلى ما سبق من أن السفر المبيح للقصر غير محدد بحدٍّ ولا يُقدّر بالمدة .

وسار من بعد الصّلاة عرفات      يقفُ في الجبل عند الصخرات  
مستقبلاً مكرراً الدعاء      مبالغاً في الحمد والثناء  
وفي المشاعرِ الجميع وقفوا      إذ قال كلُّ عرفة موقف  
إلى الغروب لم يَزَلْ بعِرفة      وبعده سار إلى مُزدَلِفَة

أي وسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن فرغ من صلاته للوقوف في عرفة ، والإشارة في ذلك إلى أن موضع صلاته صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو موضع وقوفه ، فلما أتى الموقف في الجبل وقف عند الصُّخَرَات ، واستقبل القبلة ، وجعل حبل<sup>(١)</sup> المشاة بين يديه وكان على بعيره ، وأخذ في الدَّعاء والابتهاال إلى الغروب ، وأمر النَّاس أن يرفعوا من بطن عُرنة ، وأخبر أن الموقف في عرفة لا يختص بموقفه ، بل قال : وقفت هاهنا ، وعرفة كلها موقِف ، وأرسل إلى النَّاس أن يكونوا على مشاعرهم ويقفوا بها فإنها مِنْ إرث أبيهم إبراهيم ، وهنالك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج ؟ فقال : الحجَّ عرفة من أدرك قبل الصَّلَاة فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة : أيام التشريق فمن تعجل في يومين فلائثم عليه ومن تأخر فلائثم عليه ، وكان في دعائه صلى الله عليه وآله وسلم رافعاً يديه كاستطعام المسكين ، وأخبرهم أن خير الدُّعاء دعاء يوم عرفة ، وكان مِنْ دُعائه : « اللَّهُمَّ لك الحمد كالذي نقول وخيراً ممَّا نقول ، اللَّهُمَّ لك صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي ، وإليك مآلي ولك ندائي ، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصُّدور وشتات الأمر ، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من شرِّ ما تجيء به الرِّيح » ذكره الترمذي . وروى عنه أدعية أخرى ، وأشار الناظم بقوله : ( إلى الغروب ) إلى أنه استترَّ وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة إلى أن استحکم غروب الشمس ، وقد اختلف الناس في أول وقت الوقوف مع اتفاق على أن انتهاء وقته طلوع فجر يوم النحر ، فقليل : أوله زوال الشمس من يوم عرفة ، وقيل : من طلوع شمس ذلك اليوم ، والأول أظهر لفعله صلى الله عليه وآله وسلم مع قوله :

(١) أي طريقهم الذي يسلكونه في الرَّمْل ، وقيل : أراد صفهم ومجتمعهم في مشيهم تشبيهاً بحبل الرمل ( عن : النهاية ) .

« خذوا عني مناسككم » ، ويدخل في الليل من وقف في النهار لذلك أيضاً ،  
 ولحديث المِسُور بن مخرمة قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 بعرفة فحمد الله وأثنى عليه فقال : فإن أهل الشرك وأهل الأوثان كانوا يدفعون  
 من هذا الموضع إذا كانت الشمس على رأس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوهها ،  
 وإننا ندفع بعد أن تغيب ، وكانوا يدفعون من الشعر إذا كانت الشمس منبسطة »  
 أخرجه الطبراني في ( الكبير ) قال الظفاري : رجاله رجال الصحيح .

أمر بالصلاة حين نزل	صلى العشائين ولم يَزِدْ على
إقامتين وأذان لهما	ولم يُصَلِّ سُبْحَةً بينهما
بسات وفي أول وقت النحر	صلى صلاة فجر يوم النحر
قبل الشروق من هناك سار	حتى أتى لرميها الجمار
سبع حصاة رمى بهن العقبة	مثل حصى الخذف رمى مرتبة
ومع كل رمية يكبر	ولم يَلْبُ بعُد فيما ذكروا

أشار بهذا إلى هديه صلى الله عليه وآله وسلم من حين دفع من عرفة إلى أن  
 رمى الجمرة ، فمن ذلك تأخير صلاة المغرب والجمع بينها وبين العشاء في مزدلفة ،  
 فإنه لم يصل المغرب حتى انتهى إلى مزدلفة فأمر بلالاً بالأذان والإقامة لصلاة  
 المغرب ، فلما فرغ منها أقام المؤذن لصلاة العشاء فصلاها ولم يصل بينهما شيئاً ،  
 وكل ذلك ثابت في الصحيح ، فعن أسامة بن زيد قال : « دفع رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا كان في بلغ الشعب نزل فبال ثم توضأ ولم يسبغ  
 الوضوء ، فقلت : الصلاة يا رسول الله ، قال : الصلاة أمامك ، فلما جاوز مزدلفة  
 نزل فتوضأ وأسبغ الوضوء ، ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ، ثم أناخ كل إنسان  
 بعيه في مزدلفة ، ثم أقيمت صلاة العشاء فصلّى ولم يصل بينهما شيئاً » أخرجه

الجماعة إلا الترمذي ، واختلفوا في تأخير الصلاة إلى مزدلفة والجمع بينهما هنالك فقيل : هو واجب لفعله صلى الله عليه وآله وسلم مع قوله لأسامة : « الصلاة أمامك » ، وفي رواية : « المصلى أمامك » ، وقيل : إن ذلك مستحب ، وأشار الناظم بقوله : ( بات إلى آخره ) أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن المبيت بمزدلفة والمرور بالمشعر من مناسك الحج ، وقد اختلف في حكم المبيت فقيل : هو ركن لا يتم الحج إلا به ، وقيل : فرض غير ركن فلا يبطل بتركه الحج . وقيل : إن ذلك مستحب ، وإلا ظهر كونه فرضاً غير ركن ، أما فريضته فلفعله صلى الله عليه وآله وسلم مع قوله : « خذوا عني مناسككم » ، وأما عدم ركنيته فلأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد بين أن الليل كله وقت للوقوف بعرفات ، وأن من وقف في أي جزء منه فقد تم حجّه كما في حديث عروة بن مضر ، ومن لازم ذلك إن من وقف بعرفة في آخر جزء من آخر الليل يتعذر عليه إدراك المبيت بمزدلفة ، وأشار بقوله : ( في أول وقت الفجر ) إلا أن السنة تعجيل صلاة فجر يوم الأضحى حين يبرز الفجر لثبوت ذلك من فعله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ابن القيم : « فلما طلع الفجر صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفجر في أول الوقت لاقبله بأذان وإقامة ، وذلك يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم الأذان ، برأه الله ورسوله من المشركين ، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام واستقبل القبلة ، وأخذ في الدعاء والابتهال والتكبير والتهليل حتى أسفر » ، انتهى . ويفهم من كلام ابن القيم أن المشعر الحرام غير مزدلفة وقد وضع المحقق القبلي في ( المنار ) مالفظه الأظهر من تتبع الاستعمال أن ( المشعر والمزدلفة وجمعاً ) ثلاثة أسماء لمسمى واحد ، وساق حديثه إلى أن قال : « وقد اضطرب فهم الناس للمشعر » حتى قال عبد الرحمن بن الأسود لم أجد أحداً يخبرني عن المشعر الحرام ، وقوله : ( قبل الشروق إلخ ) فيه إشارة إلى أن المشروع الإفاضة من مزدلفة قبل طلوع الشمس يوم النحر ، وأن ذلك واجب

لفعله صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة المشركين لأنهم كانوا يدفعون من المشعر إذا كانت الشمس مُنْبَسِطَةً ويقولون : ( أَشْرِقَ ثَبِيرٌ كَمَا نَغِيرُ ) ، وأشار النَّازِمُ بقوله : ( أَتَى لَرْمِيهَا ) إلى أن الرَّمِيَّ من مناسك الحجِّ والحجَّار الذي شرع رميها ثلاث وأشار بقوله : ( سَبْعَ حَصَاةٍ ) إلى حديث سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر كان يرمي الجمرَةَ بسبع حصاة يكبر مع كل حصاة ويقول : « هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ » وأشار بقوله : ( مِثْلَ حَصَاةِ الْخَذْفِ ) إلى حديث ابن عباس : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ غَدَاةُ الْعَقْبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ : هَاتِ الْقُطَّ لِي فَلَقَطْتُ لَهُ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ ، فَلَمَّا وَضَعْتَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ : بَثْلٌ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلُكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ » أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ ، وَقَوْلُهُ : ( مَرْتَبَةٌ ) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَشْرُوعَ أَنْ يُرْمَى بِكُلِّ حَصَاةٍ وَحْدَهَا ، فَلَوْ رَمَى بِالسَّبْعِ مَرَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَجِزْهُ ، وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ : ( وَلَمْ يُلَبَّ بَعْدَ ) إِلَى حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْدَفَهُ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقْبَةِ » .

ثُمَّ أَتَى الْمَنْزَلَ بَعْدَ فِي مَنْى	خَطَبَ فِيهَا خُطْبَةً وَبَيَّنَّا
حَرَمَةَ مَكَّةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ	وَأَنَّهُ يَوْمَ عَظِيمِ الْقَدَرِ
وَقُرْبَ الْمَدْيِ لَهُ فَتَحَرَّا	أَكْثَرَ مِنْ سَنَتَيْنِ ثُمَّ أَمْرَا
عَلِيًّا الْوَصِيَّ بِنَحْرِ الْبَقَا فِي	ثُمَّ دَعَا مِنْ بَعْدِ بِالْخَلْقِ
جَلَّقَ رَأْسَهُ وَقَسَّمَ الشُّعْرَ	بَيْنَ أَبِي طَلْحَةَ ثُمَّ مَنْ حَضَرَ

قوله : ثُمَّ أَتَى أَيُّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الرَّمْيِ مَنْزِلَهُ بَنِي ، وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا رَوَاهُ أَنَسٌ قَالَ : « أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْجَمْرَةِ ثُمَّ أَتَى إِلَى مَنْزِلِهِ بَنِي » الْحَدِيثُ ... أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَأَحْمَدُ وَأَبُو

داود والترمذي ، وأشار بقوله : ( خطب فيها خطبة وبيّنا ) إلى ما ذكره ابن القيم في ( الهدي ) ولفظه ثم رجع : أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منى ، وخطب الناس خطبةً بليغةً أعلمهم فيها بجرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله ، وحرمة مكة وفضلها على جميع البلاد ، وأمر بالسّمع والطّاعة لمن قادهم بكتاب الله ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه ، وقال لعليّ : « لأحجّ بعد عامي هذا » وعلمهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم ، وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفّاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر أن ربّ مبلغ أوعى من سامع ، لا يجني جانٍ إلّا على نفسه ، وقال فيها : « اعبدوا ربكم ، وصلّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأطيعوا ولي أمركم تدخلوا جنة ربكم ، وودّع الناس حينئذٍ » فقالوا حجّة الوداع ، وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة ، والأنصار عن يسارها ، والناس حولهم ، وفتح الله أسماع الناس حتى سمع الخطبة أهل منى ، وقوله : ( وقرب الهدي له فنحر ) كان جملة الهدي مئة بدنة فنحر النبي بيده ثلاث وستين ، قال جابر بن عبد الله : « انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المنحرفنحر ثلاثاً وستين بدنة ثم أعطى عليّاً فنحر ما غبّر وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها » أخرجه مسلم وأبو داود ، وأشار بقوله : ( ثم دعا من بعد بالحلاق ) إلى ما في حديث أنس : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى منى وأتى الجمره فرماها ثم أتى إلى منزله بنى فنحر ثم قال للحلاق خذ ، وأشار إلى جانبه الأيمن ، ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس » ، وفي رواية : « حلق شقّه الأيمن فقسمه بين من يليه ثم حلق الشق الآخر فقال : أين أبي طلحة فأعطاه إياه » .

ثم أفاض من منى وطافا      لكنّ في طوافه اختلافاً  
والحق أن ذاك للزّيارة      وإنّا الغلط في العبارة  
في زمزم قد ناولوه الدّلّو      شرب وهو قائم ويروى

صلاته الظهر بمكة وقيل بل في منى وهو أصح في الدليل

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرمي والنحر والحلق أفاض من منى لطواف الزيارة ، فأتى مكة وطاف بالبيت ، ولا خلاف بين العلماء في وجوب طواف الزيارة ، وأنه ركن لا يتم الحج إلا به ، ولكنه لا يبطل بتركه إلا إذا لم يعتد له فيجب له العود والإيضاء به ولا يحل لتاركة النساء قبله ، واستدل لركنيته بقوله تعالى : ﴿ وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [ الحج ٢٩/٢٢ ] . ولا خلاف بين علماء التفسير أنه المراد بذلك ، ولحديث عائشة عند أحمد والجماعة كلهم قالت : « حاضت صفية بعدما أفاضت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أحاسبتنا هي ، قلت : يارسول الله إنها قد أفاضت ، قال : فلتنفر إذن » ، وأخذ من هذا الحديث أن طواف الوداع يسقط عن الحائض للعذر كما يسقط عنها طواف القدوم كما تقدم في حديث عائشة ، وأشار بقوله : ( لكن في طوافه اختلافاً إلى آخره ) إلى الخلاف الواقع في طوافه فقيل : إنه طاف للقدوم ، ثم طاف للإفاضة ، وقيل : إنه لم يطف ذلك اليوم ، وأنه آخر طواف الزيارة إلى الليل<sup>(١)</sup> وأشار بقوله : ( ويروى صلاته الظهر إلى آخره ) إلى ما ذكره ابن القيم في ( الهدي ) من اختلافهم في صلاته صلى الله عليه وآله وسلم الظهر يوم النحر أين كانت ، فقيل : كانت في مكة ، وقيل : بل عاد بعد الطواف إلى منى وصلى هنالك ، وهذا هو الذي رجحه ابن القيم ، وأشار بقوله : ( في زمزم إلى آخره ) إلى ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أنه بعد أن قضى طوافه أتى زمزم وهم يستقون فتناول الدلو وشرب منها ، وأخرج البخاري عن ابن عباس : « أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء إلى السقاية فاستقى فقال العباس : يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه

(١) قوله : ( والحق إلى آخره ) إلى ما رجحه ابن القيم في ( الهدي ) من أن الحق أن طوافه للزيارة ، وقد بين وجه الغلط في العبارة فمن أراد الإطالة فليأخذ منه . أصل

وآله وسلم بشرابٍ من عندها ، فقال : اسقني ، قال : يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه ، قال : اسقني ، فشرب ، ثم أتى زمزم وهم يستقون ، فقال : اعملوا إنكم على عمل صالح ، ثم قال : لولا أن تُغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على عاتقي ، « والشرب من زمزم مستحب للحاج لفعله صلى الله عليه وآله وسلم وتقريره الناس على ذلك ، وعن عبد الله بن السائب الخزومي ، وله صحبة : « أنه قال اشربوا من سقاية العباس » وإنه من السنة أخرجه الطبراني والفاكهاني وأبو الشيخ وهو عند ابن أبي شيبة بلفظ وإنه من تمام الحج ، وقيل : إنه غير مستحب ، وأن فعله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدل على استحبابه لكونه من الأفعال الجبليّة ، ويؤيد كونه مستحباً تخصيص الحاج في قوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴾ [التوبة ١٩/٩] . وأشار بقوله : ( قائماً ) إلى أن شربه صلى الله عليه وآله وسلم كذلك لبيان الجواز ، فلا يعارض النهي عن الشرب قائماً ، وقيل : بل كان لكثرة الزحام .

بات ومن بعد زوال الشمس رمى الجمار رميه بالأمس ولم يكن لرميه معجلاً لكن بتشريق له قد اكتمل الضمير في قوله ( بات ) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي بعد أن قضى طواف الزيارة ودخل زمزم عاد إلى منى وبات بها ، وهو إشارة إلى وجوب المبيت ليالي التشريق بمنى وهي ليلة ثاني النحر وثالثة ورابعة لفعله صلى الله عليه وآله وسلم مع قوله : « خذوا عني مناسككم » ولقول ابن عباس : « لم يرخّص النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحد في ليالي منى إلا للعباس من أجل سقايته » وعنه رخص لأهل السقاية والحجاجة أن يبيتوا بمكة ليالي منى ، وأشار بقوله : ( بعد زوال الشمس ) إلى أن الرمي في أيام التشريق بعد زوال الشمس لفعله صلى الله عليه وآله وسلم وأشار بقوله : ( رميه بالأمس ) إلى أن يرمي كل جرة بسبع حصيات من الحصاء الخذف كما فعل في جرة العقبة يوم النحر ، قال ابن القيم : ثم



رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مِنَى وبات بها ، فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله إلى الجرة فبدأ بالجرة الأولى التي تلي مسجد الحنف فرماها بسبع حصياتٍ واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة ( الله أكبر ) ثم أتى الجرة الوسطى فرماها كذلك ثم أتى جرة العقبة فاستبطن الوادي واستعرض الجرة فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورماها بسبع حصيات ، ولم يرمها من أعلاها كما يفعله الجهال ولا جعلها عن يمينه ، وقوله ( ولم يكن لرميه معجلاً ) إلى جواز تعجيل الرمي الثابت بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ إلخ [ البقرة ٢/٢٠٣ ] . أي بعد يوم النحر ونفري يوم ثالث يوم النحر ومن تأخر إلى آخر أيام التشريق .

ثم أفاضَ بعدَ ذا ونَزَلَ	بِقَبَّةٍ قَدْ ضَرَبْتُ لَهُ بَلَاً
أمرٍ به أمرُهُم بالأبطح	لَكِنَّهُمْ قَدْ وَفَّقُوا لِلأَصْلَحِ
صَلَّى به في يومه العُصْرَيْنِ	ثم العِشَاءَيْنِ بغيرِ مِينِ
في الليل قَدْ وافى بلا نِزاعِ	مَكَّةَ ثم طَافَ لِلوَدَاعِ
وَبَعْدَهُ أَذِنَ بِالرَّحِيلِ	على خِلافِ بَيْنِهِمْ طَوِيلِ
حَقَّقَهُ ابْنُ القِيمِ المَحْفَقُ	ذَلِكَ بَحْرَا السَّنَةِ المَدْقُقُ
مستوفياً في الحج كلَّ حُكْمٍ	فِيْنَهُ خِذْ أَحْكَامَهُ عَن عِلْمِ

أشار بقوله : ( ثم أفاض بعد ذا إلى آخره ) إلى ما ذكره ابن القيم حيث قال : « أفاض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الثلاثاء بعد الظهر إلى المحصب ، وهو الأبطح ، وهو خيف بني كنانة فوجد أبا رافع قد ضَرَبَ قُبَّتَهُ هنالك ، وكان على ثقله توفيقاً من الله عز وجل بدون أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصَلَّى به الظُّهر والعصر والمغرب والعِشاءَ ورَقَدَ رُقْدَةً ثم نَهَضَ إلى مكة فطاف للوداع ليلاً مسحراً ولمْ يَرْمِلْ في هذا الطواف وأخبرته صفية أنها حائض فقال :

أحَابِسْتَنَا هِيَ ؟ فقالوا له إنها قد أفاضت قال فلتنفر إذن ، ورغبتُ إليه عائشة أن يَعمَرَهَا عمرةً مفردةً فأمر أخاها أن يعمرها من التمتع ففرغت من عمرتها ليلاً ثم وافت المحصب مع أخيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرغتما قالت : نعم فنأدى بالرحيل في صحابة فارتحل الناس ، ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح » ، واختلف في النزول في المحصب هل هو من سنن الحج فقيلاً : لا ، لحديث عائشة إنما كان منزلاً نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون أسمع لخروجه ، وروي فعله عن ابن عباس أخرجه الشيخان وقيل بل هو سنة لما في صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبا بكر وعمر كانا ينزلانه ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن ينفر من منى قال : « نحن نازلون غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر » متفق عليه . ومن حديث أبي هريرة ، قال ابن القيم : وذلك بأن قريشاً وبني كنانة تقاسموا هنالك على بني هاشم وبين المطلب أن لا يُناكحوه ولا يكون بينهم شيء حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إظهار شعار الإسلام في المكان الذي أظهروا فيه شعار الكفر والشرك ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُبنى مسجد الطائف في موضع اللاة والعزى انتهى . واختلف في حكم طواف الوداع فقيلاً : إنه نسك واجب ، لفعله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما في حديث ابن عباس قال : « كان الناس ينصرفون في كل وجهٍ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت » . أخرجه مسلم وأحمد ، وفي مجموع زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي أنه قال : « من حج فليكن آخر عهده بالبيت إلا النساء الحيض ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رخص لهن » ، وأشار الناظم بقوله ( على خلاف بينهم إلخ ) إلى ما ذكره ابن القيم في الاختلاف الواقع بين العلماء في كثير من تفاصيل حجه صلى الله عليه وآله وسلم من ابتدائه إلى

انتهاؤه ، وقد أطال ابن القيم الكلام في ذلك فمن أراد معرفة ذلك فليراجع  
( الهدي النبوي ) .

## فصل هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الأضحية

وَأَنَّ الْهَدْيَ فِي الْأَضْحِيَّةِ مَا جَاءَ فِي سُنَّتِهِ الْمَرْوِيَّةِ  
يَسْتَدِرُّهُ كَانَ النَّبِيُّ يَنْحَرُ وَالنَّحْرُ بِالتَّوَكُّيلِ عَنْهُ يَوْثُرُ

اختلف في حكم الأضحية ف قيل : الوجوب ، لحديث محنف بن سليم : « كنا  
وقوفاً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعتة يقول : يا أيها الناس إن على  
كل بيت في كل عام أضحية وغفيرة ، هل تدرون ما الغفيرة هي التي تسمونها  
الرجبية » أخرجه أصحاب السنن ، وقيل ليست بواجبة ، وإنما هي سنة مؤكدة  
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاث كتبت عليّ ولم تكتب عليكم ، الوتر  
والأضحية وركعتا الفجر » ، وفي لفظ « ثلاث هنّ عليّ فرائض وعليكم تطوع ،  
النحر والوتر وركعتا الضحى » أخرجه البزار والحاكم وابن عدي مما يدل على عدم  
وجوب ما في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا رأيتم هلالاً  
ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك من شعره » ، ووجه الاستدلال له أنه  
جعل ذلك مفوضاً إلى إرادتنا ، وأشار بقوله : ( بيده ) إلى أن من هديه صلى الله  
عليه وآله وسلم أن يتولى نحر أضحيته بيده وهديه ، وقد تقدم نحره للبدن بيده  
يوم النحر ، ولا بأس بالتوكيل لأمره صلى الله عليه وآله وسلم علماً بنحر ما بقي  
من البدن كما سبق .

بِحِذِّعِ الضَّانِ يُضْحَى وَالثَّانِي وَغَيْرِهِ كَمَا أَتَى فِي السَّنَنِ  
يَجْزِي لِأَهْلِ الْبَيْتِ شَاةً وَاحِدَةً بِذَلِكَ سُنَّةُ النَّبِيِّ وَارِدَةٌ

وسبعة من صحبة في بقرة      اشتركوا في حجة وعشرة  
وسبعة تشاركوا في بدنة      وكلها قد وردت مبينة  
في كتب الحديث والفقه فلا      يطول ذكرها هنا مفصلاً

أشار بهذا إلى سن الأضحية ، وأنه إنما يجزى الجذع من الضأن والثني من غير ذلك ، لحديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لاتذبحوا إلا مسنة إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جَذْعَةً من الضأن » ولما رواه زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أنه قال : « الأضحية صحيحة العينين والأذنين الجذع من الضأن والثني من سائر البهائم » وأشار بقوله : ( يجزى لأهل البيت شاة واحدة ) إلى القدر المجزى في الأضحية ، فقيل الشاة تجزى عن ثلاثة ، وقيل تجزى عن أهل البيت قَلَوًا أم كثروا ، وهذا هو الصحيح لحديث أبي أيوب « ما كنا نضحى بالمدينة إلا بالشاة الواحدة يذبحها الرجل عنه وعن أهل بيته ثم تباهى الناس وصارت مباهاة » أخرجه مالك في الموطأ ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، وأشار بقوله ( وسبعة من صحبة ) إلى جواز الاشتراك في الإبل والبقر في الهدى والأضحية ، لما ثبت من اشتراك الصحابة رضي الله عنهم في عام حجة الوداع سبعة نفر في بقرة وعشرة في بدنة وقيل بل سبعة فقط في بدنة لحديث جابر : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهلين بالحج فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نشترك في الإبل والبقر كل سبعة منا في بدنة » وفي رواية « نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية البقرة عن سبعة والبدنة عن سبعة » أخرجه مالك ومسلم وأهل السنن . وقيل تجزى البدنة عن عشرة لحديث ابن عباس قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحضر الأضحية ، فاشترك في البقرة سبعة وفي البدنة عشرة » أخرجه الترمذي والنسائي .

وشرطها سلامة العيوب كغير مكسور ولا مسلوب

أشار بهذا إلى حديث البراء بن عازب قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « لا يجوز في الأضاحي العوراء البين عورها ، ولا المريضة البين مرضها ، ولا العرجاء البين ضلعها والكسيرة التي لا تنقي » <sup>(١)</sup> أخرجه مالك وأحمد والأربعة .

هذا وشرط صحة الأضحية وقت أتى في السنة المروية وقيل بالتشريق والتام أوله وقبلها ماضى قيل أراد وقتها لا الفعل كبشين فهي سنة مأثورة تصدق النبي منها أثر وأكله من لحمها وادخرا

أشار بهذا أن للأضحية وقتاً مؤقتاً ابتداءً وانتهاءً لا تجزي إلا فيه وهو يوم النحر ويومان بعده ، لما رواه زيد بن علي عن أبيه عن جده علي عليه السلام أنه قال : « أيام النحر ثلاثة أيام يوم العاشر من ذي الحجة ويومان بعده » ، وقيل بل كل أيام التشريق لما رواه جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « في كل أيام التشريق ذبح » أخرجه الدارقطني ، وأما ابتداءه فمن بعد صلاة الأضحية لحديث البراء بن عازب قال : « ضحى خال لي يقال له أبو بردة قبل الصلاة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : شاتك شاة لحم ، فقال يا رسول الله : إن عندي داجناً من المعز جذعة فقال اذبحها ولا تصلح لغيرك ، ثم

(١) بضم التاء وسكون النون وكسر القاف التي لا تقي لها ، وهو الخ . انتهى من شرح سنن أبي داود .

قال : من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين وفي نسخة المؤمنين « أخرجه أحمد والشيخان . وعن أنس مرفوعاً « من ذبح قبل الصلاة فليعد » . وقوله : ( قيل أراد وقتها لا الفعل ) أشار إلى الخلاف ، هل المراد مضي وقت صلاة العيد أو لا بد من فعلها حيث يصلى الأظهر الثاني لحديث البراء في بعض رواياته من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أول ما نبداً به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل فإنما هو لحم قدمه لأهله وليس من النسك بشيء » وفي رواية الترمذي قال : « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : لا يذبحن أحدكم حتى يصلي » وأشار بقوله : ( ونحر النبي في المصلى ) ، إلى حديث أبي رافع قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إذا ضحى اشترى كبشَيْن سمينَيْن أقرنين أملحين ، فإذا صلى وخطب الناس أُتِيَ بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه ، ثم يقول اللهم عن أمتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ ، ثم يؤتى بالآخر ، فيقول هذا عن محمد وآل محمد فيطعمهما المساكين ويأكل هو وأهله منها ، فكثنا سنين ليس أحدٌ من آل محمد ضحى قد كفاه الله المؤنة برسوله صلى الله عليه وآله وسلم » وأشار بقوله : ( تصدق النبي إلى آخره ) إلى أن التصدق من الأضحية سنة مؤكدة لقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا الْقِيَّامَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ [ الحج ٢٢/٣٦ ] ولما روي عن علي عليه السلام قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقوم على بُذنه وأن أتصدق بلُحُومها وجلودها وأجلالها وأن لا أعطي الجازر منها شيئاً وقال نحن نعطيهِ من عندنا « أخرجه أحمد والشيخان ، وعن جابر رضي الله عنه قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث ، ثم قال بعد : كلوا وتزودوا » أخرجه مالك والشيخان ، وعن ثوبان قال : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحى بأضحية ثم قال : أملح لنا لحمها فما زلتُ أطعمه منها حتى قدمنا المدينة » أخرجه مسلم وأبو داود .

وإلى هنا انتهى الجزء الأول من التعليق على المنظومة في ٨ ذي القعدة الحرام  
سنة ١٤٠٠ هـ ، لله الحمد والمِنَّة والإفضال . وأسأله الإعانة على تمام الجزء الثاني  
منها ، والتوفيق ، وحسن الختام ، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المؤمنين  
والمؤمنات آمين .

كتبه محمد بن قاسم بن الوجيه عفر الله له آمين  
قد تم بعون الله الجزء الأول من التعليق على المنظومة والله الشكر .

## الجزء الثاني من التعليق على منظومة الهدى

هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجهاد والغزوات

فصل يخص الهدى في الجهاد هدى ختام الرسل خير هاد

اعلم أن الجهاد ذروة سنام الإسلام وقنته ، ومنازل أهله على منابر في الجنة ، كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الذروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلها ، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده ، ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً وأمره الله بالجهاد حين بعثه ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ [ الفرقان ٥٢/٢٥ ] . والمراد : بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ، وأما جهاد المنافقين : فهو تبليغ الحجة ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [ التوبة ٧٣/٩ ] ، والتحريم ٩/٦٦ ] . فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون به أفراداً في العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه ، وإن كانوا هم الأولين عدداً وهم الأعظمون عند الله قدراً ، ولما كان من أصل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض ، مثل أن تتكلم به عند من تخاف صدوته وأذاه ، وكان للرسل من ذلك الحظ الأوفر ، وكان لنبينا صلوات الله عليه من ذلك أكل الجهاد وأتمه .

وهو إلى ثلاثة ينقسم منها جهاد النفس وهو الأعظم



ومثله الجهاد للشيطان      ثالثها جهاد ذا العدواني  
من مشرك بالله ومنافق      أو ظالم عن الطريق مارق

أشار بالبيت الأول إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج قرعاً على جهاد العبد نفسه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له ، فإنه مالم يجاهد نفسه لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج فكيف يكون ذلك وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له لم يجاهده ولم يحاربه في الله بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج ، فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادها وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده ، وهو واقف بينهما يشبط العبد عن جهادهما ويخيل له ما في جهادهما من المشاق ، وترك الحظوظ في الدنيا ، وفوات اللذات والمشتريات ، ولا يمكنه يجاهد ذئبك العدوين إلا بجهاده ، فكان جهاده هو الأصل لجهادهما وهو الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [ فاطر ٦/٢٥ ] . فالأمر باتخاذ عدو تنبيه على است فراغ الوسع لمحاربتة ، فهو عدو لا يفتر عن محاربة العبد ، هذه ثلاثة أعداء أمر العبد بمحاربتها وجهادها ، وقد بلى العبد بمحاربتها في هذه الدار وسلطت عليه ابتلاء وامتحاناً من الله ورحمة وإلى هذه أشار الناظم بقوله :

فجهاد نفسه فليبدأ      طالب حق فهي أخطر العدا  
لأنها ما بين جنبيه غدت      قاعدة إن رآم خيراً بعدت  
ومثلها الشيطان بل هو أعدى      منها فكن للحرب مستعداً

قال الناظم رحمه الله مبيناً للعدة التي يحارب بها المرء هذه الأعداء قال :

بعدة من بها الرحمن	يعجز عنها النفس والشيطان
العقل والسمع والأبصار	كذا القوى للعبد والأذكار
وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا كُتُبَهُ	مَعَ رُسُلِهِ مَبِيناً مَا أَوْجِبَهُ
مميّزاً حلاله من الحرام	ثم أمد بالملائك الكرام
فقال إني معكم فثبتوا	المؤمنين إن عليه ثبتوا
وسلط الأعداء كما يبلو	أخبار من يعصي ومن يمثل
ومن عصا ماضراً إلا نفسه	خسر في الدنيا ونال بحسه
إذا الجهاد أعظم التجارة	يربح عاصي نفسه الأمارة
مع أنه لمن عصا ما أقنطاً	ولم يعاجله إذا ما أسخطاً
بل فتح الباب وقال اقبلوا	إلى بالتوبة إني أقبل

اعلم أن الله أعطى العبد مدداً وعدةً وأعواناً وسلاحاً لهذا الجهاد ، وأعطى أعداءه مدداً وعدةً وأعواناً وسلاحاً ، وبلى أحد الفريقين بالآخر ، وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلو أخبارهم ، ويمتحن من يتولاه ورسله ، ممن يتولى الشيطان وحزبه ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ [ الفرقان ٢٥/٢٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَاتَّقَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [ محمد ٤٧/٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [ محمد ٤٧/٣١ ] . فأعطى الله عباده الأسماع والأبصار والعقول والقوى ، وأنزل عليهم كتبه وأرسل إليهم رسله وأمدهم بلائكته ، وقال لهم : ﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [ الأنفال ١٢/٨ ] ، وأخبرهم أنهم إن امتثلوا ما أمرهم به لم يزلوا منصورين على عدوهم ، وأنه إن سلطه عليهم فبتركهم بعض

مَأْمُرُوا بِهِ وَلِعَصِيَّتِهِمْ لَهُ ثُمَّ لَمْ يَقْنَطْهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بَلْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا أَمْرَهُمْ ،  
وَيَعُودُوا إِلَى مَنَاهِضَةِ عَدُوِّهِمْ ، فَيَنْصَرِّمُ عَلَيْهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِعَدُوِّهِمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ  
مَعَ الصَّابِرِينَ وَمَعَ الْمُحْسِنِينَ وَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَجَاهِدِ النَّفْسَ ابْتَدَى بِغَسْلِهَا	بَنُورِ عِلْمٍ مَذْهَبَ لُجْهَلِهَا
تَعَلَّمَ الْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ	تَلَحَّقَ إِذَا شِئْتَ بِأَهْلِ السَّبْقِ
ثُمَّ إِذَا عَلِمْتَ فَاعْمَلْ مُخْلِصاً	فَاللَّهُ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْخُلَصَا
وَجَاهِدِ النَّفْسَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى	مَشَقَّةِ الدَّعَاءِ إِلَى رَبِّ الْمَلَا
إِنْ نِلْتَ حَقّاً هَذِهِ الْمَطَالِبَا	كَنتَ لَهَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ غَالِبَا

إذا عرف هذا ، فجهاد النفس أربع مراتب ، أحدها : أن يجاهدها على تعلم  
الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة بمعاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها  
علمه شقيت في الدارين . الثانية : أن يجاهدها على العمل به وإلا فجرد علم  
بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها ، الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من  
لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتبون ما أنزل الله من الهدى والبيّنات . الرابعة :  
أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك  
كله ، فمن استكمل هذه المراتب الأربع صار من الرّبانيين ، لأن السّلف مجمعون على  
أن العالم لا يستحق أن يسمّى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه ، فمن علم  
وعلم وعمل فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء .

وَجَاهِدِ الشَّيْطَانَ بِالنَّقْضِ لِمَا	يُلْقِي مِنَ التَّشْكِيكِ فِيمَا عَلِمَا
بِأَنَّهُ الْحَقُّ مِنَ الْإِيمَانِ	وَادْفَعْ بِعِلْمٍ شُبْهِهِ الشَّيْطَانِ
وَبِالْيَقِينِ دَفَعَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ	كَذَلِكَ الصَّبْرُ لِدَفْعِ الشَّهَوَاتِ
فَإِنْ تَكُنْ عَلَيْهَا نُصْرَتَ	فَأَنْتَ بِالثَّالِثِ قَدْ ظَفَرْتَ

أما جهاده الشَّيْطَان وهو الثَّانِي من الجهاد ، فله مرتبتان ، أحدهما : جهاده على دفع ما يُلقِي على العبد من الشُّبُهَات والشُّكُوك القاذحة في الإيمان . الثانية : جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات والشَّهَوَات قوله : ( فأنت بالثالث قد ظفرت ) أشار به إلى الجهاد الثالث الآتي وهو قوله :

وَهُوَ جِهَادٌ وَقَعَ فِي الْخَارِجِ	لِمُعْتَدٍ عَنِ الطَّرِيقِ خَارِجٍ
وَأَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ	يَكُونُ بِالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ
وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَاللِّسَانِ	وَأَضْعَفُ الْجِهَادِ بِالْجِنَانِ
وَجُوبُهُ بِالْمَالِ قَبْلَ النَّفْسِ	بِالنَّصِّ بِالذِّكْرِ بِغَيْرِ لِبْسٍ
فَهَذِهِ مَرَاتِبُ الْجِهَادِ	لِمَنْ يَقُومُ فِيهِ بِاجْتِهَادٍ

أما جهاد الكفار والمنافقين وهو الثالث من أنواع الجهاد ، فله أربع مراتب بالقلب وهو أضعفها ، باللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخصّ باليد ، وجهاد المنافقين أخصّ باللسان ، وبقي نوع رابع وهو جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات ، وله ثلاث مراتب : الأولى باليد إذا قدر فإن عجز انتقل إلى اللسان وأشار بقوله : ( وجوبه بالمال ) إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ☆ تَوَمِّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ [ الصف ١٠/١١ - ١١ ] إلى آخر الآية الثانية .

وَأَكْمَلُ الْخَلْقِ الَّذِي يَسْتَكْمِلُ	مَرَاتِبَ الْجِهَادِ وَهُوَ الْأَفْضَلُ
وَلَيْسَ إِلَّا لِنَبِيِّ الْمَلْحَمَةِ	نَبِينَا الْجَائِزِ كُلِّ مَكْرَمَةٍ
قَدْ اِمْتَطَى فِي ذَاكَ كُلِّ صَهْوَةٍ	حَتَّى ارْتَقَى مِنْهُ بِأَعْلَى ذِرْوَةٍ
جَاهِدَ بِالْقَلْبِ وَبِاللسَانِ	لِرَبِّهِ وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ

أَكْمَلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ اسْتَكْمَلَ مَرَاتِبَ الْجِهَادِ ، وَالْخَلْقُ مُتَفَاوِتُونَ فِي

منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد ، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله ، فإنه كل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده ، وشرع في الجهاد من حين بُعثَ إلى أن توفاه الله عز وجل ، وقد أشار الناظم إلى هذا بقوله :

من أول البعثة قام جاهداً	في أمره ولم يزل مجاهداً
مذ أنزل الرحمن قُمْ فَأَنْذِرْ	فَقَامَ لَا وَا نِ وَلَا مَقْصَر
يدعو الورى وبالدُّعَا يجاهد	فيستجيب واحداً فواحداً
مستخفياً يدعوهم إليه سرّاً	يخشى على من استجاب الضراً
ثم أتى الأمر له أن يصدعاً	بأمر ربّه ويعلن الدُّعَا
فقام يدعو جهرةً وأعلنّا	وأظهر الإيمان من قد آمنّا

لما نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ وَرَبِّكَ فَكْبُرُ ۚ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۚ ﴾ [ المدثر ١/٧٤ - ٤ ] . شمر عن ساق الدُّعْوَة وقام في ذات الله أتم قيام ، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، فلما نزل عليه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ۚ ﴾ [ الحجر ١٥ - ٩٤ ] . صدع بأمر الله لا تأخذه في الله لومة لائم ، فدعا إلى الله الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، والحر والعبد ، والأحر والأسود ، واستجاب له إلى الإسلام علي بن أبي طالب ، وصديقة النساء خديجة بنت خويلد ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وزيد بن حارثة ، وغيرهم كثير .

ثم قرّش مــــع ذا لاتنكر	ولا ينال من أجاب الضر
حتى إذا جاهرهم بالسب	لدينهم ومادعوا من رب
وأن آلهتهم لاتنفـع	ولا تضر لاترى لاتسمـع

فَشَمَرُوا حِينَئِذٍ عَنْ سَاقٍ      لَدَفَعَهُ وَالضَّرَّ وَالشَّقَاقِ  
لَكِنْ حَمَاهُ رَبُّهُ بِعَمِّهِ      مَعَ كَفَرِهِ لِحِكْمَةٍ فِي عِلْمِهِ  
أَعْنَى أَبَا طَالِبٍ الْكَرِيمِ      وَكَانَ فِي قَرِيشٍ السُّزْعِمِ  
وَنَالَهُ بَعْضُ أَذَاهِمُ ابْتِلَا      لَهُ وَذَاكَ شَأْنُ سَادَاتِ الْمَلَا  
لَكِنَّ مَنْ ضَعْفَ مِنْ أَصْحَابِهِ      تَفَنَّنَ الْكَفَّارُ فِي عَذَابِهِ  
كَأَلِ يَاسِرٍ كَذَا الْمَوْلَى بِلَالٍ      وَغَيْرِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ

لما دخل الناس في الدين واحداً بعد واحد لم تُنكر عليهم قريش حتى بادأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعيب دينهم وسب آلهتهم ، وأنها لا تنفع ولا تنفع ، فحينئذ شتموا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، فحمى الله رسوله بعمة أبي طالب لأنه كان شريفاً معظماً في قريش ، مطاعاً في أهله وأهل مكة لا يتجاسرون على مكاشفته بشيء من الأذى ، وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاءه على دين<sup>(١)</sup> قومه في أول الأمر لما في ذلك من المصالح التي تبدولمن تأملها ، ولم يسلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أذاهم كله بل ناله بعض أذاهم الذي لا بد أن يناله الرسل وأتباعهم ، وأمّا أصحابه فنالهم من الأذى ما هو معلوم في كتب السير ، حتى أن بعض المشركين كان يقول لأحد ضعفاء المسلمين بعد أن يناله العذاب منه اللات والعزى إلهك من دون الله ، فيقول : نعم خوفاً منه . ومرَّ عدو الله أبو جهل بسميّة أم عمار بن ياسر وهي تُعذب وزوجها وابنتها ، فطعنها بحربة في فرجها ، وكان أبو بكر الصديق إذا مرَّ بأحد من العبيد يُعذب

(١) الذي في كتب السير : أن أبا طالب كان مسلماً إذ الإسلام في حياته لم يكن إلا بالإقرار بالله بالوحدانية ، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة ، وأشعاره التي رواها أهل السير صريحة بدينك بلا خلاف بينهم من أنه قائلها ، وكان به متكبّراً ليتم له المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وسبقه إلى ذلك مؤمن آل فرعون وآل فرعون فعليك بها ما ذكرت إذا عرفت أن فرائض الإسلام لم تفرض إلا بعد موت أبي طالب .

اشتراه منهم وأعتقه منهم : بلال بن رباح ، وعامر بن فُهيرة ، وجارية لبني عدي كان عمر يُعَذِّبُها على الإسلام قبل إسلامه فقال له أبوه : يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أعتقت قوماً جلدأً ينعونك ، فقال له أبو بكر : إني أريد ما أريد .

حتى إذا اشتدَّ البلاء والضرر ولم يكونوا بجهادٍ أمروا  
فأذن الله لهم بالهجرة فهاجروا وتلك أولى مرة  
رجالهم قد حصروا اثني عشر وأربع من النساء كما اشتهر  
فركبوا البحر إلى النجاشي فظفروا بأطيب المعاش  
ورجعوا لخبر أئامهم أن قريشاً أسلمت وراهم  
وبان بعد كذب الأخبار فدخلوا مكة في الجوار

لما اشتدَّ البلاء على الضعفاء المسلمين من أهل مكة من المشركين أذن الله لهم بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشة ، وكان أول من هاجر إليها عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة : عثمان بن عفان وامرأته ، وأبو حذيفة وامرأته سهلة بنت سهيل ، وأبو سلمة وامرأته أم سلمة ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي خيثمة ، وأبوسبرة ابن أبي رهم ، وحاطب بن عمر ، وسهيل بن وهب ، وعبد الله بن مسعود ، خرجوا متسللين سراً ، فوقف الله لهم ساعة ووصلهم إلى الساحل سفينتين للتجار ، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة ، وكان مخرجهم في رجب في السنة الخامسة من المبعث ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً ، ثم بلغهم أن قريشاً قد كفوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأذية فرجعوا ، فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار ، بلغهم أن قريشاً أشد ما كانوا عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهاجروا لما أذوا وهجروا      مِنْ مَّـثَلَةٍ أَكْثَرُ فِيهِمْ جَعْفَرُ  
 جاؤوا النَّجَاشِيَّ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ      وأظهر الله الهُدى ونعشه  
 إذ أسلم العم العظيم الأسـد      حمزة من له عداة يشهد  
 فظهر الحقُّ به وعزَّ      وذلت اللات له والعزى  
 وازداد دين الله عزَّاً وظهر      إذ أسلم الفاروق أبو حفص عمر

بعد رجوع المهاجرين من أرض الحبشة إلى مكة اشتدَّ البلاء من قريش على  
 من قدم من المهاجرين وغيرهم ، وسطت بهم عشائهم ، وأذن لهم رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرّة ثانية ، وكان خروجهم  
 الثاني أشدَّ عليهم وأصعب ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ، ونالوهم بالأذى ،  
 وصعب عليهم ما بلغهم عن النَّجَاشِي من حسن جواره للمهاجرين ، وكان عِدَّة من  
 خرج في هذه المرّة ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن النساء تسعة عشرة امرأة ، وانحاز  
 المهاجرون إلى مملكة أصحمة النَّجَاشِي آمنين ، فلما عَلِمَتْ قُريش بذلك بعثت في  
 إثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم إلى النَّجَاشِي  
 ليردهم عليهم ، فأبى ذلك عليهم ، فشفعوا إليه بعظماء جُنْدِه فلم يجبههم إلى  
 ما طلبوا ، فوَّشوا إليه أن هؤلاء يقولون في عيسى قولاً عظيماً ، يقولون إنه  
 عبد الله ، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه وفي مُقَدِّمتهم جعفر بن أبي طالب ،  
 فلما أرادوا الدخول عليه قال جعفر : يستأذن عليك حزب الله ، فقال للآذن  
 يعيد استئذانه ، فأعاده عليه ، فلما دخلوا عليه قال : ماتقولون في عيسى فتلا  
 عليه جعفر صدرأ من سورة ﴿ كهيعص ﴾ [ مريم ١/١٩ ] . فأخذ النَّجَاشِي عوداً  
 من الأرض فقال : مازاد عيسى على هذا ولا هذا العود فتناخرت بطارقه عنده ،  
 فقال : وإن نخرتم ، وإن نخرتم . فقال : اذهبوا فأنتم سيِّومٌ بأرضي من سبِّكم غُرم ،  
 والسيِّوم : الآمِنون في لِسَانِهِمْ ، ثم قال للرُّسولِين : لو أعطيتُموني ديراً من ذهب



( يقول : جبلاً من ذهب ) ما أسلمتهم إليكما ، ثم أمر فردت عليهما هداياهما ورجعا مقبوحين .

قوله : ( وأظهر الله الهدى ونعشه إلى آخر البيتين ) ثم أسلم حمزة عمه ، والسبب في إسلامه وكان في السنة الخامسة أو السادسة من المبعث ، وكان أعزفتي في قريش وأشدّه شكية ، وأقواه عزيمة ، هو أن أبا جهل لعنه الله مرّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنال منه بعض ما يكره من الأذى والسب له ، والعيب لدينه ، والتّصغير لأمره ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيء ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها قريب منها تسمع كل ما قال أبو جهل ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجع بيته ، وانصرف أبو جهل فجاء نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث أن رجع حمزة من قنصه ، وكان صاحب قنص يخرج له ويرميه ، فإذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وإذا تمّ طوافه ومرّ بناذ من قريش وقف وسلّم وتحدّث معهم ، فلما رجع ذلك اليوم من قنصه مرّ بالمولاة ، فقالت له : يا أبا عمارة لورأيت مالقي ابن أخيك أنفاً من أبي الحكم بن هشام ، وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ومحمد لم يكلمه بشيء ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من الكرامة ، وخرج يسعى لا يقف على أحدٍ معدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه ، حتّى إذا وقف على رأسه أخذ القوس فضربه بحد القوس فشجّه شجّةً منكّرة ، ثم قال : اشهد فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فردّ عليّ بما استطعت ، فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فوالله لقد سبّبت ابن أخيه سبّاً قبيحاً ، وتمّ حمزة على إسلامه . وروي عنه أنه قال : لما احتملني الغضب وقلت أنا على دينه أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله

أن يشرح صدري ويذهب عني الرُّيب ، فما استتمتُ دعائي حتى امتلأ قلبي يقيناً ، فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بما كان من أمري فدعا لي بأن يثبتني الله ، فأعز الله بإسلام حمزة الدِّين ، وشد به أزر المؤمنين ، وذلك حزبُ المشركين لِمَا عرفوه من شدة شكيمته وقوة عزيمته ، وازداد دين الله عزراً بإسلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر من أشد الكفار على المسلمين وأبعدهم عن هذا الدِّين ، روي عن أم عبد الله ليلي بنت خيثمة زوجة عامر بن أبي ربيعة حليف آل الخطاب أنها قالت : إِنَّا نلقى من عمر أشدَّ البلاء أذىً وشدةً علينا ، فوالله إِنَّا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر ببعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر حتَّى وقف علي فقال : إنه للانطلاق يا أمَّ عبد الله ، قالت : فقلت : نعم أذيتونا وقهرتمونا ، والله لنخرجن في أرض الله حتَّى يجعل الله لنا مخرجاً ، فقال : أصحبكم الله ورأيت له رقةً لم أكن أعرفها منه ، وقد أحزنه فيما أرى خروجنا ، قالت : فجاء عامر ، فقلت : يا أبا عبد الله لورأيت عمر أنفأ ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمِئت في إسلامه ؟ قالت : فقلت : نعم ، قال : لا يسلم الذي رأيتِ حتَّى يسلم حمار الخطاب ، يعني بذلك حماراً كان للخطاب والد عمر يحمل عليه ، وقد جاء في سبب إسلامه روايات مختلفة ، ملخصها أن عمر بن الخطاب كان شديداً على المسلمين ، بعيداً عن الحق ، باغضاً لهذا الدِّين ، فخرج يوماً فتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجده في المسجد يصلي ، فقام خلفه واستفتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسورة الحاقة ، فقال عمر : فما زلت أتعجب من حسن تأليف القرآن ، وأقول في نفسي إنه لشاعر كما قالت قريش ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ هُوَ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ [ الحاقة ٦٩/٤١ ] ، فقلت : هُوَ كاهن عليم ما في نفسي ، فقرأ : ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُذَكِّرُونَ ﴾ [ الحاقة ٦٩/٤٢ ] ، فوقع الإسلام في قلبي ، وجلست يوماً في نادي قريش مع أشراف فيهم أبو جهل ،

فقال : يا معشر قريش ، إنَّ محمداً قد شتم أهلكم ، وسبَّ دينكم ، وفرَّق جماعتكم ، وزعم أن آبائكم يتهافتون في النار ، فمن قَتَلَ محمداً فله مئة ناقة حراً وسوداً وألف أوقية من الفضة ، فطمع عمر في ذلك ، فتوشَّح سيفه ، وتكبَّ سِنانه ، ومضى وقد ذكَّر له أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بيت عند الصَّفا في جماعة من أصحابه ، فَرَّ بعجلٍ يَذبح ، فقام إلى الذين يذبحونه ، فإذا هاتِفٌ من جوف العجل يقول يا ذبيح ، يا ذبيح ، رجل يصيح بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، قال عمر : فقلت : كأنَّه أرادني ثم مضى ، فسمع هاتفاً آخر يقول :

يا أيُّها النَّاس ذوي الأجسام      ما أنتم وطائش الأحلام  
ومسند الحكم إلى الأصنام      أما ترون ما أرى أمامي  
قد لاح للنَّاظر من تهامي      أكرم به بالله من إمامي  
قد جاء بعد الكفر بالإسلام

فقال عمر : فقلت : والله ما أراه إلاَّ أرادني ، ثم مضى حتَّى مرَّ بالظَّهار ( صنم لهم ) فإذا هاتِف من جوفه يقول :

ترك الظَّهار وكان يعبد وحده      بعد الصَّلَاة مع النِّبي محمد  
إنَّ الذي ورث النَّبوة والهدى      بعد الفُتوة من قريش مهتدي  
سيقول من عبَد الظَّهار ومثله      ليت الظَّهار ومثله لم يُعبد  
إصبر أبا حفص فإنَّك آمن      يأتيك عزٌّ غير عزِّ بني عدي

فقال عمر : والله لقد علمت أنه أرادني ، ثم مضى فلقى نعيم بن عبد الله النحام رجل من قومه من بني عدي وكان قد أسلم إلا أنه كان مستخفياً بإسلامه ، فقال : أين تُريدُ يا عُمَر ؟ قال : أريد هذا الصابي الذي فرق جماعتنا ، وسب

آلَهِنا ، وسَفَّهُ أَحْلامَنا ، فَأَقْتَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ نَعِيمٌ : لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ يَا عَمْرُ ، أَتَرَى  
بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ تَارِكُوكَ تَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا ، أَلَا تَرْجِعُ إِلَى  
بَيْتِكَ فَتَقِيمَ أَمْرَهُمْ ، فَقَالَ : وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي ، فَقَالَ : خَتْنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ  
زَيْدٍ ، وَأَخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا وَبَايَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ  
فَعَلَيْكَ بِهِمَا ، فَرَجَعَ عَمْرٌ مُغْضَبًا عَامِدًا إِلَى خَتْنِهِ وَأَخْتِهِ ، وَكَانَ الْخَبَابُ بْنُ الْأُرْتِ  
يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ الْخَطَّابِ وَزَوْجِهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ يُعَلِّمُهُمَا الْقُرْآنَ ، وَمَعَهُ  
صَحِيفَةٌ فِيهَا سُورَةُ ﴿ طه ﴾ [ طه ١/٢٠ ] . فَلَمَّا سَمِعُوا بِحَسَنِ عَمْرِ تَغْيِيبَ خَبَابٍ  
فِي بَعْضِ الْبَيْتِ ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخْذِهَا ، وَكَانَ عَمْرٌ حِينَ  
ذَنَا مِنَ الْبَابِ سَمِعَ قِرَاءَةَ خَبَابٍ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ : مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ الَّتِي  
سَمِعْتُ ، قَالَا : مَا سَمِعْتَ شَيْئًا . قَالَ : بَلَى وَاللَّهِ سَمِعْتُ وَلَقَدْ أُخِيرْتُ بِأَنَّكُمَا بَايَعْتُمَا  
مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ ، وَبَطَشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، فَقَامَتْ أَخْتُهُ إِلَيْهِ تَكْفُهُ عَنْ  
زَوْجِهَا ، فَضَرَبَهَا فَشَجَّهَا شَجَّةً مَنَكْرَةً ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ، قَالَا : نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا  
فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ ، فَحِينَ رَأَى مَا بِأَخْتِهِ مِنَ الدَّمَاءِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ فَأَرْعَى ،  
فَقَالَ لِأَخْتِهِ : مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ أَنْفًا تَقْرَأُونَ فِيهَا ، فَقَالَتْ أَخْتُهُ : إِنَّا  
نَخْشَاكَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : لَا تَخَافِي وَحَلْفُ لَهَا بِأَلْهِتِهِ لَيَرُدَّهَا إِذَا قَرَأَهَا ، فَلَمَّا قَالَ  
ذَلِكَ : طَمَعَتْ أَخْتُهُ فِي إِسْلَامِهِ ، قَالَتْ : يَا أَخِي إِنَّكَ نَجِسٌ عَلَى شَرِكِكَ ، وَإِنَّهُ  
لَا يَمْسُهَا إِلَّا الطَّاهِرُ ، فَقَامَ عَمْرٌ فَاسْتَسَلَّ ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ ، وَفِيهَا سُورَةُ  
﴿ طه ﴾ [ طه ١/٢٠ ] فَلَمَّا قَرَأَ شَطْرًا مِنْهَا قَالَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ ،  
فَحِينَ سَمِعَهُ خَبَابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَصُّكَ  
بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسَ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ  
بِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ اللَّهُ اللَّهُ يَا عَمْرُ ، فَقَالَ عَمْرٌ عِنْدَ ذَلِكَ فَدَلَّنِي يَا خَبَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ ،  
فَقَالَ لَهُ خَبَابٌ : هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصُّفَّا مَعَهُ فِيهِ تَفَرُّ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَتَوَشَّحْ عَمْرٌ  
بِسَيْفِهِ ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، فَلَمَّا

سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر من خلل الباب ، فرأى عمر متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو فزع ، فقال : يا رسول الله هذا عمر متوشحاً سيفه . فقال حمزة بن عبد المطلب ائذن له ، فإن كان يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لقيه في الحجرة فأخذه بحجزته أو بجمع رداءه ، ثم جَبَذَهُ جَبْذَةً شَدِيدَةً حتى وقع على ركبتيه ، فقال ماجاء بك يا ابن الخطاب ، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكبر من معه من أصحابه لتكبيره ، حتى سَمِعَ التكبير إلى المسجد ، وتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكانهم ورأوا أنهم قد عَزَّوْا بِإِسْلَامِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُمَا سَيَمْنَعَانِهِمَا وَيَنْتَصِفَانِ لَهُمَا مِنْ عَدُوِّهِمَا .

وإذ رأت قُرَيْشُ عَزَّ الْإِسْلَامَ عَادُوا إِلَى خَدَعِ النَّبِيِّ بِالْكَلَامِ وَعَرَضُوا الْمَالَ عَلَيْهِ وَالشَّرَفَ وَالْمَلِكَ حَتَّى يَرْتَقِيَ أَعْلَى الْغُرْفِ وَطَلَبُوا تَعْنَتَ أَشْيَاءَ وَعَنْ ثَلَاثِ سَأَلُوا إِبْنَاءَ أَجَابَهُمْ بِمَا بِهِ قَدْ أَمَرَهُ إِلَهُهُ وَمَا عَلَيْهِ أَظْهَرَهُ

لما رأت قريش الإسلام زاد عزاً رجعوا إلى الخداع بالكلام ، وطمعوا في نيل غرضهم بفساد الأوهام ، فاجتمع أشرافهم من كل قبيلة عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد وخاصموه وكلموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد أجمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يظن أن قد بدا لهم فيما صار يدعوه إليه بائداً ، وكان حريصاً على رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا له يا محمد إنا بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا لانعلم رجلاً أدخل على قومنا من الشر ما أدخلت ، شتمت الآباء وعبت الدين ، وسفّهت الأحلام ،

وما بقي قبيح فيما بيننا وبينك إلا جِئْتَهُ ، فإن كنت إنما جِئْتَ بهذا الأمر تريد المال جمعناه لك ، حتى تصير أكثرنا مالاً ، أو الشرف شرفناك وسودناك علينا ، أو تريد الملك ملكناك علينا ، وإن كان قد غلب عليك تابعك من الجن طلبنا الطب لك ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بي ما تقولون ما جئتم بما جِئْتُ به أطلب أموالكم ، ولا أريد الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تفعلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا شيئاً عرضناه عليك ، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيّق منا عيشاً وأقل مالاً ولا أضيّق بلدأ فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا بها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مَضَى من آبائنا وليكن فيمن يبعثهم لنا قصي بن كلاب فإنه كان رجل صدقٍ فنسألهم عما تقول ، فإن صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من ربك ، وأنه بعثك رسولا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بهذا بعثت إليكم ، وإنما جئتم بما أمرني به الله ، فإن تقبلوه فحظكم وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله ، قالوا فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك ، سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، واسأله فليجعل لك جناناً وأنهاراً وقصوراً وكُنُوزاً من ذهب وفضة تغني بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق ، وتلتس المعاش كما نلتسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنا بالذي يسأل ربّه هذا ، ولا بذلك بعثت ، وإنما بعثت بشيراً ونذيراً فإن تقبلوا فحظكم وإلا أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم ، قالوا فأسقط علينا كسفاً من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذلك إلى الله إن شاء يفعله بكم فعل ، قالوا يا محمد فأعلم ربك أن

يجلس معك ونسألك عما سألتك به ونطلب منك ما طلبناه فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك بما هو صانع بنا إن لم تقبل ما جئتنا به إنه قد بلغنا أننا يعلمك هذا رجل باليامة يُقال له الرحمن ، وإنا والله لانؤمن بالرحمن أبداً ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لانتركك حتى نُهلكك أو تُهلكنا ، فقام عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن أبي أمية الخزومي وهو ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال : يا محمد عَرَضَ عليك قَوْمُكَ ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لنفوسهم أمراً ليعرفوا به منزلتك من الله فيصدقوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ نفسك ما يعرفون من فضلك عليهم فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل ، فوالله يا محمد لاؤمن بك إلا أن تتخذ سُلماً إلى السماء ثم تَرَقَى فيه ، وأنا أنظر إليك حتى تأتها ثم يأتي بعد معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله لو فعلت ذلك ما ظننتُ أنني أصدقك ، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزيناً لما فاتته ما كان يطمع فيه من قومه ، ثم إن قريشاً ائتمروا بينهم وأجمعوا أن يبعثوا إلى أحبار اليهود مَنْ يسألهم عما أنزل بهم ، فبعثوا النضر بن الحارث وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط ، وقالوا لهما سلوهم عن محمد وصفاً لهم صِفَتَهُ وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم عِلْمٌ ليس عندنا مِنْ علم الأنبياء ، فخرجوا حتى قدما المدينة ، فقالا لأحبار اليهود إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، ووصفاً لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبراهم ببعض قوله ، فقال لهما أحبار اليهود سلوه عن ثلاث فإن أخبركم فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ، فإن لهم حديثاً عجبياً ، وسلوه عن رجل طَوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروحِ ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه ، وإلا فهو متقول ، فأقبل

النضر وعقبة حتى قدما مكة فقال : يا معشر قريش قد جئنا نفصل ما بينكم وبين محمد ، ثم جاؤوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عما أمرهم به أحبار اليهود ، فقال لهم : أخبركم عما شئتم غداً ولم يستثن فانصرفوا عنه ، فكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله شيئاً ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجفت أهل مكة ، وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة لم يخبرنا عن شيء مما سألناه ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمكث الوحي عنه ، وشق به ما يتكلم به قريش ثم جاءه جبريل فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد احتبست عني حتى سيئت ظناً ، فقال جبريل ﴿ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [ مريم ١٩/٦٤ ] الآية ، وأنزل الله عليه سورة الكهف فيها نبأ ما سألوه عنه من أمر الفتية وهم أهل الكهف ، والرجل الطواف وهو ذو القرنين ، والروح ، وعاتب الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على عدم استثنائه بقوله ﴿ وَلَا تَقُولنَّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ [ الكهف ١٨/٢٢ ] .

وَحِينَ غَاضَ الْمُشْرِكُونَ قَامُوا	ثُمَّ فَشَى فِي مَكَّةَ الْإِسْلَامُ
وَإِنَّهُ مِنْ أَكْثَرِ الْجُرَائِمِ	وَاجْتَهَدُوا فِي قَطْعِ آلِ هَاشِمٍ
وَيَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ شَنِيعَةٍ	وَكُتِبُوا صَحِيفَةَ الْقَطِيعَةِ
وَفِيهِ قَدْ لَاقُوا أَشَدَّ حَرْبٍ	وَانْحَازَ آلُ هَاشِمٍ فِي الشَّعْبِ
عَنْهُمْ مَعَ شَدَائِدٍ كَثِيرَةٍ	مِنْ انْقِطَاعِ مَدَدٍ وَمِيرَةٍ
فِي شَعْبِهِمْ وَفِي جَمِيعِ مَا كُتِبَ	وَمَعَهُمْ دَخَلَ آلُ الْمُطَلَبِ
ثَلَاثَةً فِي أَضْيَاقِ الْمَقَامِ	حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ الْأَعْوَامِ
فِي نَقْضِ مَا قَدْ أُبْرِمُوا مِنْ أَمْرِ	قَامَ إِذَا هَشَامُ بْنُ عَمْرِو
وغيرهم منهم فتم ما يشاء	سَعَى إِلَى الْمُطْعِمِ فِيهِ وَمَشَى
عليهم عامهم حتى قضا	فخرجوا من ذاك لكن ماضى



لما رأت قريش الإسلام فشأ في مكة وعز بإسلام من أسلم من صناديد المسلمين كحمزة وعمر ، ورأوا من إكرام النجاشي لمن هاجر إليه ، وأن الإسلام فشا في قبائل العرب ، غاظهم ذلك ، فأجمعوا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبلغ ذلك أبو طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب ودعاهم إلى منع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعبهم ومنعوه ، وأجاب أبا طالب إلى ذلك جميع البطنين المذكورين حتى كفّارهم حمية منهم إلا أبا لهب فانسلخ عنهم إلى أعدائهم ، فحين رأت قريش ذلك وأعيتهم الحيلة ، فضاقت بهم الأمر اجتمع جميع قبائلهم وتآمروا فيما بينهم فأجمع رأيهم على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، وعلى أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوا منهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، ولا يجالسوهم ولا يكلموهم ، وتعاهدوا على ذلك وكتبوا في ذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، ودخلوا معه في شعبه إلا أبا لهب ، وأقاموا هنالك محصورين مضيقاً عليهم مقطوعاً عنهم الميرة ، ولا يصل إليهم أحد بشيء إلا سراً ، وبلغ منهم الجهد ببقائهم في الشعب ، فكانوا يأكلون الخبط ورق الشجر المنفوض ، وكان معهم سعد بن أبي وقاص ، وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام ، فيقول أبو لهب يامعشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فيزيدون عليهم في السلعة أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، ليس معهم شيء يُعلّلهم به ولقد كان يسمع بكاء الأطفال من وراء الشعب لشدة الجوع ، وما زال الأمر كذلك حتى جهد من في الشعب غريباً وجوعاً ، ومضى لهم على ذلك ثلاثة أعوام وهم ينتظرون الفرج من الله ، وكانت قريش بين راضٍ وكاره ، فسعى في نقض الصحيفة من كان لذلك كارهاً فهم هشام بن عمر وهو الذي قام بذلك أتم قيام ، لأنه ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه ، وكان محباً لبني هاشم

وَاصِلًا لَهُمْ وَكَانَ يَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَهُ طَعَامًا حَتَّى إِذَا كَانَ بِقَمِّ الشَّعْبِ خَلَعَ عَنْهُ خَطَامَهُ وَضَرَبَهُ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الشَّعْبِ ، وَيَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَهُ بَرًّا فَيَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ فَلَمَّا طَالَتِ الْمُدَّةُ عَلَى مَنْ فِي الشَّعْبِ مِثْلُ هِشَامَ إِلَى زَهِيرِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَقَالَ : يَا زَهِيرُ أَرْضَيْتِ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ ، وَتَنْكِحَ النِّسَاءَ ، وَأَخْوَالكَ حَيْثُ عَلِمْتَ لَا يَبِيعُونَ وَلَا يَبْتَاعُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يَنْكِحُ إِلَيْهِمْ ، أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَوْ كَانُوا أَخْوَالَ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ثُمَّ دَعَوْتَهُ أَنْتِ إِلَى مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، فَقَالَ وَيْحَكَ يَا هِشَامُ مَاذَا أَصْنَعُ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا ، قَالَ لَهُ هِشَامٌ قَدْ وَجَدْتَ رَجُلًا ، قَالَ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنَا . قَالَ ابْغِنَا ثَالِثًا فَذَهَبَتْ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ فَقَالَ : يَا مُطْعِمُ أَرْضِيكَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ وَأَنْتِ آمِنٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَأَنْ مَكُنْتُمْ هُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدْنَهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا ، قَالَ : وَيْحَكَ فَمَاذَا أَصْنَعُ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، قَالَ : قَدْ وَجَدْتَ ثَانِيًا قَالَ : مَنْ هُوَ قَالَ : أَنَا ، قَالَ : ابْغِنَا ثَالِثًا قَالَ : قَدْ وَجَدْتَ ، قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : زَهِيرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ ، قَالَ : ابْغِنَا رَابِعًا فَذَهَبَ إِلَى أَبِي الْبَحْتَرِيِّ فَقَالَ لَهُ نَحْوُ مَا قَالَ لِلْمُطْعِمِ ، فَقَالَ : وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَنْ ، قَالَ : زَهِيرُ وَالْمُطْعِمُ وَأَنَا فَقَالَ ابْغِنَا خَامِسًا فَذَهَبَ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ فَذَكَرَهُ قَرَابَتَهُمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ أَحَدٌ يُعِينُ عَلَى هَذَا ، قَالَ : ثُمَّ سَمَى لَهُ الْقَوْمَ ، فَاتَّعَدُوا خَطْمَ الْحُجُونَ ، وَاجْتَمَعُوا هُنَالِكَ وَأَجْمَعَ أَمْرَهُمْ ، وَتَعَاهَدُوا عَلَى الْقِيَامِ حَتَّى يَنْقَضُوا الصَّحِيفَةَ ، وَقَالَ زَهِيرُ أَنَا أَبَدُوكُمْ وَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أُنْدِيتِهِمْ ، وَغَدَا زَهِيرٌ عَلَيْهِ حِلَّةٌ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ يَا أَهْلَ مَكَّةَ إِنَّا نَأْكُلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ وَبَنُو هَاشِمٍ هَلَكُوا لَا يَبْتَاعُونَ وَلَا يَبْتَاعُ إِلَيْهِمْ ، وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى نَشُقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الْقَاطِعَةَ الظَّالِمَةَ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تُشَقُّ ، فَقَالَ زَمْعَةُ بْنُ

الأسود أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حين كُتِبَتْ ، وقال أبو البَحْرِي صدق زمعة لانرضى بما كتبتَ فيها ، وقال المطعم بن عدي صدقتما وكذبَ من قال غير ذلك ، نبأ إلى الله منها ، وقال هشام بن عمرو مثل ذلك ، فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل ، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشَقَّها ، فوجد الأَرْضَةَ قد أكلتها إلا لفظ ( باسمك اللهم ) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك قد قال لأبي طالب : يا عم إن الله قد سَلَطَ الأَرْضَةَ على صحيفة قريش فأكلتها ، فلم تَدع فيها إلا اسم الله ، فقال : من أخبرك ، قال : ربي ، قال : صدقت ما أهدى والله يَدْخُلُ عليك ، ثم خرج أبو طالب إلى قريش فقال لهم إن محمداً أخبرني بكذا وكذا فهلّم وصحيفتكم فإن كان صادقاً انتهيتُم عن قطيعتنا ، وإن كان كاذباً أسلمته إليكم ، فقالوا : رضينا ، فلما نظروا إلى الصحيفة وجدوها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما زادهم إلا عَتَوْا ونفورا ، وكان ذلك من أسباب قيام الرهط في نقضها حتى تم بحمد الله .

فخرجوا من ذاك لكن مامضى	عليهم عمامهم حتى قضى
عم النبي تحبه وهلك	ف قيل مسلماً وقيل مُشركاً
وبعده خديجة الصديقة	سابقة النساء على الحقيقة
فاشتد من بعدهما البلاء	على النبي وطغى الأعواء
وقطعوا الرحم والمعارفا	

وبعد أن نُقِضَت صحيفة القطيعة وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المحصورين في الشعب لم يلبثوا أن مَرَضَ أبو طالب مَرَضَهُ الذي ماتَ منه ، فحين بلغ قريشاً ثقله قال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا من ابن أخيه وليعطيه منا ، فإننا لانا من بعد إسلام حمزة وعمر وبعد انتشار أمر محمد من قبائل قريش أن يبتروا أمرنا ، فشى إليه أشراف من أشراف قبومهم ،

فقالوا له يا أبا طالب إنك منا حيث علمت ، وإنه قد حضرك ماترى ، وإننا قد تخوفنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادُّعُه فلتأخذ لنا منه وخذُّ له منا ليكف عنا ونكف عنه ، ويدعنا وديننا وندعه ودينه ، فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشرافُ قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب ويدين لكم بها العجم ، قال أبو جهل لعمري أيبك وعشر كلمات ، قال : تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه ، فصقُّوا بأيديهم ، وقالوا : يُريد محمد أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لعجب ، ثم قال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل ماهو بمعطيكم شيئاً فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم ، حتَّى يحكم الله بينكم وبينه ، ثم تفرقوا ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططاً ، فلما قال ذلك طمِعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إسلامه ، فقال : فأنت ياعم فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ، فقال : والله يا ابن أخي لولا مخافة السُّبَّة علي ، وعلى بني أيبك لأقررت بها عينك ولقلتها ، لأقولها إلا لأسرك بها ، فلما حضرت أبو طالب الوفاة جمع إليه وجوة قريش وأوصاهم ، فقال : يامعشر قريش إنكم صفوة الله في خلقه وقلب العرب ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أدركتموه ولا شرفاً إلا أحرزتموه ، فلم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حربٌ ، وعلى حربكم إلبٌ ، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية وإن فيها مرضاة الرب ، وقواماً للمعاش ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها ، فإن صلة الأرحام منسأة في الأجل وزيادة في العَدَد ، واتركوا البغي والعقوق فبهما هلكت الأمم قبلكم وأجيبوا الداعي ، وأطعموا السائل ، فإن فيها شرفُ الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيها محبة للخاصة ومكرمة للعامة ، وإني أوصيكم بمحمد ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع

لما وصيتكم به ، وقد جاء بأمر قبْلَه الجنان وأنكره اللسان ، وإيَّ الله لكأني أنظر إلى صعاليك العرب والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوتَه وصدقوا كلمته ، فخاض بهم غمرات الموت فصار رؤوس قُرَيش وصناديدها أذنباً ، ودُورُها خراباً ، وضعافها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب وذادها ، وأصغت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، دونكم يامعشر قريش ابن أخيكُم ، كونوا له حماةً ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيلَه إلا رَشِدَ ، ولا يأخذ بهديه إلا سَعِدَ ولو كان للأجل تأخير لكففت عنه الهزاهزَ ودقعت عنه الدواهي ، واختلف في إسلام أبي طالب ، فقيل : مات مسلماً ، وقد حكا المنصور بالله عبدُ الله بن حمزة إجماعَ أهل البيت على إسلامه ، ومن قوله شعراً :

حماه أبونا أبو طالب      وأسلم والناس لم تسلم  
وقد كان يكتُم إيمانه      وأما الولاء فلم يكتُم

واستدلوا عليه بأدلة منها ما روي أنه لما حضر أبو طالب الموت فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحصر على أن يقول كلمة الشهادة وهو يأبى فلما تقارب منه الموت نظر إليه العباس يُحرك شفّتيه ، فأصغى إليه بأذنه ، فقال والله يا ابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لكِنّي لم أسمع ، وقيل بل مات على كفره واستدلوا عليه بسبب نزول قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾ [التوبة ١١٣/٩] ولأنه ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لأستغفرن لك ما لم أنه » ، فنزلت الآية ، قال ابن حابس في ( شرح التكملة ) قال الزمخشري والحاكم الأول : أن دليل من قال بموته مشركاً غير صحيح لأن أبا طالب مات قبل الهجرة ، والآية من آخر ما نزل بالمدينة ، قال الحاكم ولأننا قد بينّا على أن أبا طالب مات مسلماً ، انتهى ، وقال السيد المفاتيح وما رواه

الشيخان ليس بمتصل ، وبقية تلك الروايات قد عارضتها جزم الجماعة من آل محمد بأنه مات على الإسلام لاشك عندهم فيه ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه ، ولا دليل لهم إلى الجزم إلا صحة النقل ، انتهى . وكان أبو طالب كما قدمنا عَضُدًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحِصْنًا له وحامياً وناصرًا وعنه مدافعاً والله ما أصدق قوله :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً

فإنه لما مات نالت قريش من أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يكن تطمح فيه في حياته ، وجاهرّوه بكلمة يكره حتى اعترضه سفيه من سفهائهم ، فنثر التراب على رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما نألتُ مني قريش بشيء أكرهه حتى مات أبو طالب » ، وبعد موت أبي طالب بثلاثة أيام ، وقيل بخمسة أيام ماتت خديجة الصديقة بنت خويلد زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأم فاطمة البتول فعظم المصاب على رسول الله ، وتضاعف حزنه ، وجَلَّ عنده المصاب ، فإنها كانت وزيرة صدق يشكو إليها فما يسمع شيئاً يحزنه من رد وتكذيب من قومه إلا فرّج الله عنه بها حزنه ، إذا شكاه إليها فتشبهت وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس ، وكانت من أحب الناس إليه وأعظمهم ، حتى كانت عائشة تغار لذلك فحكى عنها رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكر خديجة مات ذكر من حمراء الشدقين هلك في الدّهر الأول وقد أبدلك الله خيراً منها فغضب ، وقال : « والله ما أبدلني خيراً منها آمنت ، ورزقتُ منها الولد وحرمته من غيرها » . وروي أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لحماً فأخذ منه عظماً ، فناوله الرسول فقال : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت عائشة : لم علمت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن خديجة أوصتني بها ، فقالت : كأن لم يكن في الأرض امرأة إلا خديجة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغضباً فلبث ماشاء الله ثم

رجع ، فإذا أم رومان عند عائشة فقالت : يا رسول الله مالك ولعائشة إنها حديثه السن ، وأنت أحق من تجاوز عنها ، فأخذ رسول الله بشدقي عائشة وقال : ألسن القائلة كأن ليس في الأرض إلا خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ورزقت مني الولد وحرمتموه ، وكانت خديجة أفضل من عائشة ، وفاطمة أفضل منها ، وهي أم ولده كلهم إلا إبراهيم ، ماتت عن أربع بنات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وثلاثة بنين لأبي هالة وهم هالة بن أبي هالة وهند والطاهر كل منهم معدود في الصحابة ، وقد مكثت عنده بعد أن تزوجها خمسة وعشرين سنة ولم يتزوج عليها صيانة لقلبها من الغيرة ، وقد اختصت بفضيلة سبق إلى الإيمان الذي لا يُوازىها شيء .

وَقَطَعُوا الرَّحِمَ وَالْمَعَارِفَ	فَسَارَ مِنْ مَكَّةَ أُمُّ الطَّائِفِ
رَجَاءُ أَنْ يَأْوُوا وَيَنْصُرُوهُ	فَخَابَ فِيهِمْ كُلُّا يَرْجُوهُ
بَلْ نَالَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْحَرْجِ	أَشَدُّ مِمَّا هُوَ عَنْهُ قَدْ خَرَجَ
فَعَادَ مَحْزُونًا كَثِيبًا وَدَعَا	إِلَهَهُ مُسْتَخِرًا فَسَمِعَ
جَاءَ إِلَيْهِ مَلَكُ الْجِبَالِ	قَالَ أَمِرتُ أَنِّي فِي الْحَالِ
أَطْبِقْ مَكَّةَ بِأَخْشَبِيهَا	فَلَيْسَ يَبْقَى مُشْرِكٌ عَلَيْهَا
قَالَ النَّبِيُّ بَلْ بِهِمُ اسْتَأْنِي	لَعَلَّ فِي مُسْتَقْبَلِ الزَّمَانِ
يَخْرُجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ	رَبَّ السَّمَاءِ وَلَهُ يُوحَدُ
وَاسْتَمَعَ الْجَنُّ لَهُ الْقُرْآنَا	بَنَخْلَةٍ فَعَرَفُوا الْإِيمَانَا
وَفِي جَوَارِ مَطْعَمٍ قَدْ نَزَلَ	مَكَّةَ بَعْدَ الْعُودِ فَمَا تُقِلَّ
فَلَمْ يَنْلُكْ أَحَدٌ بَضْرَ	

لما ازداد طغيان قريش وتفاحش أمرهم ، فكان لا يتم لرسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم ما يُريده من التبليغ إلا بتحمل مشاق شديدة خرج من مكة إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاء له ، ومعه زيد بن حارثة ، فلما انتهى إلى هنالك عمّد إلى نفرهم أجل أشراف ثقيف ، وهم أخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب ابنا عمير بن عمر الثقفي ، وكان عند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فدعاهم إلى الله وكلهم بما جاء به ، فقال له أحدهم هو بمرط<sup>(١)</sup> ( يباب ) الكعبة إن كان الله أرسلك . وقال الآخر أما وجد الله خيراً منك يُرسله ، وقال الثالث : لا أكلمك أبداً فإن كنت رسولاً من الله كما تقول فلأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك ، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أيس منهم ومن خير ثقيف ، فقال : أما إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ وكره الرسول أن يبلغ قومه فيحرشهم عليه ، فلم يفعلوا ، وأقام شهراً ، وقيل عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه ، فلما أراد الانصراف عنهم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ، ورجعوا عراقبيه حتى اختضبت نعلاه بالدماء ، وكان إذا لقتّه الحجارة قعد إلى الأرض ، فيأخذون بعضديه فيقيموّنه ، فإذا مشى رجوه وهم يضحكون منه ، وزيد بن حارثة كان يقيه الحجارة بنفسه ، حتى شج في رأسه ، إلى أن ألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، . وهما يريان كلما لقي ، فعمدا إلى ظل حبلّة من عنب ، فجلسا فيه ، ولقي المرأة من بني جمح فقال لها ماذا لقيت من أحماك ، فلما رأى عتبة وشيبة مألقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحركت له رحمها ، فدعيا غلاماً لها نصرانياً يقال له عداس ، فقالا له خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ، فاذهب به إلى ذلك الرجل ، وقل له يأكل منه ، ففعل عداس وأقبل حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم

(١) أي ينزعه ويرقى به ( من هامش السيرة لابن هشام ) .



قال له : كل ، فلما وضع يده فيه قال : بسم الله ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، فقال والله إن هذا لكلام ما يقول أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أي البلاد أنت ، قال : أنا رجل نصراني من نينوى ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : من بلد الرجل الصالح يونس بن متى ، قال : وما يدريك ما يونس بن متى وأنت رجل أمي في أمة أمية ، فوالله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون مامتي ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ذلك أخي وهو نبي وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل رأسه ويديه وقدميه وقيل إنه أسلم يومئذ ، فحين رآه سيده ابن ربيعة يقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءها ، قال له : ويلك يا عداس مالك تقبل هذا الرجل ؟ قال : ما على وجه الأرض خير منه ، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي ، فقال له : ويحك لا يصرفك عن دينك فإنه خير من دينه ، ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجعاً إلى مكة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف ، وهو : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل علي غضبك ، أو ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راجعاً ، فلما بلغ قرن الثغالب ، وهو قرن المنازل ، أرسل إليه ربه تبارك وتعالى جبريل عليه السلام ومعه الملك الموكل بالجبال ، فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطبق على قريش الأخشبين ، وهما جبلا مكة المحيطان بها ، فقال الرسول لابل استأنيهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله ، ولا يشرك به شيئاً ، وذلك

من عظيم حلمه وعفوه ، وما جَبله الله عليه من محاسن الأخلاق مع أن مآلقيه منهم كان هو أشد مآلقي من الأذى في الله ، فإنهم جمعوا له بين الأذى بالقول والفعل صلوات الله وسلامه عليه ، ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنخلة راجعاً إلى مكة ، قام من الليل يصلي ، وصرف الله تعالى إليه نفراً من الجن ، يستمعون القرآن ، ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ ﴾ [ الأحقاف ٢٩/٤٦ ] الآيات إلى قوله : ﴿ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ الأحقاف ٣٢/٤٦ ] . وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنخلة أياماً ، فلما أراد دخول مكة ، قال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك ، فقال : يا زيد إن الله تعالى جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه ، ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى إلى حراء وبعث رجلاً إلى الأخنس بن شريق ليخبره ، فقال أنا حليف ، والحليف لا يبيع ، فبعث إلى سهيل بن عمر ، فقال : إنا بنو عامر لا نجيز على بني كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح ودعا أهل بيته ، فقال لهم : إلبسوا السلاح وقوموا عند أركان البيت ، فياني قد أجرت محمداً ، فلبسوا السلاح وخرجوا ، حتى أتوا المسجد ، وبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ادخل فدخل عليه الصلاة والسلام ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد ، فقام المطعم بن عدي على راحلته ، فنادى : يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم ، فأنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته ، ومطعم وولده محدقون بالسلاح حتى دخل بيته فقال أبو جهل لمطعم مجير أنت أم متابع . فقال : بل مجير ، فقال : قد أجرنا من أجرت ، ولذلك رثاه حسان بن ثابت حين مات بأبياته التي من جملتها :

فلو كان مجد مغلد الدهر واحداً      من الناس أبقى مجده الدهر مطعماً

أَجَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ فِيهِمْ فَاصْبَحُوا عِيْدَكَ مَا لَبَّى مُهْلٌ وَأَحْرَمَا  
فَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آمِنًا بِاللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ بِذَلِكَ الْجَوَارِ ، وَإِلَى  
ذَلِكَ أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ فِي أُسَارَى بَدْرٍ ، لَوْ كَانَ الْمَطْعَمُ  
حَيًّا وَسَلَّانِيهِمْ لَوْهَبْتُهُمْ لَهُ ، أَوْ كَمَا قَالَ :

فَلَمْ يَنْلُـهُ أَحَدٌ بِضْرٍ وَبَعْدَ ذَاكَ بِالنَّبِيِّ أُسْرِي  
بِرُوحِهِ الْإِسْرَاءُ كَانَ وَالْجَسَدُ إِلَى مَقَامٍ مَا ارْتَقَى فِيهِ أَحَدٌ  
وَفَرِضَتْ هُنَاكَ الصَّلَاةُ وَظَهَرَتْ هُنَاكَ مَعْجَزَاتُ

وَبَعْدَ أَنْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الطَّائِفِ مَحْزُونًا  
وَدَخَلَ مَكَّةَ مُسْتَجِيرًا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَانِعًا لَهُ عَنِ الدَّعَاءِ وَالْجِهَادِ بِالْقَوْلِ ، وَأُسْرِي بِهِ  
بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَمَا صَرَحَ بِهِ الْقُرْآنُ  
(سُبْحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا) [ الْإِسْرَاءُ ١٧/١٧ ] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، ثُمَّ إِلَى  
السَّمَوَاتِ الْعُلَى عَلَى دَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا ( الْبُرَاقُ ) - بَضْمُ الْبَاءِ - وَمَعَهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ ،  
كَأَنَّ هُوَ صَرِيحُ السَّنَةِ ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَعْجَزَاتٍ شَاهِدَهَا فِي السَّمَاءِ وَالتَّقَى  
بِالْأَنْبِيَاءِ ، وَفَرِضَتْ هُنَاكَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَأَخْبَرَ قَرِيشًا بِأَمَارَاتٍ تَدُلُّ عَلَى  
صَدَقِهِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَغَيْرِهِ عِنْدَ رَجُوعِهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَخْبَرَ قَرِيشًا بِذَلِكَ ،  
فَنَهَمَ مِنْ صَفْقِ يَدَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ كَالْمُنْكَرِينَ لَذَلِكَ ، وَذَهَبَ  
رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَزْعُمُ صَاحِبُكَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى  
بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ : أَوَقَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ الْقَائِلُ : نَعَمْ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَقَدْ  
صَدَقَ ، قَالَ : أَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي لَيْلَةٍ وَجَاءَ قَالَ : نَعَمْ إِنِّي  
لَأُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدَوَةٍ وَرُوحَةٍ ، فَلِذَلِكَ سَمِيَ أَبُو بَكْرٍ  
الصَّدِيقَ ، ثُمَّ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ  
اللَّهُ إِنْ هَؤُلَاءِ حَدَّثُوا أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ، قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ :

أبو بكر : إنه مسيرة شهر فصفه لي يا نبي الله ، فياني قد جئتُه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ففتح لي حتى نظرتُ إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصفه لأبي بكر ، فيقول أبو بكر : صدقت إنك رسول الله فما سأله عن شيء إلا أنبأه عنه ، وفي رواية : إن المشركين استوصفوه بيت المقدس . فقال رجل منهم : قد أتيتُ بيت المقدس ، قيل هو المطعم بن عدي ، فهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ، قال : نعم ، فذهبتُ أنعتُ فما زِلْتُ أنعتُ حتى التبس على بعض النعت فجيء بالمسجد أنظر إليه ، فقالوا أما النعت فوالله لقد أصاب . وفي رواية : إنهم قالوا كم في المسجد بابٌ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم أكن عددها فجعلت أنظر إليه فأعدها باباً باباً . وفي رواية أنه قال له رجل من القوم هل مررتُ بإبلٍ لنا في مكان كذا وكذا فأخبرنا عنها فهي أهم إلينا ، قال : نعم ، قد وجدتهم قد أضلوا بغيراً ، قالوا : فأخبرنا عن عددها وما فيها من الرعاة قال : كنت عن عددها مشغولاً ، فقام فأتي بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ، وأتى قريشاً ، فقال : هي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، تطلع عليكم عند طلوع الشمس ، فقالوا : وهذه آية ، ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية ينظرون متى تطلع الشمس ، فقال قائل منهم : والله هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر والله هذه الإبل قد طلعت يقدمها جمل أورق ، فلم يؤمنوا فقالوا : ﴿ إن هذا إلا سحر مبين ﴾ [ المائدة ١١٠/٥ ومواضع أخرى ] . وفي رواية أنه قال لهم : ومررت بغير بني فلان وفلان وفلان راكبان قعوداً ، فنفر قعودها مني فرمى بفلان فانكسرت يده ، فاسألوهما عن ذلك ، فكان كما قال ، قال ابن جرير : قال أبو محمد بن أبي حمزة : الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق لمعانديه لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعانده سبيلاً إلى البيان ، فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس ، سألوه عن مغيبات من بيت المقدس كانوا رأوها ، وعلموا أنه لم

يكن قد رآها قبل ، فلما أخبرهم بها حصل لهم التحقق بصدقه فيما ذكره من الإسرائ إلى بيت المقدس ، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن ، وزيادة في شقاء الجاحد . واختلفوا في أي سنة فقييل في سنة خمس من البعثة ، وقيل في سنة ست ، والذي صححه المحققون أنه قبل الهجرة بسنة واختلفوا في الشهر الذي وقع فيه من تلك السنة فقييل في ربيع الأول سابع وعشرين منه ، وقيل في رجب ، وقيل في رمضان ، وقيل في شوال ، واختلفوا أيضاً في المكان الذي أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه ، فقييل من بيت أم هانئ كما تقدم ، وقيل من شعب أبي طالب ، وقيل من نفس المسجد الحرام من بين زمزم والمقام ، وقيل من بطحاء مكة ، واختلفوا هل كان الإسرائ بروحه وجسده في اليقظة ، أم بروحه فقط مناماً ، الصحيح : الأول ، واختلفوا هل تكرر مراراً ، أم : لا ، فقييل : تكرر مرتين ، وقيل ثلاثاً ، وقيل : أربعاً ، وقيل : لم يقع إلا مرة واحدة ، إذا عرفت هذا فاعلم إنه قد وقع في رواية الحديث الشريف اختلاف بين الرواة ، وقد اختار القاضي عياض رحمه الله في كتابه ( الشفاء ) حديث مسلم الذي أخرجه عن أنس بن مالك ، وألحق به المؤلف في كتابه ( بلوغ المراد في سيرة خير العباد ) زيادات على ما في ذلك الحديث مما زاده غيره فارجع إليه .

وَلَمْ يَزَلْ يَطُوفُ بِالْمَوَاسِمِ      مُتَعَرِّضاً لِنَاصِرٍ وَقَائِمٍ  
فبَعْضُهُمْ يَرُدُّ رَدًّا حَسَنًا      وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ فَحْشًا بَيْنَنَا

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعد أن أعلن بالدعاء إلى الله تعالى ، وصدع بأمره ، يتتبع الحجاج في منازلهم ، والناس في المواسم في الأسواق في عكاظ ومجنة وذئ المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه ويؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة حتى تم له عشر سنين ، وهو على ذلك ، إلا أنه بعد أن رجع من الطائف ووجد قومه أشد ما يكونون عليه اشتد في عرض نفسه على القبائل حتى

إنه ليسأل عن القبائل قبيلةً قبيلةً ، ويقول : يا أيها الناس قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا وتَمْلِكُوا بها العرب وتدين لكم العجم ، فإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة ، فلا يجيبُ منهم أحدٌ وأبو لهب وراءه يَقُول : لا تطيعوه وإنه صابي كذاب ، فبعضهم يرد عليه أقبح الرد ، ويقول : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، وبعضهم يرد عليه رداً حسناً

ثم بدتْ مَقَدِّمَاتُ النصر	إِذْ شَارَ بِهِ تَمَامَ الْأَمْرِ
فَعِنْدَ ذَلِكَ كَانَ بَدْءُ النُّصْرَةِ	وَعَزَّ دِينَ رَبَّنَا بِالْهَجْرَةِ
وَجَاءَهُ مِنَ الْإِلَهِ الْفَرْجُ	وَسَعَدَ الْأَوْسُ بِهِ وَالْخَزْرَجُ
فَلَقِيَ النَّبِيَّ سِتَّةَ نَفَرٍ	فَأَسْلَمُوا وَكَانَ أَوَّلَ الظَّفَرِ
وظَهَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْمَدِينَةِ	بِهِمْ وَأَبَدَا اللَّهُ فِيهَا دِينَهُ

اعلم أنها قد جرت عادة الله تعالى في العباد أنه إذا أراد تمام أمر قضاة ، قيض مقدمات تكون خاتمتها تمام ذلك المراد ، فكان من مقدمات ظهور الإسلام على كل دين ، ونصر الله تعالى لعبده ورسوله خاتم المرسلين ، أن كانت اليهود مساكينين للأوس والخزرج في أرضهم وديارهم ، ولهم حلفاء ، وكانت الأوس والخزرج أهل شرك وأوثان ، ولكنهم أعز من اليهود لكثرتهم ، مع أن أرض يثرب كانت قبل نزول الأوس والخزرج بها لليهود وإنما نزلوا عليهم حين كان سيئ العِرم بأمر كاهنة لهم أن ينزلوا يثرب ذات النخل ، فنزلوا بها على يهود وحالفوهم ، وأقاموا معهم فكثر الله الأوس والخزرج لما سبق في علمه أنهم سيكونون أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان اليهود أهل العلم بالكتاب الأول ، يجدون فيه صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقاصيل أمره ، ويتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، كما يحكى في قصة تبع وهو أسعد الحميري المشهورة عند وصوله إلى المدينة ، وكانت الأوس والخزرج في الجاهلية يحجون البيت كما

تَحْجَّه الْعَرَبُ ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ يَحْجُّونَ ، فَحِينَ كَانُوا يَرَوْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ ، يَقُولُ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَاللَّهُ يَأْقُومُ إِنَّ هَذَا الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ الْيَهُودُ فَلَا تَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ وَنَصْرَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْمَوْسَمِ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسَمٍ ، فَانْتَهَى إِلَى نَفَرِ سِتَّةٍ عِنْدَ الْعُقْبَةِ يَحْلِقُونَ رُؤُوسَهُمْ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ ، قَالَ : أَمِنْ مُوَالِي يَهُودٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكْلَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا عِنْدَهُ ، وَكَانَ قَدْ وَقَرَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا كَانَتْ يَهُودٌ تَذْكُرُ مِنْ بَعْثِ نَبِيٍّ ، وَأَنَّهُ قَدْ آتَى وَقْتُ ظَهْرِهِ وَتَوَعَّدَهُمْ بِهِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يَأْقُومُ أَعْلَمُوا إِنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي تَذْكُرُهُ الْيَهُودُ وَيَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ ، فَلَا تَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَبِلُوا مِنْهُ وَصَدَّقُوهُ وَأَسْلَمُوا ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْوَهُ ، وَقَالَ : تَمْنَعُونَ ظَهْرِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ، فَقَالُوا : إِنَّا تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْعَدَاوَةِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ قَطُّ ، وَإِنَّا كَانَتْ بَغَاثٌ يَوْمَ مِنْ أَيَامِنَا ، فَإِنْ تَقَدَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ لِيَكُونَ لَنَا عَلَيْكَ اجْتِمَاعٌ ، فَدَعْنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى عِشَائِرِنَا فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ وَلَا أَكْرَمَ وَمَوْعِدُكَ الْمَوْسَمِ الْقَابِلِ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ ذَكَرُوا ذَلِكَ لِقَوْمِهِمْ وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْمَاءُ السَّتَّةِ : أَبُو أُمَامَةَ وَهُوَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ عَقْرَاءَ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ الْعَجْلَانِ قَيْلٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بِسُورَةِ يُوسُفَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيَّابٍ - بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الْمَثْنَاءِ التَّحْتِيَّةِ وَمَوْحِدَةِ تَحْتِيَّةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ -

فِي السَّنَةِ الْأُخْرَى أَتَى اثْنِي عَشَرَ مِنْهُمْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْبَشَرُ

ما بين أوسي وخزرجي      لكي يجيبوا دعوة النبي  
 فبايعوه بيعة النساء      وظفروا بأوفر الجزاء  
 وانقلبوا من عنده بمصعب      يعلم القرآن أهل يثرب  
 وبالحجاء قابلاً قد وعدوا      وصدقوا وبالفاء سعدوا

لما كان العام المقبل وافي الموسم من الأنصار اثني عشر رجلاً الستة الأولون  
 المتقدم ذكرهم ، خلا جابر بن عبد الله بن رباب ، ومعهم معاذ بن الحارث بن  
 رفاعة أخو عوف المتقدم ذكره ، وعبادة بن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ،  
 وأبو الهيثم بن التيهان ، وذكوان بن عبد قيس ، وقد أقام ذكوان هذا في مكة  
 حتى هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فيقال : إنه مهاجري أنصاري ،  
 وعيَّاش بن عبادة ، وعويم بن مالك ، فلقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
 بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، والعقبة هي التي تضاف إليها الجرة ، وقيل : نشز  
 عن يسار الطريق لقاصد منى ، وأن فيه مسجداً تسميه أهل مكة مسجد البيعة ،  
 فهناك لقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأجابوه إلى مادعا ، وبايعوه بيعة  
 النساء التي ذكر الله في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾  
 [ الممتحنة ١٢/٦٠ ] إلى آخر الآية ، وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت  
 أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا  
 بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان تفترونه  
 بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى فأجره على الله ، ومن  
 أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً  
 فستره الله عليه ، فأمره إلى الله إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه » ، وذلك قبل  
 أن يُباح القتال ، ثم انصرفوا وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
 مصعب بن عمير العبدري يقرؤهم القرآن ويعلمهم الأحكام ، فكانوا يسمونه



( المقرئ ) وهو أول من سمي بذلك ، وكان منزله على أبي أمامة أسعد بن زرارة ، وقيل : إن معه ابن أم مكتوم ، فلما قدم مصعب المدينة كان يوم أنصار المسلمين في الصلاة ، لأنهم كرهوا أن يؤم بعضهم بعضاً ، وكان يُجمع بهم الجمعة ، وهو أول من جمّع في الإسلام قبل أن يُقدِّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، قالوا : لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد ، فلهم فلنجعل لنا يوماً نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكر ، فاجعلوه يوم الغروبة فهم الذين سمّوه الجمعة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين ، فذكرهم فسّمّوه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه ، وذبح لهم شاة فتغدّوا وتعثّوا منها ، وذلك لقلّتهم ، وكان ذلك كما قيل عن هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ، وإنما نزلت سورة الجمعة من بعد ، وهذا هو قول من قال إن أول من جمّع أسعد بن زرارة :

وبالمجيء قابلاً قد وعدوا	وصدّقوا وبالوفاء سعدوا
فجاء جمّع وافّر في الموسم	من مسلم منهم وغير مسلم
فانسلّ من آمن نحو العقبة	في آخر الليل ونال مطلبّه
وانتظروا حتّى أتى خير الورى	وأشرق الكون به وأنورا
وحضر العباس عمه معه	يؤكد القول على من تبعه
وكان معروفاً لأهل يثرب	فأخذ البيعة منهم النبي
أن يحسنوا وينصروا ويمنعوا	وأن يطيعوا أمره ويسمعوا
وينفقوا في اليسر أو في الخنة	ولهم من الإله الجنة

كان أسعد بن زرارة ومن معه من الاثني عشر الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيعة العقبة الأولى قد وعدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمجيء في الموسم المقبل ، وهو موسم السنة الثالثة عشرة من المبعث ، فوافوا بما وعدوا ، وصدقوا فيما قالوا ، وخرج حجاج الأنصار المسلمون مع حجاج قومهم

المشركين ، واجتمع منهم قوم كثير ، قيل : كان المشركون خمس مئة نفر ، وكان المسلمون يكتبون عن المشركين ما هم مُضْهِرون له من الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومَعَهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، قال كعب بن مالك : خرجنا إلى الحجِّ ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحجِّ وكانت الليلة التي واعدنا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان معنا عبدُ الله بن عمرو بن حرام سيد من ساداتنا ، وكان مُشْرِكاً فأخذناه معنا ، وكُنَّا نكْتُمُ من معنا من المشركين أمرنا ، فكلَّمناه وَقُلْنَا لَهُ يَا أَبَا جَابِرِ إِنَّا نَرْغِبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَظَباً لِلنَّارِ غَداً ، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ ، وَأَخْبَرَنَا مِيعَادُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِيَّانَا الْعَقْبَةَ ، فَشَهِدَهَا مَعَنَا ، وَكَانَ تَقِيّاً ، قَالَ كَعْبٌ : فَبِتْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا ، حَتَّى إِذَا مَضَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَتَسَلَّلْنَا الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ مِنْ نَسَائِنَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِ بْنِ عَدِي وَأُمُّ عِمَارَةَ ، فانتظرنا حتى أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه عمه العباس وهو يومئذٍ على دين قومه ، وإِنَّا حَضَرُ لَيْسَتْوُثِقَ لَابْنِ أَخِيهِ ، قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلْبَيْعَةِ ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِنَّمَا تُسَمَّى هَذَا الْحَيِّ أَوْسَهَا وَخَزَرْجَهَا : الْخَزَرْجُ ، إِنَّ مُحَمَّدًا مَنَا حَيْثُ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، وَقَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَازَ إِلَيْكُمْ وَاللَّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَافِقُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِنْ خَالَفِهِ فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمِلْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ مُسْلِمُونَ وَخَاذَلُوهُ فَإِنَّهُ فِي عِزَّةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، قَالَ كَعْبٌ : فَقُلْنَا لَهُ : قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ . فَتَكَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَخَذَ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا شِئْتَ ، فَتَلَا الْقُرْآنَ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَغَّبَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ : أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَهُ نِسَاءُكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ

وأبنائكم ، فأخذ البراء بن معرور بيده ، فقال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً  
لنمنعنك مما نمنع به أزرنا ، فبايعنا يارسول الله فنحن أهل الحرب وأهل الحلقة  
ورثناها كإيراء عن كإير ، قال كعب : فقال الهيثم بن التيهان يارسول الله إن بيننا  
وبين الرجال حباً وإنا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله  
أن ترجع إلى قومك وتدعنا ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم  
قال : « بل الدّم الدّم ، والهدم الهدم ، أنا منكم ، وأنتم مني ، أحارب من  
حاربتم ، وأسألم من سألتهم » ، قال كعب : وقد كان رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم قال : أخرجوا لي اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم ،  
فأخرجوا له اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وعن جابر بن  
عبد الله قال : قال العباس بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
ما أدري ما هؤلاء القوم الذين جاؤوك وإني ذو معرفة بأهل يثرب ، فلما نظر في  
وجوه الذين اجتمعوا عند العقبة ، قال : هؤلاء قوم أحداث لانعرفهم ، فقلنا :  
يارسول الله على ما نبايعك ؟ قال : « على السمع والطاعة في النشاط والكسل ،  
وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن  
تقوموا لله لاتأخذكم فيه لومة لائم ، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم ، وتمنعوني  
مما تمنعونه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة » ، قال جابر فقمنا نبايعه ،  
وروي أن عباس بن عبادة الأنصاري قال للأنصار لما اجتمعوا للبيعة : يامعشر  
الخزرج أتدرون على ما تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعون  
على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا انتهكت أموالكم  
وقُتِلتْ أشرافكم أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إذا فعلتم خزي الدنيا والآخرة ،  
وإن كنتم ترون أنكم وافون له على نهكة الأموال وقتل الأشراف فذاك هو خير  
الدنيا والآخرة ، فقالوا : يارسول الله مالنا بذلك إن نحن وقينا لك ؟ قال :  
« الجنة » ، قالوا : أبسط يدك نبايعك ، فبسط يده ، وكان أول من بايعه

البراء بن معرور ، وقال مثل قوله العباس بن عباد أسعد بن زرارة ، ثم انقضَّ أهل العقبة إلى رحالهم ، فأصبحوا كبائتين مع مشركي قومهم فيها ، فلما أصبحوا غدت جلة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار ، فقالوا : يامعشر الخزرج إنه بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة وواعدتموه أن تُبايعوه على حُرْبنا ، وإيم الله ما حيّ من عرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم ، فانبعث عبد الله بن أبي سلول ومن كان معه من مشركي الخزرج يحلفون لهم بالله ما كان هذا ، وما علمنا ، وصدقوا في ذلك لأنهم لم يكونوا علموا بشيء مما وقع ، ورحل البراء بن معرور فتقدّم إلى بطن ياجج وتلاحق أصحابه من المسلمين ، ثم فتشت قريش عن الخبر فوجدوه قد كان ، فخرجوا في طلب القوم ففاتوهم ، إلا أنهم أدركوا سعد بن عباد والمندر بن عمر ، فأعجزهم المنذر ، فأدركوا سعداً فربطوا يديه إلى عنقه ، وأقبلوا به إلى مكة يضربونه ويجذبونه بجمته ، وكان ذا شعر كثير ، فخلصه من الأسر جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية ، ولما قدم المسلمون من الأنصار المدينة أظهروا إسلامهم وأعلنوا إيمانهم ودعوا إلى توحيد الله ، والبراءة ممن سواه ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم : عمرو بن الجموح ، وكان عمراً سيّداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم ، وكان عمرو بن الجموح قد اتخذ صنّاً وسمّاه مناة يعظمه ويعبده ، وكان أولئك الفتيان المسلمون يُدْجِون بالليل على صَمِّ عمرو فيحملونه ويطرحونه في بعض حفر بني سلمة التي فيها عذرات الناس مُنكساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو لم يجده قال : ويلكم من غدا على إلهنا الليلة ثم يغدوا يتلمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ، وقال : والله لو أعلم من صنّع بك هذا لأضربته ، ففعلوا بصنمه مثل ذلك عدّة مرّات وهو يُطَيِّبه ويطهره عدّة مرّات ، حتّى قال : لأعلم من صنّع بك ما أرى ، فجاء بسيفٍ فعلقه عليه وقال : إن كان فيك خير فامتنع بهذا السيف ، فلمّا أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه وربطوا الصنم

بِحَبْلٍ ، وقرنوه بِكَلْبٍ مَيِّتٍ ، ثُمَّ أَلْقَوْهَا فِي بئرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سُلَيْمَةَ يُلْقَى فِيهِ  
الْعَذِيرَةُ ، فَخَرَجَ يَطْلُبُهُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي ، حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبئرِ مُتَكَسِّئاً  
مَقْرُوناً بِكَلْبٍ مَيِّتٍ ، فَسَاءَ ذَلِكَ ، ثُمَّ كَلَّمَهُ قَوْمُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَدَعَوْهُ إِلَى الْإِسْلَامِ  
فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُ ، وَاسْتَشْهَدَ يَوْمَ أَحَدٍ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ كَرِيماً جَوَاداً ،  
وَفِيهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِنَفَرٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ : مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي  
سُلَيْمَةَ ؟ قَالُوا : الْحَجْدُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى بُخْلِ فِيهِ ، فَقَالَ : وَأَيُّ دَاءٍ أَدَوَى مِنَ الْبُخْلِ ،  
بَلْ سَيِّدُكُمْ الْجَعْدُ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ .

وَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ يَهْجُرَ أَجْرًا أَصْحَابُ بَيْتِهِ إِلَيْهِمْ فَبَادَرَا  
مِنْهُمْ أَبَا سُلَيْمَةَ وَبَعْدَهُ سَائِرَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ وَحْدَهُ  
وَصَنُوهُ عَلِيّاً الْإِمَامَ وَالسَّابِقَ الصَّدِيقَ قَدْ أَقَامَا  
بِأَمْرِهِ وَمَنْ لَعَذْرَ حَبْسًا سَاقُوا ذُرَارِيَهُمْ وَأَخْرَجُوا النِّسَاءَ

لَمَّا بَايَعَ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنَعَةِ لَهُ وَلِمَنْ أُوِيَ  
إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى  
الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَدَاراً تَأْمَنُونَ فِيهَا ، فَخَرَجُوا أَرْسَالاً  
حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَقَامَا عَنْ أَمْرِ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
فِيَنْظُرُ إِذَنْ لَهِ بِالْهَجْرَةِ ، وَكَانَ مِنْ خَرَجٍ مُهَاجِراً إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْعَقِيبَةِ  
أَبُو سُلَيْمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَهُوَ أَيْضاً مِنْ هَاجِرِ الْحَبَشَةِ ، ثُمَّ قَدِمَ مِنْهَا مَعَ مَنْ قَدِمَ ،  
وَأَذَنَهُ قَرِيشٌ بَعْدَ قُدُومِهِ ، فَلَمَّا أُذِنَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، بَادَرَ  
وَحَمَلُ امْرَأَتِهِ أُمِّ سُلَيْمَةَ عَلَى بَعِيرِهِ ، فَرَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ  
مَخْزُومٍ فَتَبِعُوهُ فَقَالُوا : هَذِهِ نَفْسُكَ قَدْ غَلَبَتْنَا عَلَيْهَا ، فَمَا لَكَ وَصَاحِبَتِنَا ، وَاللَّهِ  
لَا تَتْرَكُكَ تَسِيرُ فِيهَا ، فَزَعَوْا خُطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ وَرَدُّوْهَا وَحَبَسُوهَا ، وَانْطَلَقَ أَبُو

سلمة إلى المدينة ، وأخذَ ابنتها سلمة بنتو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، قالوا والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبها ، قالت : فتجاذبوا ابني سلمة بينهم ، حتى خلَعُوا يده ثم أذن لها بالعزم بعد زوجها ، وسلم إليها ولدها سلمة ، ولها قصة مع عثمان بن أبي طلحة الذي عَزَمَ بها إلى المدينة ثم كان أول المهاجرين من بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة وزوجته ليلي بنت أبي خيثمة وعبد الله بن جحش ، ثم خرج المسلمون أرسالاً يتبع بعضهم بعضاً ، وكان أكثرهم يخرجون استخفاءً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما أراد الهجرة توشح سيفه وتنكب قوسه وطاف بالبيت سبعا ، وكان يَقُول لمن لقيه من قريش إني خارج فمن استطاع منكم أن يمنعني فليفعَل ، وكان قد تواعد<sup>(١)</sup> هو وعياش بن ربيعة والوليد بن العاص ابن وائل فحبس عنهما الوليد ، ومضى عمر وعياش حتى قدما المدينة ونزلا بقباء في بني عمر بن عوف ، فخرج بعدهما أبو جهل بن هشام والحارث بن زيد العامري إلى عياش بن ربيعة وكان ابن عمهما وأخوها لأُمهما ، حتى قدما المدينة فكلماه ، فقالا له : إن أمك قد حلفت أن لا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك ، فرق لها ورجع معها ، وفي ذلك قصة وقعت لعياش ذكرها في سيرة ابن هشام وبلوغ المراد .

وَحِينَ كَانَ الدَّارُ دَارَ مَنْعَةٍ      مَنْ يَأْتِيهَا يَعْشِ بِخَيْرٍ وَدَعَا  
تَخَوَّفَ الْكَفَّارُ مِنْهُ أَنْ يَخْرُجَ      مُحَمَّدٌ عَنْهُمْ وَإِنْ يَخْرُجُ نَجَا  
فَاجْتَمَعُوا وَاءْتَمَرُوا بِقَتْلِهِ      وَأَنْ يَبِيتُوهُ فِي مَحَلَّةٍ  
فَجَاءَهُ الْوَحْيُ بِهِ فَحَوَّلَا      مُضْجَعَهُ وَحِينَ عَنْهُ انْتَقَلَا

(١) هكذا في ( بلوغ المراد ) وفي ( سيرة ابن هشام ) ، وكان قد تواعد هو وهشام بن العاص بن وائل السهمي . وفيها : وحبس عنهما وقتن فافتن ، وفيها : فخرج بعدهما أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أبي عياش بن أبي ربيعة حتى قدما المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكة .

أَمْرَ أَنْ يَبْقَى عَلَيَّ فِيهِ ———ه  
وباتَ في الباب الذين رصدوا  
إليه بالسيوف يضربونه  
فقام من مضجعه عليّ  
وهو إذن كان بغار ثورٍ  
ومعه صاحبه الصديقُ  
وبعثوا بعد النبي الطلبا  
واتوا إلى الغار وإن العنكبوتُ  
فرجعوا وجعلوا لآتي  
مُسَجِّياً بثوبه يفديه  
مضجعه إن قام عنه عمّدوا  
فخبى الإله ما يرجونه  
فعلموا أن قد نجا النبي  
مختفياً إلى أوانٍ السير  
وربّه الحافظ والرفيقُ  
لكن ربّه له قد حبّبا  
قد ضربت لها بيتابه يُوتُ  
به إليهم أوفر الديّات

لما تحقق قريش ما تلقى المهاجرون من طيب الحال وحسن الجوار وإحسان  
الأنصار ، خافوا خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلموا أنه إن خرج  
نَجَا ، ونال من نصر دين الله ما أمل ، ورجا لما يعرفونه من الأوس والخزرج من  
الوفاء وشدة البأس ، وأنهم أهل شوكة وحلقة وأن بلادهم بلاد عزة ومنعة ، وأنهم  
إن أجمعوا نصرته والقيام معه تم له ما أراد فحينئذ تجمعوا وتأمروا في دار الندوة ،  
وكانت قريش لا تقضي أمراً عظيماً إلا فيها ، وجاء إبليس اللعين في صورة شيخ  
جليل نجدي ، فوقف على باب الدار فلما رآوه قالوا من الشيخ ، قال : شيخ من  
أهل نجد سَمِعَ بالذي اتّعدتم له فحضر معكم لسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم  
فيه رأي ، قالوا : أجل ، فادخل فدخل معهم ، وقد اجتمع معهم جميع أشرافهم ،  
فقال بعضهم لبعض ، إن هذا قد كان من أمره ما رأيتم ، فإننا لانأمن منه الوثوب  
علينا بمن اتبعه ، فأجمعوا فيه رأياً ، فقال أبو البحتري احبسوه وقيدوه بالحديد  
وأغلقوا عليه باباً وتربّصوا به ما أصاب أصحابه من الشعراء الذين كانوا قبله زهير  
والنابغة ، حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا برأي ، والله

لئن حبستوه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتن دونَه إلى أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه فينتزعونه من أيديكم ثم يكاثروكم به فيغلبوكم ، ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره فقالوا : الأسود بن ربيعة بن عمر أحد بني عامر بن لؤي نُخْرِجَه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا خرج عنا فوالله لانبالي أين وقع ، فإذا قد غاب عنا أصلحنا أمرنا وإلفتنا كيف كانت ، فقال الشيخ النجدي : ما هذا برأي ألم تروا حسنَ حديثه وحلاوة منطقه وغلَبته على قلوب الرجال ، فوالله لئن فعلتم ذلك لم آمن عليكم أن يحل فيغلب عليهم حُبّه وحسن حديثه حتى يبايعوه على حربكم ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد بكم فروا فيه رأياً آخر ، فقال أبو جهل بن هشام : لعنه الله إن لي لرأياً ما أراكم وقَعتم عليه بعدُ ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ، قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلدأ نسيباً وسيطاً ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا عليه فيضربونه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلونه ، فنستريح منه ، فإذا هم فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم ، فقال الشيخ النجدي : لله در الفتى ، هذا والله الرأي لأرى غيره فاجتمعوا عليه واتعدوا لأن يبيتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله جل وعلا على عبده ورسوله الوحيَ بِمَ اجْتَمَعَتْ عليه قريش من الأمر ، وأذن الله له بالهجرة فجاء إلى أبي بكر في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعاً فقيل لأبي بكر هذا رسول الله فقال : والله ما جاء رسول الله إلا لأمر حدث ، فلما دخل الرسول البيت ، قال له : أخرج من عندك يا أبا بكر ، فقال : يا رسول الله إنما هم أهلك ، وكانت عنده عائشة قيل وأسماء ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر الصحابة يا رسول الله ، قال : نعم ، فبكى أبو بكر من الفرح ، وكان قد أخذ راحلتين وأعدهما في بيته يعلفهما لذلك ، فقال : يا رسول الله خذ إحدى



راحلتي هاتين قال : بالثن فأخذها منه بثن مئة درهم ، واستأجرا عبد الله بن  
 أريقط رجل من بني الديل حليفاً لآل العاص بن وائل السهمي يَدُلُّهما الطريق ،  
 وكان هادياً ماهراً بطريق المدينة ، ودفعاً إليه راحلتيهما وَوَاعَداه غَارَ ثورٍ بعد  
 ثلاث ، وأمنّاه على ذلك وهو مشرك على دين قومه ، وإِنَّا لم يقبل النبي صلى الله  
 عليه وآله وسلم الناقة من أبي بكر إلا بالثن ، لتكون هجرته إلى الله بنفسه وبِماله  
 خالصة ، رغبة في استكمال أفضل أحوال الهجرة إلى الله ، وهذه الناقة هي ناقة  
 رسول الله الجدعاء . ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته فلما أَمسى  
 قال لعلي : نَمْ على فراشي وتسجى ببردِي هذا ، فإنه لن يخلص إليك شيءٌ  
 تكرهه ، ولما كان عتمة الليل اجتمع أولئك النفر من قُرَيش لما أجمعوه من الأمر ،  
 وكانوا قد عرفوا موضعه الذي يتأَم فيه قيل كانوا مئة نفر منهم أبو جهل وأبو لهب  
 والحكم بن العاص وغيرهم ، فجعلوا يتطلعون من صِير الباب فرأوا علياً كرم الله  
 وجهه نائماً على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجياً ببرده الحضرمي  
 فظنوه إياه ، فما زالوا يرصدونه ويتأمرّون أيهم يكون أشقاها ، وينتظرون أن  
 يَقُوم ويتحدثون فيما بينهم ، فأبو جهل يَقُول : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتوه كنتم  
 ملوك العرب والعجم ، ثم بُعِثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان  
 الأردن ، وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت نارٌ  
 تحرقون فيها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتلو صدر سورة  
 ﴿ يس ﴾ [ يس ١/٣٦ ] . إلى قوله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ  
 سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [ يس ٩/٣٦ ] . ثم قال حين سمع أبو جهل  
 يقول ما تقدم : نعم ، أنا أقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله على أبصارهم وأسماعهم ،  
 وأخذ رسول الله حفنةً من تراب البطحاء وجعل يذره على رؤوسهم فلم يبق رجل  
 إلا وقع على رأسه من ذلك التراب وهو يتلو الآية ، حتى فرغ ، ومضى حتى أتى  
 بيت أبي بكر فخرجا من خوخة من بيته ، فجاء رجل ورأى أبا جهل ومن معه

منتظرين بباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : ماتنتظرون ؟ قالوا : محمداً ، قال : خبتم وخسرتم ، قد والله مرَّ بكم ونثر على رؤوسكم الترابَ ، فقالوا : والله ما أبصرناه ، فجعل كل واحد منهم يضع يده على رأسه فإذا عليه تراب ، وقاموا ينفُضُونَ التراب عن رؤوسهم ، ثم نظروا إلى فراشه فأروا علياً نائماً مسجياً ببرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فبقوا متحيرين ، ويقول بعضهم إن هذا لمحمد نائماً على فراشه ، فلما أصبحوا قام علي كرم الله وجهه عن الفراش ، فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : لا أعلم لي به ، فقالوا والله لقد كان صدقنا الذي أخبرنا ، وكان عليّ عليه السلام أول من شرى نفسه من الله ، وفدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك يقول :

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرا      ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر  
رسول إليه خاف أن يَمَكُروا به      فنجاه ذو الطول الإله من المكر

وذكر الغزالي في ( إحياء علوم الدين ) أن ليلة بات علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله إلى جبريل وميكائيل أني أخيتُ بينكما وجعلتُ عَمَرَ أَحَدِكَا أَطْوَلَ مِنَ الْآخَرِ ، فأيكما يُؤثِرُ صاحِبَهُ بالحياة ، فاختار كلاهما الحياة واختلفا ، فأوحى الله إليهما ألا كُنْتُمَا مِثْلَ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ أخيتُ بينه وبين محمد ، فبات علي فراشه وَيَقْدِيهِ بِنَفْسِهِ فَيُؤَثِّرُهُ بالحياة ، اهبطا إلى الأرض ، فاحفظاه مِنْ عَدُوِّهِ ، فكان جبريل عند رأسه ، وميكائيل عند رجلَيْهِ ، وجبريل عليه السلام يُنَادِي بَخْ بَخْ مِنْ مِثْلِكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، يباهي الله بك الملائكة ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ [ البقرة ٢/٢٠٧ ] . الآية .

فصل : وانطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماشياً ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعةً أمامه وساعةً خلفه ، فقال : مالك يا أبا بكر ، فقال : أذكر

الرصد فأمشي بين يديك ، وأذكر الطلب فأمشي خلفك ، قال أبا بكر أحبيت إن كان شيء أن يكون بك دوني قال : نعم ، قال : لا بأس عليك إن الله معنا ، فلما بلغ الحزورة وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لمن أحب أرض الله إليّ ولولا أهلك أخرجوني منك لما خرجت ، ثم مضيا حتى انتهيا إلى الغار ، فقال أبو بكر مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فجعل يلتمس بيده في ظلمة الليل ، فلم ير فيه شيئا فقال : ادخل يا رسول الله فدخل ، فلما أسفر بعض الإسفار رأى أبو بكر في الغار خزقا فألقمه قدمه مخافة أن يخرج منه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووضع النبي رأسه في حجر أبي بكر فنام فلُدغ أبو بكر فلم يتحرك لئلا يوقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لكنه بكى حتى سقطت دموعه على خد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستيقظ ، فقال : مالك يا أبا بكر ، قال : لدغت فتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على لدغته فذهب ما يجيد ، وأمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين فباضتا ، وفي رواية : فوقفتا على فم الغار وأنبت الله شجرة ، يقال لها ايرا بيباب الغار فحجبت الغار نظر الرائيين ، وأما قريش فلما فقدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلبوه بمكة وفتشوها أعلاها وأسفلها ، وبعثوا القافة والطلب في أمره في كل جهة ، فوجد القائف الذي ذهب قبل ثور أثره فلم يتبعه هنالك ، حتى انتهوا إلى الغار ، فقال : لمن معه إلى هنا انتهى أثره ، ثم لأدري أصعد الجبل أم أخذ يميناً أو شمالاً ، فجدوا في الطلب هنالك ، وأتوا إلى فم الغار فقال بعضهم : ادخلوا الغار ، فقال أمية بن خلف : ما أربكم في الغار إن فيها العنكبوت من قبل ميلاد محمد ، وطارت الحمامتان ، فقالوا لو كان هنالك ما كاتنا ، فقال أبو بكر يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لرآنا ، فقال له النبي : اسكت يا أبا بكر ما ظنك باثنين ثالثهما الله ، ولما أيست قريش عن وجودهما رجعوا إلى مكة وجعلوا لمن

يأتي بها دية كل واحد منها ، والله غالب على أمره وحائل بينهم وبين عبده  
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

بعد ثلاثِ جاهمُ المستأجرُ	على السير بعده فبادروا
فركبنا الراحلتين واختفنا	على قریش الأمر أعظم الخفا
إلا الفتى سراقه بن مالك	فجد في الطلب غير تارك
فساخت الفرس في الأرض به	لما استغاث أحمد بربه
فقال إن دعوت لي كفت	عنك أذا هم ولهم رددت
دعاه وهو مبشر طه وفا	وكف عنها أذا هم وكفى

لبث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الغار ثلاث ليالي ، فلما مضت  
أتاهما عبد الله بن أريقط الديلي براحلتيهما وراحليه ، وركبوا جميعاً ، وكانت  
أسماء بنت أبي بكر وأما قد جهزتها أحب الجهاز ، وصنعتا لها زاداً في جراب ،  
قالت عائشة فقطعت أسماء قطعة من نطاقها ، فأوكت بها قم الجراب ، وقطعت  
أخرى فصيرتها عصماً لقم القربة لتعلق به ، فسميت أسماء بذلك ( ذات  
النطاقين ) ، وروي عن أبي بكر قال : لما خرجنا من الغار سافرنا ليلتنا ويومنا  
حتى قام قائم الظهيرة ، فضربت ببصري هل أرى ظلاً فأوي إليه ؛ فإذا أنا  
بصخرة ، فأويت إليها فسويت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظلها ،  
وفرشت له فروة ، وقلت : اضطجع يا رسول الله ، ثم خرجت هل أرى أحداً من  
الطلب ؛ فإذا براعي غنم ، قلت : لمن أنت يا غلام ؟ قال : لفلان من قریش ،  
فعرفته ، فقلت : هل في غنمك لبن ، قال : نعم ، قلت : هل أنت حالب لي ،  
قال : نعم ، فأمرته ، فاعتقل شاة ، ثم أمرته فنفض الضرع من الغبار ، فحلب  
كثبة في قدح ، ومعي إدواة ماء على فيها خرقة قد أعددت لرسول الله ، فصبيت  
من ذلك الماء على القدح حتى برد أسفله ، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم ، فوافيته وقد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ، فارتحلنا ولم يدركنا أحد إلا سراقه بن مالك ، وذلك أنهم مروا بحمي بني مُدَلِج فنظروهم رجل من الحي مُصْعِدِينَ فَأَتَى قومه حتى وقف عليهم يناديه ، فقال لهم : لقد رأيتُ بالساحل ركباً ثلاثة ما أراهم إلا مُحمداً وأصحابه ، وكان قد جاءتُ رسلُ كُفَّارِ قريش إليهم يجعلون في رسولِ الله دية مئة ناقة لمن قتله أو أسره ، ففطنَ سراقه بالأمر وعرف أنهم هم ، فأومأ إليه بعينه أن اسكت ، وقال : إنما هم بنو فلان خرجوا وأعيننا في طلب ضالة لهم ، قال الرجل : لعله . وأراد سراقه بن مالك أن يكون الظفر له وحده ، وقد سبق له من الظفر مالم يكن في حسابه ، ثم مكث قليلاً ، فقام ودخل بيته ، وقال لخادمه : أخرج الفرس من وراء الحِباء وموعدك وراء الأكمة ، وأمر بسلاحه فأخرج من دبر الحجرة ، وأخذ معه قداحه التي يستقسم بها ، ثم أخذ رُحماً وخفض عاليه يخطُّ به الأرض ، وانطلق فليسَ لأمته ، وأخرج قداحه فاستقسم بها يضرُّهم أم لا ، فخرج ما يكره ، قال سراقه : فبعصيت الأزلام وركبتُ فرسي ، فبينما هي تشتد بي إذ عثرت فسقطتُ ، فأخرجت قداحي فاستقسمت أضُرُّهم أم لا ، فخرج ما أكره : لاتضرُّهم ، وكنتُ أرجو أن أردّه فأخذ المئة الناقة ، فلم أبال فركبت ، فبينما الفرس تشتد بي عثرت ، فقلت : ما هذا ؟ وأخرجت قداحي فاستقسمت فخرج ما أكره ، وأبيتُ إلا أن أتبعهم ، فلما دنوتُ منهم سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فحدثتُ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات فرآني ، فقال : يا رسول الله أتينَا ؛ هذا سراقه بن مالك قد دهننا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تحزن إن الله معنا » ودعى بدعوات ، قيل : قال : « اللهم اكفناهُ » . فساخت قوائم الفرس في الأرض ، وهي أرض صلبة ، فارتطمتُ فيها إلى بطنها ، قال سراقه : فوثبتُ عنها وبأديتها بالأمان وقلت : قد علمت أن الذي قد أصابني بدعائكما فادعوا الله لي ، ولكما عليّ أن أردّ

عنكم الطلب ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فزجرتُ الفرسَ  
فنهضت فإذا لأثر يدها غبار ساطع كالدخان ، ووقع في نفسي حين لقيت من  
الحبس عنهم ما لقيتُ أن سيظهر أمر رسول الله ، فقلت له : إن قومك جعلوا  
فيك الدية ، وأخبرته أخبار ما تريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع ،  
وقلت : إنكم ستمرون ببابلي فهذا سهم من سهمي ، فإذا مرّيتم بها فخذوا منها  
حاجتكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا حاجة لنا بشيء من  
ذلك ولكن عمّ عنا الطلب » قال : قد كفيتموه ، فسألته أن يكتب لي كتاب  
أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ، وقال لي رسول الله صلى الله  
عليه وآله وسلم : « إذا استقررنا بالمدينة ورأيت أن تأتينا فأتنا » فكان الكتاب  
معه إلى أن فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاءه  
بالكتاب ، ووفى النبي بما فيه ، وقال : « هذا يوم برٍّ ووفاء » - فرجع سراقة  
فوجد الناس في الطلب ، فكان لا يلقى أحداً إلا ردّه وقال : قد استقرتُ الخبر  
لكم وقد كفيتم ماها هنا ، قال سراقة : فكنت أول النهار طالباً وآخر النهار  
مسلّحة لهم . ولامة أبو جهل على رجوعه بلا شيء ، فقال سراقة في ذلك :

أبا حكم واللات لو كنت شاهداً	لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأن محمداً	نبي وبرهان فن ذا يقاومه
عليك بكفّ الناس عنه فإنني	أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يودّ الناس فيه بأسهم	بأن جميع الناس طراً تُسالمه
ونزلاً خيمة أم معبد	كأنّا قد قعدت بمرصد
فسألاها هل الشيء تجدوا	قالت وهل أمنعكم لو أجّد
وإنما السنة هذي شهباً	قد أرسل الله عليها الجدباً
ونظر النبي شاة عجفا	كادت من الجهد بها أن تحفا
قال أتأذنين لي في حلبها	قالت نعم لكن لا شيء بها

فَمَسَّهَا يَدُهُ ثُمَّ دَعَا      فَدَرَّتِ الشَّاةُ وَجِيءَ بِالْوَعَا  
مَلَأَهُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ شَرَبُوا      جَمِيعُهُمْ وَسَارَ وَهِيَ تَعَجَّبُ

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ لِسَبِيلِهَا ، فَمَرَّ فِي  
مَسِيرِهَا بِخِيَمَةِ أُمِّ مَعْبِدٍ الْخَزَاعِيَّةِ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفَنَاءِ خِيَمَتِهَا فَتَطْعَمُ  
مَنْ مَرَّ بِهَا ؛ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ الْعَامَ الَّذِي هَاجَرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
كَانَ عَامَ مَحَلٍّ فِي بِلَادِهَا ، فَسَأَلَهَا هَلْ عِنْدَهَا مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَتْ : لَوْ كَانَ عِنْدِي  
شَيْءٌ مَا أُعْوزُكُمْ الْقَرَى ، وَالشَّاءُ عَازِبٌ ، وَهَذِهِ السَّنَةُ شَهْبَاءٌ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى شَاةٍ فِي كِشْرِ الْخِيَمَةِ فَقَالَ : « مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ  
مَعْبِدٍ ؟ » قَالَتْ : شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ ، قَالَ : « هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ »  
قَالَتْ : هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « أَتَأْذِنِينَ لِي أَنْ أَحْلِبَهَا ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ يَا أَبِي  
أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلَبًا فَاحْلِبِهَا ، فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
ضَرْعَهَا بِيَدِهِ وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى ، فَتَفَاحَجَتِ فَدَرَّتِ الشَّاةُ ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرِيشُ  
الرَّهْطَ ، فَحَلَبَ فِيهِ حَتَّى عُلَّتْهُ الرِّغْوَةُ فَسَقَاها فَشَرِبَتْ حَتَّى رَوَيْتَ ، وَسَقَى  
أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا ، ثُمَّ شَرَبَ آخِرَهُمْ ، وَحَلَبَ ثَانِيًا فِي الْإِنَاءِ حَتَّى مَلَأَهُ ، ثُمَّ  
غَادَرَهُ عِنْدَهَا وَارْتَحَلُوا ، فَعَجِبَتُْ مِمَّا رَأَيْتُ ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبِدٍ  
يَسُوقُ أَعْزَأَ عَجَافًا هِزَالًا ، فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عِنْدَهَا عَجِبَ ، وَقَالَ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا  
وَالشَّاءُ عَازِبٌ وَلَا حَلُوبَةَ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ  
كَانَ مِنْ حَدِيثِهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ صَاحِبَ قَرِيشٍ الَّذِي  
تَطْلُبُهُ ، صِفِيهِ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ ، فَوَصَفْتُهُ ، وَكَانَ أَلُ مَعْبِدٍ يَسْمُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ  
الرَّجُلَ الْمُبَارَكَ ، وَيُؤَرِّخُونَ بِهِ ، فَيَقُولُونَ : فَعَلْنَا كَذَا يَوْمَ كَذَا الرَّجُلَ الْمُبَارَكَ ،  
وَبَقِيَتِ الشَّاةُ الَّتِي لَمَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضَرْعَهَا عِنْدَ أُمِّ مَعْبِدٍ  
حَتَّى كَانَ عَامَ الرَّمَادَةِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَكُنَّا نَحْلِبُهَا صَبُوحًا وَعَشَاقًا

وَمَا فِي الْأَرْضِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ ، وَخَفِيَ عَلَى قَرِيشٍ أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَمِعُوا صَوْتاً بِمَكَّةَ فغَدَوْا يَتَّبِعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَرَوْنَ أَحَدًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقِينَ حَلًّا خِيَمَةً أَمْ مَعْبِدٍ إِلَى آخِرِ الْأَيَّاتِ ، وَكَانَ الْقَائِلُ بِذَلِكَ نَفَرٌ مِنَ الْجَنِّ ، فَعَرَفَتْ قَرِيشُ أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وَبَلَغَ الْأَنْصَارُ مَخْرَجَ النَّبِيِّ وَذَاكَ كُلُّ سُـوْـلِهِمْ وَالْمَطْلَبِ فَرَاقِبُوا وَانْتَظَرُوا الْقُدُومَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَرْقُبُونَ يَوْمًا إِذْ صَارَحَ يَقُولُ هَذَا جَدُّكُمْ يَأْتِيهَا الْأَنْصَارُ جَاءَ سَعْدُكُمْ فَخَرَجُوا يَلْقَوْنَهُ فَنَزَلَ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ فَمَا تَقَلَّ وَحْثُهُمْ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِهِ وَمَعَهُمْ يَعْمَلُ فِيهِ يَبْنِيهِ

سَمِعَ الْمَسْلُومُونَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ وَقَصْدَهُ الْمَدِينَةَ فَكَانُوا يَخْرُجُونَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْحَرَّةِ يَنْتَظِرُونَ أَوَّلَ النَّهَارِ ، وَإِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَقِيلَ : ثَامِنُ الشَّهْرِ ، وَقِيلَ : غَيْرَ ذَلِكَ ؛ خَرَجُوا عَلَى عَادَتِهِمْ وَأَطَالُوا الْإِنْتَظَارَ ، ثُمَّ انْقَلَبُوا بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ حَرُّ الشَّمْسِ فَأَوُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ، فَصَعِدَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى أَطْرَمٍ مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ مَعَهُ مَبِیْضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَقِيَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاصِلِينَ مِنَ الشَّامِ تَجَارًا فَلَبَسَ الزُّبَيْرُ النَّبِيَّ وَأَبَا بَكْرَ ثِيَابًا بَيَاضًا ، فَصَرَخَ الْيَهُودِيُّ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا بَنِي قَيْلَةَ - فِي رَوَايَةِ النَّجَّارِيِّ يَامَعْشَرَ الْعَرَبِ - هَذَا صَاحِبُكُمْ قَدْ جَاءَ ، هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ . فَصَارَ



الأنصار إلى السَّلاح لِيَتَلَقَّوْا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، وَسَمِعَ التَّكْبِيرَ فِي  
 بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ فَرَحاً بِقُدُومِهِ ، فَلَقَوْهُ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ ، وَعَدَلَ بِهِمْ  
 ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ ، وَجَلَسَ فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ  
 عَلَيْهِ وَاللَّهُ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ، وَتَفَرَّقَ  
 الصَّبِيَّانِ وَالْخَدَمُ يَنَادُونَ فِي الطَّرِيقَاتِ : قَدْ جَاءَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله  
 وَسَلَّمَ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ فَطَفِقَ مَنْ جَلَسَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى  
 رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَحْيِيَّ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ الرَّسُولُ ،  
 فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله  
 وَسَلَّمَ ، وَأَضَاءَتِ الْمَدِينَةُ بِقُدُومِهِ وَأَشْرَقَتْ بِهَجَّتِهَا ، قَالَ أَنَسٌ : مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ  
 وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ . وَنَزَلَ  
 رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بِقَبَاءَ عَلَى كَلْثُومِ بْنِ الْهَذْمِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ  
 مُشْرِكٌ ، وَقِيلَ : عَلَى سَعْدِ بْنِ أَبِي حُثْمَةَ ، وَكَانَ مِنْ أَقْبَى رَسولِ اللَّهِ بِقَبَاءَ سَلْمَانَ  
 الْفَارِسِيَّ فَاسْلَمَ ، وَكَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، وَلَبِثَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله  
 وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ، وَلَبِثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ  
 وَجْهَهُ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ بِأَيَّامِهَا لِيُؤَدِّيَ عَنْهُ الْأَمَانَاتُ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَرَسولُ اللَّهِ  
 فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَأُسِّسَ مَسْجِدُ قَبَاءَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ ،  
 وَكَانَ مِرْبَدًا لِكَلْثُومِ بْنِ الْهَذْمِ ، فَعَمِلَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِيهِ ،  
 وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ جَاءَ بِحَجْرِ فَوْضَعِهِ فِي قَبْلَتِهِ ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِحَجْرِ فَوْضَعِهِ إِلَى  
 حَجْرِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ حَجْرِ فَوْضَعَهُ إِلَى حَجْرِ  
 أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ فِي الْبَنِيَانِ ، وَبَعْدَ أَنْ أُسِّسَ أَمَّ بُنْيَانَهُ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ كَمَا  
 يَرَوِي هَكَذَا فِي بُلُوغِ الْمَرَادِ ، قَالَ عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ : مَا لِرَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَدْءٌ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ مَكَانًا يَسْتَظِلُّ بِهِ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَيُصَلِّيَ فِيهِ ، فَبُنِيَ  
 مَسْجِدُ قَبَاءَ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ بُنِيَ فِي الْمَدِينَةِ ، وَأَوَّلُ مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ جَمَاعَةً

ظاهراً ، وهو أوّل مسجد بني لجماعة المسلمين عامة . وورد في فضل مسجد قباء أحاديث كثيرة . ولَمَّا أراد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم الارتحال من بني عمرو بن عوف بعث إلى من سَيَّرحل إليهم من الأنصار فتلقوه لدخوله ، فاستقبله زهاء خمس مئة من الأنصار ، فقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، وكان ذلك يوم الخميس ، وقيل : يوم الجمعة ، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، فجمّع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي ، ثم ركب فأخذوا بخطام راحلته ؛ قالوا : هَلَمْ يارسول الله إلى العُدّة والعَدَد والسّلاح والمَنّعة ، قال : « خلّوا سبيلها إنّها مأمورة » ووضع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم زِمَامَ ناقته ؛ فلم تزل سائرة به ولا يَمَرّ بدارٍ من دور الأنصار إلّا رغبوا في نزوله عليهم وأخذوا بخطام ناقته ، فيقول : « دعوها فإنها مأمورة » فسارت حتّى وصلت إلى موضع مسجده اليوم فبركت ، وثبت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم عليها لم ينزل حتّى نهضت به وسارت وهي تلتفت يميناً ويساراً حتّى بَرَكْتَ على دار أبي أيوب الأنصاري ، ثم التفتت يميناً وشمالاً فشارت قليلاً ثم بركت في مبركها الأوّل وألقت عنقها في الأرض وأرزمت ، فنزل عنها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم وقال : « هذا المنزل إن شاء الله » وكان ذلك من توفيق الله وإلهامه لها ؛ فإن رسول الله أحبّ أن ينزل على أخواله بني النّجار يكرّمهم بذلك - لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم - واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فأدخله بيته ، فقال رسول الله : « إنّنا المرء مع رحله » وجاء أبو أمامة أسعد بن زرارة فأخذ بزمام الرّاحلة فكانت عنده وسرّ بنو النّجار بنزوله عليهم ، وخرجت الجوّاري بالدُّفوف يضربن ويقلن :

نحن جـواري من بني النّجار      يا حَبِذاً محمداً من جـار

فقال لمن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « أَتُحِبِّينني ؟ » قلن : نعم ، قال : « الله تعالى يعلم أن قلبي يحبكم » واستقرّ بالمدينة آمناً مسروراً ، واستجاب

الله دعاءه الذي علّمه في كتابه الكريم حين أمر بالخروج من مكة ، فأنزل عليه :  
﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ  
سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [ الإسراء ٨٠/١٧ ] وعمر مسجده الذي بَرَكْتَ فيه النّاقة ، وكان  
يعمل في المسجد بيده وينقل الحجارة واللّبن ويقول :

اللّهم إنّ الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة  
هذا الجمال لاجمال خبير هذا أبرر تبنياً وأطهر

والجمال - بالحاء المهملة المكسورة - أي هذا المحمول من اللّبن أبر عند الله  
وأعظم ثواباً من جمال خبير الذي يُحمل منها : التمر والزبيب ، وجعل أصحابه  
يرتجزون وهم ينقلون اللّبن ، وارتجز علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً  
ومن يرى عن التراب حائداً

فأخذها منه عمار بن ياسر وجعل يرتجز بها ، فلما أكثر ظن بعض أصحاب  
رسول الله أنّه يعرض به ، فقال له : قد سمعت ما تقول يا ابن سمية منذ اليوم ،  
والله إني لأراني سأعرض هذا العصا بأنفك ، وفي يده عصا ، فغضب رسول الله  
صلّى الله عليه وآله وسلم ؛ قال : « مآلهم ولعمار يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى  
النّار ، إنّ عماراً جليدة ما بين عيني وأنفي » ، فلما سمعوا ذلك من رسول الله  
صلّى الله عليه وآله وسلم اجتنبوه ، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ؛ لبنة عنه  
ولبنة عن رسول الله ، والناس ينقلون لبنة لبنة ، فقال له رسول الله صلّى الله  
عليه وآله وسلم : « لك أجران » ، ودخل عمار مرة وقد أثقلوه باللّبن ، فقال :  
يا رسول الله قتّلوني ؛ يحملون عليّ ما لا يحملون ، فجعل رسول الله ينفض وفّرتة  
بيده ، وكان رجلاً جعداً ، ويقول : « ويح ابن سمية ؛ ليسوا بالذين يقتلونك  
إنّا تقتلك الفئة الباغية » ، وتكرر هذا القول من رسول الله في مواطن حتّى

قيل : إنه لم يكن حديث متواتر لفظاً إلا حديث : « عمار تقتلك الفئة الباغية » فقتل رضي الله عنه مع أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه أيام صفين ، قيل : ولما قتل دخل عمرو بن العاص على معاوية فقال : قتل عمار ، فقال معاوية : فماذا ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « تقتل عماراً الفئة الباغية » فقال معاوية : أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاء به ، فلما بلغ عليّ كرم الله وجهه قول معاوية : أنحن قتلناه إنما قتله من جاء به ؛ قال : إذن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب ، ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بناء مسجده بنى بيوتاً بجوانبه وسقفها بالجريد ، ولما فرغ من بنائها انتقل من دار أبي أيوب إليها ، واختلف في مقدار إقامته في دار أبي أيوب ف قيل خمسة أشهر ، وقيل : إلى صفر من السنة الثانية .

وَبَيْنَ مِنْ هَاجِرٍ وَالْأَنْصَارِ	أَخَى رَسُولُ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ
وَكَتَبَ الْكِتَابَ فِيمَا بَيْنَهُمْ	لِيُطْمَئِنُّوا وَتَقَرَّ عَيْنُهُمْ
وَفِيهِ أَيْضاً وَادَّعَى الْيَهُودَا	مُؤَكَّدًا عَلَيْهِمُ الْعَهْدَا
كَذَاكَ أَخَى بَيْنَ مَنْ قَدْ هَاجَرُوا	وَصَحَّ فِيمَا قَدْ رَوَى الْأَكْبَرُ
فِي هَذِهِ اتَّخَاذَهُ عَلِيّاً	أَخَالَهُ أَكْرَمَ بِهِ نَبِيّاً

اعلم أنه قد اتفق على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخى بين أصحابه ، واختلفوا هل وقع مرة أو مرتين ، ف قيل : إنه لم يقع إلا مرة واحدة بين المهاجرين والأنصار ، والصحيح أنه وقع مرتين ؛ الأولى : بين المهاجرين بعضهم بعضاً ، والثانية : بين المهاجرين والأنصار ، وكانت الأولى قبل أن يفرغ من عمارة المسجد ، فأخى بين المهاجرين ، وقال لهم : « تأخوا في الله أخوين أخوين » ثم أخذ بيد علي وقال : « هذا أخي » . ومن سُمّي في هذه المؤاخاة

أبو بكر وعمر كانا أخوين ، وزيد بن حارثة وحمة بن عبد المطلب أخوين ،  
وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان أخوين ، والزبير بن العوام وعبد الله بن  
مسعود أخوين ، ولعله أراد صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المؤاخاة تأكيد أخوة  
الإسلام العامة وشدة أزر بعضهم ببعض ، وليكون لكلٍّ أخٍ منهم بأخيه خصوصية  
فيتخذوه موضعاً لستره ، وأول مدعو لنصره ، وعوناً له في غزاه وبشره ، ولهذا إن  
حمة لما كان يوم أحد أوصى إلى زيد بن حارثة ، وكذلك قصة زيد بن حارثة ،  
وعلي كرم الله وجهه وجعفر بن أبي طالب عند لحوق ابنة حمة بالنبي صلى الله  
عليه وآله وسلم ، فقال زيد بن حارثة بنت أخي ؛ يريد هذه المؤاخاة ، إذ  
لو أراد أخوة الإسلام لما كان لقوله مساعً إذ شاركه فيها علي وجعفر . المؤاخاة  
الثانية : بين المهاجرين والأنصار ؛ وذلك أنه لما نزل المهاجرون مع فقرهم  
وغربتهم على الأنصار في دورهم مع ثروتهم آخى رسول الله صلى الله عليه وآله  
وسلم بينهم ليذهب بذلك عن المهاجرين وحشة الغربة ، ويؤنسهم به عن مفارقة  
الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، وليتعلم الأنصار أن المهاجرين قد  
انسلخوا إليهم وارتضوهم إخواناً وعشيرة بدلاً عن عشائرتهم وإخوانهم من النسب ؛  
لأنهم علموا أنهم خير لهم من أولئك ؛ إذ هؤلاء آوؤهم وآثروهم بأموالهم ودورهم ،  
وأولئك أخرجوهم عن أرضهم ودورهم التي هي ملك لهم ، ولتزل بهذه المؤاخاة  
مالعه قد يخالط بعض الأنصار من توهم أن المهاجرين قد يسوؤهم ما يقع على  
الأنصار من قتل من يقتل من أقاربهم كما هو متوقع ، ولغير ذلك من الحكم . وكان  
عقد المؤاخاة في دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً ؛ خمسة وأربعون من  
الأنصار وخمسة وأربعون من المهاجرين ، وقيل : مئة ، فأخى بينهم رسول الله  
صلى الله عليه وآله وسلم على المواساة والمؤازرة ، وأن يتوارثوا بعد الموت دون  
ذوي الأرحام ، فأواهم الأنصار في منازلهم وقاسموهم أموالهم وآثروهم بأقواتهم وتلقوا  
المكارة دونهم ، وأخذ كل من الفريقين ذلك الأخاء لحة وسبباً أعلى من كل سبب ،

واستمرت الموارثة بينهم دون ذوي الأرحام إلى أن نزل قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [ الأنفال ٧٥/٨ ] . وذلك بعد وقعة بدر ، فردّ الله التّوارث إلى الرّحم دون الأخوة ، وصورة الكتاب بين المهاجرين والأنصار ذكره مؤلّف المنظومة في كتابه ( بلوغ المراد في معرفة سيرة خير العباد ) ، وقد أنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعلي ؛ قال : لأنّ المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً ، وليتألّف قلوب بعضهم على بعض ، ولا معنى لمؤاخاة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأحد منهم ، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري ، قال ابن حجر : وهذا ردٌّ للنّص بالقياس وغفلة عن حكم المؤاخاة ؛ لأنّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى ، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأعلى بالأدنى ويستعين الأعلى بالأدنى ، وبهذا تظهر حكمة مؤاخاته صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ كرّم الله وجهه لأنّه الذي كان يقوم به من عهد الصّبا من قبل البعثة .

**فصل :** كان يهود المدينة ثلاث قبائل ، وهم حلفاء للأنصار ، بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير، فوادعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاهدّهم كلّهم ، فما وقّوا بل نكثوا العهد جميعاً ، كما سيأتي بيانه في تفصيل الغزوات ، وكانوا أشدّ الناس عداوة للإسلام والمسلمين من سائر الكفار مع ما عندهم من علم الكتاب وعهد الله فيه إليهم أن ينصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بُعثَ ، وقد علّموا أنّه هو النّبي الأمي الذي وصفه الله لهم بصفاته التي حددها به رأيّ عين ، وأنّه قد بُعث في الوقت الذي أخبرهم الله تعالى في كتابه الأول أن يُبعث فيه ، ولكنها غلبت عليهم الشقوة التي سبّقت في علم الله لهم فكذبوا وجحدوا الحقّ وعاندوا ، فلهذا إنه لم يُسلم منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا اثنان ؛ عبد الله بن سلام ومُخيريق ، وقال ابن هشام أربعة .

وَحِينَما اسْتَقَرُّ فِي الْمَدِينَةِ      وَإِنِّهَا لَدِرْعُهُ الْحَصِينَةُ  
 فَأَهْلُهَا مِنْ يَمْنَعُونَ الْجَارَا      وَاللَّهُ قَدْ سَاهَمَ الْأَنْصَارَا  
 عَلَيْهِمْ قَامَ جَمِيعَ الْأَعْرَابِ      مِنْ مُشْرِكٍ طَاغٍ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
 وَرَبِّهِمْ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّبْرِ      مَعَ وَعْدِهِ لَهُمْ بِعَقْبِي الْأَمْرِ  
 وَكَانَ لِلْقِتَالِ مَا أَبَاحَا      لِحِكْمَةٍ كَانَتْ هِيَ الصَّلَاحَا  
 ثُمَّ أَتَى الْإِذْنَ بِـ\_\_\_\_ذَلِكَ لَهُمْ      لَكِنْ عَلَى التَّخْيِيرِ لِمَا ظَلِمُوا  
 وَبَعْدُ قَدْ فُرِضَ الْقِتَالَا      كَيْمَا يَعْزَّزَ دِينُهُ تَعَالَى  
 فَقَامَ بِالْأَمْرِ الْقِيَامَ الْأَكْمَلَا      رَسُولُ رَبِّهِ إِلَى كُلِّ الْمَلَا  
 وَنَدَبَ النَّاسَ لَهُ وَأَمْرَا      وَلِلْعِدَا عَنْ سَاقِهِ قَدْ شَمْرَا

اعلم أنه لما استقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وأشرقت به  
 أنوار الهداية وأسلم من لم يكن قد أسلم من الأنصار حتى لم يبق بها دار من دورهم  
 إلا أسلم أهلها إلا ما كان من خطمة وواقف ، وأسلم جماعة نفاقاً تعوذوا بالإسلام  
 واتخذوه جنة من القتل وأبطلوا ما هم عليه من الشرك ، فحين رأت العرب أن  
 الأنصار قد آلف الله بين قلوبهم بعد العداوة والإحن ، وأبدلهم الراحة بعد عظام  
 المحن ، وعلموا أن قد متعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأسود  
 والأحمر ؛ رمتهم الأعراب عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة  
 والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب مع اليهود ، والله تعالى يأمر نبيه بالصبر  
 والصفح بنحو قوله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ﴾ [ المائدة ١٣/٥ ] ، وقوله :  
 ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [ الأعراف ١٩٩/٧ ] . قال أبي بن كعب ؛ لما قدم  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب  
 عن قوس واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ، ولا يُصبحون إلا فيه ، فقالوا  
 أترؤن أنا نعيش حتى نبني آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ؛ فنزلت : ﴿ وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴿ [ النور ٥٥/٢٤ ] . ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن قَدِمَ المدينة لا يزال يَدْعُو الناس إلى الإسلام ، سيما من لم يكن قد أسلم من الأنصار ، وَيُبَالِغُ في ذلك ، ولم يأذن الله لرسوله بالقتال إلا بعد أن قويت الشوكة واشتد الجناح ؛ لحكمة كانت هي الصلاح ، فأذن لهم أولاً بذلك ولم يعرضه عليهم بقوله عز وجل : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [ الحج ٣٩/٢٢ ] ، فكانت أول آية نزلت في القتال ، ولما اشتدت مواذاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ مشركي مكة ، فكانوا يَجِيئُونَ إلى المدينة ما بين مضروب ومشجوج ، ويشكون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم : « اصبروا » ونزلت هذه الآية بالمدينة ، وهذه هي المرحلة الأولى ، ثم إن الله بعد ذلك فرض على المسلمين قتالَ مَنْ قَاتَلَهُمْ بقوله عز وجل : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [ البقرة ١٩٠/٢ ] . وهذه هي المرحلة الثانية ، ثم أُمِرُوا بالقتال مطلقاً بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ... ﴾ [ التوبة ٤١/٩ ] . وهذه هي المرحلة الثالثة ، واختلف العلماء هل القتال فرض عين أو كفاية ؛ الأصح أنه فرض كفاية لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ <sup>(١)</sup> [ التوبة ١٢٢/٩ ] .

عشرون غزوة وسَبْعُ حُصْرٍ	غزواته جميعها قد ذُكِرتُ
بِنَفْسِهِ فِي التَّسْعِ مِنْهَا قَاتَلَ	أعداء دين ربه ونَازَلَ
أَلْوِيَّةَ الْجِهَادِ فِيهَا عَقَدَ	يَحْمِلُهَا مَنْ كَانَ لَيْشاً أَسَدَا
وكان للحمزة أولَ لِيَوَا	عَقَدَهُ فَمَا رَوَاهُ مَنْ رَوَى

(١) الأصح أنه فرض كفاية لقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾ والآية ليست في النفور للقتال وإنما هي للتفقه في الدين . (ج)



اعلم أنها قد حُصِرَت مَغَازِيهِ بِنَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ سَبْعاً وَعَشْرِينَ غَزْوَةً ، قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعٍ وَهِيَ : بَدْرُ الْكَبْرَى وَأُحُدُ وَالْمَرِيسِيِّ وَالْخَنْدَقِ وَقَرْيَظَةُ وَخَيْبَرُ وَفَتْحُ مَكَّةَ وَحُنَيْنُ وَالطَّائِفُ ، وَقِيلَ : قَاتَلَ فِي إِحْدَى عَشْرَةٍ ؛ التَّسْعَ الْمَذْكُورَةَ وَغَزْوَةَ الْغَابَةِ وَوَادِي الْقُرَى ، وَقَوْلُهُ : قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةٍ لَمْ يَزِيدُوا أَنَّهُ قَاتَلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ ، إِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّهُ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْغَزَوَاتِ قِتَالٌ وَهُوَ حَاضِرُهُ ، وَلَمْ يُعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَاتَلَ بِنَفْسِهِ بِيَدِهِ إِلَّا فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ . وَقَدْ عَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْأُلُويَةَ لِلْأَمْرَاءِ وَجَهَزَ السَّرَايَا وَبَعَثَ الْبُعُوثَ وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى مَنْ دَانَاهُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ حَتَّى دَانُوا لَهُ وَخَضَعُوا ، وَكَانَ أَوَّلُ لُؤَاءٍ عَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَمَةِ أُسْدِ اللَّهِ وَأُسْدِ رَسُولِهِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ يَعْتَرِضُونَ عِيرًا جَاءَتْ مِنَ الشَّامِ لِقُرَيْشٍ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَّهَاجَرِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ اللَّوَاءُ أَيْضَ حَمْلِهِ أَبُو مُرْثَدٍ حَلِيفُ الْحَمْزَةِ ، وَكَانَ فِي الْعِيرِ أَبُو جَهْلٌ بْنُ هِشَامٍ فِي ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَبَلَغَ حَمْزَةُ وَمَنْ مَعَهُ سَيْفَ الْبَحْرِ وَدَنَا كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الْآخِرِ ، وَاصْطَفَوْا لِلْقِتَالِ ، وَمَشَى بَيْنَهُمْ مَجْدِي بْنُ عَمْرِو الْجَهَنِيِّ وَكَانَ مَخَالِفًا لِهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ؛ حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يَقْتَتِلُوا .

وَبَعَثَهُ عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ بَعَثَهُ النَّبِيُّ خَيْرَ بَاعِثٍ وَمَعَهُمْ سَعْدٌ رَمَى بِسَهْمٍ وَإِنَّمَا أَوَّلُ سَهْمٍ مَرَمِيٍّ

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي سِتِينَ أَوْ ثَمَانِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَيْسَ فِيهِمْ أَنْصَارِي وَعَقَدَ لَهُمْ لُؤَاءَ أَيْضَ حَمْلِهِ مِطْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَعْتَرِضُ عِيرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي مِائَتَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَالْتَقِيَا عَلَى بَطْنِ رَابِعٍ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْجُحْفَةِ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ مَنَاوَشَةٌ حَرْبٍ ، وَلَمْ يَصْطَفُوا لِلْقِتَالِ

وإنما كان بينهم رَمِيّ بالسهم ، وكان في السرية سعد بن أبي وقاص رَمَى ذلك اليوم ؛ وكان أول سهم رَمَى في سبيل الله سهمه ، ثم انصرفوا للمسلمين حامية وقوة ومنعة ، وفرّ إلى المسلمين من بين المشركين المقداد بن الأسود ، وفرّ معه أيضاً عتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ؛ وكنا مسلمين وإنما خرجنا مع الكفار ليتوصلا بذلك إلى اللّٰهوق بالمسلمين ، وقيل : إن الذي كان على القوم من المشركين عكرمة بن أبي جهل ، وقيل : مكرز بن حفص بن لؤي بن غالب .

وَبَعْدَهُ سَرِيَّةٌ لِسَعْدٍ فِي عَصْبَةٍ مِنَ اللَّيْثِ الْأَسَدِ

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن أبي وقاص على رأس تسعة أشهر من الهجرة في عشرين راكباً ، وعهد إليهم أن لا يجاوزوا الحراز من أرض الحجاز ينتظرون عيراً لقريش ، فكانوا يكتنون النهار ويسرون الليل حتى صبحوا المكان صبيحة خميس فوجدوا العير قد مرّت بالأمس ، فعادوا ولم يلقوا كيداً .

أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الْأَبُوءُ بِنَفْسِهِ النَّبِيُّ فِيمَا يُرَوَّى  
لَمْ يَلْقَ كَيْدًا ثُمَّ عَادَ رَاجِعًا لَكِنْ بَنِي ضَمْرَةَ فِيهَا وَادَعَا

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه غزوة الأبواء ، وهي أول غزوة غزاها بنفسه ، وهو موضع بينه وبين الجحفة من جهة المدينة خمسة وعشرون ميلاً ، ويقال لها غزوة ودّان بفتح الواو وتشديد الدال المهمة بعدها ألف فنون ، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، وكان لواء أبيض ، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة ، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عيراً لقريش ، فلم يلق كيداً ووادع فيها مخشي بن عمر الضمري وكان سيد بني ضمرة ؛ فوادعه صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا يغزو

بني ضمرة ولا يغزوه ، ولا يُكثِرُوا عليه جمعاً ، ولا يعينوا عليه عدوّاً ، وكتب بينه وبينهم كتاباً لفظه : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني ضمرة أنهم آمنون على أموالِهِمْ وأنفسِهِمْ ، وأنَّ لهم النصر على من رَامَهُمْ أَنْ لَا يُحَارِبُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَابِلُ بَحْرِ صَوْفَةٍ ، وأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعاهم أَجَابُوا ؛ عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله ولهم النصر على من يرمهم والفيء » .

ثُمَّ غَزَا بِنَفْسِهِ بَوَاطٍ فِي رَيْعٍ لَكِنْ فَاتَهُ ابْنُ خَلْفٍ فِي رَيْعِ الْأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ عَشْرِ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرَتِهِ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ بَوَاطٍ ؛ وَهِيَ الثَّانِيَّةُ مِنْ غَزَوَاتِهِ بِنَفْسِهِ ، وَبَوَاطٍ - بَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَقَدْ تُضَمُّ ، وَتَخْفِيفِ الْوَاوِ وَطَاءٍ مُهْمَلَةٍ - جَبَلٌ بِقَرَبٍ مِنْ يَنْبَعٍ ، وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةِ بُرْدٍ ، وَكَانَ خُرُوجُهُ فِي مِثْقَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَحَمَلُ لَوَاءِهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ - وَكَانَ أَيْضًا - يِعَارِضُ عَيْرًا لِقُرَيْشٍ فِيهَا أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ الْجُمُحِيِّ فِي مِثْقَى مِنْ قُرَيْشٍ ، وَالْغَيْرُ أَلْفَانِ وَخَمْسُ مِئَةٍ بَعِيرٍ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هُنَالِكَ وَجَدَ الْعَيْرَ قَدْ فَاتَتْهُ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا .

ثُمَّ غَزَا سَفْوَانَ كَانَ طَالِبًا كُرْزًا فَفَاتَهُ الشَّقِيُّ هَارِبًا بَعْدَ مَرْجَعِهِ مِنْ غَزْوَةِ بَوَاطٍ أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَرْعَى بِالْحِمَى فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي طَلْبِهِ ، وَحَمَلُ لَوَاءِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فَسَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَفْوَانَ - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْفَاءِ كَمُرَّوَانٍ - وَهُوَ وَادٍ بِنَاحِيَةِ بَدْرٍ ، فَفَاتَهُ كُرْزٌ فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَتُسَمَّى هَذِهِ غَزْوَةُ بَدْرِ الْأُولَى ، هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ ، وَفِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ وَالْمَوَاهِبِ وَابِلَهْجَةِ وَفَتْحِ الْبَارِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْغَزْوَةَ كَانَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ الْعَشِيرَةِ .

ثُمَّ غَزَا بِنَفْسِهِ الْعَشِيرَةَ مُعْتَزِّضًا عَلَى ابْنِ حَرْبٍ الْعَيْرِ

في شهر جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجَرته كانت غزوة العُشَيْر<sup>(١)</sup> - بضم العين المهملة وفتح السين المهملة وبعدها الياء التحتية ثم تاء التانيث - ويقال ذي العشيرة ؛ وهي موضع من بطن يَنْبَع ، وهو منزل الحاج المصري ، وكان سبب خروجه أنه جاءه الخبر بخروج أبي سفيان بن حرب ذاهباً إلى الشام في عير كثيرة فيها أموال لقريش ، وكانت العير ألف بعير ، والمال خمسون ألف دينار ، وكان خروجه بئنة وخمسين من المهاجرين ، وقيل مئتين ، على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ، واستخلف على المدينة أبا مسلمة بن عبد الأسد الخزومي ، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب ، فسلك على بيت بني دينار ونزل يُصلي عندها وابتنى مسجداً ، ومسجده معروف إلى الآن ، وصنع له طعام فأكل منه وأكل منه الناس ، وموضع أثافي البرمة هنالك معلوم ، فلم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة من أرض بني مُدَلِج ، وهي بناحية ينبع ، وبين المدينة وينبع تسعة بُرَد ، فوجد العير قد فاتته ، وهذه العير هي التي وعده الله إياها أو المقاتلة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ... ﴾ [ الأنفال ٧/٨ ] ، إلى آخر الآية ، وكان بسببها غزوة بدر الكبرى ، ثم عاد رسول الله قافلاً إلى المدينة ولم يلق كيداً .

قيل : وفي هذه الغزوة كُنِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً كرم الله وجهه بأبي تراب ، وسببه ما قاله ابن إسحاق في رواية ابن هشام عنه ؛ روي عن عمار بن ياسر قال : كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة ذي العشيرة ، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في غين لهم فيها نخل ، فقال لي علي : يا أبا اليقظان ! هل لك في أن تأتي القوم هؤلاء فننظر كيف يعملون ، قلت : إن شئت ، فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم

(١) هي كما في الهدى العيرا بالسين إذا كانت ممدودة . وإن كانت بالهاء فالعشيرة أو ذي العشيرة .

غَشِينَا النُّومَ ، فَاَنْطَلَقْنَا حَتَّى اضْطَجَعْنَا فِي صُورٍ مِنَ النَّخْلِ وَفِي دَقْعَاءٍ <sup>(١)</sup> مِنَ التُّرَابِ فَوَاللَّهِ مَا أَنْبَهَنَا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ ، وَقَدْ شَرَبْنَا مِنْ تِلْكَ الدَّقْعَاءِ الَّتِي نُمْنَا فِيهَا ، فَيَوْمَئِذٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ « مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ » لَمَّا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكَمَا بِأَشَقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ ؟ » قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « أَحَيِّمَرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْنِهِ - حَتَّى يَبْلُغَ مِنْهَا هَذِهِ - وَأَخَذَ بِلَحْيَتِهِ » <sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ اعْتَرَضَ عَلَى هَذَا بِمَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ إِنَّمَا كُنَّاهُ بَعْدَ نِكَاحِهِ فَاطِمَةَ ، وَنِكَاحُهُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهَا : « أَتَيْنَ ابْنَ عَمِّكَ » قَالَتْ : خَرَجَ مُغَاضِباً ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدَهُ فِيهِ مُضْطَجِعاً وَقَدْ لَصِقَ بِهِ التُّرَابُ ، فَجَعَلَ يَنْفُضُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ : « اجْلِسْ أَبَا تُرَابٍ » وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ كُنَّاهُ فِيهِ - انْتَهَى . قَالَ السَّهِيلِيُّ : وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ غَيْرَ مُخَالَفٍ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ كُنَّاهُ مَرَّتَيْنِ ؛ مَرَّةً فِي مَسْجِدِهِ ، وَمَرَّةً فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ .

ثُمَّ ابْنُ جَحْشٍ قَدْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ فَقَتَلَ ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ فِي رَجَبٍ فِي شَهْرِ رَجَبٍ عَلَى رَأْسِ تِسْعَةِ عَشَرَ شَهْراً مِنْ مُهَاجَرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَعَتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ كِتَاباً وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَقْرَأَهُ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمِينَ ، ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ فَيَمِضِي وَلَا يَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فَفَعَلَ مَا أَمَرَهُ ، فَلَمَّا سَارَ يَوْمِينَ عَنِ الْمَدِينَةِ فَتَحَ الْكِتَابَ فَوَجَدَ فِيهِ : « إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَامْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةٌ بَيْنَ

(١) أَيِ عَلَى التُّرَابِ اللَّيِّنِ .

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ .

مكة والطائف ، فترصد بها عيراً لقريش وتعلم لنا من أخبارهم » فقال عند ذلك : سمعاً وطاعة ، وأخبر أصحابه بذلك ، وأنه مأمور أن لا يستكره أحداً منهم فمن أحب الشهادة فليض ومن كره الموت فليرجع ، قال : وأما أنا فناهض . فنهضوا معه كلهم . فلما كانوا في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعُتبة بن غزوان بغيراً كان يعتقبانه فتخلفا في طلبه ، وبعث عبد الله حتى نزل بنخلة فرث به غير لقريش تحمل أدماً وزيباً وتجارة وفيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان ، وتشاور المسلمون فقالوا نحن في آخر يوم من الشهر الحرام فإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم وإن قاتلناهم انتهكنا حرمة الشهر الحرام ، ثم اجتمعوا على ملاقاتهم ، فلما رأتهم أصحاب ابن الحضرمي هابوهم ، فقال عبد الله بن جحش لأصحابه : إن القوم قد دُعِروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم ، فحلقوا رأس عكاشة ، ثم أشرف عليهم فقال : لا بأس عليكم إننا عمار ، فأمنوهم ، ثم إن واقد بن عبد الله رمى بسهم فأصاب ابن الحضرمي فقتله ، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل ، وأخذوا مامعهم ، وكان ذلك أول قتيل في الإسلام ، ثم قدموا باليعير والأسيرين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عزلوا من الغنيمة الخمس فكان أول خمس في الإسلام ، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعلوه ، وقال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » وشق عليه ذلك ، وعاب المشركون ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقالوا : محمد يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب ، واشتد ذلك على المسلمين وأكثروا لوم عبد الله بن جحش وأصحابه حتى ظنوا أنهم قد هلكوا فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ... ﴾ [البقرة ٢١٧/٢] ، فلما نزلت قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنيمة ووثق الأسيرين ، وبعثت قريش في فدائهما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا سعد وعقبة بن غزوان فإن

تقتلوهما تقتل الأسيرين ، فقدِمَا ، فلما قدما فآذاهما ، فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه ، وأما عثمان فلحق بمكة ومات بها كافراً .

**تنبيه :** ما ذكر من أن قَتَلَ ابن الحضرمي كان في آخر يوم من رجب ، هو الذي ذكره ابن القيم تبعاً لابن إسحاق في رواية ابن هشام عنه ، وتبعهما القسطلاني في المواهب ، وأما السيوطي فذكر في ( الدر المنثور ) عن ابن عباس وجندب بن عبد الله وأبي مالك الغفاري ومجاهد والسدي أن ذلك كان في أول يوم من رجب والمسلمون يظنونونه من جمادى الآخرة ، وكذلك ذكره البغوي وبنى عليه العامري في بهجته ، ويدل بهذا القول ما روي أن أصحاب السرية لما أنكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعلوا ، قالوا : يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فرأينا هلال رجب ، فما ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى . قلتُ : وهو الذي يُظن بالمسلمين عبد الله بن جحش وأصحابه من أنه غم عليهم هلال رجب فبنوا على الأصل مما بقي من شهر جمادى الآخرة ، ولم تظهر لهم الحقيقة إلا بعدُ والله أعلم .

ثم غَزَا النَّبِيُّ بَدْرَ الْكُبْرَى      أَكْرَمَ بِيَدْرِ مَا حِثَّتْ ذِكْرًا  
قَدْ أَشْرَقَتْ بِنُورِهَا الْآفَاقُ      وَذَلَّ فِيهَا الشَّرْكُ وَالنِّفَاقُ  
يَوْمَئِذٍ قَاتَلَتِ الْمَلَائِكُ      وَاتَّضَعَتْ لِلْمَبْصَرِ الْمَسَالِكُ

اعلم أنه ذكر الحافظ ابن حجر عن الواقدي أن السرايا التي بعثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وقعة بدر والغزوات الثلاث التي غزاها بنفسه إنما كانت لتلقي تجار قريش حين يمرُّون إلى الشام ذهاباً وإياباً وبسبب ذلك كانت وقعة بدر ، الرابعة من غزواته بنفسه ، وكانت في شهر رمضان من السنة الثالثة من مهاجرة صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك أنه بلغه خبر العير المقبلة من الشام ، وهي العير التي خرج في طلبها لما خرجت من مكة ذاهبة إلى الشام وفيها

أبو سفيان بن حرب ومعه أربعون رجلاً من قريش منهم عمرو بن العاص ، قَذَهُوا إلى الشام وانتهى النبي إلى ذي العشرة وفاتته كما تقدم فجعل عليها العيون ، فلما جاءه خبرُ قفولها ندبَ الناس إلى الخروج ، وقال : « هذه عِزُّ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها » ، وأمر من كان ظَهْرُه حاضراً بالخروج ، ولم يحتفل بها احتفالاً بليفاً لأنه خرج مُسرِعاً ، فخرج في ثلاث مئة وبضع عشرة واستخلف ابن أم مكتوم على الصلاة واستعمل أبا لبابة على المدينة ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَسَان ؛ فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود ، قيل : وفرس آخر لمرثد الغنوي ، وقيل : وفرسان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وكان معهم سبعون بعيراً يعتقب الرجُلان والثلاثة على البعير ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليه وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بعيراً ، وأبو بكر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبان بعيراً ، وكذلك سائرهم ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء إلى مُصعب بن عمير ، والراية الواحدة التي يُقال لها العُقَّاب إلى علي بن أبي طالب ، والراية الأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ ، وكانت أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما كان بعِزُّق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسأله عن العير فلم يجدوا عنده خبراً ، ثم ساروا حتى إذا كانوا قريباً من الصفراء بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بَسْبَس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء حليفَي الأنصار يتجسسان الأخبار .

وكان أبو سفيان بن حرب حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ويسأل الركبان متخوفاً أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أصاب خبراً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استنفر الناس له ولغيره ، فحذر عند ذلك واستأجر ضَمُض بن عمرو الغفاري إلى مكة وبعثه مستصرخاً لقريش بالنفير إلى غيرهم لينعوه من محمد وأصحابه ، فخرج ضمض مسرعاً حتى أتى مكة فوقف ببطن الوادي



فجدع بعيره وشق قميصه وخرج وهو يقول : يامعشر قريش أموالكم قد عرض لها محمد مع أبي سفيان لأرى أن تدركوها ، فلما سمع أهل مكة ذلك خرجوا مسرعين ولم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب فإنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ، ولما عَزَمَت قريش على الخروج خرج معهم نفر من بني هاشم ؛ منهم طالب بن أبي طالب ، فوقع بينه وبين بعض قريش محاورة ، فقالوا له : والله يابني هاشم لقد عرفنا وإن خرجتم معنا أن هوامك مع محمد ، فغَضِبَ طالب فرجع إلى مكة مع من رجع وأراد سائر بني هاشم الرجوع فقال أبو جهل : لاتفارقوا هذه العِصَابَة من بني هاشم حتى نرجع ، ثم مضت قريش حتى نزلوا بالعُدوة القُصوى من الوادي خلف العقنقل وبعث إليهم خفاف بن أبياء الغفاري مع ابن له وقال : إن أحببتم أن نمدكم بسلاح أو رجال فقلنا ، فلما أتاها ابنه بالجزائر<sup>(١)</sup> وقال لهم ذلك ، قالوا : قد وصلتم وقضيت الذي عليكم ، ولعمر الله إن كنا نقاتل الناس فما بنا من ضعف عنهم ، وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله طاقة . وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه يلتمسون الخبر فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج ، وأبو يسار غلام بني العاص ، فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قائم يصلي فسألها أصحابه عن أبي سفيان والعيبر ، فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم الماء - لا علم لنا بأبي سفيان ، ولكن هذا عتبة بن أبي ربيعة وشيبة وأبو الحكم بن هشام في الناس . فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان - كما قال الله تعالى : ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ... ﴾ [ الأنفال ٧/٨ ] - فضربوها حتى قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، حتى سلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته ، فأقبل على أصحابه ، فقال لهم : « إذا صدقاكم ضربتوهم وإن كذباكم تركتوهم »

(١) الجزائر : الذبائح ؛ واحدها جزور . ج .

صدقًا والله إنها لقريش » فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كم القوم » قالوا : كثير ، قال : « ما عِدَّتْهم » قالوا : « لاندري » قال : « كم ينحرون » قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « القوم ما بين التسع مئة والألف » ثم قال لها : « من فيهم من أشرف قريش » قالوا : عتبة وشيبة وأبو الحكم بن هشام وأمّية بن خلف ، وعدداً له من فيهم من الأشراف ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس فقال لهم : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها » وسار يُبادر قريشاً على الماء وأمر بالقلب فغوّرت وبالحوض فبني وقذفت فيه الآنية ، وأنزل الله في تلك الليلة مطراً ؛ كان على المشركين وبالأمان منهم عن التقدم ، وكان على المسلمين طلاً طهرهم وأذهب عنهم به رجز الشيطان وأوطأ به الأرض وصلّب به الرجل ، وقد كانت أقدامهم تسوخ في الرمل ، وربط به على قلوبهم . وبني له عريش مشرف على موضع المعركة بمشورة سعد بن معاذ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير بيده : « هذا مصرع فلان إن شاء الله » فا تعدّى أحد منهم موضع إشارته ، وبات النبي يصلى إلى شجرة هنالك ، وكانت ليلة الجمعة سابع عشر من شهر رمضان ، وكان ينزل رسول الله بالعدوة الدنيا ؛ وهو شفير الوادي الأدنى إلى المدينة ، والمشركون بالعدوة القصوى ؛ وهو شفير الوادي الأقصى من المدينة ، والركب - وهو أبو سفيان - والغير أسفل منهم إلى ساحل البحر على ثلاثة أميال من بدر ، ولا علم عند أحدهم بالآخر ، فلما أصبحوا أقبلت قريش في كتائبها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى في منامه قبل لقاء العدو أن العدو قليل وأخبر أصحابه بما رأى ، فلما التقوا ببدر قتل الله المشركين في أعين المؤمنين ، وكذا قتل المؤمنين في أعين المشركين ؛ والحكمة في ذلك أن يجتروا على القتال ليقضي الله أمراً كان مفعولاً من إعلاء الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله ، ورأى رسول الله قريشاً ، فقال : « هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحاذك

وتكذب رسولك « وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَاسْتَنْصَرَ رَبَّهُ ، وَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ فَقَالَ : « إِنْ كَانَ فِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ فَصَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ » ، وَكَانَ هُوَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَكَانَ قَدْ نَصَحَ قَرِيشًا وَقَالَ لَهُمْ : ارْجِعُوا وَخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْعَرَبِ ؛ فَإِنْ أَصَابَهُ فِذَاكَ الَّذِي أُرِدْتُمْ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْقَاكُمْ لَمْ تَعْرَضُوا لَهُ مَا تَزِيدُون . وَكَانَ حِمْزَةُ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الْقَوْمِ ، ثُمَّ مَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ ؛ فَعَدَلَ صُفُوفَهُمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى يَأْمُرَهُمْ ، وَقَالَ : « إِنْ اكْتَنَفَوْكُمْ فَاَنْضَحُوهُمْ عَنْكُم بِالْنبْلِ » ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْعَرِيشِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ .

وبعد أن تعدلت الصفوف خرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فدَعَوْا إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَتَسَمَّوْا لَهُمْ ، فَقَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ ، ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِمْ : يَا مُحَمَّدُ ! أَخْرَجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « قُمْ يَا حِمْزَةُ وَقُمْ يَا عَلِيُّ وَقُمْ يَا عَبِيدَةُ » فَقَامُوا ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْقَوْمِ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَتَسَمَّوْا لَهُمْ ، فَقَالُوا : نَعَمْ ؛ أَكْفَاءُ كِرَامٍ . فَبَارَزَ عَبِيدَةُ عَتَبَةَ . وَبَارَزَ حِمْزَةُ شَيْبَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيُّ الْوَلِيدَ ، فَأَمَّا حِمْزَةُ وَعَلِيُّ فَلَمْ يَهْلَا شَيْبَةَ وَالْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَاهُمَا ، وَأَمَّا عَبِيدَةُ فَاخْتَلَفَ هُوَ وَعَتَبَةُ ضَرْبَتَيْنِ أَثْبَتَ كُلُّهُمَا صَاحِبَهُ ، وَكَرَّ حِمْزَةُ وَعَلِيُّ عَلَى عَتَبَةَ فَقَتَلَاهُ وَاحْتَمَلَا عَبِيدَةَ وَقَدْ قَطَعْتَ رِجْلَهُ حَتَّى حَازَاهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَفْنَةً مِنْ حَصَى وَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرِيشًا وَقَالَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ » وَنَفَحَهُمْ بِهَا وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « شَدُّوا عَلَيْهِمْ » فَوَقَعَ النُّصْرُ ، فَمَا بَقِيَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنُهُ تَرَابًا مِنْ تِلْكَ الرَّمِيَةِ الَّتِي رَمَاهَا وَفِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴿ [ الْأَنْفَالُ ١٧/٨ ] ﴾ وَفِيهَا أَسْرَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ أُمِيَّةَ بْنَ خُلْفٍ وَابْنَهُ عَلِيًّا فَلَمَّا أَخَذَ بِيَدِهِ وَبَيَّدَ ابْنَهُ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

عوف : من الرجل المَعْلَم فيكم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فقال : ذلك الذي فعلَ بنا الأفاعيل ، ثم لقيهما بلال بن رباح ، وكان أمية هو الذي يُعَذِّب بلالاً بمكة ، فقال : رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوتُ إن نجا ، فقال عبد الرحمن لبلال : اسمع يا ابن السوداء ، قال : لا نجوتُ إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يَا أَنْصَارَ اللَّهِ هَذَا رَأْسُ الْكُفْرِ أُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، فَأَقْبَلَ رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَتَلُوا ابْنَهُ عَلِيّاً ثُمَّ قَتَلُوهُ ، وفيها قَتَلَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ ، قَتَلَ ابْنَا عَفْرَاءَ مَعَاذَ وَمَعُوذٍ ، وانطلق ابن مسعود فوجد أبا جهل في آخر رمق من حياته فأخذ بلحيته ، فقال : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل قتله قومُه ؟! ثم قال له : لمن الدائرة اليوم ؟ قال : لله ولرسوله ، وقال له : من الرجل النقيّ العارضين الذي كان ينحدر أمامه ثم ينحدر خلفه ؟ فقال : أما تعرفه ؟! قال : لا ، قال : ذلك عليُّ بن أبي طالب ، قال : ذلك الذي قتل الصناديد ؛ ماترك للصالح موضعاً ، ثم قال له ابن مسعود : هل أخزأك الله يا عدوَّ الله ؟ ووضع قدمه على خده وأخذ بلحيته فاحتزَّ رأسه فألقى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ألقاه بين يديه ، وقال : يا رسول الله هذا رأس أبي جهل عدوَّ الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله الذي لا إله إلا هو ؟ ثلاثاً » فقال ابن مسعود : الله الذي لا إله إلا غيره ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله أكبر ، الحمد لله الذي صدّق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال له : « انطلق فأرينيه » فانطلقت معه فأريته إياه فقال : « هذا فرعون هذه الأمة » . وفي ذلك اليوم قاتلت الملائكة ، وجملة من قُتِلَ من المشركين يوم بدر سبعون ، وأُسِرَ منهم سبعون ، ولم يستشهد من المسلمين إلا أربعة عشر رجلاً ؛ ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، ولما انتقضت الحرب وقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على القتلى من المشركين فقال : « بُسْ عَشِيرَةُ كُنْتُمْ ؛ كَذَبْتُمُونِي وَصَدَقْتَنِي النَّاسُ ، وَخَذَلْتُمُونِي وَنَصَرْتَنِي النَّاسُ ،

وأخرجتموني وآواني الناس » ثم أمر بهم فسحبوا إلى قلب من قلب بدر فأطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه حتى ملأها فذهبوا ليخرجوه فتزائل فتترك مكانه وألقي عليه من الحجارة والتراب ماغيبه ، ولما نظر أبو حذيفة بن عتبة والدّه عتبة حين سحب إلى القلب نظر النبي إلى وجهه متغيراً فقال : « لعلك يا أبا حذيفة قد دخلك شيء من شأن أبيك ؟ » قال : « لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي ولا مصرعه ، لكنني كنت أعرف منه رأياً وحلماً وفضلاً ، وكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيته مات على الكفر أحزنتني ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما كان بالصفراء أمر بالغنائم فقسمت على السوء بعد عزل الخمس ، ومعه الأسارى ، وأمر علي بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث هنالك ، فلما كان بعرق الظبية أمر بقتل عتبة بن أبي معيط ، ثم ارتحل ولقيّه المسلمون يهنئونه ومن معه بالنصر ، ثم مضى إلى المدينة قبل الأسارى بيوم ، ثم قدم الأسارى ففرّقهم في أصحابه وقال : « استوصوا بهم خيراً » .

بَنِي سُلَيْمٍ بَعْدَ بَدْرِ قَدْ غَزَا لَمْ يَلْقَ كَيْدًا بَلْ لَأَجْرٌ أُحْزَرَ  
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بعد غزوة بدر لم يبقَ فيها إلا سبع ليالٍ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، فبلغ ماءً من مياهم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ ولم يلقَ كيداً فرجع ، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْقُطَةَ ، وقيل ابن أم مكتوم . قال العامري : وغنم فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس مئة بعير ، قسم منها بين الغانمين أربع مئة بعير فأصاب كل رجل بعيرين ، وأخذ هو مئة الخمس .

وَبَعْدَهَا قَالُوا أُولُو التَّحْقِيقِ غَزَا النَّبِيُّ غَزْوَةَ السَّوِيْقِ

لما غزا ابنُ حرب المدينة محلاً بزعمه يمينه

لما رجع أبو سفيان إلى مكة بالعرير ورَجَعَ قُلُ قريش من بدر مهزومين أقسم أن لا يمسُّ رأسه ماءً من جنابة حتى يغزو محمد فخرج في مئة راكب من قريش ليبرَّ يمينه فسلك النجديَّة حتى نزل إلى جبل على نحو بَرِيدٍ من المدينة وخرج منفرداً حتى أتى بني النضير تحت الليل فَضْرَبَ على حُيِّ بن أخطَبَ بابَه فأبى أن يفتح وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مِشْكَم اليهودي ، وكان سيد بني النضير في زمانه ، فاستأذن عليه فأذن له وأطعمه وسقاه الخمر وأخبره بخبر الناس ، ثم خرج في ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالاً منهم فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا في أوصار من نخل ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين وأخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج في أثرهم حتى بلغ قَرقرَةَ الكُدْر ، وفاته أبو سفيان ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه راجعين ، ووجدوا كثيراً من أزواد أبي سفيان ومن معه قد طرحوها في الحرث والجرب يتخفّفون منها ، وكان أكثرها السويق ؛ فَسُمِّيت الغزوة غزوة السويق ، وكانت بعد بدر بشهرين .

ثم غزا نجداً يُريد غطفان كما روى الثقات اهل العِرْقَان

ثم بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية شهر ذي الحجة ، ثم غزا نجداً يريد غطفان ، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان ، وتسمى غزوة ذي أمر ، وغزوة أنمار ، وسببها أن دعثور بن الحارث بن قيس المحاربي جمع جمعاً لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما بلغ الرسول خَبَرَهُم سار إليهم ، وحين سمعوا بمهبطة عليهم هَرَبُوا في رؤوس الجبال ، فأصاب المسلمون رجلاً منهم فأدخلوه على رسول الله ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم فضمه إلى بلال ، وأصاب الناس يومئذ مطراً فترع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وآله وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة واضطجع تحتها ودعشور وأصحابه ينظرون ، فقالوا لِدُعشور- وكان فاتكا شجاعاً - : قد انفرد محمد فعليك به ، فأخذ سيفه وأقبل حتى وقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : من يَمْنَعُكَ مِنِّي اليوم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله تعالى » فدفع جبريل في صدر دُعشور حتى وقع السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : « من يَمْنَعُكَ مِنِّي » فقال : لا أَحَدٌ ... وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول له ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا : أين ما كنت تقول وقد أمكنك ، فقال : إني نظرتُ إلى رجل كبير طويل أبيض دفع في صدري حتى وقع السيف من يدي فعلمت أنه مَلَكٌ ، وقد أسلمت ، ثم دعاهم إلى الإسلام . وقد ذكر القسطلاني هذه القصة في غزوة ذات الرقاع إلا أنهم سُمُوا الرجل هناك عَثُور - على وزن جَعفر - وقيل : إن الخبرين واحد ، وقيل : إنها قصتان في غزوتين .

وكان في شهر ربيع الثاني غزو محمد إلى بَحْرانِ

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غَزوة الْفُرْع<sup>(١)</sup> من بَحْرانِ يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وأسرع حتى بلغ بَحْرانِ مَعْدنًا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

ثم يَهُودُ قَيْنَقَاعَ تَقَضُّوا عهد محمد ، وعنة أَعْرَضُوا فحُوصِرُوا حتى على حكم النبي قد نزلوا وأُخْرِجُوا من يَثْرِبِ

اعلم أنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة كان الكفار معه على ثلاثة أقسام : منهم قسم صالحهم على أن لا يَحَارِبُوهُ ، وهم - على كفرهم - آمِنون على أنفسهم وأموالهم ، وقسم حَارَبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعداوة ، وقسم تَارَكُوهُ لم يَحَارِبُوهُ ولم يَصَالِحُوهُ وانتظروا ما يَأْوِلُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وأمر أعدائه . ثم إن يَهُودَ مَن

(١) الْفُرْع : بضم الفاء والواو وقيل بسكونها موضع بين مكة والمدينة .

صالحهم وكتب بينهم وبينه كتاباً ، فلما كانت وقعة بدر سيء بذلك اليهود ؛ سياً  
يهود بني قينقاع ، وكانوا أشجع يهود المدينة وأقواهم ، وكان لهم سوق ورُوي أن  
رسول الله جمعهم في سوقهم وقال لَهُمْ : « يامعشر اليهود احذروا من نقمة الله  
مثلاً نزل بقريش وأسلموا فإنكم تعلمون أنني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم  
وعهد الله إليكم » فقالوا : يا محمد إنك ترى أننا قومك ؛ فلا يغرُنك أنك لقيت قوماً  
لا علم لهم بالحرب وأصبتَ منهم فُرصة ، إنا والله إن حاربناك لتعلمن أننا الناس ،  
فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم وكان بعد ذلك من أمرهم أن  
امرأة من العرب قديمت بحليب إلى سوقهم فباعته ثم جلست إلى صائغ من اليهود ،  
فجعلوا يديروا منها على كشف وجهها فأبت عليهم ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها  
ففقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سَوَاتِها فضحكوا ، فصاحت ، فوثب  
رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشدت اليهود على الرجل المسلم فقتلوه ،  
فاستصرخ أهل الرجل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر وانتقض العهد بينهم  
وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخرج رسول الله لحربهم واستخلف على  
المدينة أبا لُبابة ، وقيل بشير بن المنذر ، ودفع لواءه إلى حمزة بن عبد المطلب ،  
فحاصَرهم أشد الحصار وهم متحصنون في حصونهم ، فقذف الله الرعب في قلوبهم ،  
فلما اشتدَّ بهم الحصارُ نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أنفسهم  
وأموالهم وذرائعهم ، فأمر بهم رسول الله فكُتِفوا ، وكانوا حُلَفَاء الخزرج ، وكان  
عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبيّ بن سلول من الخزرج ، فأما عبادة فقال :  
أتولُّ الله ورسوله ، وتبرأُ منهم ومن حلفيهم ، وأما رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ  
فقام دُونهم فكَلَّم رسول الله وقال : يا محمد أحسن إلي في موالي ، ثلاث مئة دارع  
وأربع مئة حابر قد منعوني من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة ؛ إني  
أخشى الدوائر ، فوهبهم له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أنفُسهم دون  
أموالهم ، على أن يخرجوا من المدينة ولا يُجاوِروه فيها ، فخرجوا إلى أذرعات من



الشام فقيل مالبثوا حتى هلك أكثرهم ، وكانوا صاعَةً وتجاراً ، وكانت دورهم في طرف المدينة ، وكان أول خلاف في الإسلام ، وقَبَضَ رسول الله أموالهم فأخذ منها ثلاث قسي وثلاثة أسياف وثلاثة رماح ودرعين ، وخَمْسَ غَنِيَّتِهِمْ وقسم الباقي .

ثم سَرِيَّةً لَزِيْدٍ غَنِمَ مَالُ قَرِيْشٍ وابْنُ حَرْبٍ هَزِمَ لما نَصَرَ الله المسلمين ببدر خَافَتْ قَرِيْشُ طَرِيقَهَا التي كانوا يسلكونها على الشام ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج معهم أبو سفيان ، وتجار منهم ، ومعهم تجارة فيها فضة كثيرة ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل يَدُلُّهم على الطريق ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبرهم ، فبعث زيد بن حارثة في مئة راكب ، فلقاهم على ماء من مياه نجد ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال هَرَباً ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَخَمَسَهَا فبلغ الخمس عشرين ألف درهم ، وقيل خمسة وعشرين ألف درهم .

ثم غَزَا بعضُ كُتَاةِ الحَرْبِ سِرّاً إلى رَأْسِ الْيَهُودِ كَعْبَ فَوَاعَدُوهُ مَوْعِداً لم يَخْلَفِ ثم عَلَوْهُ بِالْحَسَامِ الْمُرْهَفِ كان كعب بن الأشرف من أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين ، وأعظمهم حسداً للأنصار لما أكرمهم الله به من الإسلام وحيَازة رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما فتح الله على المسلمين ذلك الفتح العظيم يوم بدر غاظه ذلك وساءه . حُكِيَ عنه أنه لما قدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحَةَ مُبَشِّرِينَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ بِذَلِكَ الْفَتْحِ سمعها كعب يَذْكُرَانِ مَنْ قُتِلَ مِنْ صَنَادِيدِ قَرِيْشٍ فَقَالَ : أَتُرُونَ مُحَمَّدًا قَتَلَ الَّذِينَ سَمَّى هَذَانِ الرَّجُلَانِ ؟! فَهَؤُلَاءِ أَشْرَافُ النَّاسِ وَمُلُوكُ الْعَرَبِ ؛ لَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أَصَابَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَبَاطِنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَاهِرِهَا ، فحِينَ تَيَقَّنَ الْخَبَرَ لم يَسْغُهُ إِلَّا الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ ، فلما قدمها

جعل يحرّض قريشاً على حرب رسول الله ، وحالفهم عند أستار الكعبة على حرب المسلمين ، وأخذ ينشد الأشعار ويبكي أصحاب القلب من قريش ، ولما رجع إلى المدينة شَبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، وهَجَا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما اشتد آذاهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لي بكعب بن الأشرف فقد استعلنَ بعداوتنا وهجائنا وخرج إلى قريش يجمعهم لقتالنا » فقال محمد بن مسلمة : أنا لك يا رسول الله ؛ أنا أقتله ، قال : « فافعل إن قدرت » فرجع محمد بن مسلمة إلى بيته فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعثَ إليه فسأله عن سبب ذلك ، فقال : يا رسول الله قلت لك قولاً لأدري أفينُّ به لك أو لا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما عليك الجُهد » قال : يا رسول الله إنه لا بدَّ لنا أن نقول ؛ فأذن لنا أن نصيب منك فيطمئنَّ إلينا ، قال : « قولوا فأنتم في حلٍّ من ذلك » فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة وسلُكان بن سلامة ، وكان أبو نائلة أخاً لكعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر والحارث بن أوس بن معاد وأبو عنيس بن جبر ؛ خمسة نفر كلهم من الأوس ، ثم إنهم قدموا أبا نائلة ، فجاء إلى كعب فتحدث معه وتناشد الأشعار ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف قد جئتُك لِحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتبها عني ، قال : أفعلُ ، فقال : إنَّ قُدُومَ هذا الرجل كان علينا بلاءً ؛ عادتنا العَرَبُ ورَمَونا عن قوسٍ واحدة ، وقُطعت السبُلُ حتى ضاع العيال ، وإنه مع هذا قد سألنا صدقة ونحن لا نجد ما نأكله ، وقد عَنَّانا ، وقد جئتُك لأن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك ، فقال : أين طعامكم ؟ قال : أنفقنا عليه وعلى أصحابه ، قال : ألم يَأْنْ لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ؟ أنا ابن الأشرف قد كنتُ أخبرك يا ابن مَسْلُمة أنَّ الأمر سيصير إلى ما تقول ، وأيضاً والله لَتَمْلُئَنَّهُ ، قال : فإنَّا قد تبعناه فلا نجب أن نتركه وندعه حتى ننظر ما يؤول إليه أمره ، فقال كعب :

نعم ارهنوني ، قال : ماتريد أن نرهنك ؟ قال : أترهنوني نساءكم ، قال : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب وأعطرهم ؟! وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ؟! إنا لا نأمنك على نسائنا ، قال : أترهنوني أبناءكم ، قال : لقد أردت أن تفضحنا ؛ كيف نرهنك أبناءنا فيُسب أحدهم فيقال رهنَ بوسق أو وسقين ؟! هذا عارٌ علينا ، ولكننا نرهنك اللأمة وإن معي أصحاباً على مثل رأيي وقد أردتُ أن آتيك بهم فتحسن إليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاءً - يعني السلاح - وأراد أبو نائلة أن لا يترك السلاح إذا جاؤوا به ، فقال كعب : إن في الحلقة لوفاء ، فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشئ معهم إلى بيع الغرقد وقال : « انطلقوا على اسم الله ؛ اللهم أعنهم » ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانت ليلة مقمرة ، فضوا حتى انتهوا إلى حصن كعب بن الأشرف ، وهو حديث عهد بعرس . فهتف به أبو نائلة ، فوثب في ملحفته ، وأخذت امرأته بطرفها وقالت : إنك امرؤ محارب ومثلك ما ينزل في هذه الساعة ، وإني لأسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم ، فقال : إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة لو وجدوني نائماً لما أيقظوني وإن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة لأجاب ، فنزل إليه وهو ينضح منه ريح الطيب ، فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، فقالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن نتأشى إل شعب العجوز لتحدث بقية ليلتنا ؟ قال : إن شئتم ، فخرجوا يتأشون ، فمشوا ساعة ، ثم قال محمد بن مسلمة وأبو نائلة : ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط ، قال كعب : عندي أعطر نساء العرب ، قال : أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال : نعم ، فشمه ثم شم أصحابه ، ثم قال : أتأذن لي فعاد ليلها فأخذ بقود رأسه ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه فاختلفت أسياقهم على رأسه فلم تغن شيئاً ، فذكر محمد بن مسلمة معولاً في سيفه فوضعه في ثنيتيه حتى بلغ عاتقه فوق عدو الله على الأرض وقد صاح صيحة عظيمة أسمعت من حوله فلم

يبقى حصن حوله إلا أوقد عليه النار ، ثم احتزوا رأسه وحملوه معهم ، وأصيب الحارث بن أوس ببعض سيوف أصحابه فجرح في رجله فخرجوا واحتملوا صاحبهم حتى إذا كانوا ببيق الغرقد كبروا وقد قام رسول الله يصلي من الليل فسمع تكبيرهم فكبر وعرف أنهم قد قتلوه ، ثم انطلقوا حتى انتهوا إليه . فقال : « أفلحت الوجوه » قالوا : وجهك يا رسول الله ، وأخبروه الخبر ورموا برأس كعب بين يديه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تفل على جرح الحارث بن أوس فبرأ منه ، وكان رأس كعب أول رأس حُمل إلى المدينة ، وذلت اليهود لقتل كعب وخافت .

وبَعْدَ هذا كان يومٌ أحد      ويا لَـهُ يومَ عظيمِ المشهد  
يوم ابتلاء وامتحان عَظَمَ      لحكمة به الإله عَلم

اعلم أنه لما نصر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وأصيب من صناديد قريش من أصيب ، وسحب من أشرافهم من سحب إلى القلب ، ورجع باقيهم إلى مكة مؤتورين محزونين ، ترأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم ، كما قال الأسود بن المطلب ، وقد أصيب من ولده ثلاثة يوم بدر ، يبيكيهم .

ألا قد سادَ بعدكم رجالٌ      ولولا يوم بدرٍ لم يكونوا  
وكان أبو سفيان قد رجع بالغير فشى أشراف من قريش ممن أصيب أبائهم وأبنائهم وإخوانهم منهم عبد الله بن أبي زمعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية إلى أبي سفيان بن حرب وإلى من كان له مال أو تجارة في تلك العير فكلهم وقالوا : إنَّ محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بربح هذا المال على حربهِ لعلنا ندرك منه ثأراً بمن أصاب منا ، وكانت العير موقوفة في دار الندوة فقال أبو

سفيان : أنا أوّل من يجيب إلى ذلك وبنو عبد مناف ، فباعوها وسلموا إلى أهل الأموال رؤوس أموالهم ، وأخرجوا أرباحهم في ذلك ، وكان ربح ذلك المال خمسة وعشرين ألف مثقال ، فاجتمعوا لذلك ثم بعثوا إلى حلفائهم من قبائل العرب يدعونهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما اجتمعوا بهم اجتمعت بطون قريش كلها ومعها أحاييشها ، فخرجوا فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف ؛ فيهم سبع مئة دارع ومئتا فرس وثلاثة آلاف بعير ، وكتب العباس إلى رسول الله بذلك ، فأخبر رسول الله سعد بن الربيع بذلك ، وخرجت قريش بنساء من نسائهم ليحاموا عنهن فلا يفروا ، وخرج أبو سفيان ومعه زوجته هند بنت عتبة ، وعدد النساء خمس عشرة امرأة ، ودعى جبير بن مطعم غلاماً له يسمى وحشياً وكان يقذف بالحربة ، وقذف الحبشة قلماً يخطئ بها ، فقال له : اخرج معنا فإن أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق ، وكان طعيمة ممن قُتل يوم بدر ؛ قتله حمزة بن عبد المطلب ، وقيل علي ، وكانت هند إذا مرت بوحشي قالت له : إيهأ أبا دثمة ! اشف واستشف ، فساروا بحدّهم وحديدهم حتى نزلوا ذا الحليفة ، وشاع خبرهم ، وبعث رسول الله عيّن له ليلة الخميس لخمس ليال مضت من شوال ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبراه بخبرهم وأنهم قد سرحوا إبلهم وخيلهم في الزروع الذي بالعريض حتى تركوه ليس به خضراً ، ثم بعث الحباب بن المنذر بن الجوح قد دخل فيهم فحزّهم وجاء بعلمهم ، وبات سعد بن معاذ وسعد بن عباد ليلة الجمعة بباب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحين نزل المشركون بجبل عيفين ببطن السبخة على شفير الوادي استشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وقال لهم : . إني رأيت والله خيراً رأيت بقرأ تذبح لي ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يُصاب ، وأما الدرع فأوثّتها

بالمدينة ، فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ،  
 وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها « فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدرٍ وممن  
 أكرمهم الله بالشهادة يوم أحد : كنّا تمنّينا مثل هذا اليوم فاخرج بنا إلى أعدائنا ؛  
 لا يرون أنّا قد جبّنا عنهم ، وكان عبد الله بن أبي ربيعة مع رأي رسول الله ، قال :  
 يا رسول الله أقيم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قط إلا  
 أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم إن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ،  
 وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم الصبيان والنساء من فوقهم  
 بالحجارة ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا . فلم يزل الناس برسول الله صلى  
 الله عليه وآله وسلم وهو يكره الخروج ، وذلك يوم الجمعة ، فصلى الجمعة في  
 الناس ، ثم وعظهم وأمرهم بالجِدِّ والجهاد ، وأخبرهم أنّ النصر لهم ماصبروا ،  
 وأمرهم بالتهيئ لعدوّهم ، ثم صلى بالناس العصر وقد جدّوا ، فلما ألحوا عليه دخل  
 بيته فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك  
 اليوم رجل من الأنصار ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحين  
 رأى الناس كراهة رسول الله للخروج ندموا وقالوا : استكرهنا رسول الله ولم  
 يكن لنا ذلك ، فلما خرج عليهم وقد لبس لأمته وأظهر الدرع وتنكبّ السيف  
 واعتمّ وألقى الترس في ظهره ؛ ندموا وقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن  
 لنا ذلك فإن شئت فاقعد ، فقال : « ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى  
 يقاتل » فخرج صلى الله عليه وآله وسلم بألف ، وقيل تسع مئة ، معهم خمسون  
 فرساً ، وسار حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخرل عبد الله بن أبي المنافق  
 في ثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام تقتل أنفسنا هاهنا ،  
 فرجع بمن اتبعه ، فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حزام أبو جابر يقول : أذكركم  
 الله ألاّ تحذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ، فاستصعبوا عليه وقالوا : لو  
 نعلم قتالاً ما تركناهم ، فقال لهم : أبعدكم الله أعداء الله ، سيغني الله عنكم رسوله ،

ولحق برسول الله . وكان طائفتان من الأنصار قد هَمَّتَا أن تفشلا ؛ وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس ، فدفع الله عنهما ما هُمَا به من الفشل ، وأنزل الله فيهما : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ﴾ [ آل عمران ١٢٢/٣ ] ، فلما كان في بعض الطريق دَبَّ فرس بذنبه فأصاب كلابَ سيفٍ فاستلَّه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبُّ القُالَ فقال لصاحب السيف : « شِم سيفك ؛ إني أرى السيوفَ ستَسْلُ اليوم » ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل الشعب من أحد من إحدى عُدوتي الوادي ، فجعل ظهره إلى الجبل وعسكره إلى أحد وقال : « لا يقاتلن أحدٌ حتى نأمره » .

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعباً للقتال وهو في سبع مئة أو ست مئة فيهم مئة دراع وخمسون فارساً ، وجعل على الرماة عبد الله بن جُبَيْر ؛ وكانوا خمسين رامياً ، وجعلهم خلف الجيش على جبل عينين ، وقال لهم : « انضخوا عَنَّا الخيل بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا واثبتوا مكانكم إن كانت لنا أو علينا ، الزموا مكانكم لا تنزلوا عنه ، إن ظهرنا عليهم فلا تبرَّحُوا ، وإن ظهورنا علينا فلا تعينونا ولو رأيتم القوم تتخطف العساكر ؛ فإننا لانزال غَالِبِينَ ما تركتم مكانكم » وعقد ثلاثة ألوية : لِوَاءَ لِلأَوْس ييد أوس بن خضير ، وَلِوَاءَ لِلخَزْرَج ييد سعد بن عبادَة ، وَلِوَاءَ لِلْمُهَاجِرِينَ ييد مُصْعَب بن عُمَيْر ، وقيل ييد علي بن أبي طالب ، وظاهر صلى الله عليه وآله وسلم بين درعين ، وجعل الخيل مَجْنَبَتَيْنِ ؛ على أحدهما الزبير بن العوام وعلى الآخر المنذر بن عمرو ، وتعبأت قريش للحرب وهم ثلاثة آلاف ومعهم مئتا فرس قد جنبوها فجعلوا على مينة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين حضر القتال قد قال : « من يأخذ هذا السيف بحقه » ، فقام إليه رجال منهم الزبير بن العوام ، فأمسك عنهم ، فقام إليه أبو دجانة الأنصاري فقال : وما حقه يا رسول الله ، قال : « أن

تضرب به في العدو حتى ينحني» قال : أنا أخذه بحقه ، فأعطاه إيّاه ، فلما أخذه مشى وهو يتبختر بين الصّفين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنّ هذه المشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الوطن » وقاتل حتى أمعن في الناس ، وكان لا يلقاه أحد إلا قتله ، وكان في المشركين رجل لا يدع للمسلمين جريحاً إلا دَفَقَ عليه ، فدنا منه أبو دجانة ، قال الزبير : فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فلما التقيا اختلفا ضربتين ؛ فتلقى أبو دجانة ضربة المشرك بذرّقه ثم ضربه فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدّل السيف عنها ، وكان الزبير بن العوام قد وجَدَ في نفسه حين سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يعطه ، قال الزبير : فقلتُ : الله ورسوله أعلم ، وسئِلَ أبو دجانة لِمَ عدّل السيف عن رأس هندی ، فقال : رأيْتُ إنساناً مخمش القوم خمشاً شديداً فلما حملت عليه بالسيف ولول فإذا هي امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أضرب به امرأة . وقاتل حمزة بن عبد المطلب أشدّ القتال ، فقتل أرطاة بن عبد شرجيل ؛ وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، وقتل عثمان بن طلحة ، وسباع بن عبد العزى ، وكان وحشي يتحدث عن قتله حمزة فقال : خرجت أنظر حمزة وأتبصره في الناس حتى رأيته في عرض الناس يهدّ الرجال هداً كالجلجّل الأورق ما يقوم له شيء ؛ فوالله إنّني لأتّيهأ له أريدُه وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنوني ، فقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فبعد أن قتله هزرت حربتي حتى إذا رضيت منها دفععتها فوقعت في ثنّيته - بضم الثاء المثناة وتشديد النون وتاء مثناة فوقية ؛ وهي العانة ، وقيل ما بين السرة والعانة - حتى خرجت من بين رجله ، وذهب ليقوم نحوي فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أخذت حربتي ورجعت إلى العسكر ، ولم يكن لي حاجة بغيره ؛ إنما قتلته لأعتق .

وخرج أبو سعد بن أبي طلحة وهو من أهل اللواء بين الصّفين فنادى : أنا قاصم من يبارز ؟ فلم يجبه أحدٌ ، فقال : يا أصحاب محمد ! زعمت أن قتلًاكم في



الجنة وقتلانا في النار ؛ كذبتهم واللات لو تعلمون أن ذلك حق لخرج إليّ بعضكم ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتله عليّ ، وحين صُرع صاحب لواء المشركين انتشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساروا كتائب متفرقة فجاسوا العدو ضرباً ونهكوهم قتلاً ، وحملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات ؛ كل ذلك تُنضح بالنَّبل فتراجع مفلولة ، وأنزل الله على المسلمين نصره وصدقهم وعده فحسوا المشركين بالسيوف وهزموهم حتى كشفوهم من المعسكر ، ورجعوا ينتهبون ما فيه من الغنائم ، والمشركون لا يلوون على شيء ، وهند وصواجها يصحن بالويل . قال الزبير بن العوام : لقد رأيتني أنظر إلى هند وصواجها يشتددن في جبل هوارب مادون أحد منهم لاقيل ولا كثير . وأصيب يومئذ من أصحاب لواء المشركين عشرة رجال من بني عبد الدار ؛ كلما قُتل منهم واحد أخذ اللواء آخر ؛ حتى كان آخر من أخذه غلام لبني طلحة ، فقاتل به حتى قُطعت يده ، فبرك عليه وأخذه ب صدره حتى قُتل ؛ قتله علي بن أبي طالب ، وقيل سعد بن أبي وقاص ؛ وقيل قزمان الكافر ، فبقي لواء المشركين صريعاً حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية إحدى نساء قريش اللاتي خرجت معهم . قال ابن عباس : مانصر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في موطن نصره يوم أحد ، فأنكر بعضهم عليه ذلك ، فقال : بيني وبينكم كتاب الله فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾ [ آل عمران ١٥٢/٣ ] والحسُّ القتل .

فلما رأى الرماة ، وهم أصحاب عبد الله بن جبير ، الهزيمة في المشركين ورأوا المسلمين ينتهبون في عسكر المشركين قال بعضهم لبعض : يا قوم ظهر أصحابكم فما تنتظرون ؟ فذكرهم عبد الله بن جبير أمّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم وعهده إليهم أن لا يزولوا من مكانهم ، فلم يسمعوا له وقالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة ، وأخلوا الثغر ، فلم يبق غير عبد الله بن جبير ونفر معه

دون العشرة ، فلما رأى خالد بن الوليد خُلُوَ ظهور المسلمين من الرماة صاح في خيله وتبعه عكرمه بن أبي جهل في خيله ، وكَرَّت فرسان المشركين فجازوا من ذلك الشِّعر فقتلوا عبد الله بن جُبَيْر والنفر الذين ثبتوا معه ، وتمكنوا حتى تراجع المشركون فأحاطوا بالمسلمين ، فانكشف حينئذ المسلمون وثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يَزُول عن مكانه يَرمي عن قوسه ويَرمي بالحجر ، وثبت معه عصاة قليلة من المسلمين وولَّى الآخرون فأصاب فيهم العدو ، وأكرم الله من أكرم بالشهادة ، حتى خلاص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرمى بالحجارة حتى وقع لشقه ، وكَسَرَ عتبة بن أبي وقاص رِباعيته ، وشجَّ عبد الله بن شهاب وجهه ، فجعل يَمسح الدم ويقول : « كيف يفلح قوم خَضَبُوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ ! » . فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [ آل عمران ١٢٨/٣ ] وجرح ابن قُتَيْبَةَ اللَّيْثِيَّ وجهه ؛ رَمَاهُ بِحَجَرٍ حَتَّى دَخَلَتْ حَلَقَتَانِ مِنْ حَلْقِ الْمُغَفَّرِ فِي وَجْهِهِ ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ وَمَعَهُمْ أَبِي بَنْ خَلْفٍ قَدْ تَعَاهَدُوا عَلَى قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرَةٍ مِنَ الْحُفَرِ الَّتِي حَفَرَهَا أَبُو عَامِرٍ الْفَاسِقُ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى رَفَعَهُ ، وَمَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ الْحُدْرِيُّ الدَّمَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اِزْدَرَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « مَنْ مَسَّ دَمَهُ دَمِي لَمْ تَصِبْهُ النَّارُ » وَنَزَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ دَخَلَتَا فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ بِأَسْنَانِهِ حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ ثُمَّ انْتَزَعَ الثَّانِيَةَ حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ الْآخَرَى فَكَانَ مَنْزُوعَ الثَّنِيَّتَيْنِ ، وَصَرَخَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَهُوَ عَلَى جَبَلٍ عَيْنِينَ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَرُّوا أَكْثَرَهُمْ وَتَفَرَّقُوا ؛ فَبَعْضُهُمْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَبَعْضُهُمْ صَعَدَ الْجَبَلَ ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُقَاتِلُ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا ، وَمَرَّ أَنْسُ بْنُ النَّضْرِ وَهُوَ عُمُ أَنْسُ بْنُ

مالك بن عمار بن الخطاب في رجال من المسلمين جالسين قد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ها هنا ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن كان محمد قد قُتِلَ فإنَّ ربَّ محمد لم يَقتل ؛ فما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل الناس فلقي سعد بن معاذ فقال له سعد : إلى أين يا أبا عمر ، قال : يأسعدني لأجد ریح الجنة من دون أحد ، ثم قال : اللهم إني أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء - يعني المسلمين وأبرأ إليك ممَّا صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم قاتل حتى قُتل ، وَوُجِدَ به بضع وثمانون ضربة وطَعْنَةٌ حتى لم تعرفه إلا أخته بَيْنَانِهِ ، وكان أنس ممن قد غاب عن مشهد بدر فقال : غِبْتُ عن أول قتال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لئن أشهدني الله مع النبي شهيداً لَيَرَيْنَّ الله ما أ صنع ، وفيه نزل : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [ الأحزاب ٢٣/٢٣ ] ، وقتل مُصعب بن عمير ؛ قتله ابن قَمِيَّة وهو يظن أنه رسولُ الله ، فأعطى رسولُ الله اللواء علي بن أبي طالب فقاتل به دون رسول الله قتالاً شديداً ، فقال جبريل حينئذ لرسول الله إنَّ هذه هي المواساة يا رسول الله ، قال : « إنه مني وأنا منه » قال جبريل : وأنا منكما .

وأبلى ذلك اليوم عليُّ بلاءً حسناً . روي أنَّ رسول الله نظر إلى نفر من المشركين فقال : « يا علي احمل عليهم » فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم وقتل هاشم بن أمية المخزومي ، ونظر رسول الله إلى نفر آخر من المشركين فقال : « يا علي احمل عليهم » فحمل عليهم فقاتلهم حتى فرَّق جماعتهم وقتل أحدهم ، ثم نظر مرة ثالثة إلى نفر من المشركين فقال : « يا علي احمل عليهم » فحمل عليهم ففرَّق جماعتهم وقتل أحدهم ، فعند ذاك قال جبريل عليه السلام : لا سيِّف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي . وفي رواية : هبَّت ريح فسمع فيها صوت قائل يقول : لا سيِّف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، وروي عنه أنه قال : قاتلت ما شاء الله من قتال ثم رجعتُ أطلب رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم أره ، فالتمسته في

القتلى فلم أجده ، فقلت : ما كان والله ليفرّ ، فكسرت جفن سيفي وحملت في المشركين فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم يقاتل وقد غشوه فانكشفوا عنه .

ومن أبلى في ذلك اليوم عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وأبو طلحة الأنصاري ، وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهزيمة وظن الناس أنه قد قتل كعب بن مالك الأنصاري ، قال كعب : عرفت عينيه تزهزان تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يامعشر المسلمين ! أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار إليّ أن اسكت . وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد الجبل فأراد رجل من في الجبل من المسلمين أن يرميه بسهم وهو لا يعرفه فقال له : « أنا رسول الله » فلما سمعوه فرحوا بذلك ، واجتمعوا حوله حين عرفوه ، وحين اجتمعوا لامهم على فرارهم ، فقالوا : يا رسول الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا ؛ أتانا الخبر أنك قتلت ففزعنا قلوبنا فولينا مدبرين ، ثم نهضوا به إلى الشعب الذي نزل فيه ؛ وفيهم أبو بكر وعلي وعمر ، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشعب أدركه أبي بن خلف وهو على فرس وهو مقنع في الحديد وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، فقال : أيعطف عليه رجل منّا ، قال : « لا ؛ دعوه » فلما دنا منه تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، فلما أخذها انتفض عنّا انتفاضة تطايروا من حوله تطاير الشعر عن البعير إذا انتفض ، وأبصر ترقوة أبي بن خلف من فرجة في درعه فطعنه بها طعنة تدادأ منها عن فرسه مراراً فكسر ضلعة من أضلاعه ، ولم يخرج من طعنته دم ، وقد كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة فيقول : يا محمد إنّ عندي العوذ فرساً أغلفه كل ليلة فرقا من ذرة أقتلك عليه ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا أقتلك إن شاء الله » فلما طعنه رجع إلى قريش وقد احتقن الدم فقال لهم : قتلتني محمد

والله ، قالوا له : ذَهَبَ اللهُ فَوَإِذَاكَ ؛ ما بك والله من بأس ، فقال : والله لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم ، إنه قد قال لي بمكة : « أنا أقتلك » فوالله لو بَصَقَ عليّ لقتلني ، فمات عدوُّ الله يَرِف من طعنته تلك وهم قادمون إلى مكة ، فلما انجلت الحرب صعد أبو سفيان بن حرب على الجبال فنادى المسلمين فقال : أفي القوم محمدٌ ؟ فقال رسول الله : « لا تجيبوه » فقال : أفيكم ابنُ أبي قحافة ؟ فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فقال رسول الله : « لا تجيبوه » فقال لقومه : أمّا هؤلاء فقد كفيتهم ؛ ولو كانوا أحياءً لأجابوا ، فلم يملك عمرُ نفسه أن قال : كذبت يا عدوُّ الله ، لقد أبقي لك الله ما يُخزيك ، فقال أبو سفيان : اغلُ هُبْل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا تجيبونه » فقالوا ماتقول . قال : « قولوا : الله أعلى وأجلّ » فقال أبو سفيان : أَنْعَمْتُ فَعَالَ والحَرْبُ سِجَال ؛ يَوْمَ بَيْتِوم بدرٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا تجيبونه ؟ » قالوا : ماتقول ؟ قال : « قولوا : لا سَوَاء ؛ قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ » فقال أبو سفيان : ستجدون مثْلَةً لم أمرُ بها ولم تَسُوْنِي ، وفي رواية ما أمرت بها ولا نَهيت ولا رضيت ولا سخطت ، وحكي أيضاً أنَّ أبا سفيان لما أجابه عمر قال : هَلُمَّ إِلَيَّ يا ابن الخطاب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَتَيْتِهِ فَاَنْظُرْ مَا شَأْنُهُ » فَأَتَاهُ فَقَالَ : أَنْشِدْكَ اللهُ يا عمر هل قتلنا محمداً ؟ قال : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت عندي أصدق من ابن قِمَّة وأَبَرّ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو سَفِيَان : أَلَا إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بِدْرًا الْعَامَ الْقَادِمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ » ثَمَّةَ وَلَمَّا انصرفت قريش وعلم الله ما في قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْهَمُومِ وَالْغَمُومِ مِمَّا أَصَابَهُمْ وَخَوْفِ كَرَّةِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ يَغْشِ النَّعَاسُ أَحَدًا مِنْ شَهِدِ الْوَقْعَةِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، ثُمَّ نَهَضَ الْمُسْلِمُونَ يَتَفَقَّدُونَ قَتْلَاهُمْ وَخَرَجَ مَعَهُمْ ، ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمَّا مَرَّ بِدُورِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ سَمِعَ نَوَائِحَهُمْ

على قتلاهم فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى وَقَالَ : « لَكِنْ حِمْزَةٌ لَا بَوَاكِي لَهَا » فَرَجَعَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ إِلَى نِسَائِهِمَا فَأَمَرَاهُنَّ أَنْ يَذْهَبْنَ فَيُبَكِّينَ حِمْزَةً ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِكَاءَهُنَّ خَرَجَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ : « ارْجِعْنَ يَرْحَمَنَّ اللَّهُ ؛ فَقَدْ آسَيْتَنَ بِأَنْفُسِكُنَّ » وَقَالَ : « يَرْحَمُ اللَّهُ الْأَنْصَارَ ، إِنْ الْمَوَاسَاةُ قَدِيمَةٌ مِنْهُمْ » وَنَهَى يَوْمئِذٍ عَنِ النَّوْحِ ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى أَهْلِهِ نَاولَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَقَالَ : « اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بِنْتِي ؛ فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَّقَنِي الْيَوْمَ » وَنَاولَهَا عَلِيُّ سَيْفَهُ وَقَالَ : وَهَذَا فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ ؛ فَوَاللَّهِ لَقَدْ صَدَّقَنِي الْيَوْمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : « لَنْ كُنْتَ صَدَقْتَ الْقِتَالَ الْيَوْمَ فَقَدْ صَدَّقَ مَعَكَ أَبُو دَجَانَةَ وَسَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ » ثُمَّ قَالَ : « لَا يَصِيبُ الْمُشْرِكُونَ مِنَّا مِثْلَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ » .

ثُمَّ غَزَا فِي الْغَدِ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ بِنَفْسِهِ غَزْوَةَ حِمْرَاءِ الْأَسَدِ لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَقْعَةِ أُحُدٍ بَاتَتْ وَجْوهُ الْأَنْصَارِ عَلَى بَابِهِ يَحْرَسُونَهُ خَوْفًا مِنْ كَرَّةِ الْعَدُوِّ ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ أَذَّنَ بِلَالٌ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ أَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَوْفٍ الْمَزْنِيُّ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ مَرَّ بِقَرِيشٍ وَأَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا الْكُرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ لَيْلَةٍ حَتَّى غَزَا غَزْوَةَ حِمْرَاءِ الْأَسَدِ لَسْتُ عَشْرَةَ لَيْلَةٍ مَضَتْ مِنْ شَوَالٍ ، فَخَرَجَ لَطْلُبِ الْعَدُوِّ فَأَمَرَ مُؤَذِّنَهُ فَأَذَّنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا لَطْلُبِ عَدُوِّكُمْ ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حَضِيرٍ لَمَّا سَمِعَ النِّدَاءَ : سَمِعًا وَطَاعَةً ؛ وَبِهِ تَسْعُ جِرَاحَاتٌ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَدَاوِيَهَا ، فَتَرَكَهَا . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَعَهُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ حَضَرَ يَوْمَهُ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بِنْدٍ سَلُولٌ : أَرْكَبُ مَعَكَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا » . فَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ ، وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ ، وَكَانَتْ خُرَاعَةً كُلَّهَا ،

مسلمهم ومشرِكهم ، عيبة سِرٍّ ونصح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لا يخفون عنه شيئاً ، وقد مرَّ برسول الله معبد بن أبي معبد الخُزاعي ، وهو مُشرك ، فقال : يا محمد ! والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أنَّ الله عافاك فيهم ، ثم إنه أسلم يومئذ ، وأمره رسول الله أن يلتقى أبا سفيان ومَنْ معه ويخذلهم ، فمضى حتى لقيهم بالروحاء وقد أجمعوا الكُرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتلاؤموا بينهم وقالوا : أصبنا أشراقهم وساداتهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكرنَّ على بقيتهم ولنفرغنَّ منهم ، فقال لهم صفوان بن أمية : لاتفعلوا ؛ إن القوم قد حَرَدوا وحربوا وقد خشينا أن تقع غير الذي كان ، فلما رأى أبو سفيان معبداً مقبلاً قام إليه فقال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج يطلبكم في جمع لم أر مثله ؛ يتحرِّقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه مَنْ كان تخلف عنه في يومكم ، قال : ويحك ماتقول ؟! قال : والله ما نرى أن ترتحلوا حتى نرى نواصي الخيل ، قال أبو سفيان : لقد أجمعنا الكُرة عليهم ، قال : فإني أنْهاك عن ذلك ، فثنا ذلك أبا سفيان ومَنْ معه عما كانوا أرادوا ، ومَرَّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، فقال : هل أنتم مُبلِّغون عني محمداً رسالةً أرسلكم بها وأُوقِر لكم هذه الراحلة زيباً بعكاظ إذا وافيتوها ؟ قالوا : نعم ، قال : إذا وافيتوه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه ، فمرَّ الركب برسول الله فأخبروه بالذي قال ، فقال : « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

وَبَعَثَ النَّبِيُّ بَعْدَ أَحَدٍ أَبَا سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَسَدِ الْخُزُومِيَّ إِلَى قَطْنٍ ، وَهُوَ جَبَلٌ فِيهِ مَاءٌ بَنِي أَسَدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ طَلِيحَةَ بْنَ خُوَيْلِدٍ وَأَخَاهُ سَلَمَةَ قَدْ سَارَا فِي قَوْمِهَا وَمَنْ أَطَاعَهَا يَدْعُونَهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَذَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبَا سَلَمَةَ وَعَقَدَ لَهُ لَوَاءً وَبَعَثَ

معه مئة وخمسين من المهاجرين والأنصار ، وقال : « سِرْ حَتَّى تَنْزِلَ أَرْضَ  
بَنِي أُسْدٍ ؛ فَأَغْزُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى عَلَيْكَ جُمُوعَهُمْ » فَخَرَجَ فَأَسْرَعَ السَّيْرَ وَتَنَكَّبَ  
عَنْ سَبِيلِ الطَّرِيقِ وَسَبَقَ الْأَخْبَارَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ قَطْنٍ فَأَغَارَ عَلَى سَرْحِهِمْ ،  
فَغَنَمَ رِعَاتَهُمْ ؛ ثَلَاثَةَ مَمَالِكٍ ، وَأَفْلَتَ سَائِرُهُمْ فَجَاؤُوا جَمْعَهُمْ فَحَذَّرُوهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا فِي  
كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَفَرَّقَ أَبُو سَلَمَةَ أَصْحَابَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ فِي طَلَبِ النَّعْمِ وَالشَّاءِ فَأَتَوْا إِلَيْهِ  
سَالِمِينَ قَدْ أَصَابُوا إِبِلًا وَشَاءً ، فَانْحَدَرَ أَبُو سَلَمَةَ بِذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ أَحَدًا  
مِنْ أَهْلِ قَطْنٍ .

وَبَعَثَ النَّبِيُّ خَيْرَ مَرْسَلٍ      ابْنِ أَنْيْسٍ وَحَدَّهُ لِلْهُذَلِ  
إِذْ جَمَعَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ وَعَصَا      فَجَاءَ بِالرَّأْسِ وَأَعْطَاهُ عَصَا

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أنيس حين بلغه أن خالد بن أبي سفيان الهذلي يجمع الناس ليعزرو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعث عبد الله بن أنيس ليقبله ، فقال : يا رسول الله صف لي فإني لأعرفه ، قال : « إذا رأيته ذكرَكَ الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة وهيبة وفِرْقَت منه » قال عبدُ الله : كنت لأهاب الرجال ، واستأذنت رسول الله أن أتَقُول . فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمسِ خَلَوْنَ من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مُهاجِرِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم متوشحاً سيفه ، وكان خالد ينزل عُرْنة وما وراءها ، فوافاه عبدُ الله ببطن عُرْنة ، قال عبد الله : فلقيته بمشي ووراءه الأحابيش ومن قد ضلوا إليه فعرفته بنعت رسول الله ، فرأيتني أنظر إليه وهبته وأقول : صدق رسول الله ، قال عبد الله : وكان وقت صلاة العصر فخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ؛ فصلَّيت ، فبينما أنا أمشي نحوه أومئ برأسي حتى انتهيت إليه وهو في ظعن له يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزَلاً ، قال : مَنْ الرجل ؟ قلت : من العرب - وفي رواية من خُزاعة - سمع بجمعك لمحمد فجاءك ليكون معك ، قال : أجل إني لفي ذلك ،



فشيئتُ معه وحدثته فاستحلى حديثي حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه ؛ حتى إذا أمكنني حملت عليه فقتلته وأخذت رأسه ثم دخلتُ غاراً في الجبل وضربتُ عليَّ العنكبوت ، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا راجعين ، ثم خرجت ، وكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى قدمتُ المدينة فوجدت رسول الله في المسجد ، فلما رأيَ قال : « أفلح الوجه » قلت : أفلح وجهك يا رسول الله ، فوضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبري ، فقال : « صدقت » فدفع إليَّ عصا وقال : « تخلص بهذه في الجنة » فلم تزل معه حتى حَضَرَتُ الوفاة ، فأوصى أن تُدفن معه ، فضُمَّت في كفنه بين جلده وثيابه .

ثم سريّة الشهيد مرثد وعاصم مع خبيب بن عدي  
وفي صفر على رأس ستة وعشرين شهراً من الهجرة بعث رسول الله مرثد بن أبي مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب ، وذلك أن رهطاً من عُضَل والقارة قَدِمُوا على رسول الله فقالوا له : يا رسول الله ! إنَّ فينا إسلاماً فابعث معنا من أصحابك قرّاء يفقهوننا في الدين ويعلموننا القرآن والشرائع ، فبعث معهم بقراء عشرة ، وقيل : ستة ساهم ابن هشام : مرثد بن أبي مرثد ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير الليثي . وأمر عليهم مرثداً وقيل : عاصم بن ثابت ، وخرجوا مع القوم ؛ حتى إذا كانوا بالرجيع - ماء لَهْذِيل - غدروا بهم واستصرخوا عليهم هُذَيْلاً ، فلم يَرَعْ القوم وهم في رحالهم إلا بالرجال وفي أيديهم السيوف ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا لهم : والله ما نريد قتلكم ولكن نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، فأبى مرثد وقال : لن نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً وقاتلوا حتى قتلوا ، وأما زيد بن الدثنة وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ؛ حتى إذا كانوا بالظهران انفلت عبد الله من القِران وأخذ

سيفاً ، فاستأخر عنه القوم فرجموه بالحجارة حتى قتلوه ، وقبره هنالك معروف ،  
وأما خبيب وزيد بن الدثنة فقدما بها إلى مكة .

وبعث النبي أيضاً منذراً في سادة القرامع أبي براء  
فقد رت بنو سُلَيمَهم لم ينـجُ غير الضمري منهم

في صفر من السنة الرابعة كانت غزوة بئر معونة ، وسببها أن أبا براء  
عامر بن مالك المعروف بمُلاعِب الأسنة قَدِم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم  
فدعاه إلى الإسلام فلم يُجِبْ ولم يُبْعِذْ وقال : يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك  
إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله :  
« إني أخشى عليهم أهل نجد » فقال : أنا لهم جارٌ ؛ فابعثهم ، فبعث رسول الله  
المنذر بن عمرو - أحد النقباء - في سبعين رجلاً من خيار الصحابة وقراءهم ؛  
منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ،  
وعامر بن بديل ، ورجالاً مسلمون من خيار الناس كانوا يسمون القراء في  
زمانهم ؛ لأنهم كانوا يقرؤون ويتدارسون بالليل ، ويحيئون بالماء بالنهار فيضعونه  
في المسجد ، ويحتطبون فيبيعون حطبهم ويشترون به الطعام لأهل الصفة ،  
فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي  
بئر لبني عامر وهي إلى بني سليم أقرب ، فلما نزلوا هنالك بعثوا حرام بن ملحان  
بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فأتاهم بكتاب  
رسول الله وقعد يحدّثهم ، فأومى عامرٌ إلى رجلٍ ؛ فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح  
حتى أنفذه ، فقال حرام : فُزْتُ وربّ الكعبة ، وأخذ من دمه فنضحه على صدره  
ووجهه فرحاً بالشهادة ، وقيل : إنّ عامراً هو الذي قتله ، ولم ينظر عامر في  
كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم إنّ عامراً استصرخ قومه بني عامر  
على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبوا عليه ، وقالوا : لن نخفر  
أبا براء في جواره ، فاستصرخ بني سليم ، فأجابه عصابة ورعلٌ وذكوان ، فخرجوا

معه حتى غشيوا القوم ، فأحاطوا بهم وهم في رحالهم ، فأخذوا سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد النجاري فإنه ارتث من بين القتلى ، فتركوه وبه رمق ، فعاش حتى قتل يوم الخندق ، وإلا رجلين منهم كنا في سرح المسلمين وهم : عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف فلم ينبئها بمصاب القوم إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشفأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم صرعى في دمائهم ، والخيول التي أصابتهم واقفة ، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر ، قال الأنصاري : لكني لأرغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم تقدم يقاتل حتى قتل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ؛ فلما أخبرهم أنه من مضر ، جزه عامر بن الطفيل من ناصيته ، وأعتقه عن رقبة يزعم أنها كانت على أمه وأطلقه . فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره الخبر ، فشق عليه ذلك وقال : « هذا عمل أبي براء » ووجد رسول الله على شهداء بئر معونة وجداً شديداً ، وقنت في صلاته بالدعاء على الذين أصابوهم ثلاثين صباحاً ، وعند رجوع عمرو بن أمية الضمري وصل إلى القرقرة من صدر قناة فلقي رجلين من بني عامر ، وقيل : من بني سُلَيْم ، فنزلا معه تحت ظل شجرة ، فسألها : ممن أنتما ؟ قالا : من بني عامر ، أوقالا : من بني سليم ، فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلها ، ولم يشعر أنها قد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان معها عقد منه وجوار ، فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره الخبر فشق عليه ذلك ، وقال : « لقد قتلت قتيلين لأديئتهما » وأما أبو براء فلما بلغه ما صنع عامر شق عليه إخفاره إياه وما أصاب أصحاب رسول الله بسببه . ثم إن ربيعة بن أبي مرشد حمل على عامر فطعنه في فخذه طعنة وقع منها عن فرسه ، ولم يمت من تلك الطعنة وعاش حتى قدم على رسول الله وقد ومات بالغد كافراً .

وَنَصْرَةً عَلَى بَنِي النَّضِيرِ لَيْسَ لَهَا فِي الْكُؤْنِ مِنْ نَظِيرِ

كان غزو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني النضير على رأس ثلاثين شهراً من أحد ، وكان بينهم وبينه عهد كسائر اليهود ؛ إلا أنهم دسُّوا إلى قريش في قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وولَّوهم على العورة ، ولما كان من أمر بُرَّ معونة ما كان وَقَتَلَ عمرو بن أمية الضمري الرجلين الذين كان معها جوار من رسول الله ؛ أراد رسول الله أن يديهما ، فخرج إلى بني النضير يستعينهم في الدِّيَّة في نفر من أصحابه ، فلما أتاهم كلمهم في ذلك ، وكان بينهم وبين بني عامر حلف فقالوا : نَفْعَلْ يَا أبا القاسم ، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك ، فجلس إلى جنب جدارٍ من بيوتهم ، فسوَّل لهم الشيطان أن خَلَا بعضهم إلى بعض وتأمروا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقالوا : لن تجدوه على مثل هذه الحال ، فَأَيُّكُمْ يأخذ هذه الرَّحَى فيصعد فيلقِيها على رأسه فيقتله ويربحنا منه ؟ فقال أشقاهم عمرو بن جَحَّاش : أنا لذلك ، فقال لهم سلام بن مشكم : لاتفعلوا ؛ فوالله لَيُخْبِرَنَّ بما همتم به وإِنَّه لنقضُ للعهدِ بيننا وبينه ؛ فأبوا ، وصعد ابن جحاش لذلك ورسول الله قاعد في نفر من أصحابه ؛ منهم : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأبو بكر ، وعُمَر ، فجاء الوحيُّ على الفور إليه وأخبره رَبُّه بما همُّوا به ، فنهض مسرعاً كأنه يقضي حاجته وترك أصحابه في مجالسهم وتوجَّه المدينة ، فجاء رجل من اليهود من المدينة ورأى أصحابه مجتمعين فسألهم عن شأنهم فأخبروه الخبر ، فقال : وأين محمد ؟ قالوا : هاهنا ، قال : والله لقد تركته داخلًا المدينة ، فَسَقَطَ في أيديهم ، فلما استلبثه أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً فسألوه عنه فقال : رأيته داخلًا المدينة ، فقال حُيَّي بن أخطب : لقد عجل أبو القاسم ، كُنَّا نَحْبُو أن نقضي حاجته ونقرِّيه ، وندمت اليهود على ما صنعوا ، فقال لهم كِنانة بن سويد : هل تدرون لما قام محمد ؟ قالوا : لا ، فقال : بلى والتوراة إني لأذري ؛ قد أخبر محمدٌ بما همتم به من الغدر ،

فلا تخدعوا أنفسكم ، والله إنه لرسول الله ، وإنه لآخر الأنبياء ، وكنتم تطمعون أن يكون من بني هارون ، وإن في كتبنا التي درّسنا في التوراة التي لم تبدل ولم تغيّر أن مولده بمكة وأن دار هجرته يثرب ، وصفة نعتها ما يخالف حرفاً مما في كتابنا ، ولكنني أنظر إليكم ظاعنين يتضاغى صبيانكم قد تركتم دوركم وأموالكم ، فأطيعوني في خصلتين والثالثة لا خير فيها ، قالوا : ماها ؟ قال : تسلمون وتدخلون مع محمد فتأمنون على أموالكم وأولادكم وتكونون من عليّة أصحابه ، فقالوا : لانفارق التوراة ، قال : إنه مرسل إليكم : « اخرجوا من بلدي » فقولوا : نعم ؛ فإنه لا يستحل لكم دماً ولا مالا ، قالوا : أما هذه فنعم .

وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا علي بن أبي طالب فقال : « لاتبرح من مكانك ؛ فمن خرج إليك من أصحابي وسألك عني قل توجه المدينة » ، ففعل ذلك ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتّهْيئة لحرب بني النضير ، فبعث إليهم محمد بن مسلمة : « اخرجوا من المدينة لاتساكنوني فيها وقد هممت بما هممت به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً فمن رُئي بعدها ضربت عنقه » ، فضى محمد بن مسلمة حتى انتهى إلى بني النضير فقال : إن رسول الله أرسلني إليكم برسالة ولست أذكرها لكم حتى أذكر لكم شيئاً تعرفونه ، فقالوا : ما هو ؟ فقال : أنشدكم بالتّوراة هل تعلمون أي جئتم قبل أن يُبعثَ محمد فقلتم لي في مجلسكم هذا : يا بن مسلمة إن شئتَ عديناك ، وإن شئتَ هوّدناك ، فقلت : عدوني فإني لأتهود أبداً ، فقلتم : ما يمنعك من ديننا إلا أنه دين يهود لأنك تريد الحنيفيّة دين إبراهيم ، أما إن أبا عامر الرّاهب فليس بصاحبها ، أتاكم صاحبها الضحوك القتال ، في عينيه حمرة يأتي من قبل الين ، ويلبس الشّملة ، ويجتري بالكسرة ، سيفه على عاتقه كأنه قد صحبكم في سبختكم هذه . قالوا : نعم ؛ وليس به . ثم أخبرهم بما قاله رسول الله فأنعموا له بالخروج ، فكثوا يتجهّزون وتكاروا إبلاً من أشجع ، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي حبي بن أخطب وهو رئيس

اليهود في بني النضير : أن لا تخرجوا من دياركم وتمنعوا في حصونكم فإننا لنسلمكم ؛ إن قوتلتم لنقاتلن معكم ، وإن أخرجتم لنخرجن معكم ، وإن معي ألفين من العرب يدخلون معكم في حصونكم ، وتعدكم قريظة وخلفاؤكم من غطفان . وأرسل ابن أبيّ إلى بني قريظة أن يمدّوا بني النضير ، فأجابوا أن لا ينقضوا عهد محمد ، وطمع رئيس بني النضير حبيّ بن أخطب في ذلك ، وبعث إلى رسول الله : إننا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك ، فأظهر رسول الله التكبير ، وكبر ، وكبر المسلمون لتكبيره ، وأمر الناس بالمسير إليهم ، وسار عليّ - أمير المؤمنين - يحمل رايته ، فصلى العصر بفناء بني النضير ، فلما رأوا رسول الله قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة ، فحاصرهم رسول الله خمس عشرة ليلة واعتزلهم عبد الله بن أبي المنافق ومن كان معهم وعدم النصر ، وقد كان سلام بن مشكم قد قال لحبي بن أخطب : والله لقد متتكَ نفسك الباطل ، ولولا أن أسفه رأيك لاعتزلتك بن أطاعني ، فلا تطع ابن أبيّ ، فقال حبي : تأبى نفسي إلا عداوة محمد ، فقال سلام : ما هو إلا جلاؤنا من أرضنا وذهاب أموالنا وشرفنا أو قتل مقاتلينا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ضرب قبته بمحل قريب من حصنهم ، وفيهم رجل بطل فاتك رام يقال له عروك ، وكان يرمي حتى يبلغ نبلة خيمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمر بقبته فحوّلت ، وكان يخرج عروك ليلاً يطلب غيرة من المسلمين ، فلما كان ذات ليلة فقد المسلمون علي بن أبي طالب ، فقالوا : يا رسول الله ما نرى علياً ، فقال : « دعوه فإنّه ذهب في بعض شأنكم » فما لبثوا أن جاء عليّ برأس عروك يحمله ، وكان عروك قد خرج بعشرة من اليهود يطلب غيرة من المسلمين ، فقتله عليّ وفر أصحابه ، فأمر رسول الله أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة من المسلمين يتبعونهم فأذركوهم وقتلوهم عن آخرهم ، وأنزل الله الرعب على بني النضير فسألوا رسول الله أن

يجليهم ويكفّ عن أنفسهم وأموالهم ، فقال رسول الله : « لا أقبله اليوم ، ولكن اخرجوا ولكم من أموالكم ما استقلت به الإبل من الأموال إلا الحلقة - يعني السلاح - » ، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن بابه فيصعد به على ظهر بعيره ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر ٢/٥٩] ، فاستقلوا بالنساء والأبناء وما حملت الإبل من الأموال ؛ ما عدا السلاح ، وخرجوا ومعهم الدُّقُوف والمزامير والقيان يعزفون خلفهم ، ونزل بنو النضير خيبر ، وكان أشrafهم : كِنانة بن الربيع ، وحبي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ؛ فدان لهم أهل خيبر ، وبعضهم ذهب إلى الشام ، وتحملوا على ستّ مئة بعير .

ذات الرِّقَاع قد غَزَاهَا بعدها      والبَعْضُ بَعْدَ خَيْبَرٍ قَدْ عَدَّهَا  
كان سبب غزو رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ذات الرِّقَاع أَنَّهُ بلغه أَنَّ  
أهل نجد من غطفان قد جَمَعُوا الجموع لغزوه ، فسار إليهم بأربع مئة ، وقيل :  
بسبع مئة ؛ حتى انتهى إلى نَخْل - بالحاء المعجمة - محل من نجد ، فقبل : لم يلقَ  
إلا نِسوةً فأخذهن ، وقيل : بل لقي جمعاً فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب ،  
وقد خاف بعضهم من بعض ، فصلّى حينئذٍ صلاة الخوف ، واختلف في غزوة  
ذات الرِّقَاع متى كانت ، فعند ابن هشام أنها كانت بعد بني النضير ، وقيل : بعد  
الخنندق ، وصرح البخاري في صحيحه أنها بعد خيبر .

ثمَّ غَزَا بدرًا لِأَجْلِ الموعِد      من ابن حرب لهم في أُحُد  
هذه تُسمَّى غزوة بدر الموعِد ؛ وسببها أَنَّ أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم  
أُحُد واعد رسول الله موسمَ بدر فقال رسول الله : هو بيننا موعِدٌ ، فلما كان ذلك  
العام خرج أبو سفيان بَمَنْ معه من المشركين وهم ألفان وخمس مئة ؛ معه خمسون  
فرسًا ، فنزل في موضعٍ على سِتَّةِ عشر ميلًا من مكّة ، وقيل : بلغ عَسفان ، ثمَّ بدا

له الرجوع ، وقال لأصحابه : إِنَّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إِلَّا عَامُ خَصِيبٍ تَرْعُونَ فِيهِ الشَّجَرِ ، وتشربون فيه اللبن ، وإني راجع فارجعوا ، وجعل أبو سفيان لِنَعِيمٍ بن مسعود جَعْلًا ، قيل : كَانَ يَجْعَلُ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَثْبُطَهُ ، ففعل نعيم ؛ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ وَثَبَّطَهُ ، ففكر بعضُ أصحابه الخروجَ ، فقال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أُخْرَجَنَّ وَلَوْ وَحْدِي » فخرج محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ ، وَمَعَهُمْ عَشْرَةُ أَفْرَاسٍ ، وَحَمَلٌ لَوَاءَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَعَلَ كِفَارَ الْعَرَبِ يَلْقَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَصْحَابَهُ فَيُخْبِرُونَهُمْ بِجَمْعِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعُوا ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَتَأَهَّبُوا لِلْقِتَالِ وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، وَمَضُوا حَتَّى نَزَلُوا بِبَدْرٍ ، وَكَانَ مَعَهُمْ بَضَائِعُ وَتِجَارَةٌ ، فَوَافَقُوا السُّوقَ بِبَدْرٍ فِي مَوْسِمِهَا فَبَاعُوهَا وَرَبَّحُوا وَصَارَ الدَّرْهَمُ دَرَاهِمِينَ ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ ثَمَانِي لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سَفْيَانَ ، وَأَتَاهُ مَخْشِي بْنُ عَمْرِو الضَّمْرِيِّ الَّذِي كَانَ قَدْ وَادَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ وَدَّانَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَجِئْتَ لِلِقَاءِ قَرِيشَ عَلَى هَذَا الْمَاءِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ؛ وَإِنْ شِئْتَ مَعَ ذَلِكَ رَدَدْنَا إِلَيْكَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ، ثُمَّ جَالَدْنَاكَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا » ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ .

وانصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ومن معه إلى المدينة سالمين قد أصابوا أجراً عظيماً وربحاً كبيراً ، وأمّا أبو سفيان ومن معه فعَيَّرَهم أهل مكة لما قدموا بـرجوعهم وسُمُّوهم جيش السُّويق ؛ أي إنما خرجتم لتشربون السُّويق .

ودُومَةُ الْجَنْدَلِ فِيهَا اخْتَلَفَ فَقِيلَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَيْهَا الْمُصْطَفَى وَقِيلَ بَلْ أَقَامَ فِيهَا أَيَّامًا وَغَنِمَ الْقَوْمُ بِهَا أَنْعَامًا

دُومَةُ - بضم الدال وسكون الواو - وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم في ربيع الأول من سنة خمس إلى دومة الجندل ، وهي من المدينة على خمس عشرة



ليلة ، ومن دمشق على خمس ليال ، وسبب ذلك أنه بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن بها جمعاً يريدون المدينة ، وقيل : بل كانوا يظلمون من مَرَّ بهم من الناس ، وسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عِدَّة من أصحابه ، واستعمل على المدينة سباع بن عُرْقُطَة ، فكان يَكُنُّ النَّهار وَيَسِير الليل ، ومعهم دليلٌ يُقال له مذكور ، حتى دنا من منازلهم ، فإذا هم معزبون ، فهجم على ماشيتهم وورعاتهم وأصاب من أصاب ، وهرب من هرب في كل وجه ، وبلغ الخبر أهل دُومة الجندل ففرقوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بساحتهم فلم يجد بها أحداً ، فأقام أياماً وبث السرايا وفرَّق الجيوش فلم يصيبوا منهم ، فرجعوا إليه ، وأخذ رجل من المشركين فسأله رسول الله عَنِ الْقَوْمِ فقال : هربوا حيث سمعوا بك أخذت أنعامهم ، فعرض عليه الإسلام فأسلم ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعشر ليال بقين ، وفي رواية ابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجع من الطَّرِيق قبل أن يَصِلَ إلى دُومة الجندل .

كذلك في غزوة بني المصطلق قولان والصحيح قبل الخندق

اعلم أنه وقع في هذه القضية اختلاف ، ف قيل : قبل الخندق ، وقيل : بعده ، وصحَّ العامري أنها قبل الخندق ، واستدلَّ بأنه وقع فيها حديثُ الإفك ، وهو قبل الخندق باتِّفاق ؛ لأنه جرى فيه ذكر سعد بن معاذ وهو استشهد في غزوة الخندق ؛ إلا أنه ذكرها في حوادث سنة أربع ، وخَرَّج ابنُ القَيِّم بأنها كانت في شهر شعبان سنة خمس . وسبَّبها أنَّ الحارث بن أبي الضُّرار والد جويرية زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع من قَدَّر عليه من العرب يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغ النبي ذلك فبعث بُرَيْد بن الحصيب الأسلمي يتجسَّس له خبر ذلك ، ومضى حتى لقي الحارث بن أبي الضُّرار فكلَّمه ، فأخبره الحارث أنه يجمع لحرب رسول الله فقال بُرَيْد : فأمهلوا حتَّى أسير في قومي ومن أطاعني من العرب فاتيكم فنكون يداً واحدةً عليه حتى نستأصله ، فسَرَّ

بذلك وقال : لا تبطئ علينا ، فركب من ساعته ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بخبرهم ، فندب أصحابه للخروج ، فأسرعوا وقادوا الخيل ، وكانت ثلاثين فرساً ؛ عشرين في الأنصار وعشرة في المهاجرين ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرسان ؛ الضراب واللزاز ، وخرج معهم جماعة من المنافقين لم يخرجوا معهم في غزاة قبلها ، وما خرجوا إلا رجاء أن يصيبوا من عَرَض الدنيا لاجبة في الجهاد ، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، وقيل : أبا ذر ، وكانت راية المهاجرين مع أبي بكر ، وراية الأنصار مع سعد بن عباد ، وأصاب المسلمون عيناً للحارث بن أبي الضرار بعثه يتجسس له الأخبار ، فأتوا به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسألوه عن شأنه ، فأبى أن يخبرهم بشيء ، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب فضرب عنقه ، وبلغ الحارث ومن معه مسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه قتل عينه الذي قد كان بعثه ليأتيه بخبر المسلمين ؛ فخافوا خوفاً شديداً ، وتفرق عن الحارث أكثر من كان قد اجتمع له من العرب ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى إلى المريسيع فنزل هنالك ، وضربت عليه قبته ومعه يومئذ عائشة وأم سلمة ، ثم تهيؤوا للقتال ، وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فتراموا ساعة ، ثم أمرهم فحملوا حملة رجل واحد ، فكانت النصر للمسلمين ، وهزم المشركون وقتل منهم عشرة ؛ قتل علي بن أبي طالب رجلين : مالكا وابنه ، وقتل من المسلمين رجل واحد أصابه رجل من الأنصار خطأ ، وقال ابن القيم : إنه لم يكن بين المسلمين وبين المشركين قتال ؛ وإنما أغار عليهم على الماء فسي ذرايعهم وأموالهم كما في الصحيح ، قال القسطلاني : يحتمل أن يكونوا ثبتوا حال الإيقاع قليلاً ، فلما كثر عليهم القتل انهزموا ، قال مؤلف المنظومة : وهو احتمال قوي يؤيده ما ذكر من قتل هشام بن ضبابه المهاجري خطأ بأيدي المسلمين .

وكان شعار المسلمين يومئذ : يا منصور أميت أميت ، وجعل رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم على الغنائم يزيد بن الحُصَيْب ؛ وكانت ألفي بغير وخمسة آلاف من الشَّاء ، وجعل على السَّيِّ شِقْران مـولاه ، وكان السَّيِّ مِثْقِي بنت ، وجعل الذَّراري ناحية ، ومن سَيِّ ذلك اليوم جويرة بنت الحارث بن أبي الضَّرار أم المؤمنين ، فلما قسم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم السَّيِّ وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبتة على نفسها ، قالت عائشة : كانت جويرة امرأة حلوة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم تستعينه في كتابتها ، فما هو والله إلا أن رأيته في باب حجرتي فكرهتها وعلمت أن رسول الله سيري منها ما رأيته ، فدخلت على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله : أنا جويرة بنت الحارث بن أبي الضَّرار سيّد قومه وقد أصابني ما لا يخفى عليك ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، وقد كاتبتة على نفسي فجئتك لتعينني على كتابتي ، فقال : « هل لك في خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو ؟ قال : « أقضي عنك كتابتك وأتزوجك ؟ » قالت : نعم ، قال : « قد فعلت » ، قالت عائشة : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله قد تزوّج جويرة ، فأوصل الناس ما بأيديهم من السَّيِّ وقالوا : أصهار رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فلقد عتق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بني المصطلق ؛ فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

وفي هذه الغزوة كان حديث عبد الله بن أبي المنافق ، ونزل بسبب ذلك سورة المنافقين ، وذلك أنه كان مع عمر بن الخطاب أجير يُقال له جَهْجَاه الغِفاري ، وكان من المهاجرين ، فوردت واردة على الماء فازدحموا وازدحم جهجاه هو ورجل من الأنصار فاقتتلا ، فصرخ الأنصاري : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين ، فسمعها رسول الله فقال : « مابال دعوى الجاهلية » ، فأخبروه الخبر ، فقال : « دعوها إنها منتنة » ، وأعان جهجاه رجل من المهاجرين يُقال له جمال ، فغضب لذلك عبد الله بن أبي ، وعنده رهط من

قومه فيهم زيد بن أرقم وهو غلام حَدَّثَ ، فقال ابن أبيّ : أَوْقَدْ فعلوها ، قد كثرونا وقد نافرونا في بلادنا ، والله ما أعدُّنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول : سَمَنَ كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ، ثم أقبل على من حَضَره من قومه وقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتوهم دياركم وقاسمتوهم أموالكم ، ومع هذا لم تكتفوا حتى جعلتم أنفسكم دونه غرضاً للمنايا ، فكثرت عدوكم وقللتم أنفسكم وأيتم أولادكم ، أما والله لو أمسكتهم عن جعال وذويه ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم ، فاتركوهم لاتنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد . فقال له زيد بن أرقم : أنت والله الذليل القليل في قومك ومحمد في عزٍّ من الرّحمن ، فقال ابن أبيّ ليزيد : اسكت ! إنّما كنتُ أَلْعَبُ ، فمضى زيدٌ بما سمع إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله من الغزوة ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال عمر لرسول الله : مَرُّ عِبَادِ بْنِ بَشْرٍ فليقتله ، فقال رسول الله : « فكيف يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؛ ولكن أذن بالرحيل » ، فأذن بالرحيل في ساعة لم يكن رسول الله يرتحل بها ، فارتحل الناس ، فوصل عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله فحلف بالله ما قال ولا تكلم بما بلغه زيدٌ ، وصدّق ابن أبيّ من حَضَرَ من الأنصار ، وقالوا : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وهِمَ في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، فعذره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمُّ زيدٍ لزيد : ما زدتَ على أن كذبتك ومقتوك ، فاستحيا زيد أن يدنو من رسول الله ، ولما استقلَّ رسول الله راحلاً لقيه أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فحيّاهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ لَقَدْ رَحَتَ فِي سَاعَةٍ مِنْكَ مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِيهَا ، فَقَالَ : « أما بلغك ما قال صاحبكم ؟ » قَالَ : أَيْ صَاحِبِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « عبد الله بن أبيّ » قَالَ : وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : « زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلَّ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْرِجُهُ أَنْتَ إِنْ شِئْتَ ؛ هُوَ وَاللَّهُ الذَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ

أرفق به ؛ فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الجَزَع ليتَوَجَّوه ، وإنه ليرى أنك قد سلّبتَه مُلْكًا ، ولما أنزل الله سورة المنافقين وفيها تصديق زيد بن أرقم أخذ رسول الله بأذن زيد وقال : « أبشر يا زيد ! إن الله صدّقك » ، وقيل لعبد الله بن أبي : إن الله قد أنزلَ فيك آيةً شديدة فاذهب إلى رسول الله ليستغفر لك ، فألوى برأسه استكباراً ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوُؤَا رُؤُوسَهُمْ ﴾ [ المنافقون ٥/٦٣ ] . وفي هذه الغزوة كانت قصة الإفك ونزول براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالآيات في سورة النور .

وغزوة الخندق فيما يُذكرُ سنة خمس وهو قول نيّر  
وكم بها من آيةٍ قد ذُكرتُ ومعجزاتٍ بيناتٍ ظهرتُ

كان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد ، وعلموا ببيعة أبي سفيان بغزو المسلمين - فخرج لذلك ثم رجع للعام المقبل - خرج أشرف اليهود ؛ منهم : سلام بن أبي الحقيق ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وغيرهم ، إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويوالونهم عليه ، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم ، فأجابتهم قريش ، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم ، ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب ، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان في أربعة آلاف ، ووافاهم بنو سليم بمر الظهران ، وخرجت بنو أسد ، وفزارة ، وأشجع ، وبنو مرة ، وغطفان وقائدهم عيينة بن حصن ، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف ، فلما سمع رسول الله بمسيرهم إليه استشار الصحابة ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندقٍ يحول بين العدو وبين المدينة ، فأمر به رسول الله فبادر إليه المسلمون ، وكان حفر الخندق في أمام سلعٍ ؛ وسلع جبل خلف ظهور المسلمين ، والخندق بينهم وبين الكفار ، وكان في حفره من آيات نبوته وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصن بالجبل من خلفه وبالحندق أمامهم ، وأمر النبي بالنساء والذراري فجعلوا في أطام المدينة ، وانطلق حَيَّيُّ بن أخطب إلى بني قريظة فدنا من حصنهم فأبى كعب بن أسد أن يفتح له ، فلم يزل يكلمه حتى فتح له ، فلما دخل عليه قال : لقد جئتُك بعزِّ الدهر ؛ جئتُك بقريشٍ وغطفانٍ وأسدٍ على قادتها لحرب محمد ، قال كعب : جئتني والله بِذلِّ الدهر وبجهامٍ - أي سحاب - قد أراق ماءه فهو يرعدُّ ويبرِّق ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ودخل مع المشركين في محاربتِه ، فسُرَّ بذلك المشركون ، وشرط كعب على حيي إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل معه في حصنه فيصيبه ما أصابه ، فأجابه إلى ذلك ووفى له به ، وبلغ رسول الله خبر بني قريظة ونكتهم للعهد ، فبعث إليهم السَّعْدَيْنِ وخَوَات بن جبير وعبد الله بن رَواحة ليعرفوا هل هم على عهدهم أو قد نقضوه ، فلما دنوا منهم وجدوهم على أخبث ما يكون ، وجاهروهم بالسبِّ ونالوا من رسول الله ، فانصرفوا عنهم ، وَلَحَنُوا إلى رسول الله لحناً يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد ، فعظَّم ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله : « الله أكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين » واشتدَّ البلاء ، وجهر النفاق ، واستأذن بعض بني حارثة رسولَ الله بالذهاب إلى المدينة وقالوا : يُؤتينا عورة . وهم بنو سلمة بالفشل ثم ثبَّت الله الطائفتين ، وأقام المشركون محاصرين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهراً ، ولم يكن بينهم قتال لأجلِ ما حال الله به من الخندق ، إلا أن فوارس من قريش ؛ منهم عمرو بن عبدِ وْدَ وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق ؛ فلما وقفوا عليه قالوا : إنَّ هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفُها ، وتيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فاقتحموه ، وجالتُ بهم خيلهم في السَّبْخة بين الخندق وسلْع ودعوا إلى البراز ؛ فانتدب لعمرو عليّ بن أبي طالب ، فبارزه فقتله الله على يد علي ، وكان من شجعان المشركين وأبطالهم ، وانهزم الباقيون إلى أصحابهم ، وكان شعار المسلمين يومئذ : حَمِّ

لا يَنْصَرُونَ . ثم أرسل الله عز وجل على المشركين حينئذٍ من الريح فجعلتُ تقوُّض خيامهم ولا تدع لهم قِدرًا إلا كفأتها ولا طنباً إلا قلعته ، ولا يقرُّ لهم قرارٌ ، وجند الله من الملائكة يزلزلونهم ويلقون في قلوبهم الرُّعب ، وأرسل رسول الله حذيفة بن اليمان يأتيه بخبرهم ، فوجدهم على هذه الحال وقد تَهَيَّؤُوا للرحيل ، فرجع إلى رسول الله فأخبره برحيل القوم ، فأصبح رسول الله وقد ردَّ الله عدوه بغيظه لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين قتالهم ؛ فصدق وعده ، وأعزَّ جنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فدخل رسول الله المدينة وَوَضَعَ السلاح ، وقد كان أُصيب سعدُ بن معاذ بسهم .

ثم غزا بَعْدَ بني قريضة شَفَى بنصر الله فيهم غيظَهُ ثم رجع النبي إلى المدينة بعد الخندق فجاءه جبريل عليه السلام وهو يغتسل في بيت أم سلمة ، فقال : أَوْضَعْتُمُ السَّلاحَ ؟ فَإِنَّ الملائكة لم تضع بعدُ أسلحتَها ، انهض إلى غزو هؤلاء - يعني بني قريضة - فَإِنَّ الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريضة فيأتي عائدٌ إليهم ومزولٌ بهم . فأمر رسول الله مُؤَدِّنًا فَأَذَّنَ في الناس : « من كان سامعاً مطيعاً فلا يُصَلِّينَ العصر إلا في بني قريضة » وقَدَّمَ رسول الله علي بن أبي طالب إلى بني قريضة برايته ، وابتدرها الناس ، فسار علي بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً قبيحةً لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله في الطريق فقال : يا رسول الله ؛ لا عليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : « أَظُنُّكَ سمعت سبتهم لي أذاً » قال : نعم يا رسول الله ، قال : « لو رأوني لم يَقُولُوا من ذلك شيئاً » فلما دنا رسول الله من حصونهم قال : « يا إخوان القرده ؛ هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ » قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جَهُولاً ومُرَّ رسول الله بنفر من أصحابه بالصرى فقال : « هل مر بكم أحدٌ » قالوا : يا رسول الله قد مرَّ بنا دحية الكلبي

على بغلة بيضاء عليها رحاله ؛ عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله : « ذلك حبريل بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم » قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس فألقى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة لم يصلُّوا العصر لِقَوْل رسول الله حتى يأتوا بني قريظة فصلُّوا بها العصر بعد العشاء الآخرة ، وحاصرهم رسول الله خمساً وعشرين ليلةً حتى جَهِدَهم الحصارُ ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب ، وكان حيي بن أخطب قد دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان وفاءً منه لكعب بن أسد ، ثم إن بني قريظة بعثوا إلى رسول الله أنْ ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف - وكانوا حلفاء الأوس - لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ، فلما رآوه قام إليه رجالٌ وهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فَرَقَّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ؛ وأشار بيده إلى حلقة ، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفتُ أني قد خنتُ الله ورسوله ، ثم انطلق وربط نفسه في المسجد ، وقال : لا أبرح حتى يتوبَ الله عليّ ، فأنزل الله في أبي لبابة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [ الأنفال ٢٧/٨ ] ، فلما بلغ رسول الله خبره قال : « أما إنه لو جاءني استغفرت له ، فأما إذا قد فعلَ ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » فنزلت توبته في السَّحَر ، ورسول الله في بيت أم سلمة ، قالت أم سلمة : فسمعتُ رسول الله في السَّحَر وهو يضحك ، فقلتُ : مما تضحك أضحك الله سنك ؟ قال : تيبَ على أبي لبابة ، قالت : قلتُ : أفلا أبشِّره يا رسول الله ؟ قال : « بلى » فقامت على باب حجرتها قبل أن يُضْرَبَ عليهنَّ الحجابُ ، فقالت : يا أبا لبابة ! أبشِّر فقد تاب الله عليك ، فسار الناس ليطلقوه ، قال : لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده ، فلما مرَّ عليه رسول الله خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه ،



والآية التي نزلت في توبته : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ... ﴾ [ التوبة ١٠٢/٩ ] ، ثم نزل بنو قريظة على حكم رسول الله ، فتوالت الأوس فقالوا : يا رسول الله إنهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت - يشيرون بذلك إلى ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بني قينقاع حلفاء الخزرج حين نزلوا على حكمه فسأله إياهم عبد الله بن أبي - فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم » قالوا : بلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أرسلوا إلى سعد بن معاذ » وكان رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يُقال لها رُفيدة في مسجده ؛ كانت تداوي الجرحى ، فكان رسول الله قد قال لقوم سعد حين أصابه السهم بالخندي : « اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب » فلما حكم رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطؤوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلاً جسيماً جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله وهم يقولون : يا أبا عمر أحسن في مواليك ؛ فإن رسول الله إنما ولأك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ، قال رسول الله : « قوموا إلى سيّدكم » فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمر إن رسول الله قد ولأك أمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت ، قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا - يشير إلى الناحية التي فيها رسول الله إجلالاً له - فقال رسول الله : « نعم » قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى الذراري والنساء . قال رسول الله لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » وكان علي بن أبي طالب قد صاح وهم محاصرون بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقنّ ما ذاق حمزة أو لأفتحنّ حصنهم ، فقالوا : يا محمد نزل على حكم سعد بن

معاذ ، ثم استنزّلوا فحبسهم رسول الله بالمدينة بدار بنت الحارث امرأة من بني النجار ، ثم نزل إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يُخْرِجُ بهم إليه أرسالاً ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رئيس القوم وهم ست مئة أو سبع مئة ، والمكثر يقول : كانوا بين الثمان مئة والتسع مئة ، وأُقي بِحَيٍّ بن أخطب وعليه حلة له قفاجية - أي تضرب إلى الحمرة - مجموعة يداه إلى عنقه في حبل ، فلما نظر إلى رسول الله قال : أما والله ما لُمتُ نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخَذَّلُ ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس لا بأس بأمر الله ؛ كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ثم قتل . قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهان الخيل وسهان الرجال ، وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛ للفارس سهان وفارسه سهم ، وللراجل سهم .

وَبَعَثَهُ لَابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ بِخَيْرٍ رَوَاهُ ذُو التَّحْقِيقِ

كان أبو رافع بن أبي الحقيق ممن ألّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يُقتل مع بني قريظة كما قُتِلَ صاحبه حيي بن أخطب ، وورّغت الحزرج في قتله مساواة للأوس في قتل كعب بن الأشرف ، وكأن الله سبحانه قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخيرات ، فاستأذنوه في قتله ، فأذن لهم ، فانتدب له رجال كلهم من بني سلمة وهم : عبد الله بن عتيك وهو أمير القوم ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، ومسعود بن سنان ، وخزاعة بن أسود ؛ فساروا حتى أتوه في خيبر في دار له ، فنزلوا عليه ليلاً فقتلوه ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلهم ادّعى قتله ، فقال : « أروني أسيافكم » فلما أروه إيّاها قال لسيف عبد الله بن أنيس : « هذا الذي قتله ؛ أرى فيه أثر الطعام » .

ثم غزا بَعْدُ بني لحيان أهل الشقا والغدر والطغيان

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني لحيان بعد قريظة بستة أشهر ليغزوهم ، فخرج رسول الله في مئتي رجلٍ ، وأظهر أنه يريد الشام ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُران<sup>(١)</sup> - وادٍ من أوديتهم - وهو بين أَمَجٍ وعُسْفان ؛ حيث كان مصاب أصحابه فترحم عليهم ودعا لهم ، وسمعت بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحدٍ فأقام يومين بأرضهم ، وبعث السرايا فلم يقدروا عليهم ، فسار إلى عسفان فبعث عشرة فوارس إلى كراع الغميم لتسمع به قريش ، ثم رجع إلى المدينة ، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة . وذكر في زاد المعاد بعد هذه الغزوة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت بثامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة ، فربطه رسول الله إلى سارية من سواري المسجد ومراً به فقال : « ما عندك يا ثامة ؟ » فقال : يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرك ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ، فتركه ، ثم مر به مرة أخرى وهو يقول له مثل ذلك ويرد عليه كما ردَّ عليه أولاً ، ثم مر به ثالثة فقال : « أطلقوا ثامة » فأطلقوه ، فذهب إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم جاءه فأسلم ، وقال : والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك ؛ فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ ، والله ما كان على وجه الأرض دين أبغض إليَّ من دينك ؛ فقد أصبح دينك أحب الأديان إليَّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فسر رسول الله وأمره أن يعتمر ، فلما قدم على قريش قالوا : صبوت يا ثامة ، قال : لا والله ولكني أسلمت مع محمد ؛ ولا والله ما يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ، فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش وكتبوا إلى رسول الله يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثامة بخلي

(١) غُران : بضم الغين والتخفيف اسم وادي الأزرق خلف أَمَج .

إليهم حمل الطعام - وهذا البحث لم يذكره صاحب المنظومة .

وبعدها الغابة فيما ذكروا وقيل الحديبية وهو الأظهر

هذه الغزوة تسمى غزوة ذي قرد وغزوة الغابة ، وسببها أن عيينة بن حصر أغاو على لقاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي بالغابة فاستاقها وقتل راعيها - وهو رجل من عُسْفان - وحملوا امرأته ، فجاء الصريخ ، ونودي يا خيل الله اركبي ، وكان أول مانودي بها ، وركب رسول الله مُقَنَّعاً بالحديد ، فكان أول من قَدِم عليه المقداد بن عمرو بالدرع والمخفر ، فعقد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء في رحمه وقال : « امضي حتى تلحق بالخيول وإننا على إثرك » وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجله ؛ فجعل يرميهم بالنبل ويقول : خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضْع ؛ حتى انتهى بهم إلى ذي قرد وقد استنقذ منهم جميع اللقاح وثلاثين بَرْدَة ، قال سلمة : فلحقنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخيول عِشَاءً فقلت : يَا رسول الله إِنَّ القوم عطاش فلو بعثتني في مئة رجل استنقذت ما عندهم من السَّرح وأخذت بأعناق القوم ، فقال رسول الله : « ملكت فَأُسْجِع » . وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية ، وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي وذكروا أنها قبل الحديبية لما رواه مسلم في صحيحه .

وخرج النبي في ذي القعدة مُعْتَمِراً لربِّه فَصَدَّه كَفًّا مَكَّةَ فكان الصَّلْحُ بينهم وإنَّه لَفَتَحَ

عُمرة الحديبية كانت في ستٍّ من ذي القعدة ؛ وهذا هو الصحيح ، وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألف وأربع مئة ، وقيل : ألف وخمس مئة ، وكان مع النبي سبعون بدنة ، فلما وصل إلى ذي الحليفة قلَّد رسول الله الهدي وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عينا له من خِزَاعَة يخبره عن قريش ؛ حتى إذا كان قريباً من عُسْفان أتاه عيينة فقال : إنني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش وجمَّعوا لك جموعاً ؛ وهم مُقاتلونك وصادُّوك عن البيت ، واستشار

النَّبِيُّ أَصْحَابَهُ وَقَالَ : « أَتُرُونَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذُرَارِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ فَنُصِيبَهُمْ ؛ فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا مَوْتُورِينَ عَزُوزِينَ ، وَإِنْ نَجَّوْا يَكُنْ عُنُقٌ قَطَعَهَا اللَّهُ ؛ أَمْ تَرُونَ أَنْ نَوْمُ هَذَا الْبَيْتِ ، فَنُصَدِّقَ عَنْهُ قَاتِلَانَاهُ ؟ » فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ؛ إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَلَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ مِنْ حَالٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتِلَانَاهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « فَرُوحُوا إِذَنْ » فَرَاخُوا ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ : « إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَنَمِ فِي خَيْلٍ مِنْ قُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ ، فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ » فَمَا شَعَرَهُمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُوَ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يَهْطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتُ رَاحِلَتِهِ ، فَقَالَ النَّاسُ : حُلْ حُلْ ! فَالْحَتُّ ، فَقَالُوا : خَلَّاتِ الْقِصَافُ - مَرَّتَيْنِ - أَيِ حَزَنَتْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « مَا خَلَّاتِ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ؛ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ » ثُمَّ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةَ يَعْظُمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » ، فَوُثِّبَتْ بِهِ فَعَدَلَ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدِيبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ<sup>(١)</sup> قَلِيلِ الْمَاءِ ؛ إِنَّمَا يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا ، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّاسُ أَنْ نَزَحُوهُ ، فَشَكُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الْعَطَشَ ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ ، فَاذْأَلَّ يَجِيشُ لَهُمُ بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ ، وَفَزَعَتْ قُرَيْشٌ لِنُزُولِهِ عَلَيْهِمْ ، فَأَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيَبْعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لِي بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَنِي كَعْبٍ ، وَإِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي فَأَرْسِلُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ فَإِنَّ عَشِيرَتَهُ بِهَا وَإِنَّهُ مَبْلُغٌ مَا أُرَدْتُ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ فَأَرْسَلَهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَقَالَ : « أَخْبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِهِمْ لِقِتَالٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا عُمَارًا ؛ وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ » ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ رَجَالًا بِمَكَّةَ مُؤْمِنِينَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ فَيَدْخُلَ

(١) الثَّد : موضع يجتمع فيه ماء السماء ( المطر ) .

عليهم ويبشّرهم بالفتح وأنّ الله مُظهِرُ دِينِهِ بِمَكَّةَ حَتَّى لَا يَسْتَخْفَى فِيهَا بِالْإِيمَانِ .  
فَانْطَلَقَ عَثْمَانُ فَمَرَّ عَلَى قَرِيْشٍ يَبْلُذُ فَقَالُوا : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَقَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ  
أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ وَيُخْبِرُكُمْ أَنَّنَا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالٍ وَإِنَّمَا جِئْنَا عُمَرَاءَ ، فَقَالُوا :  
قَدْ سَمِعْنَا مَا تَقُولُ فَاَنْفِذْ بِحَاجَتِكَ ، وَقَامَ إِلَيْهِ أَبَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَرَحَّبَ بِهِ  
وَأَسْرَجَ قَرَسَهُ فَحَمَلَ عَثْمَانُ عَلَى الْفَرَسِ وَأَجَارَهُ ، وَأَرْدَفَهُ أَبَانُ حَتَّى جَاءَ مَكَّةَ ،  
وَاخْتَلَطَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَشْرِكِينَ ؛ فَرَمَى رَجُلٌ مِنْ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ رَجُلًا مِنَ الْفَرِيقِ  
الْآخَرِ وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ ؛ فَتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ وَالْحِجَارَةِ ، وَصَاحَ الْفَرِيقَانِ كِلَاهُمَا ،  
وَارْتَهَنَ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِنِ فِيهِمْ ، وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ  
وَسَلَّمَ أَنَّ عَثْمَانَ قَدْ قُتِلَ ، فَدَعَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَسَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى أَنْ  
لَا يَفْرُوا ، وَلَمَّا تَمَّتِ الْبَيْعَةُ رَجَعَ عَثْمَانُ ، فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ : اسْتَغْنَيْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ  
مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ ، فَقَالَ : بَشَأَ ظَنَنْتُمْ ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ مَكُنْتُ بِهَا سَنَةً  
وَرَسُولُ اللَّهِ مَقِيمٌ بِالْحَدِيثِ مَا طَفْتُ بِهَا حَتَّى يَطُوفَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَقَدْ دَعَتْنِي  
قَرِيْشٌ إِلَى الطَّوَافِ فَأُتِيتُ ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : رَسُولُ اللَّهِ كَانَ أَعْلَمَ مِنَّا بِاللَّهِ ، وَكَانَ  
رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ عَثْمَانُ : خَلَصَ عَثْمَانُ قَبْلَنَا إِلَى الْبَيْتِ  
وَطَافَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « مَا أَظْنُّهُ طَافَ بِالْبَيْتِ » ، وَكَانَ عَمْرٌ أَخَذَ بِيَدِ  
رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَبَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ إِلَّا الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ أَخُو بَنِي  
سَلَمَةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خَزَاعَةَ - وَكَانُوا عَيْبَةً  
نُصِّحَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةٍ - فَقَالَ : إِنِّي تَرَكْتُ  
كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا عِدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيثِ ؛ مَعَهُمُ الْعَوْدُ الْمَطَافِيلُ  
وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ؛  
وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ ، فَإِنْ شَاءُوا مَا زِدْتَهُمْ ، وَيَخْلُؤُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَإِنْ  
شَاءُوا دَخَلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا ، وَإِنْ أَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي أَوْ لَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ ، قَالَ بَدِيلُ :  
سَأُبْلَغُهُمْ مَا تَقُولُ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَى قَرِيشًا فَقَالَ : إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا  
الرَّجُلِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ قَوْلًا ، فَإِنْ شِئْتُمْ عَرَضْتُهُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ لَنَا  
فِيهِ ، وَقَالَ ذُوو الرِّأْيِ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ  
عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ : إِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطْبَةً رَشِيدًا فَاقْبَلُوهَا وَدَعُونِي  
آتِيهِ ، فَقَالُوا : آتِيهِ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِبَدِيلٍ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ :  
أَيُّ مُحَمَّدٍ ! أَرَأَيْتَ لَوْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاكَ أَهْلَهُ  
قَبْلَكَ ؛ وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى وَجُوهًا وَأَرَى أُوبَاشًا مِنَ النَّاسِ خُلِقُوا  
أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعَوْكَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : امْصُصْ بَطْرَ اللَّاتِ ! أَنْجُنْ نَفْسَهُ عَنْهُ  
وَنَدَعُهُ ؟ قَالَ : مَنْ ذَا ؟ قَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، قَالَ : أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا يَدُ  
كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجُزِكَ بِهَا لِأَجِبَتِكَ ، وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَرْمِقُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ،  
قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَنْخَمُ النَّبِيَّ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعْتَ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ  
وَجَلَدَهُ ، وَإِذَا أَمْرُهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَانُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضْئِهِ ، وَإِذَا  
تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يَحْدُثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ . فَرَجَعَ عُرْوَةُ  
فَقَالَ : أَيُّ قَوْمِي ! وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ؛ عَلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِي ،  
فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكًا يَعِظُمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يَعِظُمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وَقَدْ عَرَضَ  
عَلَيْكُمْ خُطْبَةً رَشِيدًا فَاقْبَلُوهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ : دَعُونِي آتِيهِ ، فَقَالُوا :  
آتِيهِ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « هَذَا كُرْزُ بْنُ حَفْصِ  
رَجُلٍ فَاجِرٍ » فَبَيْنَمَا هُوَ يَكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، فَقَالَ النَّبِيُّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ سَهَّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ » فَقَالَ : هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا  
وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا ، فَدَعَا الْكَاتِبَ وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : « اكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ  
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فَقَالَ سَهِيلُ : أَمَّا الرَّحْمَنُ فَمَا نَدْرِي مَا هُوَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ : بِاسْمِكَ  
اللَّهُمَّ ، ثُمَّ قَالَ : « اكْتُبْ هَذَا مَا قَضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » فَقَالَ سَهِيلُ : وَاللَّهِ

لو كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ ، وَلَكِنْ اكْتُبْ :  
 مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَبْتُونِي » فَقَالَ : اكْتُبْ  
 مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : « عَلَى أَنْ تُخْلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتُطَوَّفَ بِهِ » ،  
 فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أَخَذْنَا ضُعْطَةً ، وَلَكِنْ ذَاكَ مِنَ الْعَامِ  
 الْمَقْبَلِ ، فَكُتِبَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : عَلَى أَنْ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ  
 إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَيْفَ يَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ  
 مُسْلِمًا ؟ ! فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلٍ يَرْسِفُ فِي قَيْوَدِهِ قَدْ خَرَجَ  
 مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ ظَهْوَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سُهَيْلٌ : هَذَا يَا مُحَمَّدُ  
 أَوَّلُ مَا أَقَاضِيكَ عَلَيْهِ عَلَى أَنْ تَرُدَّهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ : « إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدَ »  
 فَقَالَ : وَاللَّهِ إِذْنِ لَا أَقَاضِيكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :  
 « فَأَجِزْهُ لِي » قَالَ : مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ ، قَالَ : « بَلَى فَاغْلُظْ » قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ،  
 قَالَ مَكْرُزٌ : بَلَى قَدْ أَجْزَنَاهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ : « قَوْمُوا  
 فَاغْمُرُوا ثُمَّ احْلِقُوا » فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، حَتَّى قَالَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ ،  
 فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : أَتَحِبُّ ذَلِكَ ؟  
 أَخْرَجَ ثُمَّ لَا تَكَلِّمُ أَحَدًا كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرُ بُذْنُكَ وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلُقَكَ ، فَقَامَ  
 وَخَرَجَ وَلَمْ يَكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى نَحَرَ بَدَنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ قَامُوا  
 وَغَمَرُوا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَفِي مَرْجِعِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا  
 مُبِينًا ﴾ [ الفتح ١/٤٨ ] إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ . فَقَالَ عُمَرُ : أَوْفَتْحَ هُوَ  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ! قَالَ : « نَعَمْ » ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ : هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛  
 فَالْنَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ... » [ الفتح  
 ٤/٤٨ ] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .

وَجَرَى الصُّلْحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ مَكَّةَ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سَنِينَ ، وَأَنْ  
 يَأْمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُمْ ذَلِكَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامُ



المقبل قديمها وخلّوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاثاً ، وأن لا يدخلها إلا بسلاح  
الراكب والسيوف في القرب ، وأن من أتانا من أصحابك لم نردّه عليك ، ومن  
أتاك من أصحابنا رددته علينا ، وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال  
ولا إغلال ، فقال الصحابة : نعطيهم هذا ؟ فقال : « من أتاهم منا فأبعده الله ،  
ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجاً ومخرجاً » .

وَأُصْدَقَ اللَّهُ تَعَالَى وَعُودُهُ      بنصره نبيُّه وَجُنُودُهُ  
بِفَتْحِ خَيْرِ عَقِيبِ الصَّلَاحِ      فَيَأْلَهُ مِنْ مَغْنَمٍ وَفَتْحِ

كان الله عز وجل قد وعد رسوله وهو في الحديبية بفتح خير في قوله :  
﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ [ الفتح ٢٠/٤٨ ] أي  
فتح خير ، ولما قدم رسول الله المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ، ثم  
خرج غازياً إلى خير ، وكان ذلك في السنة السابعة على الأصح ؛ وقيل : في  
السنة السادسة ، وكان عزمه إلى خير في شهر محرم ، فنزل رسول الله وإد في  
الرجيع بين خير وغطفان فتخوّف أن تقدّم غطفان ، فلما أصبح عدّا عليهم  
فحاصرهم حتّى أصابت المسلمين مخمصة شديدة ، ثم فتح الله عليهم ، فلما تصافّ  
القوم خرج إليهم مرحّب اليهودي يخطّر بسيفه فقال :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرَ أَنِي مَرْحَبٌ      شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مَجْرُبٌ  
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهَبُ

فنزل عليه عامر بن الأكوع وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرَ أَنِّي عَامِرٌ      شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُغَامِرٌ  
فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، فذهب عامر يسفل  
له ، وكان سيف عامر فيه قصر فرجع إليه ذباب سيفه فأصاب عين ركبته فمات

منه ، ولما كانت ليلة الدُخول قال رسول الله : « لأعطينَّ هذه الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسولَه ويحبّه الله ورسولُه ، يفتح الله على يديه ، كرار غير فرار » ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ؛ كلّهم يرجون أن يُعطاهَا ، فقال : « أين عليّ بن أبي طالب » فقالوا : يا رسول الله هو يشتكي عينيه ، قال : « فأرسلوا إليه » ، فأُتي به فبصق رسول الله في عينيه ودعا له فبرأ وكان لم يكن به وجعٌ ، فأعطاه الرّاية ، فقال : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلثاً ، قال : « انقذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ؛ فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النّعم » ، فخرج مرحب وهو يقول :

أنا الذي سَمّني أُمي مَرَحَبٌ .....  
إلى آخر الأبيات ، فبرَزَ إليه عليّ وهو يقول :

أنا الذي سَمّني أُمي حَـدْرُهُ      وليث غابات كـريه المنظره  
أوفِيهم بالصّاع كيلَ السُّدْرَةِ<sup>(١)</sup>

فضرب عليّ مرحب ففلق هامته ، وكان الفتح ، ولما دنا عليّ من حصونهم اطلع يهودي من رأس حصن فقال : من أنت ؟ فقال : أنا عليّ بن أبي طالب ، فقال اليهودي : عَلَوْتُمْ وما أنزل على موسى ؛ هكذا في صحيح مسلم . وتحولت اليهود إلى قلعة الزُّبير ؛ حصن منيع في رأس قلة ، فأقام رسول الله ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود يُقال له عَزَال فقال : يا أبا القاسم إنك لو أقت شهرأ ما بالوا ؛ إنَّ لهم شراباً وعيوناً تحت الأرض يَخْرُجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك ، وإن قطعت عليهم مشربهم أصبحوا لك ، فسار رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى مائهم فقطعه عليهم ، فلما قُطع عليهم خرجوا فقاتلوا أشدَّ القتال ، وقُتِل من المسلمين نفر ، وأصيب نحو

(١) معناه اقتل الأعداء قتلاً واسعاً ذريعاً . والسندرة : مكيال واسع .

عشرة من اليهود ، وفتح رسول الله ، ثم تحوّل رسول الله إلى أهل الكتيبة والوطيح والسلام - حصن ابن أبي الحقيق - فتحصّن أهله أشدّ تحصّن ، وجاءهم كلّ قلّ كان انهزم من النّطاة والشّق ، فإنّ خير كانت جانبيين ؛ الأوّل الشّق والنّطاة - وهو الذي استفتحه أولاً - بجانب ، والثاني الكتيبة والوطيح والسلام ، فجعلوا لا يخرجون من حصونهم حتى همّ رسول الله أن ينصبّ عليهم المنجنيق ، فلما أيقنوا بالهلكة ، وقد حاصرهم رسول الله أربعة عشر يوماً ، سألوا رسول الله الصّلاح ، وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله : أنزل فأكلّمك ، فقال رسول الله : « نعم » ، فنزل ابن أبي الحقيق فصالح رسول الله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذّرية لهم ، ويخرجون من خير وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة إلاّ ثوباً على ظهر إنسان . فقال رسول الله : « وبرئت منكم ذمّة الله وذمّة رسوله إن كتمتوني شيئاً » ، فصالحهم رسول الله على ذلك ، فغيّبوا مسكاً كان فيه مال وحلي لحى بن أخطب كان احتمله معه إلى خير . فقال رسول الله لعمّ حي بن أخطب : « ما فعل مسك حي الذي جاء به من النّضير ؟ » قال : أذهبت النّفقات والحروب ، فقال رسول الله : « العهد قريب والمال أكثر من ذلك ! » فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الزبير فسّه بعذاب وقد كان قبل ذلك دخل خربة ، فقال : قد رأيت حيّاً يطوف في خربة هاهنا ، فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ابنيّ أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفيّة بنت حي بن أخطب ، وسبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءهم وذريتهم وقسم أموالهم بالنكث الذي نكثوا ، وأراد رسول الله أن يجعلهم منها ، فقالوا : يا محمد دعنا نكُنّ في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم ، فأعطاهم خير على أن لهم الشّطر من كلّ زرع وكلّ ثمر ما بدا لرسول الله أن يقرّهم ، وكان عبد الله بن رّاحة يخرصه عليهم ، وسبى رسول الله صفيّة بنت حي بن أخطب وابنة عمتها ؛ وكانت عروساً تحت

كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، فَأَمَرَ بِلَالاً أَنْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى رَحْلِهِ ، فَمَرَّ بِهَا بِلَالٌ وَسَطَّ الْقَتْلَى ، فَكَرِهَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ : « أَذْهَبْتُ مِنْكَ الرَّحْمَةُ يَا بِلَالُ ؟ » وَعَرَضَ عَلَيْهَا الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمَتْ ، فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ وَأَعْتَقَهَا وَجَعَلَ عَتَقَهَا صَدَاقَهَا ، وَبَنَى بِهَا فِي الطَّرِيقِ وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرَ عَلَى سِتَّةِ وَثَلَاثِينَ سَهْماً ، وَعَزَلَ النِّصْفَ مِنْ ذَلِكَ لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ . فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُهُ وَمَعَهُمُ الْأَشْعَرِيُّونَ .

وَبَعَثَهُ بَعَثُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى نَجْدٍ سَبَى مِنْ أَهْلِهَا وَقَتَلَ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَقْدَمِهِ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى شَوَّالٍ ، وَبَعَثَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ السَّرَايَا ، فَفَنَهَا سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ إِلَى نَجْدٍ ، قَبْلَ بَنِي فِزَارَةَ ، وَمَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، فَوَقَعَ فِي سَهْمِهِ جَارِيَةٌ حَسَنَاءُ فَاسْتَوْهَبَهَا مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَفَادَى بِهَا أَسْرَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَبَعَثَهُ نَحْوُ هَوَازِنَ عُمَرَ فَنَذَرُوا بِهِ فَلَمْ يَبْقَ نَفَرٌ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِباً نَحْوُ هَوَازِنَ ، فَجَاءَهُمُ الْخَبَرُ ، فَهَرَبُوا ، وَجَاءَ مُحَالِّمُهُمْ فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَداً فَانصَرَفَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ الدَّلِيلُ : هَلْ لَكَ فِي جَمْعٍ مِنْ خَثْعَمٍ جَاءُوا سَائِرِينَ وَقَدْ أَجْدَبَتْ بِلَادُهُمْ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَمْ يَأْمُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ بِهِمْ ، وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُمْ .

وَابْنُ رُوَاحَةَ الْهَزْبِيُّ الضَّرْغَامُ بَعَثَ فِي قَتْلِ الْبَشِيرِ بْنِ وَارَامٍ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رُوَاحَةَ فِي ثَلَاثِينَ رَاكِباً فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسٍ إِلَى الْبَشِيرِ<sup>(١)</sup> بْنِ رَارَامٍ الْيَهُودِي ، فَإِنَّهُ بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ يَجْمَعُ غُطَفَانِ لِيَغْزَوْهُ بِهِمْ ، فَأَتَوْهُ بِخَيْرٍ فَقَالُوا : أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ

(١) هكذا في زاد المعاد .

ليستعملك على خير ، فلم يَزَالُوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً ؛ مع كل رجل منهم رديف من المسلمين ، فلما بلغوا قَرْقَرَةَ يَنَارَ<sup>(١)</sup> ، وهي من خير على ستة أميال ، قدم البشير فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس ففطن به عبد الله بن أنيس فزجر بعيره ثم اقتحم عن البعير يسوق القوم حتى إذا استمكن من البشير ضرب رجله فقطعها واقتحم البشير وفي يده مجرش من شوحط فضرب به وجه عبد الله فشجّه مأمومةً فانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله ، غير رجل من اليهود أعجزهم شداً ، ولم يُصب من المسلمين أحد ، وقدموا على رسول الله فبصق في شجّة عبد الله بن أنيس فلم تتقح ولم تؤذه حتى مات .

إلى بني مرّة بَعَثَ بَشِيرَ<sup>(٢)</sup> قد قاتلهم فارتث

أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشيرَ بن سعد الأنصاري إلى بني مرّة بفدك في ثلاثين رجلاً ، فخرج إليهم فلقي رعاء الشاء ، فاستاق الشاء والنعم ورجع إلى المدينة فأدركه الطلب عند الليل ، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه فولّى منهم ولّى وأصيب منهم من أصيب ، وقاتل بشير قتالاً شديداً ورجع القوم بنعمهم وشائهم ، وتحامل بشير حتى انتهى إلى فدك ، فأقام عند يهودي حتى برئت جراحة فرجع إلى المدينة .

وبعثه أيضاً إلى الحرقات مما رواه حافظ الرواة

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريه إلى الحرقات من جهينة وفيهم أسامة بن زيد ، فلما دنا منهم بعث الطلائع ، فلما رجعوا بنحبرهم أقبل حتى إذا دنا منهم ليلاً وقد اجتمعوا وهدأ وأقام خطيباً في أصحابه ، ثم رتبهم وقال لهم : إذا كبرت فكبروا وجردوا السيوف ثم كبروا ، وحملوا حملة واحدة وأحاطوا بالقوم

(١) هكذا في زاد المعاد .

(٢) هو بشير بن سعد الأنصاري .

وأخذتهم سيوف الله ؛ فهم يضعونها حيث شأؤوا ، وشعارهم : أَمِتْ أَمِتْ ، وخرج أسامة في إثر رجل منهم - يُقال له : نُهَيْك بن مرداس - فلما دنا منه وَلَحَمَهُ بالسيف قال : لا إله إلا الله ، فقتله ، ثم استاقوا الشاء والنعم ، وكانت سُهْمَانُ عشرة أبعة ؛ لكل رجلٍ أو عدلها من النعم ، فلما قدموا على رسول الله أُخْبِرَ بما صنع أسامة فكَبَّرَ ذلك عليه وقال : « أَقْتَلْتَهُ بعدما قال لا إله إلا الله » ، قال : إنما قالها متعوذاً ، فقال : « هَلَّا شَقَقْتَ عن قلبه ، قال من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » وما زال يكرّر ذلك عليه حتّى تمنّى أن يكون أسلم ذلك اليوم ، وقال : يا رسول الله أعطني الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بعدي » ، فقال أسامة : بعدك .

وبعثه إلى الكدير غالباً      فنال مارامَ وعادَ غالباً

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غالب بن عبد الله الكلبي إلى بني المُلَوَّح بالكديد ، وأمره أن يغير عليهم ، قال ابن إسحاق : حدّثني يعقوب بن عتبة عن مسلم بن عبد الله الجهني عن جُنْدَب بن مكيث الجُهَني قال : كنت في سريته فمضينا حتّى إذا كنا بقديد لقينا به الحارث بن مالك بن البرصاء اللّيثي فأخذناه فقال إنّها جئت لأسلم ، فقال غالب بن عبد الله : إن كنت إنّما جئت لتسلم فلا يضرك رباط يوم وليلة ، وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك ، فأوثقه رباطاً وخلف عليه رَوْجِلاً أسود وقال له : امكث معه حتّى نمرّ عليك ، فإذا نازعك فحزّ رأسه ، فمضينا حتّى أتينا بطن الكديد ، فنزلنا عشية بعد العصر ، فبعثني أصحابي إليه ، فعمدت إلى تل ليطلعني على الحاضر فانبطحت عليه ، وذلك قبل غروب الشمس فخرج رجلٌ منهم فنظر فرآني منبطحاً على التلّ فقال لامرأته : إنّني لأرى سواداً على هذا التلّ ما رأيته في أول النهار فانظري لاتكون الكلاب اجترّت بعض أوعيتك ، فنظرت فقالت : والله لا أفقد شيئاً ، قال : فناوليني قوسي وسهمين من نبلي ، فناولته ، فرماني بسهم فوضعه في جني

فنزعتة فوضعتة ولم أتحرك ، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكمي فنزعتة ولم أتحرك ، فقال لامراته : أما والله لقد خالطه سهمي ، ولو كان راقداً لتحرك ، فإذا أصبحت فابتغي سهمي فخذبيها لاتضعهما الكلاب ، قال : فأمهلنا حتى إذا راحت رائحتهم وروائحهم احتلبوا وسكتوا وذهبت عمة من الليل شننا عليهم الغارة ، فقتلنا من قتلنا واستقنا النعم ، فوجهننا قافلين به ، وخرج صريخهم إلى قومهم ، وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن مالك وصاحبه ، فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس فجاءنا ما لا قبل لنا به ؛ حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قديد أرسل الله تعالى من حيث شاء سيلاً والله مارأينا قبل ذلك مطراً ، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقوم عليه ؛ فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يقدم ونحن نحدرها ، فذهبنا سراعاً حتى أسندناها في المشلل ثم حدرناها عنه فأعجزنا القوم بما في أيدينا .

وذكروا من بعد ذا بعث بشير قَبَلَ غَطَفَان وَيَانِعُم الأمير

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشير بن سعد الأنصاري عن مشورة أبي بكر وعمر عندما بلغه أن عيينة بن حصن يجمع من يَمَنٍ وغطفان وحيان لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعث ثلاث مئة رجل وأمرهم أن يسيروا الليل ويكنوا النهار ، وخرج معهم حسيل بن نويرة ، فساروا الليل وكنوا النهار حتى أتوا أسفل خير حتى دنوا من القوم ، فأغاروا على سرحهم ، وبلغ الخبر جميعهم فتفرقوا ، فخرج بشير في أصحابه حتى أتى محالهم فوجدها ليس بها أحد ، ورجع بالنعم فلما كانوا بسلاح لقوا عينا لعيينة فقتلوه ، ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم ، فناوشوهم ثم انكشف جمع عيينة فتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأصابوا منهم رجلين ، فقدموا بها على النبي فأسلما فأرسلها .

وَالْأَسْلَمِيُّ بَعَثَهُ قَدْ اشْتَهَرَ فَنَصَرُوا وَهُمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبَا حُدْرَدٍ الْأَسْلَمِيَّ فِي سَرِيَّةٍ  
عِنْدَمَا بَلَغَهُ أَنَّ قَيْسَ بْنَ رِفَاعَةَ أَقْبَلَ فِي عِدَدٍ كَثِيرٍ حَتَّى نَزَلُوا بِالْغَابَةِ ، يَرِيدُ أَنْ  
يَجْمَعَ قَيْسًا عَلَى مُحَارِبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ :  
« اخْرَجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبِيرٍ وَعِلْمٍ » فَقَدِمَ إِلَيْنَا شَارِفًا عَجْفًا ،  
فَحَمَلَ عَلَيْهَا أَحَدُنَا ، فَوَاللَّهِ مَا قَامَتْ بِهِ ضَعْفًا حَتَّى دَعَمَهَا الرَّجَالُ مِنْ خَلْفِهَا  
بَأَيْدِيهِمْ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ وَمَا كَادَتْ ، وَقَالَ : « تَبَلَّغُوا عَلَى هَذِهِ » فَخَرَجْنَا وَمَعَنَا  
سِلَاحُنَا مِنَ النَّبْلِ وَالسُّيُوفِ ؛ حَتَّى إِذَا جِئْنَا قَرِيبًا مِنَ الْحَاضِرِ كُنْتُ فِي نَاحِيَةٍ عِنْدَ  
غُرُوبِ الشَّمْسِ وَأَمَرْتُ صَاحِبِيَّ فَكُنَّا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ ، وَقُلْتُ  
لَهُمَا : إِذَا سَمِعْتَانِي كَبُرْتُ وَشَدِدْتُ فِي الْعَسْكَرِ فَكَبِّرَا وَشُدَّ مَعِيَ ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّا كَذَلِكَ  
نَنْتَظِرُ أَنْ نَرَى غِرَّةً وَقَدْ غَشِينَا اللَّيْلَ ، وَكَانَ لَهُمْ رَاعٌ أَبْطَأَ عَلَيْهِمْ وَتَخَوَّفُوا عَلَيْهِ ،  
فَقَامَ صَاحِبُهُمْ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَجَعَلَهُ فِي عُنْقِهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا تَبِيعُنَ أَثَرُ  
رَاعِينَا ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَتْ شَرٌّ ، فَقَالَ نَفَرٌ مِنْ مَعِهِ : وَاللَّهِ لَا تَذْهَبُ حَتَّى نَكْفِيكَ ،  
فَقَالَ : لَا يَذْهَبُ إِلَّا أَنَا ، قَالُوا : وَنَحْنُ مَعَكَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَتْبَعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ ،  
وَخَرَجَ حَتَّى مَرَّ بِي ، فَلَمَّا أَمَكَّنِي نَفَحْتُهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعْتُهُ فِي فُؤَادِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمُ ،  
فَوُثِّبْتُ إِلَيْهِ فَحَزَزْتُ رَأْسَهُ ، ثُمَّ شَدِدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ وَكَبُرْتُ ، وَشُدَّ صَاحِبَايَ  
فَكَبِّرَا ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا النَّجَاءُ بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَمَا خَفَّ  
مِنْ أَمْوَالِهِمْ ، وَاسْتَقْنَا إِبِلًا عَظِيمَةً وَغَنًا كَثِيرَةً فَجِئْنَا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَجِئْتُ بِرَأْسِهِ  
أَحْمَلَهُ مَعِيَ ، فَأَعْطَانِي مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَعِيرًا .

وَأَمَرَ السَّهْمِيُّ لَمَّا بَعَثَ أَصْحَابَهُ أَمْرًا رَأَوْهُ عَبَثًا  
أَنْ يُوقِدُوا نَارًا تُطَايِرُ الشَّرَّ وَيَدْخُلُوهَا فَعَصَوْا مَا قَدَّمَ أَمْرُ  
بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حِذَافَةَ السَّهْمِيَّ فِي



سرية وأمر أصحابه أن يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوهُ ، فأغضبوه في شيء فقال : اجمعوا لي حطباً ؛ فجمعوا ، فقال : أوقدوا ناراً ، فأوقدوا ، ثم قال : ألم يأمركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فادخلوها ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله من النار ، فسكن غضبه ، فلما قدموا على رسول الله ذكروا له ذلك ، قال : « لو دخلوها ماخرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف » .

وكانَ في القعدةِ عمرةُ القضا كما انطوى الصلح عليه وانقضى

كانت العمرة هذه سنة سبع في ذي القعدة ، وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن المسجد الحرام ؛ حتى إذا بلغ ياجج وضع الأدوات كلها ؛ الحَجَفَ والمِجَان والنبل والرماح ، ودخلوا في سلاح الراكب ؛ السيوف ، وبعث رسول الله جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن العامرية فخطبها إليه ، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب ، وكانت أختها أم الفضل تحته فزوَّجها العباس رسول الله ، فلما قدم رسول الله أمر أصحابه فقال : « اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ، ليرى المشركون جَلَدَهُم وقوتهم ، وكان يكابدهم بكما استطاع ، فوقف أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ، وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله يرتجز متوشحاً بالسيف يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله	قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسولـه	يأرب إني مؤمن بـقـيـلـه
إني رأيت الحق في قبـولـه	اليوم تقريكم على تـأوـيلـه
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

وتعيب رجال من المشركين أن ينظروا إلى رسول الله حنقاً وغيظاً ، فأقام

رسول الله في مكة ثلاثاً ، فلما أصبح من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورسول الله في مجلس الأنصار ، فصاح حويطب : نناشدك الله والعقد لما خرجت من أرضنا فقد مضت الثلاث ، فقال سعد : كذبت لأم لك ليست بأرضك ولا بأرض آبائك ؛ والله لا نخرج ، ثم نادى رسول الله حويطب وسهيل فقال : « إني قد نكحت منكم امرأة فما يضركم أن أمكث حتى أدخل بها ونصنع الطعام ، فنأكل وتأكلون معنا » فقالوا : نناشدك الله والعقد إلا خرجت عنا ، فأمر رسول الله أبا رافع فأذن بالرحيل ، وركب رسول الله حتى نزل بطن سرف ، فأقام بها وخلف أبا رافع ليحمل ميمونة إليه حين يسي ، فأقام حتى قدمت ميمونة ومن معها وقد لقوا عناءً وأذىً من سفهاء قريش وصبيانهم ، فبنى بها في سرف ، ثم أدلج حتى قدم المدينة ، وقدّر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وغزوة مؤتة بأرض البلقاء      الدمع عند ذكرها لا يرقى  
زيد وجعفر هناك استشهدا      وابن رواحة فنعم الشهدا

في جمادى الأولى سنة ثمان كانت غزوة مؤتة ، وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى ملك الروم أو بصرى ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الفسائي ، فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره فاشتد ذلك عليه فبعث البعث واستعمل عليه زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب جعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة » فتجهّز الناس ؛ وهم ثلاثة آلاف نفر ، ثم مضوا حتى نزلوا معان ، فبلغ الناس أن هرقل في البلقاء في مئة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام وبلقين ويليّ وبهراء ثلاث مئة ألف ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله فنخبره بعدد عدونا ؛ فإما أن يعذتنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمره

فنفضي له ، فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال لهم : يا قوم والله إنَّ التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما تقاتل الناس بعددٍ ولا قوَّة ولا كثرة ؛ ما نقاتلهم إلَّا بهذا الدين الذي أكرمنا به الله ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين ؛ إما ظفرٌ وإما شهادة ، فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم الجموع بقرية يقال لها مشارفٌ ، فدنا العدو وانحاز المسلمون إلى مؤتة فالتقى الناس بعدها فتعباً المسلمون ، ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة فلم يزل يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخرَّ صريعاً وأخذها جعفر ، فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعفرها ثم قاتل فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره ، فقطعت يساره ، فاحتضن الراية حتى قُتل ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة وتقدَّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردَّد بعض تردَّد ثم نزل فاتاه ابن عمُّ له بعرق من لحم فقال : شدَّ بهذا صلبك فإنك قد لقيت في أيامك هذه مالقيت ، فأخذها من يده فانتهس منه نهسةً ، ثم سَمِعَ الحُطمة في ناحية الناس ، ثم ألْقاه من يده ، ثم أخذ سيفه وتقدَّم وقاتل حتى قُتل ، ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت . فقال : ما أنا بفاعلٍ ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية واقع القوم وحاش بهم وانحاز بالمسلمين وانصرف بالناس ، وأطلع الله رسوله على ذلك من يومهم ذلك ، فأخبر به أصحابه وقال : « لَقَدْ رَفَعُوا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ ، فَمَا يَرَى النَّائِمُ ، عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَرَأَيْتَ فِي سَرِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ أَزْوَاراً عَنْ سَرِيرِي صَاحِبِيهِ ، فَقُلْتُ : عَمَّ هَذَا ؟ فَقِيلَ لِي : مُضِيَا وَتَرَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ بِعَظْمِ التَّرَدُّدِ » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جَعْفَرٍ : « إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ » وقال ابن عمر : وجدنا بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح .

وَبَعَثَهُ عَمْرَأً إِلَى السَّلَاسِلِيِّ فِي سَادَةِ الصَّحَابَةِ الْأَفْضَلِ

كانت غزوة ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ثمان ، وسببها أن رسول الله بلغه أن جمعاً من قضاة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة فدعا رسول الله عمرو بن العاص وبعثه في ثلاث مئة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرساً ، وأمره أن يستعين بمن مرَّ به من بلاد عذرة وبلقين ، فسار الليل وكَمَنَ النهار ، فلما قَرَّبَ مِنَ الْقَوْمِ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعاً كَثِيراً فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثَ الْجُهَنِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَمِدُّهُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي مِائَتَيْنِ وَعَقَدَ لَهُ لَوَاءً وَبَعَثَ لَهُ سِرَاةَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمْرٍو وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعاً وَلَا يَخْتَلِفَا ، فَلَمَّا لَحِقَ بِهِ أَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يُؤَمَّ النَّاسَ ، فَقَالَ عَمْرٍو : إِنَّمَا قَدِمْتَ عَلَيَّ مَدَدًا وَأَنَا الْأَمِيرُ ، فَأَطَاعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَكَانَ عَمْرٍو يَصْلِي بِالنَّاسِ ، وَسَارَ حَتَّى وَطِئَ بِلَادَ قِضَاعَةَ فَدَوَّخَهَا حَتَّى أَتَى إِلَى أَقْصَى بِلَادِهِمْ وَلَقِيَ فِي آخِرِ ذَلِكَ جَمْعاً ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَتَفَرَّقُوا ، وَبَعَثَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ بِرَيْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُخْبِراً لَهُ بِقُفُولِهِمْ وَسَلَامَتِهِمْ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ نَزُولَهُمْ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ السَّلْسَلُ ، وَبِذَلِكَ سَمِيَتِ الْغَزْوَةُ ذَاتَ السَّلَاسِلِ .

وبعثه أيضاً سرية الحَبَطُ قيل وفي تأريخها بعض غلط

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة بن الجراح في رجب سنة ثمان في ثلاث مئة رجل من المهاجرين والأنصار وفيهم عمر بن الخطاب إلى حي من جهينة مما يلي ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمس ليال ، وذلك ترصداً لغير قريش ، فأصابهم في الطريق جوع شديد فأكلوا الحَبَطَ ، وألقى إليهم البحر حوتاً عظيماً يقال له العنبر ، فأكلوا من الحوت نحو نصف شهر وأدّهنوا منه حتى رجعت إليهم أجسامهم ، وأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنظر إلى أطول رجل في الجيش وأطول جمل فحمل عليه ومَرَّ تَحْتَهُ فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : « هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ

تُطعمونا » فأرسلوا إليه منه فأكل منه ، قال ابن القيم : وهذا السياق يدل على أن هذه الغزوة كانت قبل الهدنة وقبل عمرة الحديبية ، فإنه من حين صالح أهل مكة بالحديبية لم يَكُنْ يرصد لهم غيراً بل كان زمان أمن وهدنة إلى حين الفتح ، ويبعد أن تكون سرية الخطب على هذا الوجه مرتين مرة قبل الصلح ومرة بعده والله أعلم .

وفي سرية سرت إلى إضمّ محلّم عدا على من سلّم

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية إلى إضمّ ، وكان فيهم أبو قتادة ومحلّم بن جثامة في نفر من المسلمين ، فرهب عامر بن أضيظ الأشجعي على قعود له فسلّم عليهم بتحية الإسلام فأمسكوا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ، فلما قدموا على رسول الله أخبروه الخبر فنزل فيه القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [ النساء ٩٤/٤ ] . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقتلته بعد أن قال آمنت بالله ؟ ! » وهذه الغزوة الظاهر أنها قبل خيبر لما روي أنه في عام خيبر جاء عيينة بن بدر يطالب بدم عامر بن الأضيظ وهو سيد قيس ، وكان الأقرع بن حابس يرد عن محلم وهو سيد خندف ، فقال رسول الله لقوم عامر : « هل لكم أن تأخذوا منا الآن خمسين بعيراً وخمسين إذا رجعنا إلى المدينة » فقال عيينة بن بدر : والله لأدعهم حتى أذيق نساءه من الحزن مثل ما ذاق نسائي ، فلم يزل به حتى رَضُوا بالدية فجاءوا بمحلم يستغفر له ، فقال لما قام بين يديه : « اللهم لا تغفر لمحلم » - قالها ثلاثاً - فقام وإنه ليتلقى دموعه يطرف ثويه ، وقيل إنه مات فلفظته الأرض بعد قبره ، فقال رسول الله : « إنها تتقبل من هو شر منه ولكن يريكم الله آياته » قال ابن إسحاق : وزعم قومه أنه استغفر له بعد ذلك .

وبعد هذا غزوة الفتح التي غلبها الشرك بها تحلت

وأشرق الدين بها ابتهاجاً والناس فيه دخلوا أفواجاً  
غزوة الفتح الذي أعز الله به دينه ورسوله واستنقذ به بلده وبيته الذي  
جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين ، وهو الفتح الذي استبشر به  
أهل السماء ، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً ، وأشرق به وجه الأرض ضياءً  
وابتهاجاً ، خرج له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتائب الإسلام وجنود  
الرحمن سنة ثمان لعشر مضت من رمضان ، وكان السبب أن بني بكر بن  
عبد مناف بن كنانة - وكانوا موالين لقريش - عدت على خزاعة - وهم موالون  
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - على ماء يقال له الوثير . فبغتهم وقتلوا  
منهم ، وكان عندما وقع صلح الحديبية بين رسول الله وبين قريش أنه من أحب  
أن يدخل في عقد رسول الله وعهده فعل ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش  
وعهدهم فعل ، فلما استمرت الهدنة اغتتها بنو بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا  
منهم ثأراً قديماً ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في جماعة من بني بكر فبيت  
خزاعة فأصابوا منهم رجالاً ، وأعانتهم قريش بالسلاح ، وقاتل معهم مستخفياً  
من قاتل ؛ منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ؛  
حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يا نوفل إنا قد  
دخلنا الحرم ؛ إلهك إلهك ، فقال كلمة عظيمة : لا إله له اليوم يا بني بكر ؛ أجيئوا  
ثأركم فلعمري إنكم لتشرقون في الحرم فلا تصيبوا ثأركم ، فلما دخلت خزاعة مكة  
لجئوا إلى دار بُديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع ، ويخرج  
عمر بن سالم الخزاعي حتى قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس  
في المسجد بين أصحابه فقال :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا      حَلَفَ أَيْنَا وَأَيُّهُ الْأَتْلَادَا  
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا      ثُمَّتَ أَسْمُنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا  
فَانصِرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرَ أَيَّدَا      وَادَعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فيهم رسول الله قد تجردا      أبيض مثل البدر ينو صعدا  
 إن شيم حشفاً وجهه تربدا      في فيلق كالبحر يجري مُزبداً  
 إن قريشاً أخلفوك الموعدا      وتقضوا ميثاقك المؤكدا  
 وجعلوا لي في كداء رُصداً      وزعموا أن لست تدعو أحداً  
 وهم أذل وأقل عدداً      هم يبتوننا بالوتير هجداً  
 وقتلونا رُكعاً وسجداً

يقول : قد قُتِلنا وقد أسلمنا ، فقال رسول الله : « نُصرتَ يا عمرو بن سالم »  
 ثم عرّضت سحابة لِرَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : « إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ تَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ »  
 ثم خرج بُدَيْلٌ فِي نَفَرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ فِيهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ ،  
 ثُمَّ وَصَلَ أَبُو سَفْيَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ ، فَحَاوَلَ ذَلِكَ  
 وَرَجَعَ خَائِباً ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ النَّاسَ بِالْجِهَادِ ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يُجَهِّزُوهُ ، فَدَخَلَ  
 أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ تُحَرِّكُ بَعْضَ جِهَازِ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : أَيُّ بُنَيَّةٍ ! أَمَرَكُنَّ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِتَجْهِيزِهِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِئِنَهُ  
 يَرِيدُ ؟ قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَعْلَمَ النَّاسَ بِأَنَّهُ سَائِرٌ إِلَى  
 مَكَّةَ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالتَّجْهِيزِ ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ خُذْ الْعِيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ  
 حَتَّى نَبْغِثَهَا فِي بِلَادِهَا » فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ، فَكَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى قُرَيْشٍ  
 كِتَاباً يُخَبِّرُهُمْ بِمَسِيرِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً وَجَعَلَ لَهَا جُعْلاً عَلَى أَنْ تُبَلِّغَهُ  
 قُرَيْشاً ، فَجَعَلَتْهُ فِي قُرُونٍ فِي رَأْسِهَا ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ ، وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ الْخَبَرَ مِنَ  
 السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبُ ، فَبَعَثَ عَلِيّاً وَالزَّيْبَرَ - وَقِيلَ الْمَقْدَادُ - فَقَالَ : « انْطَلِقَا  
 حَتَّى تَأْتِيَا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا طَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ إِلَى قُرَيْشٍ » فَانْطَلَقَا حَتَّى وَجَدَا  
 الْمَرْأَةَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ فَاسْتَنْزَلَاهَا وَقَالَا : مَعَكَ كِتَابٌ ، فَقَالَتْ : مَا مَعِيَ كِتَابٌ ،  
 فَفَتَّشَا رَحْلَهَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئاً ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَاضِي اللَّهِ عَنْهُ : وَاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ  
 وَلَا كَذَبْنَا ، وَاللَّهِ لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُجَرِّدَنَّكَ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّةَ مِنْهُ قَالَتْ :

أعرضا ، فأعرضا ، فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعتة إليهما ،  
فأتيا به رسول الله ، فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير  
رسول الله ، فدعا رسول الله حاطباً ، فقال : « ما هذا يا حاطب ؟ » قال :  
لا تعجل علي يا رسول الله : والله إني لمؤمن بالله ورسوله وما ارتددت ولا بدلت ،  
ولكني كنت امرأ ملصقاً في قريش لست من أنفسهم ، ولي فيهم أهل وعشيرة  
وولد ، وليس لي فيهم قرابة يحمونهم ، وكان من معك لهم قرابات يحمونهم ،  
فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ، فقال عمر بن  
الخطاب : دعني أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله وقد نافق ، فقال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنه قد شهد بدرأ وما يدريك يا عمر لعل  
الله قد اطلع على أهل بدر فقالوا اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فذرفت عينا عمر  
وقال : الله ورسوله أعلم .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو صائم وللناس صيام ؛ حتى  
إذا كانوا بالكديد أفطر وأفطر الناس معه ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران ومعه  
عشرة آلاف ، وعم الله الأخبار عن قريش فهم على وجل وارتقاب ، وكان  
أبو سفيان يخرج يتجسس الأخبار ، وخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن  
ورقاء يتجسسون الأخبار ، وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً  
مهاجراً فلقي رسول الله بالجحفة ، فلما نزل رسول الله مر الظهران نزله عشاءً  
فأمر الجيش فأوقدوا النيران فأوقدت عشر آلاف نار ، وجعل رسول الله عمر بن  
الخطاب على الحرس ، وركب العباس بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
البيضاء وخرج يلتس لعله يجد بعض الخطابة أو أحداً يخبر قريشاً ليخرجوا  
يستأمنون رسول الله قبل أن يدخلها الرسول غنوة ، قال : والله إني لأسير عليها  
إذ سمعتُ كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول :  
ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً ، قال : يقول : يُدِيل وهذه والله خراعة



حمشتها الحرب ، فيقول أبو سفيان : خَزَاعَةُ أَقْلٍ وَأَذْلٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا  
 وعسكرها ، قال : فعرفت صَوْتَهُ فَقُلْتُ : أبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبا  
 الفضل ؟ قلت : نعم ، قال : مالك فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : هذا  
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الناس ؛ واصباح قریش والله !! ، قال :  
 فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قلت : :: والله لئن ظَفَرُهَا لِيضْرِبَنَّ عُنُقَكَ فَارْكَبْ فِي  
 عَجْزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ فَاسْتَأْمَنْهُ لَكَ ، فركب خلفي ورجع  
 أصحابه ، قال : فجئت به ، فكلما مررت به على نارٍ من نيران المسلمين قالوا :  
 من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله وأنا عليها قالوا : عم رسول الله على بغلته ،  
 حتى مررتُ بنارِ عمر بن الخطاب فقال : من هذا ؟ وقام إليّ ، فلما رأى  
 أبا سفيان على عَجْزِ الدابة قال : أبو سفيان عدو الله ؟! الحمد لله الذي أمَكَّنَ مِنْكَ  
 بغير عَقْدٍ ولا عهد ، ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،  
 وَرَكَضْتُ بِالْبَغْلَةِ فَسَبَقْتُ فَاقْتَحَمْتُ عَنْ الْبَغْلَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، ودخل  
 عليه عمر فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه . قال : قلت :  
 يا رسول الله إني قد أجرتَه ، ثم جلست إلى رسول الله فأخذت برأسه فَقُلْتُ : والله  
 لا يناجيه الليلةَ أحدٌ دوني ، فلما أكثر عمر في شأنه قلت : مهلاً يا عمر ؛ فوالله لو  
 كان من رجال بني عدي ما قلت مثل هذا ! قال : مهلاً يا عباس ؛ فوالله  
 لإسلامك كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أفي قد عرفتُ أنَّ  
 إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله : « اذهب  
 به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به ، فذهبتُ ، فلما أصبحت غدوت به  
 إلى رسول الله ، فلما رآه رسول الله قال : « ويحك يا أبا سفيان ؛ ألم يَأْنْ لَكَ أَنْ  
 تعلم أنَّ لا إله إلا الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، لقد  
 ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعدُ ، قال : « ويحك يا أبا  
 سفيان ألم يَأْنْ لَكَ أَنْ تعلم أنَّي رسول الله ؟ » قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك

وأكرمك وأوصلك ؛ أمّا هذه فإنّ في النفس حتى الآن منها شيء ، فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك ، فأسلم وشهد شهادة الحق ، فقال : يا رسول الله ! إنّ أبا سفيان رجلاً يحب الفخر فاجعل له شيئاً ، قال : « نعم ؛ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن » وأمر العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خَطَم الجبل حتى تمرّ به جنود الله ، ففعل ، فمرّت القبائل على راياتها ؛ كلما مرت به قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سُلَيْم ، فيقول : مالي ولِسُلَيْم ، ثم تمرّ به القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مُزَيْنَة ، فيقول : مالي ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ؛ ما تمرّ بي قبيلة إلا سألتني عنها ، فإذا أخبرته قال : مالي ولبني فلان ؛ حتى مرّ به رسول الله في كتّيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ولا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، قال : سبحان الله ! يا عباس من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسولُ الله في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحدٍ بهؤلاء فعل ولا طاقة ، ثم قال : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سفيان إنها نبوة ، قال : فنعم إذن ، قال : فقلت النجاء إلى قومك .

وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادَة ، فلما مرّ بأبي سفيان قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحُرمة ، اليوم أذلّ الله قُريشاً ، فلما حاذى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان قال : يا رسول الله ألم تسمع ما قال سعد ؟ قال : « وما قال » فقال : كذا وكذا ، فقال : عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله ما نأمنُ أن يكون له في قريش صَوْلَةٌ ، فقال رسول الله : « بل اليوم يَوْمٌ تُعْظَمُ فيه الكعبة ، واليوم يومٌ أعزّ الله فيه قُريشاً » ثم أرسل رسول الله إلى سعد فنزع منه اللواء ، ودفعه إلى قيس بن سعد ، ورأى أنّ اللّواء لم يخرج عن سعد إذا صار إلى ابنه ، ومضى أبو سفيان حتى إذا جاء قريشاً صَرَخ بأعلى صوته :

يامعشر قريش ! هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبيل لكم به ؛ فمن دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : اقتلوا الحيت الدسم الأخمش الساقين قُبِّح من طليعة قوم ، قال : ويلكم ! لا تغرَّكم هذه مِنْ أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبيل لكم به ؛ مَنْ دَخَلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله وما تُغني عنا دارك ، قال : وَمَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن .

فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ، وصار رسول الله فدخل مكة من أعلاها ، ضَرَبَتْ له هنالك قبة ، وأمر رسول الله خالد بن الوليد أن يدخلها من أسفلها ، وكان على المجنبية اليمنى ؛ وفيها أسلُم وسلَّيْم وغِفَار ومُزِينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ، وكان أبو عبادة على الرُّجالة والذين لاسلاح معهم ، وقال لخالد ومن معه : « إِنَّ عَرَضَ لَكُمْ أَحَدٌ مِنْ قريش فاحصدوهم حَصْداً حتى توافوني على الصفا » فما عرض لهم أحد إلا أقاموه ، وتجمع سفهاء قريش وأخفاؤها مع عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمر بالخدمة ليقاتلوا المسلمين ، فلما لقيهم المسلمون ناوشوهم شيئاً من قتال ، وأصيب من المشركين اثنا عشر رجلاً ، ثم انهزموا ، ثم نهض رسول الله والمهاجرين والأنصار بين يديه وحوله حتى دخلوا المسجد ، فأقبل إلى الحجر الأسود واستلمه ، ثم طاف بالبيت وفي يده قوسٌ ، وحَوَّلَ البيت وعليه ثلاث مئة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما بالقوس ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إِنَّ الباطل كان زهوقاً ﴾ [ الإسراء ٤٨١/١٧ ] ﴿ جاء الحق وما يَبْدِئُ الباطل وما يُعِيدُ ﴾ [ سبأ ٤٩/٣٤ ] والأصنام تتساقط على وجوهها ، وكان طوافه على راحلته ، ولم يكن مُحَرِّماً يوماً ، فاقصر على الطواف ، فلما أكمله دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ، فأمرَ بها ففُتِحَتْ فرأى فيها الصور ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام ، فقال : « قاتلهم الله ! والله إن استقسما بها قط ورأى في الكعبة حمامة

من عيدان فكسرها بيده ، وأمر بالصُّورَ فَمُسِحَتْ ثم أغلق عليه الباب وعلى أسامة وبلال ، فاستقبل الجدار الذي يقابل الباب ، حتى إذا كان بينه وبينه قدرُ ثلاثة أذرع وقف وصلى هناك ، ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله ، ثم فتح الباب وقريش قد ملأت المسجد صفوفاً ينتظرون ماذا يصنع ، فأخذ بعضادتي الباب وهم تحتة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمي هاتين إلا سِدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ؛ مئة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها ، يامعشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ثم تلا هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ [ الحجرات ١٣/٤٩ ] إلى آخر الآية ، ثم قال : « يامعشر قريش ! ماترون آني فاعلُ بكم » . قالوا : خيراً ؛ أخ كريم ، وابن أخ كريم » ، قال : « فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [ يوسف ٩٢/١٢ ] : اذهبوا فإني لكم إخوتاه » ، ثم جلس في المسجد ، فقام إليه علي رضوان الله عليه ومفتاح الكعبة في يده فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية . فقال رسول الله : « أين عثمان بن طلحة ؟ » فدعي له ، فقال له : « هاك مفتاحك يا عثمان ؛ اليوم يوم برٍّ ووفاء » وأمر رسول الله بلالاً أن يصعد فيؤذن على الكعبة ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام وأشراف قريش جلوساً بفناء الكعبة ، فقال عتاب : لقد أكرم الله أسيداً أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ، فقال الحارث لو أعلم أنه حق لتبعته ، فقال أبو سفيان : والله لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرتني عني هذه الحصباء ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم : « قد علمت الذي قلتم » ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب :

نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحدَ كان معنا فنقولُ أخْبِرْكَ ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار أُمِّ هانئ بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثماني ركعات في بيتها ؛ وكان وقت الضحى .

وبعدَهَا غَزَا إِلَى حُنَيْنٍ فَعَادَ مِنْصُوراً قَرِيرَ عَيْنٍ

هذه الغزوة تسمى غزوة حنين وتسمى غزوة أوطاس ؛ وهما مَوْضِعَانِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، فَسَمِيَتِ الْغَزْوَةُ بِاسْمِ مَكَانِهَا ، وَتَسْمَى غَزْوَةُ هَوَازِنَ ؛ لِأَنَّهُمُ الَّذِينَ أَتَوْا لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَسَبَّبَهَا أَنَّ هَوَازِنَ لَمَّا سَمِعَتْ مَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ جَمَعَهَا مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّضْرِيُّ<sup>(١)</sup> وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَعَ هَوَازِنَ ثَقِيفٌ كُلُّهَا ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ مَضَرَ ، وَجِشْمُ كُلُّهَا ، وَسَعْدُ بْنُ بَكْرٍ ، وَنَاسٌ مِنْ بَنِي هَلَالٍ وَهُمْ قَلِيلٌ ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا مِنْ قَيْسِ عِيلَانَ إِلَّا هَؤُلَاءِ ، وَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْ هَوَازِنَ كَعْبٌ وَلَا كِلَابٌ ، وَفِي جِشْمٍ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا رَأْيُهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَفِي ثَقِيفٍ سِيدَانُ لَهُمْ ، وَفِي الْأَحْلَافِ قَارِبُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَفِي بَنِي مَالِكٍ سَبِيعُ بْنُ الْحَارِثِ وَأَخُوهُ أَحْمَرٌ ؛ وَجَمَاعُ أُمْرِ النَّاسِ إِلَى مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ ، فَلَمَّا أَجْعَلَ السَّيْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ سَاقَ مَعَ النَّاسِ نِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِأَوْطَاسٍ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَفِيهِمْ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ : « بَأَيِّ وَاِدٍ أَنْتُمْ ؟ » ، قَالُوا : بِأَوْطَاسٍ ، قَالَ : « نَعَمْ مَجَالُ الْخَيْلِ ؛ لَا حِزْنَ ضَرَسَ ، وَلَا سَهْلَ دَهَشَ ، مَا لِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ وَبِكَاءَ الصَّبِيِّ وَثَغَاءَ الشَّاةِ » قَالُوا : سَاقَ مَالِكُ مَعَ النَّاسِ نِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، قَالَ : « أَيْنَ مَالِكُ ؟ » قِيلَ : هَذَا مَالِكُ ، وَدُعِيَ لَهُ قَالَ : « يَا مَالِكُ ! إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَئِيسَ قَوْمِكَ وَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ كَأَنَّ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَيَّامِ ، فَإِنِّي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَبِكَاءَ الصَّغِيرِ وَثَغَاءَ الشَّاءِ » . قَالَ : سَقَتِ مَعَ النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ :

(١) بالصاد المهملة بسنده إلى جده الأعلا نضر بن معاوية أسلم بعد غزوة الطائف وصحب وشهد القادسية .

قال : « وَلَمْ » قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقايل عنهم ، فقال : « راعي ضأن والله » قال : « وهل يردُّ المنهزم شيء » ثم قال مالك للناس إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدُّوا شدة رجل واحد ، وبعث عيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، قال : ويلكم ! ماشأنكم ؟ قالوا : رأينا رجلاً بيضاً على خيل بُلُق ؛ فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ماترى ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه ومعه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من أصحابه ، فلما استقبلوا وادي حنين وجَدوا القوم قد سَبَقُوهم إلى الوادي فكنوا لهم في شعابه وأجنابه ومضايقه وقد تَهَيَّؤُوا وأعدُّوا ، قال جابر بن عبد الله : فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتاب قد شدُّوا علينا شدة رجل واحد واستر الناس راجعين لا يلوي أحد منهم على أحد ، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال : « إلى أين أيها الناس هَلُمُّوا إِلَيَّ ؛ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » وبقي مع رسول الله نفرٌ من المهاجرين وأهل بيته ، وكان رجل من هوازن على جمل له أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوازن ، وهوازن خلفه إذا أدرك طَعَنَ برمحه ، وإذا فاته الناس رَفَعَ رُمحه لمن ورائه ؛ فبينما هو كذلك أتى عليّ من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوق عليّ عجزه ، وكان مع علي رجل من الأنصار فوثب الأنصاري على الرجل فضربه ضربة أطنَّ قدمه بنصف ساقه فانجعف عن رحله قال : واجتلد الناس ، فوالله مارَجَعْتُ راجعةً الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ابن القيم : ورأى من كان مع رسول الله من جُفَاة أهل مكة الهزيمة ، وتكلَّم رجال منهم بما في أنفسهم ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : لاتنتهي هزيمتهم دون البحر وإن الأزام لمعة في كنانته ، وقال كلدة بن الحنبل : ألا بطل السحر اليوم ، فقال أخوه لأمه صفوان - وكان مشركاً - : اسكت فَضَّ الله فاك ؛ فوالله لأن يَرَبِّيَ رجل من قريش خير من أن يَرَبِّيَ رجل من هوازن ، وروى الزهري عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال : إني لع رسول الله أخذَ بحكمة بغلته البيضاء ، وكنت امرأ

جسماً شديداً الصوت ، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : « أين أيُّها الناس ؟ » قال : فلم أرى الناس يلوّون على شيء ، فقال : « يا عباس ! اصرخ يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب الشجرة » فأجابوه : لبيك لبيك ، قال : فيذهب الرجل يثني بغيره فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعة فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه وترسه ويقتحم عن بغيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة استقبلوا الناس فاقتتلوا ، فكانت الدعوة أول ما كانت يالللأنصار ، ثم خلصت أخرى : يالللخزرج وكانوا صُبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلِد القوم وهم يحتلدون فقال : « الآن حمي الوطيس » وقال :

« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ      أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ »

ثم أخذ رسول الله حصيات فرمى بها في وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا وربّ محمد » فما هو إلا أن رَمَاهُم رُمِي حَذَمٌ كليلاً وأمرهم مُدبراً ، وروى أنه قبض قبضة من تراب ثم استقبل بها وجوههم وقال : « شأهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملئت عيناه تراباً ، وبعدها انهزم القوم وأتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضهم نحو نخلة ، وبعث رسول الله أبا عامر الأشعري في آثار من توجّه إلى أوطاس فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال فرمى بسهم فقتل ، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري - وهو ابن عمه - فقاتل ففتح الله عليه ، فهزمهم الله ، وقيل : قاتل أبو عامر ومضى مالك بن عوف حتى تحصّن بثقيف . وأمر رسول الله بالسبي والغنائم أن تُجمع ، فَجَمَعَ ذلك كلّهُ ووجّهه إلى الجعرانة ، وكان السبي ستة آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرين ألفاً ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، ثم بدأ بالأموال فقسمها ، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس ؛ منهم أبو سفيان بن حرب وابناه يزيد ومعاوية ، وحكيم بن حزام وغيرهم ، ثم قسم

الباقى فكان سهم كل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة ؛ وإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً وعشرين ومئة شاة ، وأما السبي فإنّ وفد هوازن قدموا على رسول الله وفيهم أبو يرقان - عم رسول الله من الرضاعة - فسألوه أن يَمَنّ عليهم بالسبي والأموال ، فقال : « إنّ معي من ترون وإنّ أحبّ الحديث إليّ أصدقه ، فأبناؤكم ونساؤكم أحبّ إليكم أم أموالكم ؟ » قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً ، فقال : « إذا صليت الغداة فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المؤمنين ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول الله أن يرّد علينا سبيّنا » فلما صلى الغداة قاموا فقالوا ذلك ، فقال رسول الله : « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وسأسأل لكم الناس » فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا ، فقالت بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال العباس : وهتمتوني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ هؤلاء القوم قد جأؤوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بسبيهم ، وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده منهنّ شيء فطابت نفسه بأن يرده فسيبيل ذلك ، ومن أحبّ أن يستسك بحقه فليرده عليهم وله بكل فريضة ست فرائض من أوّل ما يفىء الله علينا » فقال الناس : قد طيبنا لرسول الله ، فقال رسول الله : « إنا لانعرف من رضي منكم ممّن لم يرض فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم » فردّوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن ؛ فإنه أبى أن يرّد عجزاً صارت في يديه منهم ، ثم ردّها بعد ذلك وكسا رسول الله السبيّ قبضية قبضية .

ثم غزا بعد حنين الطائفاً يقود من أنصاره طوائفاً  
منهم أصيب من من الحصن دنا ولم يكن في فتحه قد أذنا  
هذه الغزوة كانت في شوال سنة ثمان ، ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله



وسلم المسير إلى الطائف من حنين قدم خالد بن الوليد على مقدمته ، وكانت ثقيف قد رَمَوْا حصنهم وأدخلوا فيه ما يصلح لهم لسنة ، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيَّؤوا للقتال ، وسار رسول الله فنزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثني عشر رجلاً ، فارتفع رسول الله إلى موقع مسجد الطائف اليوم وكان معه من نِسائه أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين ، وكان يصلي بين القبتين ، ومدة حصار الطائف ؛ قيل ثمانية عشر يوماً ، وقيل يضاعاً وعشرين ليلة ، ونصب عليهم المنجنيق ، وهو أول ما رمي به في الإسلام ، قال ابن سعد : نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله تحت دَبَابة ثم دخلوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد ممحاة بالنار ، فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً ، فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون ، فسألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله : « فإني أدعها لله وللرحم » فنادى منادي رسول الله : أيُّنا عبدٌ نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرّ ، فخرج منهم بضعة عشر رجلاً فيهم أبو بكر ، فأعتقهم رسول الله ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه فشقّ ذلك على أهل الطائف ، ولم يؤذّن لرسول الله في فتح الطائف ، واستشار رسول الله نوفل بن معاوية الديلي ، فقال : « ماترى » فقال : ثعلب في جحرٍ إن أقت عليه أخذته وإن تركته لم يضرّك ، فأمر رسول الله عُمَر بن الخطاب . فأذّن في الناس بالرحيل ، فضجّ الناس من ذلك وقالوا : أنرحل ولم يُفتح علينا الطائف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فاغدوا على القتال » فغدوا ، فأصاب المسلمين جراحات ، فقال رسول الله : « إنا راحلون غداً إن شاء الله » فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله يضحك ، فلما ارتحلوا واستقلّوا ، قال : « قولوا : آييون

تائبون عائدون لربنا حامدون » ، وقيل : يا رسول الله ادع الله على ثقيف ، فقال . « اللهم اهدِ ثقيفاً وأتِ بهم » واستشهد مع رسول الله بالطائف جماعة ، ثم خرج رسول الله من الطائف إلى الجعرانة ، ثم دخل منها محرماً بعمرة ، ففضى عمرته ثم رجع إلى المدينة .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفدٌ ثقيف ، وكان من حديثه أن رسول الله لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله : « كما يتحدث قومك إنهم قاتلوك » فقال عروة : أنا أحب إليهم من أبقارهم ، وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه لمنزله فيهم ، فلما أشرف على عليّة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهمٌ فقتله ، ف قيل لعروة ماترى في دمك ، قال : كرامة أكرمني الله بها وشهادة قادها الله إليّ فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله قبل أن يرحل عنكم فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله قال فيه : « إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه » ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً فائتمروا فيما بينهم بعزمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم بعثوا ستة نفرٍ منهم : الحكم بن عمر بن وهب ، وشرحبيل بن غيلان ، وعثمان بن أبي العاص ، وأوس بن عوف ، وهب بن خَرَشَة ، وعلى رأسهم عبدُ يالِيل بن عمرو بن عمير ؛ فلما دنوا من المدينة ونزلوا قنّاة لقوا بها المغيرة بن شعبة فاشتدّ لِيُبَشِّرَ رسولَ الله بِقُدُومِهِمْ عليه ، فلقاه أبو بكر فقال : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل ، فدخل أبو بكر على رسول الله فأخبره بقُدُومِهِمْ عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه وعلمهم كيف يحيئون رسول الله ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، فلما قدموا على رسول الله ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده ،

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله حتى كتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتبه ، وقد كان فيما سألوا رسول الله أن يدع لهم الطاغية ، وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ؛ حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى وهم يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم وذرائعهم ويكرهون أن يروعوا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام فأبى رسول الله إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها ، وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال رسول الله : « أمّا كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأمّ الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه » وكتب لهم رسول الله كتاباً بعد إسلامهم وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية ، فخرجا مع القوم .

بعث عُيَيْنَةَ بن حِصْن ثَقِلًا إلى تميم فسبى وقتل

في محرم سنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ إلى بني تميم في خمسين فارساً ، فكان يسير الليل ويكنّ النهار فهجم عليهم في صحراء وقد سرحوا مواشيهم ، فلما رأوا الجمع ولّوا ، فأخذ منهم إحدى عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيّاً فساقهم إلى المدينة فأنزلوا في دار زملة بنت الحارث فقدم من أجلهم عدة من رؤسائهم ؛ منهم عطارد بن حجاب ، والزبرقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، والأقرع بن حابس ، وغيرهم ، فلما رأوا نساءهم وذرائعهم بكوا إليهم ففعلوا إلى باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنادوا : يا محمد اخرج إلينا ، فخرج إليهم ؛ وتعلّقوا برسول الله يكلمونه ، فوقف معهم ثم مضى فصلّى الظهر ثم صلى في صحن المسجد ، فقدموا عطارد بن حجاب فتكلم وخطب ، وأمر رسول الله ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم ، وأنزل الله فيهم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴾  
[ الحجرات ٤٩/٥ - ٥ ] ، فرد عليهم رسول الله الأسرى والسبي .

وبعدها سرية لِحِثْعَم فاقْتَتَلُوا وظَفَرُوا بِالْمَغَنَمِ

وفي صفر سنة تسع بَعَثَ رسول الله قطبة بن عامر في عشرين رجلاً إلى حَيٍّ من خثعم بناحية تبالة ، وأمره أن يشن الغارة عليهم ، فخرجوا على عشرة أبصرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عُنُقَهُ ، ثُمَّ أَقَامُوا حَتَّى نَامَ الْحَاضِرَةُ فَشَنُّوا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ وَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى كَثُرَ الْجَرْحَى فِي الْفَرِيقَيْنِ وَقُتِلَ قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ مَنْ قُتِلَ ، فَسَاقُوا النَّعْمَ وَالشَّاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ الْقَوْمُ وَرَكَبُوا فِي آثَارِهِمْ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَيْلاً عَظِيماً حَالَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَسَاقُوا النَّعْمَ وَالشَّاءَ وَالسَّيِّ وَهُمْ يَنْظُرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَغَيِّرُوا عَلَيْهِمْ .

وبعدها سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ إِلَى كِلَابِ الْكُفْرِ وَالْإِشْرَاقِ

وفي ربيع الأول سنة تسع بعث رسول الله جيشاً إلى بني كلاب وعليهم الضَّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ عَوْفِ الطَّائِيٍّ وَمَعَهُ الْأَصِيدُ بْنُ سَلَمَةَ ، فَلَقَوْهُمْ بِالزَّجِّ - زَجِّ لَاقَةٍ - فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا ، فَقَاتَلُوهُمْ فَهَزَمُوهُمْ ، فَلَحِقَ الْأَصِيدُ أَبَاهُ سَلَمَةَ ، وَسَلَمَةُ عَلَى فَرَسٍ فِي غَدِيرٍ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ فَسَبَّ دِينَهُ ، فَضَرَبَ الْأَصِيدُ عِرْقَ وَبِي فَرَسِ أَبِيهِ ، فَلَمَّا وَقَعَ الْفَرَسُ عَلَى عِرْقِ وَبِيهِ ارْتَكَزَ سَلَمَةُ عَلَى الرَّمْحِ فِي الْمَاءِ ثُمَّ اسْتَمْسَكَ حَتَّى جَاءَهُ أَحَدُهُمْ فَقَتَلَهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ ابْنُهُ .

وبعثه علقمة والنهمي في جيشه رواه أهل العلم

في ربيع الآخر سنة تسع بلغ رسول الله أن ناساً من الحبشة تراه أهل جدة فبعث إليهم علقمة بن مُحَرِّكٍ فِي ثَلَاثِ مِائَةِ رَجُلٍ ، فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ

وقد خاض إليهم البحر ، فهربوا منه ، فلما رجع تعجّل بعض القوم إلى أهله فأذن لهم ، فتعجّل عبد الله بن حذافة السهمي فأمره على من تعجّل .

كذلك بعث صنوه الوصي لصنمهم —دمه في طي

في سنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنوه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في مئة وخمسين رجلاً من الأنصار على مئة بعير ، وخمسين فرساً ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، إلى الفلس - وهو صنم طيئ - فشنوا الغارة على محلة حاتم الطائي مع الفجر ، فهدموا وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء وفي السبي أخت عدي بن حاتم ، وهرب عدي إلى الشام ، ووجدوا في خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع ، فاستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى المشاية عبد الله بن عتيك ، وقسم الغنائم في الطريق ، وعزل الصفي لرسول الله ، ولم يقسم علي آل حاتم ، فلما وصل علي إلى رسول الله بهم في جملة سبايا طيئ وفيهم ابنة حاتم ، فرأى بها رسول الله ، فقالت : يا رسول الله ! غاب الوافد وانقطع الوالد وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة فمّن علي من الله عليك ، قال : « من وافدك » قالت : عدي بن حاتم ، قال : « الذي فر من الله ورسوله » ، قالت : فمّن علي ، فلما رجّع ورجل إلى جنبه ترى أنه علي ، قال : سليه الحملان ، قالت : فسألته : فأمر لها به ، وأمرها أن لا تعجل بخروجها حتى تجد من قومها من يكون لها ثقة حتى يبلغها إلى بلادها ، وأمرها أن تؤاذنه ، فأقامت في المدينة حتى قدم ركب من بني أوقضاة : فجاءت إلى رسول الله وقالت له : قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ ، قالت : فكساني رسول الله وحملني وأعطاني نفقة ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخي بالشام ، فعزمت إليه ، قال عدي بن حاتم : فوالله إني لقاعد في أهلي فنظرت إلى ظعينة تصوب إلي تأتنا ، قال : فقلت : ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلمّا وقفت عليّ انسلخت - أي لامت وسخطت - تقول : القاطع الظالم ! احتملت بأهلك

وولدك وتركت بقيّة والدك عورتك ، قال : قُلْتُ : أَيُّ أُخِيَّةٍ لَا تَقُولِي إِلَّا خَيْرًا  
 فوالله مالي من عذرٍ ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثُمَّ نَزَلَتْ فَأَقَامَتْ عِنْدِي ،  
 فَقُلْتُ لَهَا - وَكَانَتْ امْرَأَةً حَازِمَةً - : مَاذَا تَرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ - يَرِيدُ  
 رَسُولَ اللَّهِ - قَالَتْ : أَرَى وَاللَّهِ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ سَرِيعًا فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ نَبِيًّا  
 فَلِلسَّابِقِ إِلَيْهِ فَضْلُهُ ، وَإِنْ يَكُنْ مَلِكًا فَلَنْ تَذِلَّ فِي عِزِّ الْيَمِينِ وَأَنْتِ أَنْتِ ، قَالَ :  
 قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الرَّأْيَ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْمَدِينَةَ ،  
 فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « مَنْ الرَّجُلُ ؟ » فَقُلْتُ :  
 عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ وَانْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَائِدٌ بِي إِلَى بَيْتِهِ  
 إِذْ لَقِيْتَهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً فَاسْتَوْقَفْتَهُ ، فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تَكَلَّمَ فِي حَاجَتِهَا ، قَالَ :  
 قُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ مَا هَذَا بَمَلِكٍ ، ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ  
 فَتَنَاوَلَ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوءَةً لِيَفَأَ فَقَذَفَهَا إِلَيَّ فَقَالَ : « اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ » قَالَ :  
 قُلْتُ : بَلْ أَنْتِ تَجْلِسُ عَلَيْهَا ، قَالَ : « بَلْ أَنْتِ » فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا وَجَلَسَ  
 رَسُولُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ ، ثُمَّ قَالَ :  
 « إِيْهِ يَا عَدِي ! أَلَمْ تَكْ زَكُوسِيًّا وَهُمْ قَوْمٌ لَهُمْ دِينٌ بَيْنَ دِينِ النَّصَارَى وَالصَّابِّينَ »  
 قَالَ : قُلْتُ بَلَى ، قَالَ : « أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ - يَعْنِي رُبْعِ  
 الْغَنِيَّةِ - ؟ » قَالَ : قُلْتُ بَلَى ، قَالَ : « فَإِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ »  
 قَالَ : قُلْتُ أَجَلٌ ؛ فَوَاللَّهِ عَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ يَعْلَمُ مَا يَجْهَلُ ، ثُمَّ قَالَ : « لَعَلَّكَ  
 يَا عَدِي إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ؛ فَوَاللَّهِ لِيُوشَكْنَ  
 الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يَوْجَدَ مِنْ يَأْخُذُهُ ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ  
 مَا تَرَى مِنْ كَثَرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقَلَّةِ عَدَدِهِمْ ؛ فَوَاللَّهِ لِيُوشَكْنَ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنْ  
 الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا حَتَّى تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ لَا تَخَافُ ، وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ  
 فِيهِ أَنَّكَ تَرَى الْمُلُوكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ ؛ وَإِيمَ اللَّهِ لِيُوشَكْنَ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ  
 الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فَتِحَتْ عَلَيْهِمْ فَأَسَلَمْتُ » ، وَكَانَ عَدِي يَقُولُ : قَدْ مَضَتْ

اثنان وبقيت الثالثة ؛ فوالله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل  
قد قُتِحَتْ .

ثم تبوك آخر الغزوات له عليه أفضل الصلوات

كانت غزوة تبوك سنة تسع في رجب ، وكانت في زمن عسرة للناس وجذب  
من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم  
ويكرهون شخوصهم على تلك الحال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم  
قلماً يخرج في غزوة إلا كنى عنها ووّرّى بغيرها ، إلا ما كان من غزوة تبوك ؛  
لبعد الشقة وشدة الزمان ، فقال رسول الله للجد بن قيس : « يا جد ! هل لك  
العام جلاداً في بلاد بني الأصفر ؟ » فقال : يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني ؛  
فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل بأشدّ عجباً بالنساء مني ، وإنني أخشى إن  
رأيتُ نساء بني الأصفر ألا أصبر ، فأذن له رسول الله بعد أن أعرض عنه ، ففيه  
نزلت الآية : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِذْنٌ لِي وَلَا تَفْتِنِي ... ﴾ [ التوبة ٤٩/٩ ] ،  
وقال قوم من المنافقين لبعضهم البعض : لا تنفروا في الحرّ ، فأنزل الله فيهم :  
﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ... ﴾ [ التوبة ٨١/٩ ] ، وسببها أنه بلغ رسول الله أن  
الروم قد جمعت جموعاً كثيرة في الشام ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ،  
وأجلبت معهم لحم وجذام وعاملة وغسان ، وقدموا مقدّماتهم إلى البلقاء ، فخرج  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتخلّف عنه عبد الله بن أبيّ ، وتخلّف نفر من  
المسلمين بغير شك ولا رتياب ؛ منهم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ،  
ومرارة بن الربيع ، وأبو خيثمة ، وأبو ذرّ ، ثم لحقه أبو خيثمة وأبو ذرّ ، وشهدّها  
رسول الله في ثلاثين ألفاً من الناس ، والخيّل عشرة آلاف فارس ، وأقام بها  
عشرين ليلة يقصر الصلاة ، وهرقل يومئذ بممص ، ولما أراد رسول الله الخروج  
خلف علي بن أبي طالب ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً  
وتخفيفاً ، فأخذ عليّ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف

فقال : يانبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلقتني لأنك استتقلتني وتخففت مني ، فقال : « كذبوا ولكني خلقتك لما ورائي ؛ فارجع واخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني من بعدي » ، فرجع علي إلى المدينة .

وكان رسول الله حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله للناس : « لاتشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً » ، ثم سار رسول الله ؛ فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يارسول الله تخلف فلان ، فيقول : « دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه » ، ولما انتهى رسول الله إلى تبوك أتاه يحنّة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية فكتب رسول الله لهم كتاباً ، ودعا رسول الله خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة ؛ وهو رجل من كندة ، وكان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة ، وهو على سطح له ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذه ؟! فقال : لأحد ، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معه بمطاردتهم ، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل قدومه عليه ، ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله فحقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته فذكر نحو ما تقدم ، قال وأجاز خالد أكيدراً من



القتل حتى يأتي به رسول الله على أن يفتح له دُومة الجندل ففعل ، وصالحه على ألفي بغير وثمان مئة رأس وأربع مئة درع وأربع مئة رمح ، فعزل النبي صفيّه خالصاً ، ثم قسم الغنيمة ، فأخرج الخمس ، ثم قسم ما بقي في أصحابه ، واجتمع أكيدر ويحنة عند رسول الله فدعاها إلى الإسلام فأتيّا وأقرأ بالجزية ، فقاضاهما رسول الله على قضية دُومة وعلى تبوك وعلى أيلة وعلى تيماء ، وكتب لهما كتاباً ، ثم أقام رسول الله بتبوك بضعة عشرة ليلة لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة بعد أن بلغه أن الروم آثروا الانسحاب إلى بلادهم ليلزموا حصونهم ويدافعوا عنها فيما لو تعرّضت لغزو المسلمين .

وعامٌ تسع سنّة الوفود      على النبي المصطفى الحمود  
سَلُّ كُتُبَ السَّيْرِ عن تفصيلها      فقد تَرَكْنَا نَظْمَهَا لِطُولِهَا

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ؛ صرّفت إليه وفود العرب من كلّ وجه ، فدخلوا في دين الله أفواجا يضربون إليه من كلّ وجه .

بُعُوْثُهُ لِصُنُوهِ أَبِي الْحَسَنِ      قَدْ خَتِمَتْ بِبَيْعَتِهِ إِلَى الْيَمَنِ

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل عليّاً إلى اليمن مرتين ؛ المرّة الأولى كانت في السنّة الثامنة ، والظاهر أنها كانت لهمدان ، وكان قد أرسل إليهم خالد بن الوليد ، فكث نحو ستّة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، فأرسل إليهم علي بن أبي طالب ، قال البراء بن عازب : لما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، وصلى بنا عليّ ، ثم صفنا صفّاً واحداً ، ثم تقدّم إلى القوم وقرأ عليهم كتاب رسول الله ، فأسلمت همدان بكاملها ، فكتب إلى النبي بإسلامهم . والثانية كانت في شهر رمضان من السنّة العاشرة ، أرسله إلى مذحج في ثلاث مئة فارس ، وعقد له اللواء ، وعمه بيده ، وأوصاه أن لا يقاتلهم إلا إذا

قاتلوه ، وقال له : « ادعهم لقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فإن أجابوك فأمّرتهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ، والله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت » .

وجاء في ( البداية والنهاية ) عن عليّ أنّه قال : بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الين فقلت : يا رسول الله تبعثني إلى قوم وأنا حديثٌ لا بصر لي بالقضاء ؟ فوضع يده على صدري وقال : « اللهم ثبت لسانه واهد قلبه » ، ثم قال : « إذا جاءك الخصمان فلا تقضي بينهما حتى تسمع من الآخر ، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء » ، وقال ابن سعد : إنّ عليّاً دخل الين في ثلاث مئة فارس ، وكانت أول خيل دخلت إلى بلاد مذحج ، ففرّق أصحابه ، فأسروا وغنموا من أحيائهم ، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا عليه ، ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، فصفاً أصحابه ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلاً ، ففترّقوا وانهمزوا ، ثم دعاهم إلى الإسلام ثانية فأجابوه لذلك ، وبايعه نفر من رؤسائهم وقالوا له : نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ، ثم إنّ عليّاً جمع الغنائم ، ثم أخرج منها الخمس ، وقسم الباقي على أصحابه ورجع ، وصادف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج للحج في تلك السنة فالتقى به في مكة .

وفي ( سيرة ابن هشام ) أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجه من المدينة إلى مكة في حجة الوداع أرسل عليّاً إلى نجران مع جماعة من المسلمين ليأخذ منهم ما وقع عليه الاتفاق بين وفدهم وبين النبي ، وبلغه أنّ النبي قد توجه إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وفي الطريق تعجّل السير إلى مكة ، واستخلف على الجيش الذي كان معه رجلاً منهم ، فعمد ذلك الرجل وأعطى كل رجلٍ حلة من الغنائم يتجمل بها ، وقبل أن يدخل الجيش مكة استقبلهم عليٌّ ووجدهم يلبسون الحلل ، فقال للقائد : ويلك ما هذا ؟ قال : لقد كسوتهم ليتجملوا بها إذا قدموا

على الناس ، فانتزعها منهم عليّ وردّها إلى الغنائم ، فاشتكى الناس منه ، فلما سمع رسول الله ذلك قال : « أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَشْتَكُوا عَلِيًّا ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَا خَشْيَ فِي ذَاتِ اللَّهِ مِنْهُ أَنْ يَشْتَكِيَ مِنْهُ » ، ولما رجع عليّ إلى مكة ترك في اليمن معاذ بن جبل يعلمهم الأحكام ويفقههم في دين الله .

ثُمَّ السَّرَايَا وَالْبُعُوثُ أَكْثَرُ نَحْوًا مِنَ الْخَمْسِينَ فِيمَا ذَكَرُوا  
كانت بعوثه صلى الله عليه وآله وسلم وسراياه قيل : ثمانية وثلاثين - كما حكاه ابن هشام في السيرة - وقيل : نحو خمسين ، وأما غزواته بنفسه فهي سبع وعشرين غزوة ؛ أولها غزوة الأبواء وآخرها تبوك ؛ قاتل منها في تسع غزوات - كما تقدّم - وهي : بدرّ ، وأحدّ ، والخندق ، وقریظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف - كما حكاه ابن هشام - .

وختمت بحجّة الودّاع أسفاره ثم أجاب الدّاع  
قال ابن إسحاق : لما دخل على رسول الله ذو القعدة تجهّز للحج وأمر الناس بالجهاز له ، وكان خروجه إلى الحجّ لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة ، واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي ، ويقال سباع بن عرفطة - وقد تقدّم في هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الحجّ كيف كان حجه صلى الله عليه وآله وسلم ، وذكر مناسك الحجّ وواجباته ومندوباته ، فلا فائدة في ذكرها مرة أخرى .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في عدّة الجهاد

وقد أعدّ للجهادِ العدّة وسنّها لمن يجيئُ بعده  
كانت له من السيوف تسعة كذلك الأدرع كانت سبعة  
كان له صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أسياف : ماثور وهو أول سيف ملكه ؛

ورثه من أبيه ، وذو الفقار والعضب - بكسر الفاء وفتح القاف - وكان لا يكاد يفارقه ، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة ، وثالثها : القلعي ، ورابعها : البشار ، وخامسها : الخنف ، وسادسها الرسون ، وسابعها وثامنها : المخذم والقضيب ، وتاسعها : العسب ، وكان ذو الفقار تنقله يوم بدر ، وهو الذي أرى فيه الرؤيا ، ودخل يوم الفتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة ، أما الأدرع فهي : ذات الفضول ؛ وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لعياله ، وكان ثلاثين صاعاً ، وكان الدّين إلى سنة ، وكانت من حديد ، وذات الوشاح ، وذات الحواشي ، والسعدية ، وفضة ، والبتراء ، والخرنق .

سِتُّ قِسي للسهام جُعبَة	خمسَة أرماح له وحرَبَة
ضغرا أو كبرا غيرها وعَنَزَة	عكازَه وهو الذي قد رُكَّزَه
في قبلة الصلاة ، والأتراسُ	ثلاثَة كذا روى الأكياسُ
مَنْطِقَة له مع القضيب	ومحجن للمشي والركوب

كان له صلى الله عليه وآله وسلم سِتُّ قِسي : الزوراء ، والروحاء ، والصفراء ، والبيضاء ، والكتوم ، والسداد ، وكانت الكتوم كُبرت يوم أُحُدٍ ، فأخذها قتادة بن النعمان ، وكان له جُعبَة تدعى : الكافور ، وكان له خمسَة أرماح يقال لأحدهم : المستوي والآخر : المثني ، وحرَبَة يقال لها : النبعة ، وأخرى كبيرة تدعى : البيضاء وأخرى صغيرة تشبه العُكَّاز يقال لها : العمرة ، يمشي بها بين يديه في الأعياد ، وتُرَكِّزُ أمامَه فيتخذها سترة يصلي إليها ، وكان يمشي بها أحياناً ، وكان له منطقة من أديم منشور فيها ثلاث حلق من فضة ، والأبزيم من فضة ، والطرف من فضة ، وكان له ترس يقال له : الزلوق ، وترس يقال له : الفَتَق ، وترس أهدي إليه فيه صورة تمثال ، فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال ، وكان له محجن قدر ذراع أو أطول ؛ يمشي به ويركب به

ويعلقه بين يديه على بعيره ، وكان له مَخَصْرَةٌ تسمى : العرجُون ، وكان له قضيب من الشَّوْحَط ، وهو الذي تداوله الخلفاء ويسمى : المَشْوُوق .

وكان للنبي مِغْفَرَانٍ كما رواه عنه ذوي العِرفَانِ الذي ذكره ابن القيم أنه كان لرسول الله مغفر من حديد يقال له : الموشح ، ومغفر آخر يقال له : المسبوع ، أو ذو المسبوع .

وكان من هــدي النبي يُسمى سَلَاخَه فكل فرد باسم كالسيف سماه بذى الفقارِ ووصفه فُصِّل في الأخبارِ روى الطبراني في معجمه حديثاً جامعاً في آلاته من حديث ابن عباس قال : كان لرسول الله سيف قائمته من فضةٍ وقبيعته من فضة وكان يُسمى : ذو الفقار ، وكانت له قوس تسمى : السداد ، وكانت له كنانة تسمى : الجمع ، وكانت له درع موشحة بالنحاس تسمى : ذات الفضول ، وكانت له حربة تسمى : النبعاء ، وكان له محجن يسمى : الدَّمَن ، وكان له ترس أبيض يسمى : الموجز .

وخيله سبعٌ بلا خلافٍ وغيرُها قيل على اختلافٍ مسميات كلها كالسكب والوردِ فانظر ما بقي في الكتب ودلّل من البغال أهديت له وغيرها ثلاث ذُكرت

كان لرسول الله سبعٌ من الخيل وهي : السَّكَب : وهي أول فرس ملكه وكان اسمه عند الأعرابي الذي اشتراه منه بعشر أواقٍ : الطرس ، وكان أغرَّ محجلاً طلق النين كيثاً ، وقيل أدهم ، والمرتجز ؛ وكان أشهب ، وهو الذي شهد فيه خزيمة بن ثابت ، واللحيف ، واللزاز ، والطَّرب ، وسجة ، والورد ؛ فهذه سبعة متفقون عليها ؛ جمعها الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن جماعة الشافعي في بيت فقال :

والخيل سَكَبَ لحيف سجة طرب      لزاز مرتجز وَرْدٌ لها أَسْرَارُ  
وقيل كانت له أفراس أُخَرَّ خمس عشرة مختلف فيها ، وكان له من البغال :  
ذُلْدُل ، وكانت شهباء ، أهداها له المقوقس ، وبغلة أخرى يقال لها : فضة ؛  
أهداها له فروة الجزامي ، وبغلة شهباء أهداها له صاحب أيلة ، وأخرى أهداها  
له صاحب دومة الجندل ، وقيل إنَّ النجاشي أهدى له بغلة فكان يركبها ، وكان  
له من الحمير : عفير ؛ وكان أشهب أهداه له المقوقس ملك القبط ، وحمار آخر  
أهداه له فروة الجذامي ، وذكر أنَّ سعد بن عبادَةَ أعطى النبي حماراً فركبه ،  
وكان له من الإبل : القصواء ؛ قيل وهي التي هاجر عليها ، والعضباء ،  
والجدعاء ، ولم يكن بها عَضْبٌ ولا جَدَع ، وقيل كان في أذنها غضب فسميت به ،  
وهل العضباء والجدعاء واحدة أو اثنتان ؟ فيها خلاف ، والعضباء هي التي كانت  
لَا تُسَبِّقُ ، ثم جاء أعرابي على قعود فسبقها فشقَّ ذلك على المسلمين ، فقال  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنْ حَقَّ عَلَى اللَّهِ أَلَّا رَفَعَ شَيْئاً إِلَّا وَضَعَهُ »  
وغنم رسول الله يوم بدر جَمَلاً مَهرياً لأبي جهلٍ في أنفه بُرَّةٌ من فضة ، فأهداه يوم  
الحديبية ليغيظ به المشركين .

وللنبي أَلْوِيَّةٌ ورايات      تواترت بذكرها الروايات  
صفر وبيضٌ وصفت وَسُودٌ      يحملها من صَحْبِهِ أَسُودٌ  
كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راية سوداء يُقَالُ لها : الْعَقَاب ، وفي  
سنن أبي داود : عن رجل من الصحابة قال : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم صفراء ، وكان له أَلْوِيَّةٌ بيضاء ، وَرَبَّيَا جعل فيها الْأَسُودَ ، وكان  
رسول الله يعطيها الرجال الأكفاء من أصحابه كحمزة وعلي وأبو عبيدة وسعد بن  
عبادة ، قيل وابن سعد وغيرهم .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في القتال

وهديّهُ إن حَضَرَ الْقِتَالَ      بنفسه أو وَرَدَ النَّزَالُ  
يُشَاوِرُ الْأَصْحَابَ فِي أَمْرِ الْعَدُوِّ      وفي طريقه وأين يَقْصِدُ  
مَكْثِرًا فِي طَلَبِ الْمَشْهُورَةِ      كما روى عنه أَبُو هُرَيْرَةَ  
وَرَبْعًا فِي غَزْوَةِ قَدْ وَرَى      عن جَهَةِ يُرِيدُهَا بِأُخْرَى

كان رسول الله يشاور أصحابه في أمر الجهاد وأمر العدو يتخير المنازل ، وفي المستدرك عن أبي هريرة : ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان رسول الله إذا أراد غزوة ورى غيرها ، فيقول مثلاً إذا أراد غزوة حنين « كيف طريق نجد ومياهاها وقرىها من العدو ؟ » .

وإن أغار قاصداً مكاناً      فإنه ينتظر الأذانا  
فحيث لا يسمعه أغاراً      بذلك قد علمهم كفّاراً

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يغير انتظر : فإن سمع في الحي مؤذناً لم يغير ، وإلا أغار ، وربما بيّنت عدوه ليلاً ، وربما فاجأهم نهاراً .

وهو إلى الإسلام قبل الحرب      يدعّوهم ففاز من يلبّي  
ومن على عصيانه أصرّ      أو سَعَهُم قَتْلًا وأسرًا  
إلا الذراري والنساء ينهى      عنهم كذا المثلثة ينهى عنها

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر أمير سرّيته أن يدعو عدوّه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة ، أو إلى الإسلام دون الهجرة ويكون كأعراب المسلمين ليس لهم في الفياء نصيب ، أو بذل الجزية ؛ فإن هم أجابوا إليه قبل منهم ، وإلا استعان بالله وقتلهم ، وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ،

ويقول : « سيروا بسم الله وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، ولا تثلوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً » وكان ينهى عن قتل النساء .

وربما قد عرض المقاتله فمن يكن أثبت كان قاتله  
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينظر في المقاتلة فمن رآه أثبت قتله ،  
ومن لم يُثبت استحياء كما فعل ذلك في بني قريظة .

وَقَتْلُ جَاسُوسٍ مِنَ الْكُفَّارِ      ثبت في مُصَحِّحِ الْأَخْبَارِ  
أَوْ مُسْلِمٍ قَدْ جَسَّ قِيلَ يَقْتُلُ      وَقِيلَ لَا وَقِيلَ بَلْ يُفْصَلُ  
فَإِنْ قَتَلَ أَوْ لَقِيَ سَبَبَ      فقتله حينئذٍ قد وجبَ  
وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاطَبٍ دَلِيلُ      بذكر بدر خصه الرسولُ  
أَمَّا رَسُولُهُمْ فَلَيْسَ يَقْتُلُ      حَرَّمَ قَتْلَهُ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ

ثَبَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَتَلَ جَاسُوسًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَثَبَّتَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ حَاطِبًا وَقَدْ جَسَّ عَلَيْهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، وَاسْتَأْذَنَهُ عُمَرُ فِي قَتْلِهِ فَقَالَ : « وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » فَاسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ لَا يَرَى قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْجَاسُوسِ كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ يَرَى قَتْلَهُ كَالْمَالِكِ وَابْنِ عَقِيلٍ مِنْ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا ، قَالُوا : لِأَنَّهُ عَلَّلَ بَعْلَةَ مَانِعَةٍ مِنَ الْقَتْلِ مُنْتَفِيَةٍ فِي غَيْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْإِسْلَامُ مَانِعًا مِنْ قَتْلِهِ لَمْ يَعْلَلْ بِأَخْصٍ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْحُكْمَ إِذَا عَلَّلَ بِالْأَخْصِ كَانَ الْأَخْصُ عَدِيمَ التَّأْثِيرِ ، وَقِيلَ بِالتَّفْصِيلِ الَّذِي ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْمَنْظُومَةِ ، وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ أَوْ سَبَبَ فِي الْقَتْلِ قَتَلَ وَإِلَّا فَلَا ، أَمَّا رَسُولُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ حَرَّمَ قَتْلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمَا فَعَلَ فِي رَسُولِي مَسِيلَةَ الْكَذَّابِ وَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ النُّوَاحَةِ وَابْنُ أَثَالٍ ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ قَالَا لَهُ بِأَنَّهُمَا يَقُولَانِ كَمَا قَالَ مَسِيلَةُ : « لَوْلَا أَنَّ الرَّسُولَ لَا تَقْتُلُ لَضَرَبْتَ أَعْنَاقَكُمَا » .



وجائز تبثت من بلغته      دعوتَه ومن علم بعثته  
ويُستحبُّ أول النهَّار      وقت القتال جاء في الأخبار  
وإن يكن آخره قليلاً      انتظر الشمس لأن تـزولا

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربما يبيت عدوّه ، وربما فاجأهم  
نهاراً ، وكان يحب الخروج يوم الخميس ، وكان يستحب القتال أول النهار ،  
ويستحب الخروج للسفر أوله ، فإن لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول  
الشمس وتهب الرياح وينزل النُّصر .

يبايع الأصحاب في الحرب على      أن لا يَفِرُّوا عنه أيضاً نُقْلا  
وربما على الحَمَام بايعا      ويبعث العيون والطلائع  
تأتي بأخبار العدو سراً      لكي يحيط بالأمور خُبرا  
يسير خلف جيشه ليردِّفها      منقطعاً ولافتقاد الضعفا

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبايع أصحابه في الحرب على أن لا يَفِرُّوا  
وربما بايعهم على الموت كما فعل في غزوة الحديبية ، وبايعهم على القتال كما بايعهم  
على الإسلام ، وبايعهم على الهجرة قبل الفتح وبايعهم على التوحيد والتزام طاعة  
الله ورسوله ، وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوّه ، ويطلع الطلائع ، ويبعث  
الحرس ، وكان يتخلف في ساقاتهم في المسير فيزجي الضعيف ويردِّف المنقطع ،  
وكان أرفق الناس بهم في المسير .

ورتب الجيش على مراتب      وعبَّأ الصفوف في الجوانب  
وخفضوا الصوت لدى القتال      إلا بذكر الله ذي الجلال  
وجعله لهم شعاراً مشهوراً      كقولهم أميت أميت يا منصور  
ويلبس الامة قد يُظَاهر      ما بين درعين وذاك ظاهراً  
يقف في حال اللقاء يستنصر      ويستغيث ربّه ويذكر

ويأمر الأكفاء بال مبارزة وهو يرى بعينه قتالهم  
وخيلاء المشي فيه جائزة مفتقداً في حاله أحوالهم  
كذا إذا كان الوطيس قد حمى أقدم إذ بحجم كل ضيغم  
منادياً أنا النبي لا كذب كما رووا أنا ابن عبد المطلب  
ثم إذا اشتد الوغى والبأس به اتقى من العدو الناس

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرتب الجيش والمقاتلة ويجعل في كل  
جبهة كفؤاً لها وكان يرتب الصفوف ويعينهم عند القتال بيده ويقول : « تقدم  
يا فلان ، تأخر يا فلان » وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قومه ،  
وكان يأمر أصحابه بتخفيض الصوت عند القتال إلا بذكر الله ، وكان إذا لقي  
العدو قال : « اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم  
وانصرنا عليهم » وربما قال : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدِّبَرُ ، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ  
وَالسَّاعَةُ أَدهى وَأمرٌ ﴾ [ القمر ٥٤/٤٥ - ٤٦ ] وكان يقول : « اللهم أنزل نصرك »  
وكان يقول : « اللهم أنت عضدي وأنت نصيري وبك أقاتل » وكان يجعل  
لأصحابه شعاراً في الحرب يعرفون به إذا تكلموا ، وكان شعارهم مرة : أَمْتُ  
أَمْتُ ، ومرة : يامنصور ، ومرة : حم لا ينصرون ، وكان يلبس الدرع والخوذة ،  
ويتقلد السيف ، ويحمل الرمح والقوس العربية ، وكان يترس بالترس ، وكان  
ربما ظاهر بين الدرعين ، وكان يأمر الأكفاء من المسلمين بالمبارزة كما فعل ذلك في  
يوم بدر فإنه لما طلب الكفار منه أن يخرج إليهم أكفائهم فقال : قم يا حمزة ، قم  
يا علي ، قم يا أبا عبيدة ، وكان يحب الخيلاء في الحرب ، وقال : « إنَّ منها  
ما يحبُّه الله ومنها ما يبغضه الله فأما الخيلاء التي يحبها الله عز وجل فاختيال  
الرجل بنفسه عند اللقاء ، واختيالة عند الصدقة ، وأما التي يبغض الله عز وجل  
فاختياله في البغي والعجز » وكان عند اللقاء يشاهد قتال أصحابه ويتفقد أحوالهم  
كما فعل في العريش يوم بدر ، وكان إذا اشتدَّ البأس وحمى الحرب وقصده العدو

يُعلن بنفسه ويقول : « أنا النبي لا كَذِبُ أنا ابنُ عبدِ المطلبِ » وكان الناس إذا اشتدَّ الحرب اتَّقوا به صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أقربهم إلى العَدُوِّ .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الغنائم

وهديه لدى انجلاء الحرب	وعند كف طعنهم والضرب
يأمر بالنداء للغنائم	يأتي بها إليه كل غانم
فأخرج الخمس ثم قسم	بأقيه بين الغانمين أسهما
إلا الذي يشرب أو مايؤكل	فكان لا يقسم فيما ينقل
وقيل بل قسمته لا ترك	إلا الذي بأكلهم يستهلك
سهم لغير فارس واثنين	أعطاهما الفارس في قولين
أقواهما ثلاثة للفارس	لفعله فدع قياس القاييس
وربما أعطى الذي ماحضر	إن كان غن غدير له تأخر
والرّضخ منها للذي لاسهم له	والنّفْل للحاضر أيضاً فعله
كذا الصفي كان للنبي	صفيّة كانت من الصّفيّ
كذلك التّأليف منها يشرع	لجلب نفع أو لضرّ يُدفع

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ظفر بعدوّه أمر منادياً فجمع الغنائم كلها ، فبدأ بالأسلاب فأعطاهما لأهلها ، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله ، وأمره به من مصالح الإسلام ، ثم يرّضخ من الباقي لمن لاسهم له من النساء والصبيان والعبيد ، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش : سهان للفارس أو ثلاثة أسهم : سهم له وسهان لفرسه ، وللراجل سهم ، والأخير هو الذي صححه ابن القيم ، وكان يُنفل من ضلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة ،

وقيل بل كان النفل من الخمس ، وجمع لسلمة بن الأكوع في بعض مغازيه بين سهم  
 الراجل والفارس ؛ فأعطاه خمسة أسهم لعظم عُنائِهِ في تلك الغزوة ؛ وكان يسوي  
 بين الضعيف والقوي في القسمة ما عدا النفل ، وكان إذا أغار في أرض العدو بعث  
 سريةً فما غنمَتْ أخرج الخمس ونفلها ربع الباقي ، وقسم الباقي بينها وبينها وبين  
 سائر الجيش ، ومع ذلك فكان يكره النفل ، وقال : ليردّ قنوي المؤمنين على  
 ضعيفهم « وكان له سهم من الغنية يدعى الصفيّ ، إن شاء عبداً ، وإن شاء أمةً ،  
 وإن شاء فرساً يختاره قبل الخمس ، وكانت صفية بنت حيي من الصفيّ - كما رواه  
 أبو داود - وكذا سيفه ذو الفقار ، وكان يسهم لمن غاب لمصلحة المسلمين ؛ كما أسهم  
 لعثمان سهمه من بدر ولم يحضرها لمكان تمرّضه لامراته رقية ابنة رسول الله صلى  
 الله عليه وآله وسلم ، فقال : « إن عثمان انطلق في حاجة الله وحاجة رسوله »  
 فضرب له سهمته وأجره ، وكان يعطى سهم ذوي القربى من الخمس في بني هاشم  
 وبني المطلب دون إخوتهم من بني عبد شمس وبني نوفل ، وقال : « إنما بنو  
 المطلب وبني هاشم شيء واحد - وشبك بين أصابعه - » وقال : « إنهم لم يفارقونا  
 في جاهلية ولا إسلام » أشار بذلك إلى دخول بني المطلب مع بني هاشم في الشعب  
 عندما حاصرتهم قريش ، ولم يدخل منهم بنو عبد شمس ولا بنو نوفل ، وكان  
 ربما ألف أناساً من المغنم كما فعل في حنين عندما أعطى أبا سفيان وولديه  
 وصفوان بن أمية وغيرهم ؛ ترغيباً لهم في الدخول في الإسلام والإخلاص فيه ،  
 وكان المسلمون يصيئون معه في مغازيهم العسل والعنب والطعام فيأكلونه ولا  
 يرفعونه في المغنم ، قال ابن عمر : إن جيشاً غنموا في زمان رسول الله صلى الله  
 عليه وآله وسلم طعاماً وعسلاً ولم يؤخذ منه الخمس ، ذكره أبو داود ، وتفرّد  
 عبد الله بن المغفل يوم خيبر بجرب شحم وقال : لأعطي اليوم أحداً من هذا  
 شيئاً ، فسمعه رسول الله فتبسم ولم يقل له شيئاً ، وقيل لابن أبي أوفى : كنتم  
 تخمسون الطعام في عهد رسول الله ؟ فقال : أصبنا طعاماً يوم خيبر وكان

الرجل يجيء فيأخذ منه مقدار ما يكفيهِ ثم ينصرف ، وقال بعضُ الصحابة : كنا نأكل الجوز في الغزو ولا نكثر حتى إن كنا لنرجع إلى رحالنا وأقربتنا مملوءة منه ، وقيل إنه يُعفى عما استُهلك بالأكل فقط دون ما فضل .

وَنَهَيْهِ اشْتِدَّ عَنِ الْغُلُولِ  
وَرَبِّمَا مَنُ غُلٍّ شَيْئاً أَدَبَهُ  
كُذَا عَنِ النَّهْبَةِ صَحَّ نَهْيُهُ  
وَالْحَكْمُ فِي سَلْبِ الْقَتِيلِ بَيْنَهُ  
وَالْخَلْفُ فِي تَخْمِيسِهِ قَدْ ثَقُلَتْ  
وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَرْضِ حِينَ تُغْنَمُ  
أَوَّلًا ، وَقِيلَ إِنَّهُ خَيْرٌ  
وَقِيلَ أَمَّا مَكَّةُ كَالْوَقْفِ  
وَقِيلَ بَلْ كَسَائِرِ الْأَرْضِ  
وَإِنَّمَا لِلْحَرَمِ الْحَرَمِ  
وَمَصْرَفُ الْخُمْسِ مَنْ قَدْ جَاءَ فِي  
وَفِي دِيَارِ الْمُشْرِكِينَ يَحْرَمُ

عَنِ الْكَثِيرِ مِنْهُ وَالْقَلِيلِ  
مَتَاعَهُ أَحْرَقَهُ وَضَرَبَهُ  
وَالْمَنْعُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا هَدِيَّةً  
يَكُونُ لِلْقَاتِلِ عِنْدَ الْبَيْتَةِ  
وظَاهِرُ الدَّلِيلِ فِي التَّرْكِ فَلَا  
هَلْ مِثْلُ مَنْقُولِ الْمَتَاعِ تُقَسَّمُ  
دَلٌّ عَلَيْهِ مَكَّةُ وَخَيْبَرٌ  
يُثَبَّتُ فِيهَا مَالُهُ مَنْ وَصَفَ  
فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ بِالْإِتْرَاضِ  
لَا يَخْتَلِي الْخَلْيُ وَيُسْفَكُ الدَّمُ  
آيَتُهُ عَلَى خِلَافِ فَاعِرْفَ  
لِغَيْرِ عَزْمٍ أَنْ يُقِيمَ الْمُسْلِمُ

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشدد في الغلول جداً ويقول : « هو عار ونار وشنار على أهله يوم القيامة » ولما أصيب غلامه مدغم قالوا هنيئاً له بالجنة ، قال : « كلاً والذي نفسي بيده ؛ إنَّ الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تُصِبْها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » فجاء رجل بـشراكٍ أو شراكين لما سمع ذلك فقال : « شراك - أو شراكان - مِنْ نار » وقال لمن كان على ثقله وقد مات : « هو في النار » فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غُلِّها ، وقالوا في بعض

غزواتهم : فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : وفلان شهيد ، فقال : « كلا إني رأيته في النار في بُردة - أو عباءة - غلّها » ، ثم قال رسول الله : « اذهب يا ابن الخطاب فناد في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون » وكان إذا أصاب غنية أمر بلالاً فنادى في الناس فيجيئون بغنائمهم ، فيخمسه ويقسمه ، فجاء رجل بعد ذلك بزمام من شعر ، فقال رسول الله : « سمعت بلالاً نادى ثلاثاً ؟ » قال : نعم ، قال : « فما منعك أن تجيء به » فاعتذر ، فقال : « كنت أنت تجيء به يوم القيامة فلن أقبله منك » وأمر بتحريق متاع الغال وضربه ، وحرقة الخليفتان الراشدان بعده ، وهذا من باب التعزير بالعقوبات المالية الرَّاجعة لاجتهاد الأئمة بحسب المصلحة . وكان ينهى في مغازيه عن النهبة والمثلة ، وقال : « من انتهب نُهبة فليس منا » وكان ينهى أن يركب الرجل دابة من الفيء ، حتى إذا أعجفها ردّها فيه ، وأن يلبس ثوباً من الفيء حتى إذا أخلقه رده فيه ، ولم يمنع من الانتفاع به حال الحرب ، وكان ربما جعل سلب القتل لقاتله عند البيّنة ، وقال : « من قتل قتيلاً فله سلْبُهُ » واختلفوا في تخميسه ، والظاهر من الأدلة عدم تخميسه ، واختلف في الأرض المغنومة : هل تُقسم ؟ وذلك لاختلاف الأدلة : فقد ثبت عنه أنه قسم أرض بني قريظة وبني النضير وخيبر بين الغانين ، وأما المدينة ففتحت بالقرآن ، وأسلم عليها أهلها فأقرت بحالها ، وأما مكة ففتحها عنوة ولم يقسمها ، وقد أجمع العلماء بين فتحها عنوة وترك قسمتها ، فقالت طائفة : لأنها دار المناسك وهي وقفٌ على المسلمين كلهم فلا يمكن قسمتها ، ومن هؤلاء من منع بيعها وإجارتها ، ومنهم من جوز بيع رباعها ومنع إجارتها ، أمّا الشافعي فقال : إنها فتحت صلحاً ؛ فلذلك لم تُقسم ، قال : ولو فتحت عنوة لكانت غنية فيجب قسمتها كما يجب قسمة الحيوان والمنقول ، ولم يَرِ بأساً من بيع رباعها وإجارتها ، واحتج بأنها ملك لأربابها ، وتورث عنهم لأنه قد أضافها الله إليهم بإضافة الملك إلى مالكه ؛ حيث قال

﴿الذين أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحج ٤٠/٢٢] وأنه قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أين تنزل غداً في دارك بمكة ؟ فقال : « وهل ترك لنا عقيل من رباع » وبعض العلماء قال : بجواز الأمرين ، قالوا : والأرض لا تدخل في الغنائم المأمور بقسمتها ؛ بل الغنائم هي الحيوان والمنقول ، وأن رسول الله قد قسم وترك ، وعمر لم يقسم بل أقرها على حالها ، والظاهر من الأدلة أن مكة فتحت عنوة لأنه لم ينقل أحد قط أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهلها زمن الفتح ولا جاءه أحد منهم صالحه على البلد ؛ بل جاء أبو سفيان فأعطاه الأمان لمن دخل داره وأغلق باباً أو دخل المسجد أو ألقى سلاحه ، والصلح يقتضي الأمان العام ، ولأن النبي قال : « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه أذن لي فيها ساعة من نهار »<sup>(١)</sup> وفي لفظ : « إنها لا تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار »<sup>(٢)</sup> وفي لفظ : « فإن أحد ترخص لقتال رسول الله فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم ؛ وإنما أذن لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس » ، وغير ذلك من الأدلة .

وأما مصرف الخمس فمصرفه من في الآية في الأنفال ﴿واعلموا أنما غنمنا من شيء فإن الله خمسه وللرسول ...﴾ إلخ الآية [٤١/٨] ، ومنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إقامة المسلم بين المشركين إذا قدر على الهجرة من بينهم ، وقال : « إني بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال : « لا تراءى ناراهما » وقال : « من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله » ، إلا لعذر كما فعل العباس بن عبد المطلب فإنه بقي بمكة مسلماً مخفياً إسلامه لنقل الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الأسارى

وفي الأسارى الهدي مَنْ أُؤْفِدَا      أو قتلهم صبراً ، ورَبّاً فـدَا  
 ٣٣ من الكفار مسلمينَا      أو يسترَقُّهم كَا رَوِينَا  
 واختلفوا هل تُوطأُ المِسيَّةُ      كَافِرةً ، فَالسَّنَةُ المَروِيَّةُ  
 تقضي بِحَلِّ وَطئِهَا في الكفر      لَكِنَّ من يَطْأُ فليستَبْري

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَمْنُ على بَعْضِ الأَسْرَى كَمَا فَعَلَ في  
 أسارى أوطاس وفي غزوة الحديبية ، وَيَقْتُلُ بَعْضَهُمْ كَمَا فَعَلَ في عَقْبَةِ بِنِ مَعْطِ ،  
 وَيَفَادِي بَعْضَهُم بِالْمَالِ كَمَا فَعَلَ في أسارى بدرٍ ، وَيَفَادِي بَعْضَهُم بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ،  
 وَيَسْتَرْقُ بَعْضَهُمْ وَكَانَ يَسْتَرْقُ سَبِي الْعَرَبِ كَمَا يَسْتَرْقُ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ،  
 وَكَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ : « أَعْتَقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ  
 إِسْمَاعِيلِ » وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَطْوُونَ الْمَسِيَّةَ بَعْدَ اسْتِبْرَائِهَا بِحِيْضَةٍ ، وَقَالَ لَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ ، وَلَا حَائِلٌ  
 حَتَّى تَسْتَبْرَأَ بِحِيْضَةٍ » <sup>(١)</sup> وَأَبَاحَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ وَلَمْ يَشْطَرِطِ الْإِسْلَامَ ، بَلْ قَالَ تَعَالَى :  
 ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء ٢٤/٤] فَأَبَاحَ وَطْءَ مَلِكِ  
 الْيَمِينِ وَإِنْ كَانَتْ مُحْصَنَةً إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا بِالْإِسْتِبْرَاءِ .

وصح نهيه عن التفريق بين ذوي الأرحام في الرقيق

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمنع التفريق في السبي بين الوالدة  
 وولدها ويقول : « من فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَبَّتِهِ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ » <sup>(٢)</sup> وَكَانَ يُؤْتَى بِالسَّبِيِّ فَيُعْطَى أَهْلَ الْبَيْتِ جَمِيعاً كِرَاهَةً أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ .

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم في المستدرک عن أبي سعيد .

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرک عن أبي أيوب بلفظه .



ومن على مامعه قد أسلمَ      أقرّه في يـــــــده وسلّمَ  
كذا الذي قد أتلّف الكفار      لم يضمنوا جاءت به الأخبار  
هذا وما جازوه مع كفرهم      قهراً من المال إلى دورهم  
ملكاً لهم يكون والدليل      باع رباع المصطفى عقيل  
وقيل لا يحل مال مسلم      إلا بطيب النفس منه فاعلم  
قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن مَنْ أسلم على شيء فهو له ، وأن  
ما أتلّفه الكفار لم يضمنوه ، فقد صح عنه أن المهاجرين طلبوا منه دورهم يوم فتح  
مكة فلم يردّ على أحدٍ داره ، وقيل له أين تنزل غداً من دارك بمكة ؟ فقال :  
« وهل ترك لنا عقيل منزلاً » وذلك لاستيلاء عقيل عليها .

### هديه صلى الله عليه في الصلح والأمان

وهديه في الصلح والأمان      جاءت به صرائح القرآن  
إن استجار أحدٌ أجاره      وردّه مأمّنه وداره  
بعد سماعه كلام الله      والنصح والدعوا إلى إلاه  
ذمة كل المسلمين واحدة      بذاك سنة النبي وارده  
يسعى بها أدناهم فتشبتوا      ومن أباهها فعليه اللّعة

كان هديه في الأمان أن من جاءه من الكفار مستجيراً أجاره حتى يسمع  
كلام الله ، وردّه إلى مأمّنه عملاً بقوله تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك  
فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ إلى آخر الآية [ التوبة ٦/٩ ] ،  
وثبت عنه أنه قال : « ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر فعليه  
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً »

وَقَالَ : « الْمَسْمُونُ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ » <sup>(١)</sup> .

وَالصُّلْحُ قَدْ كَانَ عَلَى أَقْسَامٍ	لِمَنْ أَتَى الدَّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ
مَقِيداً بِمِدَّةٍ وَمُطْلَقاً	رَوَاهُ مِنْ حِفْظِهِ وَحَقِّقَ
فَبَعْضُهُمْ صَالِحُهُمْ وَوَادِعَا	بَكُونِهِ لِلْحَرْبِ عَنْهُمْ وَاضْعَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ لَهُ قِتَالٌ	وَلَمْ يَظْهَرُوا وَلَمْ يَأْلُوا
وَإِنْ أَضَافُوا غَيْرَهُمْ إِلَيْهِمْ	جَرَى عَلَيْهِ مَا جَرَى عَلَيْهِمْ
وَإِنْ أَتَى مُسْلِمُهُمْ يُرَدُّ	إِنْ كَانَ رَدُّهُ اقْتِضَاهُ الْعَقْدُ
إِلَّا النَّسَاءَ رَدَّهُنَّ يَحْرُمُ	كَذَاكَ رَدُّ مَهْرَيْنِ يُلْزَمُ
وَبَعْضُهُمْ عَلَى الْخَرَاجِ عَوْمَلُوا	وَبَعْضٌ أَجْلُوا وَبَعْضٌ قُتِلُوا
وَبَعْضُهُمْ ذِمَّتُهُمْ قَدْ عَقِدَتْ	بِجَزِيَةٍ عَلَيْهِمْ قَدْ ضُرِبَتْ
مِنَ النَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ	لِأَسَائِرِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجُحُودِ
وَقِيلَ بَلْ جَمِيعُهُمْ عَلَى سِوَا	فُسِّلَ عَنِ النَّبِيِّ قَدْ رَوَى
إِذَا لَقِيتَ كَافِراً فَادْعَ إِلَى	إِحْدَى ثَلَاثِ أَهْيَا قَدْ قَبِلَا
وَعَدَّ مِنْهُمْ النَّبِيُّ الْجَزِيَّةَ	فَكَانَ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْهُمْ هَدِيَّةً

لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ صَارَ الْكُفَّارَ مَعَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : قَسَمَ صَالِحُهُمْ عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ وَلَا يَظْهَرُوا عَلَيْهِ وَلَا يُؤَالُوا عَلَيْهِ عَدُوهُ ، وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ آمِنُونَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ؛ كَمَا فَعَلَ مَعَ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنَقَاعَ وَقَرِيظَةَ ، وَكَانَ صَلَاحُهُ مَعَهُمْ مُسْتَمراً ، وَلَمَّا تَقَضَّوْا الْعَهْدَ حَصَلَ بِهِمْ مَا تَقَدَّمَ

(١) . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ بَلْفَظِهِ مِنْ حَدِيثٍ فِيهِ طَوِيلٌ .

ذكره ، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة ثم تصالح معهم مدة مقيدة كما فعل مع قريش ، فإنه صالحهم عشرين على أن من جاء منهم إليه مسلماً رده إليهم ؛ ومن جاءهم من عنده لا يردونه إليه ، وكان اللفظ عاماً للرجال والنساء فنسخ الله ذلك في حق النساء وأبقاه في حق الرجال ، وأمر الله نبيه والمؤمنين أن يمتحنوا من جاءهم من النساء ، فإن علموها مؤمنة لم يردوها إلى الكفار ، وأمرهم برد مهرها إليهم لِمَا فات على زوجها من منفعة بضعها ، وأمر المسلمين أن يردوها على من ارتدت امرأتها إليهم مهرها إذا عاقبوا بأن يجب عليهم رد مهر المهاجرة ، فيردوه إلى من ارتدت امرأتها ولا يردونها إلى زوجها المشرك . وصالح أهل نجران على خراج يؤدونه من زروع وغيرها . وصالح أهل خيبر لما ظهر عليهم على أن يحلبهم منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله الصفراء ، والبيضاء والحلقة ، وهي السلاح .

ولما نقض بنو قينقاع العهد الذي بينهم وبين رسول الله صالحهم على الجلاء من المدينة ، وكذا فعل ذلك مع بني النضير . وقتل رسول الله من احتلم من بني قريظة لنقضهم العهد ، وكان هديه إذا صالح قوماً وأضافوا غيرهم في الصلح جرى عليه ما جرى على المصالحين ، كما فعل مع قريش يوم الحديبية فإنهم أضافوا بني بكر إليهم ، وأضاف رسول الله خزاعة إليه ، ولما حصل من قريش التعدي على خزاعة جعل رسول الله قريشاً ناقضين للعهد ، وكان ذلك هو السبب في فتح مكة كما تقدم .

ولما نزلت آية الجزية أخذها رسول الله من ثلاث طوائف : من المجوس واليهود والنصارى ، ولم يأخذها من عبّاد الأصنام ، ولهذا اختلف العلماء ، فقيل : لا يجوز أخذها من كافر غير الثلاثة ومن دان بدينهم اقتدى بأخذه وتركه ، وقيل : بل تؤخذ من أهل الكتاب وغيرهم من الكفار كعبدة الأصنام من العجم دون العرب ، وقيل : بل تؤخذ من العرب عبّاد الأصنام لأنه ثبت في صحيح مسلم أنه قال لبعض أصحابه : « إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى

إحدى خلال ثلاث فإن هم أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم « ثم أمره أن يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو يقاتلهم .

ثم وفاء العهد للمعاهد	لِمُؤْمِنٍ عَاهَدْتَهُ أَوْ جَاهِدٍ
وجوبه قطعاً بنصّ الذكر	وَتَقْضَاهُ نَكَرٌ وَأَيُّ نَكَرٍ
في حفظه تواتر التشديد	وَجَاءَ عَلَى النَقْضِ بِهِ الْوَعِيدُ
وإن يكن له الجميع تقضوا	أَوْ وَاحِدًا وَالْآخَرُونَ قَدْ رَضُوا
فحكم السيف إلى أن يسلموا	أَوْ يُذْعِنُوا لِمَا إِلَهُ يَحْكُمُ
القتل والسبي أو الإجملاء	أَوْ عَمَلًا فِي الْمَالِ وَالْبَقَاءِ
ولك أن تعاهد المتها	بِكُمْ مِمَّا اشْتَرَطَ أَنْ لَا يَكْتُمَا
إن قامت القرينة القوية	كَسَعِيهِ فِي الْقِصَّةِ الْمَرْوِيَّةِ
وإن تخف خيانة من الذي	عَاهَدْتَ بِالْعَهْدِ إِلَيْهِ فَاذْبِذْ
وإن ترد قاتلته من بعده	لَا قَبْلَ فَالْوَاجِبُ حِفْظُ عَهْدِهِ
ولنكتفي هنا بهذه الجملة	فَالْمَقْصِدُ التَّنْبِيهِ وَهُوَ قَدْ حَصَلَ
وفي تفاصيل الكلام طول	نَخْشَى مِنْ اسْتِيفَائِهَا التَّطْوِيلُ
فخذ من مطولات الكتب	لَا سِيَّامَا كِتَابَ سِيرَةِ النَّبِيِّ

وفاء العهد للمعاهد ، مؤمناً أو مشركاً ، وَاجِبٌ بِنَصِّ الْكِتَابِ ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [ المائدة ١/٥ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [ النحل ٩١/١٦ ] ، وجاءت به السنة ؛ فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ » وكان هديه صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا صالح قوماً فنقض أحدهم عهده وصلّحه وأقره الباقيون ورضوا به غزاً الجميع وجعلهم كلّهم ناقضين ، كما

فَعَلَ بَنِي قَرِيظَةَ وَالنَّضِيرَ وَبَنِي قَيْنِقَاعَ ، وَكَأَفَعَلَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ ، وَكَانَ هَدِيَهُ مَعَاقِبَةَ الْمُتَنَهَّمِ بِكُمْ مَا اشْتَرَطَ أَنْ لَا يَكْتُمَ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ صَالِحٌ أَهْلَ خَيْبَرَ عَلَى أَنْ يُجْلِيَهُمْ مِنْهَا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رُكَابُهُمْ وَلِرَسُولِ اللَّهِ الصَّفْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ وَالْحَلَقَةَ وَاشْتَرَطَ فِي عَقْدِ الصَّلَاحِ أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يَغَيَّبُوا شَيْئًا ، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ ، فَغَيَّبُوا مَسْكَاً فِيهِ مَالٌ وَحَلَى لِحَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ وَكَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ حِينَ أُجْلِيَتْ بَنِي النَّضِيرِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَعَمَّ حَيِّ بْنِ أَخْطَبٍ وَاسْمُهُ ( سَعِيَّةٌ ) : « مَا فَعَلَ مَسْكُ حَيِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ » فَقَالَ : أَكَلْتَهُ النِّفَقَاتِ وَالْحُرُوبِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « الْعَهْدُ قَرِيبٌ وَالْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ » .

وَقَدْ كَانَ حَيِّ قُتِلَ مَعَ بَنِي قَرِيظَةَ لَمَّا دَخَلَ مَعَهُمْ ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ عَمَهُ إِلَى الزُّبَيْرِ لِيَسْتَفْزِهِ ، فَسَّهَ بَعْدَازٍ ، فَقَالَ : قَدْ رَأَيْتُ حَيِّيًا يَطُوفُ فِي خَرِبَةِ هَاهُنَا ، فَذَهَبُوا فَطَافُوا فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي الْخَرِبَةِ ، فَقَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ابْنِي أَبِي الْحَقِيقِ ، أَحَدَهُمَا زَوْجَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيِّ ، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ بِالنَّكَثِ الَّذِي نَكثُوا ، وَأَرَادَ أَنْ يُجْلِيَهُمْ مِنْ خَيْبَرَ فَقَالُوا : دَعْنَا نَكُنْ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نُصْلِحُهَا وَتَقُومَ عَلَيْهَا فَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهَا مِنْكُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ غِلْمَانٌ يَكْفُونَهُمْ مُؤَنَّتَهَا ، عَلَى أَنْ لِرَسُولِ اللَّهِ الشُّطْرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُخْرِجُ مِنْهَا مِنْ تَمْرٍ أَوْ زَرْعٍ وَلَهُمُ الشُّطْرُ ، وَعَلَى أَنْ يَقْرَهُمْ فِيهَا مَا شَاءَ ، وَلَمْ يَعْمَهُمْ بِالْقَتْلِ كَمَا عَمَّ قَرِيظَةَ لِاشْتِرَاكِ أُولَئِكَ فِي تَقْضِ الْعَهْدِ ، وَأَمَّا هَؤُلَاءُ فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ جَمِيعَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا بِمَسْكِ حَيِّ وَأَنَّهُ مَدْفُونٌ فِي خَرِبَةٍ .

وَكَانَ هَدِيَهُ إِذَا خَافَ خِيَانَةَ مَنْ عَاهَدَهُمْ نَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ فِي قِتَالِهِمْ .  
عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [ الْأَنْفَالُ ٥٨/٨ ] .

وَقَدْ اكْتَفَى النَّازِمُ بِمَا ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِ الْمَنْظُومَةِ إِلَى هُنَا عَلَى جِهَةِ الْإِيجَازِ

والتنبيه للمطلع ، ولو أراد تفصيل الكلام في كل شيء لطال الكلام ولكنه أحال ذلك على الكتب المطولة لاسيما كتب سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

خاتمة تضمنت أنواعا	لقاصد من هديه اتباعاً
وهديّه عند قضاء الحاجة	الستر إذ عنه روى ابن ماجه
ومن أتى الغائط فليستر	أو لكثيب الرمل فليستدبر
والبعد حتى لا يراه أحد	والثوب لا يرفع قبل يقعد
كذا ارتياد دميث لبوله	عنه أتى من قوله وفعله
وقبل القعود الذي أثر	وقول غفرانك بعد قد ذكر
بالماء يستنجي أو يستجمر	والجمع للأمرين عنه يؤثر
وكان يستطيع باليسار	والوتر مسنون من الأحجار
وأن يبول قائماً نهى ولا	يستدبر القبلة أو يستقبلا
والعلماء قولهم طویل	مختلفة فيه لهم تفصيل
وحاله فيكره الكلام	كما عليه يكره السلام
ويتقى ملاءعاً كالسوق	والظل والمورد والطريق

هديه صلى الله عليه وآله وسلم عند قضاء الحاجة التستر كما رواه ابن ماجه ، وكان إذا أتى الغائط انطلق حتى يتواري عن أصحابه ، وربما كان يبعد نحو الميلى ، وكان يستتر للحاجة بالهدف تارة وبحشائش النخل تارة وبشجر الوادي تارة ، وإنما تباعد عن الناس لئلا يراه أحد وهو يبول ، أو يسمع له صوتاً ، وكان إذا أراد أن يبول في عزاز من الأرض - وهو الموضع الصلب - أخذ عوداً من الأرض فنكت به حتى يثرى ثم يبول ، وكان يرتاد لبوله الموضع اللين الرخو من الأرض ، وكان إذا دخل الحلاء قال : « اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث ،

اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الشيطان الرجيم « وكان إذا خرج من الخلاء يقول : « غفرانك » وإنما استغفر الله لعدم ذكره الله حال قضاء الحاجة ، وكان يستنجي بالماء تارة ، ويستجمر بالأحجار تارة ، ويجمع بينهما تارة ؛ وهذا هو الأولى لقوله لأهل قباء لما نزل قوله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [ التوبة ١٠٨/٩ ] : « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فَاذَا تَصْنَعُونَ » قالوا : إِنَّا تَتَّبِعُ الْحَجَارَةَ الْمَاءَ ، قال : « ذَلِكُمُوهُ فَعَلَيْكُمْوه » وكان يستطيب باليسار ، وأمر من استجمر بالأحجار أن يوتر كما روي في صحيح البخاري ومسلم في سياق حديث : « ومن استجمر فليوتر ، مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَاحِرَجٌ » . وما كان يبول إلا قاعداً ، قالت عائشة : مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَبُولُ قَائِماً فَلَا تَصَدَّقُوهُ ؛ مَا كَانَ يَبُولُ إِلَّا قَاعِداً .

وقيل : إنه بال مرة قائماً لوجع في مأبطه ، وقد ذكر الترمذي عن عمر بن الخطاب . قال : رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبُولُ فَقَالَ : « يَا عَمْرُ لَا تَبْلُ قَائِماً » قال : فَمَا بُلْتُ قَائِماً بَعْدُ ، وقد نهى عن استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة ، ونهى عن الكلام في حال قضاء الحاجة ، وإذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليه ، وكان إذا استنجى بالماء ضرب يده بعد ذلك على الأرض ليزوال الرائحة والزوجة ، ونهى عن البول والغائط في مواضع جمعها الشاعر في قوله :

ملاعنها نهرٌ وسبلٌ ومسجدٌ      ومسقطٌ أثمارٌ وقبرٌ ومجلسٌ  
وبعضها محرّمٌ كالسجد والقبر ، وبعضها مكروه كالطريق والظل .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في النوم

لَيْلُ النَّبِيِّ قَدْ غَدَا مَقْسُومًا      بَيْنَ مَنَامِهِ وَأَنْ يَقُومَ  
 مِنْ لَيْلِهِ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ      إِلَّا لَأَمْرٍ صَالِحٍ قَدْ شَغَلَهُ  
 وَعَنْهُ فِيهِ قَدْ رُوِيَ أَذْكَارُ      مَأْثُورَةٌ صَحَّحَهَا الْأَخْبَارُ  
 وَجَمَعَ كَفِيُّهُ وَنَفَثَ الرِّيقُ      إِلَيْهِمَا رَوَاهُ ذُووُ التَّحْقِيقِ  
 وَمَسَحَ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِهِ      ثُمَّ اضْطَجَاعُهُ عَلَى أَيْمَنِهِ  
 مُسْتَشْعِرًا فِي نَوْمِهِ لِلْخَوْفِ      فِرَاشُهُ مِنْ أَدَمٍ وَلَيْفِ  
 أَوْ نَطَعَ أَوْ مَسَحَ أَوْ حَصِيرِ      وَرَبَّمَا نَامَ عَلَى السَّرِيرِ  
 وَتَارَةً مُفْتَرِشًا لِلْأَرْضِ      هَذَا هُوَ الْخُلُقُ الشَّرِيفُ الْمَرْضِي  
 يَنَامُ لَكِنْ قَلْبُهُ مُسْتِيقِظَ      مَا أَحَدٌ لَهُ يَكُونُ يَوْقِظُ  
 حَتَّى إِذَا اسْتِيقِظَ مِنْهُ ذَكَرَ      خَالِقَهُ مُسَبِّحًا مُكْبِرًا  
 وَرَبَّمَا مِنْ آلِ عِمْرَانَ قَرَأَ      مِنْ آخِرِ السُّورَةِ عَنْهُ ذِكْرًا  
 مِنْ بَعْدِ أَنْ يَسْتَاكَ كَانَ يَوْتِرُ      بَعْدَ الْوُضُوءِ عَنْهُ هَذَا يُؤَثَّرُ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَقُومُ  
 لِلْعِبَادَةِ ثَلَاثَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَنَامُ سُدُسَ اللَّيْلِ فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

قِيَامٌ ثَلَاثَ بَعْدَ نَوْمِ النِّصْفِ      وَنَوْمٌ سُدُسٌ بَعْدَهُ فَاسْتَوْفِي

وَإِنَّمَا نَامَ سُدُسَ اللَّيْلِ الْآخِرِ لِيَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ بِنَشَاطٍ ، وَرَبَّمَا سَهَرُ أَوَّلِ  
 اللَّيْلِ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا  
 وَأَمُوتَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَكَانَ يَجْمَعُ كَفِيَّهُ ثُمَّ يَنْفَثُ فِيهَا ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِيهَا :  
 ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾



ثم يَمْسَحُ بِهَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ  
يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَكَانَ يَنَامُ عَلَى شِقِهِ الْأَيْمَنِ وَيَضَعُ يَدَهُ  
الْيَمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ » وَكَانَ  
يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا فِكْمَ مَنْ لَا كَافِيَ لَهُ  
وَلَا مُؤَوِّي » ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ ، وَذَكَرَ أَيْضاً أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ : « اللَّهُمَّ  
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، مَنْزِلَ التَّوْرَةِ  
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ ، أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، أَنْتَ الْأَوَّلُ  
فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ  
شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَاغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ »  
رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ فِي اللَّيْلِ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ  
سُبْحَانَكَ ، اللَّهُمَّ اسْتَغْفِرْكَ لِدُنْيِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْماً وَلَا تُزِغْ قَلْبِي  
بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَكَانَ  
إِذَا انْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » ثُمَّ  
يَتَسَوَّكُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَرَبَّمَا قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿ إِنْ  
فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ إِلَى آخِرِهَا ، وَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَنْ  
فِيهِنَّ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ،  
وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ؛ وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ  
آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ تَحَاكَمْتُ ؛ فَاعْفِرْ  
لِي مَا قَدِمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ »  
أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَكَانَتْ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ ، وَكَانَ إِذَا نَامَ لَمْ يَوْقِظُوهُ حَتَّى  
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْتَيْقِظُ ، وَكَانَ يَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَتَارَةً عَلَى النَّطْعِ ، وَعَلَى  
الْحَصِيرِ تَارَةً ، وَعَلَى الْأَرْضِ تَارَةً ، وَعَلَى السَّرِيرِ تَارَةً ، بَيْنَ رِمَالٍ تَارَةً ، وَتَارَةً

على كساء أسود ، وكان فراشه أدمًا حشوه ليف ، وكان له مسح ينام عليه يُثنى  
 بثنتين ، وثني له يومًا أربع ثنياتٍ فنهاهم عن ذلك ، وقال : « ردّوه إلى حاله  
 الأول فإنه منّني صلاتي الليلة » رواه الترمذي ، والمقصود أنه نام على الفراش  
 وتغطى باللحاف ، وقال لنسائه ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غير  
 عائشة ، وكانت وسادته أدمًا حشوها ليف .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم مع نسائه

وهديّه كان مع النّساء	قسمتّه المبيت بالسّواء
لا الوطيّ فهو ربّيّا طاف على	جميعهن عنه هذا ثقل
وإن يسافر بينهن قرع	إلا لحجّه فسافرن معا
وكان أحسن الورى معاشره	لهن فالسنّة عنه ظاهره
تلعّب إحداهن وهو ينظر	وربّيّا كان بذاك يأمر
وربما سابقتها ودافع	وطلق النبيّ ثم راجع
كذلك الإيلاء شهرًا كاملاً	ومن يقل ظاهراً قال باطلاً

صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يقيم بين نسائه في المبيت والإيواء  
 والنفقة مراعاةً للعدل ، وإلا فقد رفع الله عنه وجوب المساواة في المبيت والإيواء  
 لقوله تعالى : ﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ  
 عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب ٥١/٣٣] ، وأما المحبة فقد كان يقول :  
 « اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك » قيل : هو الحب والجماع ،  
 ولا يجب التسوية في ذلك ؛ فقد ثبت أنه دار على نسائه جميعهن في الليلة  
 الواحدة ، وكان قد أعطي قوة ثلاثين في الجماع وغيره ، وأباح الله له من ذلك ما لم  
 يبيحه لأحد من أمته ، وكان يقول : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » ،

وكان إذا سافر قرع بينهنّ إلا في حجة الوداع فإنه سافر بهنّ جميعاً ، وكان أحسن الخلق معاشرةً ، فكان لا يفضل بعضهن على بعض في مكثه عندهن ، وكانت عائشة تلعب مع بنات الأنصار ، وربما كان يأمرُ بذلك ، وكانت إذا هَوَيْتُ شيئاً لا محذور فيه تابعتها عليه ، وربما تسابق هو وإيّاها في السير على الأقدام مرتين وتدافعا في خروجهما من المنزل مرّة وطلّق صلى الله عليه وآله وسلم بعض نساءه ثم راجعها وحصل منه الإيلاء مؤقتاً بشهرٍ منهنّ جميعاً ولم يُظَاهِرْ أبداً .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في اللباس

وإن أردتَ الهديَ في الملابس	فَقِفْ على ملبسوس خير لابس
يلبَسُ ما يجِدُ كيف كانَ	قُطْناً أو الصوف أو الكُتَّانَا
لونَ البياضِ عنده أحبُّ	من كل لون فهو مستحب
ملبوسه قد كان أوسط الثياب	له عمامة تسمى السحاب
مابين كتفيه له ذؤابة	ترخى كما وصفه الصحابة
ويلبس الإزار والرداء	وجبّة والفرو والقَبَاءَ
وفروة مكفوفة بالسُّنْدَسِ	لبسها كما روي عن أنسٍ
كان أحبُّ لبسه القَمِيصَا	فكن على لبسته حَرِيصَا
وعنه لبس السراويل روي	كذا شراؤه له وهو القوي
وحلّة حمراء كان يلبسُ	ووصفها تحقيقه مُلتبسُ
فلم تكن حمراء محتأً إنما	خطوطها حُمر فراجع مسلماً
ففيه ما يقضي بحظر الأحمرِ	أو خالص الحمرة كالمعصفرِ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبس ماتيسر من اللباس من

الصوف تارة ، والكتان تارة ، ولبس البرود اليمانية والبرد الأخضر ، ولبس الجبة والقباء والقميص ، وكان أحب الألوان لديه البياض وقال : « هي من خيار ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم ، وكان له عمامة تسمى السحاب كساهها علياً وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة ، وربما لبس القلنسوة بغير عمامة ، ولبس العمامة بغير قلنسوة ، وكان إذا اعتمَّ أرخى عمامته بين كتفيه تارة وتارة يتركها كما رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه . وكان يلبس الإزار والرداء ، قال الواقدي : كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر ، وإزاره من نسج عُمان طول أربعة أذرع في عرض ذراعين وشبر ، وكان أحب لباسه القميص والحبرة ؛ وهي ضرب من البرود وفيه حَمرة ، وقد<sup>(١)</sup> روي عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأنى أنظر إلى يديه تذبذبان ، قال الأصمعي : المسائق فراء طوال الأكمام ، قال الخطابي : يشبه أن تكون هذه المستقة ملفوفة بالسندس لأن الفروة لاتكون سندساً ، واشترى سراويل يلبسها ، وقد روي في غير حديث أنه لبس السراويل ، وكان أصحابه يلبسون السراويل بإذنه ، وكان له حلة ، إزار ورداء ، وغلط من ظن أنها حمراء بحتاً لا يخالطها غيرها ، وإنما الحلة الحمراء بُردان يمانيان منسوجان بخطوط حُمْر مع الأسود كسائر البرود اليمانية ، أما الأحمر البحت فقد نهى عنه كما رواه البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن المياثر الحمراء ، وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى عليه ربيعة مضرجة بالعصفر فقال : « ما هذه الربيعة التي عليك ؟ » فعرفت ما كره فأتيت أهلي وهم يسجرون تنوراً لهم فقدفتها فيه ثم أتيته من الغد فقال : « يا عبد الله ما فعلت بالريبعة ؟ » فأخبرته فقال : « هلا كسوتها بعض » (١) رواه الإمام أحمد وهو ضعيف لأن فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ومعنى تذبذبان أي تتحركان وتضطربان يريد الكين وفي المطبوع باديتان وهو تحريف . اهـ .

أهلك فإنه لا بأس بها للنساء » وفي صحيح مسلم عنه أيضاً قال : رأى النبي ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال : « إنَّ هذا من لباس الكفار ، لا تلبسها » وعن علي كرم الله وجهه قال : نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اللباس المعصفر ، ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صبغاً أحمر .

وقد نهى عن كل ثوب شهرة	يدعوا لنحو خيلا وكِبْرُهُ
وإنما التوسط الحمودُ	ويقنع المقتصد الموجود
ونهيّه اشتد لمسبل الإزار	أو القميص والوعيد بالنار
وقيل لبس الطيلسان بدعة	وقيل لم يرو الثقات منعه
وطول أكام القميص يكره	فما أتى بطولهنّ هديّه
وإن يكن لثوب استجد	سماه باسمه كنحو ذا الرذا
كسوتني ربي أنلني خيره	وهكذا إن كان ثوباً غيره
والخفّ قد لبسه والنعلا	وكل هذا صح عنه ثقلاً
ولم يكن يكره للتجمُّل	لبس الحلال من رفيع الحلل
فهو جميل ربنا تعالى	يحبّ من عباده الجمالا
إلا الحرير خالصاً فيحرّم	على الرجال وهو قول أقوم

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن كل ثوب شهرة سواء كان الثوب غالياً أو منخفضاً ، ففي السنن عن ابن عمر يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مذلةً يلتهب فيه في النار » وهذا لأنّه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك ، كما عاقب من أطال ثيابه خيلاء بأن خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، وفي الصحيحين عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . وفي السنن عنه أيضاً قال :

« الإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ : من جَرَّ شَيْئاً مِنْهَا خِيَلَاءُ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وفي السنن عن ابن عمر قال : ما قال رسول الله في الإِزَارِ فهو في القميص ، وكذلك لُبَسُ الدِّينِي مِنَ الثِّيَابِ يَذَمُّ فِي مَوْضِعٍ وَيُحْمَدُ فِي مَوْضِعٍ ، فيذَمُّ إِذَا كَانَ شَهْرَةً وَخِيَلَاءُ ، ويمدح إذا كان تواضعاً واستكانةً ، وأما لُبَسُ الطَّيْلِيسَانِ فلم ينقل عنه أنه لبسةٌ ولا أحد من أصحابه ؛ بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ : « يَخْرُجُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ يَهُودٍ أَصْبَهَانَ عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ » <sup>(١)</sup> . وأما طول أكام القميص الذي يصنعه الناس اليوم فلم يكن يلبسها هُوَ ولا أحد من أصحابه البتَّةُ ، وكان إذا استجدَّ ثوباً سَمَّاهُ بِاسْمِهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الْقَمِيصَ - أَوِ الْعِمَامَةَ أَوِ الرِّدَاءَ - أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صَنَعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صَنَعَ لَهُ » وقد لبس رسول الله الخفَّ والنعل ، ولم يكن يمنع من لبس الجميل للتَّجَمُّلِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « إِنْ اللَّهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ » إِلَّا الْحَرِيرَ فَقَدْ نَهَى عَنْهُ ، كَمَا نَهَى عَنِ الذَّهَبِ وَقَالَ : « هَذَانِ حَرَامَانِ عَلَى ذَكَورِ أُمَّتِي حِلٌّ لِإِنَاثِهِمَا » .

بَخَّاتِمِ الذَّهَبِ قَدْ تَخْتَمُ      ثُمَّ نَهَى مِنْ بَعْدِ عَنْهُ وَرَمَى  
وَأَمَّا خَاتَمُهُ مِنْ فِضَّةٍ      فِيهِ أَتَى عَنْهُ صَحِيحُ السَّنَةِ  
نَقَشَ فِي ذَلِكَ اسْمُهُ لِيَخْتَمَ      إِلَى الْمُلُوكِ كَتَبَهُ لِيُعْلَمَ

لبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً من ذهبٍ ثم رمى به ونهى عن التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ ، ثم اتخذ خاتماً من فِضَّةٍ ونقش في ذلك اسمه : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، وجعل لفظ الجلالة في رأس الختم ورسول تحتها ومحمد تحتها تأدُّباً ،

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ وَهُوَ جَمْعُ طَيْلِسَانَ ، أَعْجَمِي مُعَرَّبٌ ، ثَوْبٌ يَلْبَسُ عَلَى الْكَتِفِ يَحِيطُ بِالْبَدَنِ ، يَنْسُجُ لِلْبَشَرِ خَالَ عَنِ التَّفْصِيلِ وَالْخِيَاطَةِ ، وَهُوَ مَرْوِيُّ عَنْ أَنَسٍ وَمَالِكٍ وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي رَوَايَتِهِ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ .

وكان يختم به رسائله إلى الملوك ، وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه ، وذكر الترمذي أنه كان إذا دخل الحلاء نزع خاتمه وصححه ، وأنكره أبو داود .

والهـدي في حرائر النساء      ستر جميع الجسم لآالإماء  
في الستر كالرجال لكن كلما      يحل للحرّة حلّ للإماء  
واختلفوا فيه على قولين      والستر عندي أحوطُ الأمرين

ستر المرأة جسّمها واجبٌ ؛ الوجه وغيره ؛ إلاّ القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً فقد أباح الله لهنّ وضع ثيابهن بشرط عدم التبرج بزينة ، والستر لهنّ خير لهنّ وذلك للأدلة ، كتاباً وسنةً ، أما الأمة فمن العلماء من يقول : لا يجب عليها من التستر إلاّ ما يجب على الرجال ، وهو من الرُكبة إلى تحت السرة ، ومن العلماء من يقول : إنّ حكمها حكم الحرّة في وجوب التستر ، وهذا هو الذي استرجحه الناظم ، ولا خلاف بأنه يحل للأمة لبس الحرير والذهب كالحرّة .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الطّعام

فصل وخير الهدي في الطعام	هديّ النبي سيد الأنام
فنه كان يأكل الموجدوا	ولم يكن ليطلب الفقـودا
إن يشتهي الطيب منه أكـل	كما روي أو لا فعنه عدلا
ماعاب قط من طعام ثم ما	كان لما يعافه محرّما
يعاف شيئاً لم يكن من عاداته	لكنه يؤكل في مائدته
ويأكل العسل ثم الحلوى	ولهما كان النبي يهـوى
ورطباً بالزبد ثم الدُّبّا	كان لها من غيرها أحب
ويأكل اللحم طبخاً وشوا	صح كما عنه رواه من روى

وهديّه يأكل ماتيسرا      وريراً أعوزّه فصبراً  
شهرين أو أكثر ليس يوقّد      في يثته ولا الطعام يوجد  
وربّط الحجر من جوع على      بطن له حين للبن حمل

كذلك كان هديه صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته في الطعام لا يردّ موجوداً ولا يتكلف مفقوداً ، فما قُربَ إليه شيء من الطيبات إلا أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [ المؤمنون ٥١/٢٣ ] ، وما عاب طعاماً ؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه كما ترك أكل الضب حين قرب إليه لما لم يعتدّه ، ولم يحرمه على الأمة ؛ بل أكل على مائدته وهو ينظر ، وأكل الحلوى والعسل وكان يحبهما ، وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحبارى ولحم حمار الوحش والأرنب وصيد البحر ، وأكل الشواء وأكل الرطب والتمر ، وشرب اللبن ، خالصاً ومشوياً ، والسويق والعسل بالماء ، وشرب تقيع التمر ، وأكل الخزيرة ، وهي حساء يتخذ من اللبن والدقيق ، وأكل القثاء بالرطب ، وأكل الأقط ، وأكل التمر بالخبز ، والخبز بالخل ، والثريد - وهو الخبز باللحم - والخبز بالإهالة - وهي الودك - وأكل من الكبد المشوية ، وأكل القديد ، وأكل الدبّاء المدبوحة وكان يحبّها ، وأكل المسلوقة ، وأكل الثريد بالسمن ، والخبز بالزيت ، والبطيخ بالرطب ، والتمر بالزبد ، وأكل الجبن ، وكان هديه أكل ماتيسر فإن أعوزّه صبر ؛ حتى إنه ليربط على بطنه الحجر والحجرين من الجوع كما روي في حديث خروجه إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان مع أبي بكر وعمر ، وكان يرى ثلاثة أهلة ولا يوقد في بيته نار .

كما روته عائشة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

من اليمين بالثلاث يأكل      ولعقها بعد الفراغ ينقل  
يقعي لدى الأكل عنه يذكر      تورك فاحرص على مايؤثر



وَظَهَرَ رِجْلَهُ الْيَمِينَ جَعَلَ  
 وَلَمْ يَكُنْ مُتَكِنًا قَدْ أَكَلَ  
 تَسْمِيَةً أَوْلَاهُ وَالْحَمْدُ  
 وَلَمْ يَكُنْ يَمْسَحُ بِالْمُتَكِنِ  
 لَكِنْ لَيْسَ كَمَا قَدْ أَكَلَ  
 وَقَدْ أَضَافَ وَأَجَابَ الدَّعْوَةَ  
 وَشَرَّ مَا يَمْلَأُ مِنْ وَعَاءٍ  
 وَأَكَلَ مَا يُكْرَهُ مِنْهُ الرِّيحُ  
 فِي بَطْنٍ يَسْرَاهُ عَلَى مَا تُقِلُّ  
 وَالذِّكْرُ لِلطَّعَامِ عَنْهُ نُقِلَ  
 مَعَ الدَّعَا الْمَأْثُورِ عَنْهُ بَعْدُ  
 وَالغَسْلُ بَعْدُ وَاضِحُ الدَّلِيلِ  
 فَلَيْدِيهِ بَعْدَهُ قَدْ غَسَلَ  
 وَإِنَّهُ أَسْوَتْنَا وَالْقُدُوءُ  
 بَطْنٌ لِيَذَا نَهَى عَنْ امْتِلَاءِ  
 النَّهْيِ عَنْهُ وَارِدٌ صَحِيحٌ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأكل بيده اليمنى بأصابعه الثلاث ،  
 وكان يَلْعَقُهَا إِذَا فَرَغَ ، وَهُوَ أَشْرَفُ مَا يَكُونُ مِنْ أَكْلِهِ فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَأْكُلُ بِأَصْبَعٍ  
 وَاحِدَةٍ ، وَالْجَشَعَ الْحَرِيصَ يَأْكُلُ بِالْخَمْسِ وَيُدْفَعُ بِالرَّاحَةِ ، وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْأَكْلِ  
 بِالشَّمَالِ ؛ فَقَالَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ » وَكَانَتْ عَادَتُهُ عِنْدَ  
 الْأَكْلِ أَنْ يَأْكُلَ مُتَّعِيًا ؛ وَهُوَ أَنْ يَرْفَعَ رِجْلِيهِ وَيَضَعُ إِلَيْتَهُ فَوْقَهَا ، وَرَبَّمَا قَعَدَ عَلَى  
 الرَّجْلِ الْيُسْرَى وَنَصَبَ الرَّجْلَ الْيُمْنَى ، وَرَبَّمَا تَوَرَّكَ كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَشَهَّدُ فِي الصَّلَاةِ  
 فِي إِحْدَى رَوَايَاتِهِ بِأَنْ يَضَعَ ظَهْرَ رِجْلِهِ الْيُمْنَى فِي بَطْنٍ يَسْرَاهُ ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ  
 مُتَكِنًا ، وَالِاتِّكَاءُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ ؛ أَحَدُهَا الْإِتِّكَاءُ عَلَى الْجَنْبِ ، وَالثَّانِيَةُ التَّرَبُّعُ كَمَا  
 يَفْعَلُهُ الْمُتَرَفِّهُونَ عِنْدَ الْأَكْلِ ، وَالثَّلَاثَةُ الْإِتِّكَاءُ عَلَى إِحْدَى يَدَيْهِ وَأَكْلُهُ بِالْأُخْرَى ؛  
 وَالثَّلَاثُ مَذْمُومَةٌ ، وَكَانَ يَسْمِي اللَّهَ عَلَى أَوَّلِ طَعَامِهِ ، وَأَمَرَ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ  
 بِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : « سَمَّ اللَّهَ يَا غُلَامُ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » وَبِحَمْدِهِ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ عِنْدَ  
 انْقِضَائِهِ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرُ مُكَفِّيٍّ وَلَا مُؤَدِّعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى  
 عَنْهُ رَبَّنَا » <sup>(١)</sup> وَرَبَّمَا قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ؛ مَنْ عَلَيْنَا فَهَدَانَا

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٥٠١/٩ - ٥٠٢ ، وَرَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ ص ١٣٥٢ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَنَدُهُ قَوِي .

وَأَطْعَمَنَا وَأَسْقَانَا وَكَلَّ بِلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا ، الحمد لله الذي أطعمنا الطعام وسقى من الشراب وكسا من العري وهدى من الضلالة وبَصَّرَ من العمى وفضلنا على كثير ممن خلقَ تفضيلاً ؛ الحمد لله رب العالمين » وربما قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا من غير حول مِنَّا ولا قُوَّةَ » وكان إذا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ لَعَقَ أَصَابِعَهُ ، وقد أمر بذلك حيث قال : « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يَغسل يده أو يمسح حتى يَلْعَقَهَا أو يَلْعَقَهَا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » ولم يكن عادته غسلُ يديه كُلَّمَا أَكَلَ ، وقد أضاف غيره ، وأجاب الدعوة كما في حديث جابر يوم الخندق وأبو سليم ، ونهى عن الامتلاء بالطعام فقال : « حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيَمَاتٍ يَقْمَنُ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ وَلَا بَدَّ فَثَلْثَ لَطَعَامِهِ وَثَلْثَ لَشْرَابِهِ وَثَلْثَ لِنَفْسِهِ » وكان لا يأكل ما فيه الريح ولا يَحْرِمُهُ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ دُخُولَ الْمَسْجِدِ ، فقد قال : « إني أناجي من لَاتُنَاجُونَ » وقال : « من أكل هذه الخضراوات فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا » والمقصود منه عدم أذيته الملائكة والمصلين .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الشرب

وَشَرِبُهُ الْمَاءَ وَهُوَ قَاعِدٌ	وَالنَّهْيُ عَنْ شُرْبِ الْقِيَامِ وَارِدٌ
وَمَا أَتَى مِنْ شُرْبِهِ مَعَ الْقِيَامِ	فِي زَمْرٍ فَهُوَ لِمَقْتَضَى الزَّحَامِ
وَمَنْ عَلَى يَمِينِهِ قَدْ نَآوَلَهُ	يَشْرَبُ بَعْدَهُ فَإِنْ الْحَقَّ لَهُ
وَشَرِبَهُ كَانَ مَعَ التَّنَفُّسِ	ثَلَاثَ مَرَاتٍ رَوَى عَنْ أَنَسٍ
وَالْمَصُّ عِنْدَ الشُّرْبِ مُسْتَحَبٌّ	وَالْعَبُّ مَكْرُوهٌ فَلَا يَعْْبُ
تَغْطِيَةُ الْإِنْيَاءِ وَالتَّخْمِيرُ	وَلَوْ بَعُودَ فَعَلَّهُ مَا أَثُورُ
وَإِنْ يَكُنْ مَأْوُكَ فِي السَّقَاءِ	عَلَيْكَ بِالرَّبْطِ وَبِالْإِيكَاءِ
وَسَمٌّ إِذْ تَرَبَّطَ بِهِ أَوْ تَخْمَرُ	لِحِكْمَةٍ فِي ذَاكَ عَنْهُ تَوْثُرُ

وثلْمَة في قَدَحٍ يَجْتَنِبُ      والنفخ في الإناء حين يشربُ  
والشرب في الفضة أو في الذهب      والأكل صَحٌّ عنهما نَهْيُ النبي

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر شربه قاعداً ، وزَجَرَ عن الشرب قائماً ، وشرب مرة قائماً فقليل هذا نسخ لنهيه ، وقيل بل فعله لبيان جواز الأمرين والذي يظهر والله أعلم أنها واقعة عين شرب فيها قائماً لعذر ، وسياق القصة يدل عليه فإنه أتى زمزم وهم يستقون منها فأخذ الدلو وشرب قائماً لعذر يمنع من القعود ؛ وبهذا يجمع بين الأحاديث ، وكان إذا شرب ناوِلَ مَنْ عَنْ يمينه وَإِنْ كَانَ من عن يساره أكبر مَنْ عَنْ يمينه ، وكان إذا شرب من الإناء تنفّس ثلاثة أنفاس وذلك بأن يزيل فمه من مقابل الإناء ؛ ويقول : « إنه أروى وأمرأ » كما ذكره من حديث أنس بن مالك ، ويحمد الله في كل نفّس ويشكره في آخرهن ، وكان إذا شرب مَصَّ الماء مَصّاً ، ونهى عن العبّ ، وأمر بتغطية الإناء والتخمير له ولو يعود كما قال : « خمروا أنيتكم ولو يعود معرض » لِمَنْعِهِ من الهوام ، ويندب أن يسم الله حال تخميره ، وإذا كان الماء في السقاء أمر بربطه أو الإيكاء مع التسمية في ذلك ، ونهى عن الشرب من السقاء من فيه لئلا يكون فيه نوع من الهوام <sup>(١)</sup> ، ونهى عن الشرب من ثلْمَة القدح ، كما نهى عن النفخ في الإناء لما فيه من المكروب ، ونهى عن الشرب في الفضة أو في الذهب أو الأكل فيها .

### هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الفطرة وتوابعها

والهدي في الفطرة وهي عشر      وليس مقصوداً بهذا الحصر  
في الرأس خمس ثم خمس في الجسد      وفي المطولات تفصيل العدد  
وفعلها شأن أولى الديانة      كالنتف للإبط وحلق العانة

(١) لا يقطع بأن ذلك وحده هو العلة وقد تكون العلة خشية تقديره على الآخرين ، وقد يكون للحماية لأن الشارب قد يكون به ما يؤثر من الأمراض .

عن النبي فعلها قد أثر  
أظفاره قلمها وقص  
الأمر بالقص له والإحفا  
وسدل الشعر ثم فرق  
يدهن ذاك في كثير الأوقات  
ويكثر النبي أيضاً الطيبا  
وكان عند نومه يكتحل  
كما به لغيرها قد أمر  
شاربه وجاء به نصاً  
وفي اللحي الأمر له بالإعفا  
ولم يكن في غير ذلك خلق  
حتى كأنه بثوب زيات  
حتى يظن شيبه مخضوباً  
وفي خضابه خلاف يُنقل

ورد في الفطرة في حديث عائشة مرفوعاً : « عشر من الفطرة منها خمس في الرأس ومنها خمس في الجسد » ، وفعل هذه العشر من أعمال ذي الديانة ؛ وذلك كالنتف للإبط ، ويكره خلقه ، وكذلك خلق العانة ، وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطلي بالنورة ، ومنها قلم الأظفار لليدين والرجلين ، وقد ورد في حديث أن بقاءها مما يمنع قبول الدعاء<sup>(١)</sup> ، ومنها قص الشارب ، فقد روى الترمذي من حديث زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : « قصوا الشارب وأرخوا اللحي ؛ خالفوا المحوس » وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً : « خالفوا المشركين ووفروا اللحي واحفوا الشارب » وقد وقت رسول الله في قص الشارب وتقليم الأظفار أن لا تترك أكثر من أربعين يوماً وليلة ، واختلف السلف في قص الشارب وحلقه أيها أفضل فقال مالك في موطنه : يؤخذ من الشارب حتى تبدو أطراف الشفة وهو الإطار ولا

(١) رواه أحمد ولفظه بتمامه « عشر من الفطرة قص الشارب وأعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظافر وغسل البراجم وتنف الإبط وحلق العانة وانتعاض الماء والناس معقود لمكارم الأخلاق وهذه منها والعاشرة قال الراوي زكريا قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن يكون المفضة .

يَحْزَهُ<sup>(١)</sup> وقال ابن القاسم عنه : إن إحقاء الشارب وحلقه عندي مثلة ، وأما أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد فكان مذهبهم في شعر الرأس والشوارب أن الإحقاء أفضل من التقصير ، وأما اللحي فإبقاؤها وعدم حلقها هو من سنن الأنبياء والمرسلين ، ومن هدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الله سبحانه وتعالى حكاية عن كلام هارون لأخيه موسى صلوات الله عليهما : ﴿ يَا بَنِيَّ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [ طه ٩٥/٢٠ ] ، ففي ذلك دليل على أن الأنبياء من سمتهم إحقاء اللحي وعدم حلقها ، وحديث أبي هريرة مرفوعاً : « جزوا الشوارب وارخوا اللحي » وفي رواية عن ابن عمر : « خالفوا المشركين ووفروا اللحي واحفوا الشوارب » وفي ذلك دليل أن حلق اللحي كان من أعمال المشركين ولذلك أوصى بمخالفتهم ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سدل شعرة أولاً ثم فرقه ، والفرق أن يجعل شعره فرقتين كل فرقة ذؤابة ، والسدل أن يسدله من ورائه ولا يجعله فرقتين وقد قال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر دهن رأسه ولحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات ، وكان يحب الترجل ، وكان يرجل نفسه تارة وترجله عائشة تارة ، وكان شعره فوق الجمجمة ودون الوفرة ، وكانت جمته تطبق شحمة أذنيه ، وإذا طال جعله غدائر أربعاً ، قالت أم هانئ : قدم علينا رسول الله مكة قدمة وله أربع غدائر ؛ والغدائر الضفائر ، وهذا حديث صحيح ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يكثر الطيب قد يحمر شعره ، فتارة يظن مخضوباً ، وقال أبو رمثة : أتيت رسول الله مع ابن لي فقال : « ابنك ؟ » فقلت : نعم أشهديه ، فقال : « لا تجني عليه ولا يجني عليك » وكان لرسول الله مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثاً عند النوم في كل عين .

وإن مَثَى نَبِيْنَا تَكْفَى      تَكْفِيَا أَكْرِمُ بِذَاكَ وَصَفَا

(١) في الهدي ولا يحزه فيمثل بنفسه .

كأنما ينحط قالوا من صَبَبٍ      وفي الطواف عنه يُؤثر الحَبَبُ  
وكان أسرع الأنعام مشيَّه      هَوْنًا مع سَكِينَةٍ وحِشْمَةٍ  
وقد مشى منتعلاً وحافياً      أكرم بذلك النبي مَاشِياً  
أصحابه إذا مشى بين يديه      هذا الذي استمر هديه عليه  
وركب الناقة والبعير      والخيل والبغال والحمير  
منفرداً ومُردِفاً ومُسرِجاً      أكثر ماركباً أيضاً عنه جا  
ركوبه لفرس عريئاً      في نادرٍ أكرم به نبياً  
والنهي بالجران تُنزى على      خيلٍ وأن تُخصى الفحول تُقلِّ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا مشى تكفى تكفياً ، وكان أسرع  
الناس مشيةً وأسكنها ، قال علي كرم الله وجهه : كان رسول الله صلى الله عليه  
وآله وسلم إذا مشى تكفى تكفياً كأنما ينحط من صَبَبٍ ، وقال مرة : إذا مشى  
تَقَلَّعَ ، والتَقَلَّع الارتفاع من الأرض بجملته كحال المنحط من الصَّبَب ، وهذه  
المشيئة هي مشية أولي العقل والهمة والشجاعة ، وهي أعدل المشيات وأروحها  
للأعضاء وأبعدها من مشية الهوج والمهانة والتأوت ؛ فإن الماشي إما أن يتأوت في  
مشيه ويمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محولة ؛ وهي مشية مذمومة ، وإما أن  
يمشي بانزعاج واضطراب مشي الجمل الأهوج ، وهي مشية مذمومة ، وهي دالة  
على خفة عقل صاحبها ولا سيما إن كان يكثر الالتفات حال مشية يميناً وشمالاً ،  
وإما أن يمشي هوناً وهي مشية عباد الرحمن كما وصفهم بها في كتابه فقال :  
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [ الفرقان ٦٣/٢٥ ] ، قال  
غير واحد من السلف بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت ؛ وهي مشية  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه هي إحدى المشيات العشر ، وقد روي  
عنه في الطواف الرَّمْل ؛ وهو أسرع المشي مع تقارب الخطا ويسمى الحَبَبُ ، وفي

الصحيح من حديث ابن عمر أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خَبَّ في طوافه ثلاثاً ومشى أربعاً ، وقد مشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حافياً تارة ومنتعلاً تارة ، وأصحابه يَبْنِي يديه ، ويقول وهو خلفهم : « دَعُوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ » وكان يمشي أصحابه فَرَاداً أو جماعة ، ومشى في بعض غزواته مرة فانقطعت أصبعه وسال منها الدم فقال : « هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعٌ دُمِيتَ وفي سبيل الله مَالَقِيَّتِ » وكان في السَّفَر سَائِقُ أصحابه يُزْجِي الضعيف وَيُرْدِفُهُ وَيَدْعُو لَهُمْ ؛ ذكره أبو داود ، وقد ركب رسول الله الخيلَ والإبل والبغال والحمر ، وركب الفرس مُسْرَجَةً تارة وغُرياً أخرى ، وكان يَجْرِهَا في بعض الأحيان ، وكان يركب وحده وهو الأكثر ، وربما أَرْدَفَ خلفه على البعير ، وربما أركب أمامه وأَرْدَفَ خلفه <sup>(١)</sup> ، وكان أكثر مراكبه الخيل والإبل ، وأما البغال فالمعروف أنه كان عنده بَغْلَةٌ واحدة أهداها له بعضُ الملوك ، ولم تكن البغال مشهورة في بلاد العرب ، بل لما أُهْدِيَتْ لَهُ البَغْلَةُ قيل : أَلَا تَرَى في الخيل على الحُمْرِ ، قال : « إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » <sup>(٢)</sup>

كَلَامُهُ فَضْلٌ وَلَيْسَ يُسَرَّدُ بَلْ يَبَيِّنُ يُمْكِنُ فِيهِ الْعَدَدُ

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفصحَ خلقِ الله وأَعَدَّهِمْ كَلَاماً وَأَسْرَعَهم أَدَاءً وَأَحْلَامَ مَنْطِقاً ؛ حتى أن كَلَامَهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ وَيَسْبِي الْأَرْوَاحَ ، يَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ أَعْدَاؤُهُ ، وكان إذا تكلم بكلامٍ مَفْصَّلٍ مَبِينٍ يَعُدُّهُ الْعَادُّونَ ، لَيْسَ بِهِذَرٍ مُسْرِعٍ لَا يُحْفَظُ وَلَا مَنْقُطِعٌ تَخْلُلُهُ السَّكَنَاتُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْكَلَامِ ؛ بَلْ هَدِيَهُ فِيهِ أَكْمَلُ الْهَدْيِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ كَثِيراً مَا يَعِيدُ الْكَلَامَ ثَلَاثاً لِيَعْقِلَ عَنْهُ ، وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ ثَلَاثاً سَلَّمَ ، وَكَانَ طَوِيلَ السَّكُوتِ لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ

(١) وكانوا ثلاثة على بعيرهم وأردف الرجال وأردف بعض النساء .

(٢) هكذا في زاد المعاد .

حاجة ، يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلام ، فصلّ لأفضول ولا تقصير ، وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، وإذا كره الشيء عُرِفَ في وجهه ، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً .

وكان جُلَّ ضحكـه التّبسمـا	يضحك من مستغرب وربما
بدت نواجـذ له لكن لا	قهقهة فيه ولا صوت علا
كذا البكا أشبه منه الضحا	فالصوت لا يسمع منه إن بكا
سببه إشفاقه والخوف	كما بكى إذ وقع الكسوف
أو رحمة منه لنحو ميت	أو حزن في القلب أو لحشية
وقد بكى شوقاً إلى الإله	لما تلى القرآن عبداً لله

من كلام عائشة في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولها : وكان جُلُّ ضحكـه التّبسم : فكان نهاية ضحكـه أن تبدو نواجذه ، وكان يضحك مما يُضحك منه وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ، وللضحك أسباب عديدة هذه أحدها ، الثاني ضحك الفرح ؛ وهو أن يرى ما يسره ، والثالث ضحك الغضب وهو كثير ما يعتري الغضبان إذا اشتد غضبه ؛ وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب وشعور نفسه بالقُدرة على خصمه وأنه في قبضته . وأما بكاؤه فكان من جنس ضحكـه ، لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكـه بقهقهة ، ولكن كانت تدمع عيناه ويسمع لصدره أزيز ، وكان بكاؤه تارة رحمة لميت كما فعل عندما مات ولده إبراهيم ، وتارة خوفاً على أمته ، وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن ، وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال لمصاحب للخوف والخشية ، ولما مات ابنه إبراهيم دَمعت عيناه وبكى رحمة له ، وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » وبكى لما شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض ، وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ



بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿ [ النساء ٤١/٤ ] ، وَبَكَى لَمَّا مَاتَ عَثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ ، وَبَكَى لَمَّا كَسَفَتِ الشَّمْسُ ، وَصَلَّى صَلَاةَ الْكَسُوفِ وَجَعَلَ يَبْكِي فِي صَلَاتِهِ ، وَجَعَلَ يَنْفَخُ وَيَقُولُ : « رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ؟ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ » وَبَكَى لَمَّا جَلَسَ عَلَى قَبْرِ أَحَدِ بَنَاتِهِ ، وَكَانَ يَبْكِي أحياناً فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ .

<p>وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ أَيْضاً غَنَماً مِئَةَ شَاةٍ لَا يُحِبُّ أَنْ تَزِيدَ شِرْكُتَهُ رَوَؤُا وَبَبَاعَ وَاشْتَرَى رَهْنًا وَاسْتَعَارَ وَاسْتَدَانَ كَذَلِكَ اسْتَلْفَ أَيْضاً وَانْتَهَبَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيْضاً وَقَفَّاً مَكْفُراً حِيناً وَحِيناً مُمَضِياً وَحِينَ مَامَزَحَ قَالَ صِدْقاً مَسَابِقٍ وَهُوَ رَاجِلٌ وَصَارِعاً وَحَلَبَ الشَّاهَ وَثُوباً فَلَا فِي حَاجَةِ الضَّعِيفِ جَاءَ قَدْ مَشَى وَكَانَ أَحْسَنَ الْوَرَى مُعَامِلَةً ثُمَّ قَضَا مَا عَلَيْهِ وَدَعَى بِأَحْسَنِ الْقَوْلِ وَكَانَ يُضْعِفُ يَصْبِرُ إِنْ لِهَ الْغَرِيمِ أَغْلَظَا وَكَانَ أَحْسَنَ الْأَنْثَامِ خُلُقاً</p>	<p>قَالَ مِنْ لَوْصَفِهِ قَدْ عَلِمَا وَاتَّخَذَ الرِّقَّ إِمَاءً وَعَبِيدُ وَنَفْسُهُ أَجْرَهَا وَاسْتَأْجَرَ وَعَنْهُ أَيْضاً نَقَلُوا الضَّمَانَا وَرَدُّ إِذْ شَفَعَ لَكِنْ مَاعْتَبَ وَاسْتَخْلَفَ الْغَيْرَ وَكَمْ قَدْ حَلَفَ وَرَبِمَا اسْتَثْنَى كَذَا قَدْ رَوَى وَرَبِمَا وَرَى وَقَالَ الْحَقُّ بِيَدِهِ لِلثُّوبِ كَانَ رَاقِعاً وَالنَّفْسُ قَدْ خَدَمَهَا وَالْأَهْلَا حَتَّى قَضَا حَاجَتَهُ كَمَا يَشَأُ بِالْبُشْرِ إِنْ جَاءَ الْغَرِيمُ قَابِلَةً وَلَهُ وَإِنْ عَدِمَ ذَاكَ دَفَعَا لِمَنْ قَضَاهُ مَالَهُ يَسْتَلْفُ فِي الْقَوْلِ حِينَ جَا يُطْلَبُ الْقَضَا لَأَنَّهُ مُكَمَّلٌ قَدْ خُلِقَ</p>
---	--

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنم ، وكان له مئة شاة ، وكان لا يحب أن تزيد على مئة ، فإذا زادت بهمة ذبح مكانها أخرى ، واتخذ رسول الله الرقيق من الإماء والعبيد ، وكانت مواليه وعتقائه من العبيد أكثر من الإماء ، وأجر نفسه من خديجة في سفره بمالها إلى الشام وإن كان العقد مضاربة ، فالمضارب أمين وأجير ووكيل وشريك ؛ فأمين إذا قبض المال ، ووكيل إذا تصرف فيه ، وأجير فيما يباشره بنفسه من العمل ، وشريك إذا أظهر فيه الربح . ولما قدم عليه شريكه قال : « أما تعرفني ؟ » قال : إنا كنت شريكي فنعم الشريك ؛ كنت لا تدري ولا تماري ، والمدارة مدافعة الحق ؛ وهي المراد هنا ، وهي مهموزة ؛ فإن ترك همزتها صارت من المداراة وهي المدافعة بالتي هي أحسن ، وباع رسول الله واشترى ، وكان شراؤه بعد أن أكرمه الله برسائله أكثر من بيعه ، وكذلك بعد الهجرة ؛ لا يكاد يحفظ عند البيع إلا في قضايا يسيرة أكثرها لغيره ؛ كبيعه القدح والجلس ، وبيعه يعقوب المدبر غلام أبي مذكور ، وبيعه عبداً أسود بعبدتين ، وأما شراؤه فكثير ، وأجر نفسه في رعاية الغنم من خديجة ، واستأجر ، واستجاره أكثر من إيجاره ، واستدان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برهن ، كما فعل مع اليهودي ، وبغير رهن ، واستعار كما فعل مع صفوان بن أمية ؛ فإنه استعار دُرُوعاً منه حين خرج إلى هوازن ، فقال له : « عارية مضمونة » وكذلك استلف وأتهب وقد تشفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قصة بريرة حين تشفع إليها في مراجعتها مغيثاً زوجها ، وردت بريرة شفاعته ، وكذلك تشفع إليه كما ورد في قصة الأسرى من هوازن ، ولم يغضب رسول الله على بريره ولا عتب عليها ، ووقف رسول الله أرضاً كانت له جعلها صدقة في سبيل الله<sup>(١)</sup> ، وحلف رسول الله في أكثر من ثمانين موضعاً وأمره الله بالخلف في ثلاثة مواضع ؛ قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَبِشُّونَكَ أَهَقُ هَوَ قُلْ إِي

(١) لعلها فذك والعوالي على قول من يقول : إن ما خلفه النبي فهو صدقة .

وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿ [ يونس ٥٣/١٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَكُمُ ﴿ [ سبأ ٣/٣٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴿ [ التغابن ٧/٦٤ ] ، وكان رسول الله يستثني في يمينه تارة ، ويكفرها تارة ، ويمضي فيها تارة ، والاستثناء يمنع عقد اليمين ، والكفارة تحلها بعد عقدها ؛ ولهذا أسماها الله تحلة ، وكان يُبَازح ويقول في مزاحه الحق كما ورد في قصة العجوز حيث قال لها : « لا تدخل الجنة عجوز » لعلمه أن الله يرده العجائز أبكاراً وأتراباً مع أزواجهن ، ويؤزري ولا يقول في تورثه إلا الحق مثل أن يريد جهة يقصدها فيسأل عن غيرها كيف طريقها وكيف مياهاها ومسلكها ونحو ذلك ، وسابق رسول الله بنفسه على الأقدام في السفر ، وصارع ركاة بن الأسود قبل الهجرة ، وخصف نعله ورقع ثوبه بيده <sup>(١)</sup> ، ورقع دلوه وحلب شاته وفلى ثوبه ، وخدم أهله ونفسه ، وحمل مع الصحابة اللبن في بناء المسجد ، وكان رسول الله يمشي في حاجة الضعيف حتى تقضى حاجته ، وكان أحسن الناس معاملةً ، وكان إذا استلف سلفاً قضى خيراً منه ، وإذا استسلف من رجل سلفاً قضاه إياه ودعا له فقال : « بارك الله لك في أهلك ومالك ؛ إنما جزاء السلف الحمد والأداء » . واستسلف من رجل أربعين صاعاً فاحتاج الأنصاري فأتاه ، فقال رسول الله : « ماجئنا من شيء بعد » فقام الرجل وأراد أن يتكلم ، فقال له رسول الله : « لا تقل إلا خيراً فإننا خير من تسلف » فأعطاه أربعين فضلاً وأربعين سلفة وأعطاه ثمانين ؛ ذكره البزاز ، واقترض بغيراً فجاء صاحبه يتقاضاه فأغلظ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم به أصحابه فقال : « دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً » واشترى مرة شيئاً وليس عنده ثمنه فأربح فيه فباعه وتصدق بالربح على أرامل بني عبد المطلب وقال : « لا أشتري بعدها شيئاً إلا وعندي ثمنه » وتقاضاه غريم له ديناً فأغلظ عليه فهم

(١) رواه أبو داود في ص ٤٠٧٨ في اللباس .

به عمر بن الخطاب فقال : « مَهْ يا عمر ! كُنْتَ أَحوجَ إلى أن تأمرني بالوفاء وكان أَحوجَ إلى أن تأمره بالصبر » وَبَاعَهُ يهوديٌّ بيعاً إلى أَجل فجاءه قبل الأجل يتقاضاه ثمنه فقال : « لِمَ يَحِلُّ الأجل » فقال اليهودي : إنكم لُمُطِّلُ يابني عبد المطلب ، فهمُّ به أصحابه فنهام ؛ فلم يَزِدْه ذلك إلا حِلْماً ، فقال اليهودي : كلَّ شيءٍ منك قد عرفته من علامات النبوة وبقيت واحدة . . وهي أنه لا يَزِيدْه شدة الجهل عليه إلا حِلْماً فأردت أن أعرفها ، فأسلم اليهودي <sup>(١)</sup> .

### خاتمة في الصبر والذكر والشكر :

خَاتِمَةُ مَرْضِيَّةٍ فِي الصَّبْرِ	فَالصَّبْرُ خَيْرٌ عِنْدَ الْمُضْطَرِّ
وإنه النُّصْفُ من الإِيْمَانِ	والشكر من ذلك نصفٌ ثانِي
فَالزَّمَهَا تَسْكُمِلُ الإِيْمَانَا	وتجمع الفلاحَ والإِحْسَانَا
وَالصَّبْرُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ كَمَا	تَفْصِيْلُهَا تَسْمَعُهَا مَنْظَمًا
أَوَّلُهَا صَبْرٌ عَلَى الْمُقْدُورِ	ثُمَّ عَلَى الإِتْيَانِ بِالْمَأْمُورِ
ثَالِثُهَا صَبْرٌ عَنِ الْمُنَاهِي	فَصَبْرٌ تَنْلُ مَعُونَةَ الإِلَهِ
وَفِي الْآخِرِينَ يَكُونُ أَفْضَلَا	لأنه بِالِاخْتِيَارِ حَصَلَ
وَأَكْثَرُ الصَّبْرِ عَلَى الْأَقْسَادِ	يَكُونُ إِنْ حَقَّقْتَ بِاضْطِرَارٍ
فَمَنْ عَلَيْهِ قَدْرٌ قَدْ وَقَعَا	فَالصَّبْرُ حَبْسُ نَفْسِهِ أَنْ يَجْزَعَ
وَعَنْ تَسْخُطَ لَهُ وَشَكْوَى	إِلَّا عَلَى الَّذِي ابْتُلِيَ بِالْبُلُوَى
مَا جَزَعَ يَرُدُّ أَمْرًا قُضِيَا	فَالْعَاقِلُ الصَّابِرُ مَنْ قَدْ رَضِيََا
وَالصَّبْرُ يَنْتَهِي إِلَى حَسَنِ الْفَرْجِ	وَيَرْفَعُ الْعَبْدَ إِلَى أَعْلَى دَرَجِ

(١) رواه مطولاً ابن جرير وابن أبي عمير وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الآيات والأحاديث في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ... ﴾ [ آل عمران ٢٠٠/٣ ] ، ومنها :

﴿ إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ الزمر ١٠/٣٩ ] وقوله :

﴿ وَلِمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [ الشورى ٤٣/٤٢ ] ، ومنها قوله تعالى :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة ١٥٣/٢ ] ، ومنها قوله تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [ محمد ٣١/٤٧ ] ، وغير ذلك من الآيات ، وعن أبي يحيى أهيب بن سنان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عَجَباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن ، إن أصابته سَرَاءٌ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له « رواه مسلم ، وعن أنس قال : مرَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على امرأة تبكي عند قَبْرِ فَقَالَ : « اتَّقِ اللَّهَ واصبري » فقالت : إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بِأَبِ رَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَائِينَ فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » . وعن عبد الله بن مسعود قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يُحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » وقد فصل الناظم أنواع الصبر وهي ثلاثة ؛ أولها : صبر على المقدور الذي قدر الله على عباده من خوف وجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات ، ثانيها : الصبر على الإتيان بما أمره الله به من العبادات واجبها ومندوبها ، ثالثها : الصبر عما نهى الله عنه من المفسد وغيرها ، ويُنَّ الناظم رحمه الله فضل الأمرين الأخيرين ؛ وسبب فضلها لأنه يأتي بالمأمورات ويجتنب ما نهى الله عنه باختياره ، وأما الأول ، وهو الصبر على المقدور ، فلا اختيار للعبد فيه ، وإن اللازم والواجب على من أصابه قدرٌ أن يصبر ويرضى بما قضاه

الله عليه وأن لا يجزع كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » وأن يعمل ويقتدي بالأنبياء فإن أيوب عليه السلام ابتلي بما لم يبتلى به أحد ولم يشتكي ضره إلا إلى الله بعد أن خاف على قلبه ولسانه فقال : ﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [ الأنبياء ٨٢/٢١ ] وكما فعل يعقوب عند غياب ابنه حيث قال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً ﴾ [ يوسف ٨٣/١٢ ] ، والواجب على المسلم العامل أن يعلم أن جزعة لا يرد ما قضاه الله عليه وأنه إن صبر فرّج الله عنه ورفع قدره في الدنيا والآخرة وأثابه .

وَكُنْ عَلَى تَأْدِيَةِ الْأُمْرِ	واجبها والندب خير صابر
تَأْتِي بِهَا عَلَى الرِّضَا مِمَثْلًا	مستوفياً شروطها مستكلاً
وَحَكْمُهُ فِي الْوَاجِبِ الْوَجُوبُ	وإنه في نديها مندوبٌ
وَاصْبِرْ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي نَهَاكَ	رَبُّكَ عَنْهُ لَا تُطِيعْ هَوَاكَ
إِنَّ الْهَوَى وَالنَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ	عليك في الدين غدت أعواناً
فَكُنْ لَهَا بِالصَّبْرِ عَنْكَ دَافِعاً	أَكْرَمُ بِذَا حَصناً حَصيناً مانعاً
وَإِنْ عَدِمْتَ الصَّبْرَ فَالتَّصَبُّرُ	يَصِيرُ صَبْرًا لِلَّذِي يَصْطَبِرُ

بين الناظم رحمه الله حكم المأمورات ، واجبتها ومندوبها ، وأن الصبر واجباً في أداء الواجبات بأن يأتي بها مستوفياً شروطها مستكلاً لها ، وأنه مندوب في المندوبات ، وبين حكم الصبر عن المنهيات بأن يجتنبها وأن لا يطع هواه في اقتحامها ، وأن الهوى والنفس والشيطان أعداء لابن آدم ، وأن دفعها بالصبر عن إتيانها ، وأنه إن عدم الصبر فيجب عليه التصبر ، وأن يجاهد نفسه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » والمراد به جهاد النفس ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهْبُ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ آل عمران ٨٨/٣ ] .

## هَدْيُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الشُّكْرِ

والشكرُ للصَّبْرَاحِ محققٌ متخالفان عَوْضَ لا يتفرق  
لا يُمكن الصابر غير شاكر كذلك<sup>(١)</sup> الصابر عينُ الشاكر  
وذاك أن يَعترف العبدُ بما عليه للمُنعمِ فيما أنعمَ  
مع صرفها فيما به قد أمرَ لا في الذي عنه نهى وزَجَرَ  
مع الثناء أبداً عليه وذكره إحسانه لَدَيْهِ  
فمن أتى بهذا هو الشكورُ وضدّه المقصر الكفورُ

من حق الله على عباده شكرهم لنعمه التي أنعم بها عليهم من الأموال والأولاد وغير ذلك ، وثناؤهم عليه ، واعترافهم بنعمه الكثيرة التي لا يمكن عدّها : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا ﴾ [إبراهيم ٣٤/١٤] وصَرَفَ ما أنعم الله به عليهم من الأموال في الطاعات لا في المعاصي ، فشكر النعم سببٌ للمزيد منها : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم ٧/١٤] ، ومن لم يَشكر نعم الله عليه كان مقصراً وكافراً لنعمه ﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ .

## هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الذكر

والذكر أيضاً ثالثُ الأمرين في الحكم والفضْلُ بغير مَئِنَّ  
في مُحكم التنزيل جاء ذكره مكرراً حتّى استبان أمره  
والله للعبد خَيْرُ حصْنٍ من شر إنسٍ مانعٍ وجنٍّ  
وأفضلُ الذكر كلامُ الله من غير لاشكٍ ولا اشتباهٍ

(١) كذلك الشاكر غير صابر .

ثم الذي أتى عن المختار      كما رواه حافظو الآثار  
وقد أتى مؤقتاً ومطلقاً      ثم بأحوال أتى معلّقاً  
كالذكر في الصباح وبالعشي      أو مطلق الوقت عن النبي  
وعند أن ينام أو يستيقظ      أو قلبي أو قزع قد أيقظ  
ومثله الخروج والدخول      والسير والركوب والنزول  
وكلمة مر من الطاعات      كذلك الأذكار للصلاة

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكمل الخلق ذكراً لله عز وجل ، بل  
كان كلامه كله في ذكر الله وما والاّه ، وكان أمره ونهيه وتشيعة للأمة ذكراً منه  
لله تعالى ، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعدته ووعدته ذكراً  
منه لله ، وثناؤه عليه بألائه وتمجيده وتحميده وتسبيحه وسؤاله ودعائه إيّاه  
ورغبته ورهبته ذكراً منه لله ، وسكوته وصمته ذكراً منه لله بقلبه ، فكان ذاكرة  
لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره يجري مع أنفاسه قائماً وقاعداً  
وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته ، وقد أخبر  
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن من قال عند خروجه من بيته : « بسم الله  
وبالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله » ، يقال له : هُدِيتَ وكفيت  
ووقيت <sup>(١)</sup> فجعل هذا الذكر وغيره من الأذكار حصناً لمن قاله من شر الإنس  
والجن ، فأفضل الذكر كلام الله ، فقد ورد أن من قرأ الإخلاص ثلاثاً وسورة  
الفلق ثلاثاً وسورة الناس ثلاثاً في الصباح كفاه الله ما يهمة إلى المساء ، وكذلك  
من قالها في أول الليل كفاه الله ما يهمة إلى الصباح ، وقد صح في الأدعية المروية  
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها مانعة من الشرور ، فقد روي عن النبي صلى  
الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمس :

(١) أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك بلفظه ، إلا أنه لم يذكر وبالله . وهو حديث حسن .



حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ؛ سبعَ مرّات كفاه الله ما أهمّه من أمر الدنيا والآخرة » وَرَوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ قَالَ فِي أَوَّلِ نَهَارِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يَمُوتَ ، وَمَنْ قَالَهَا آخِرَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يَصْبِحَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » وَقَدْ قِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : قَدْ احْتَرَقَ بَيْتُكَ ، فَقَالَ : مَا احْتَرَقَ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَفْعَلَ لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ؛ فَذَكَرَهَا <sup>(١)</sup> . وَالْأَذْكَارُ قَدْ تَكُونُ فَائِدَتَهَا مُطْلَقَةً غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ سِوَاءَ كَانَتْ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ مِنَ السَّنَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ ﴾ [ آل عمران ١٧٤/٣ ] .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إِذَا تَوَقَّعَ أَحَدُكُمْ بَلَاءً أَوْ أَمْرًا مَهُولًا فَلْيَقُلْ : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا » وَكَمَا فِي كَلِمَةِ ذِي النُّونِ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ الأنبياء ٨٧/٢١ ] ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأنبياء ٨٨/٢١ ] ، وَكَمَا رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا كَرَّبَنِي أَمْرٌ إِلَّا تَمَثَّلَ لِي جَبْرِيلُ وَقَالَ لِي : قُلْ يَا مُحَمَّدُ : تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا ، وَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبْرِهِ تَكْبِيرًا » وَهَذَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ مِنْ

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٥٦ من حديث طلحة بن حبيب قال جاء رجل إلى أبي الدرداء وقد احترق بيته .. الحديث .

الدعاء المؤقت في وقت الكرب ، وقد يكون الدعاء مؤقتاً كالأذكار المندوبة في الصباح وفي العشي ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ؛ فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته » <sup>(١)</sup> وكان يدعو حين يصبح وحين يمسي بهذه الدعوات : « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » صححه الحاكم ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن عمر واسناده صحيح .

وكان يدعو عند نومه بقوله : « باسمك اللهم أموت وأحيا » وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيها ، وكان يقرأ فيها : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ثم مسح بها ما استطاع من جسده يبدأ بها على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، وكان يدعو عند نومه بأدعية أخرى كثيرة ، وإذا انتبه من نومه قال : « لا إله إلا أنت سبحانك ، اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » وصح عنه أنه قال لفاطمة ابنته : « ما يمنعك أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم بك أستغيث ؛ فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين » .

ويذكر عنه أنه قال لرجل شكاً إليه إصابة الآفات : « قل إذا أصبحت : بسم الله على نفسي وأهلي ومالي ؛ فإنه لا يذهب عليك شيء » وقد تقدم حديث أبي الدرداء لما قيل له قد احترق بيتك وقد دعا بالدعاء المتقدم ذكره ، وصح عنه

(١) أخرجه أبو داود وابن حبان وابن السني والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن غنم .

أنه قال : « إذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المؤلج وخير المخرج ؛ باسم الله ولجنا وعلى الله ربنا توكلنا ، ثم يسلم على أهله » . رواه أهل السنن ، وقد تقدّم حديث الدعاء عند خروجه من بيته بقوله : « بسم الله وبالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وأن الملائكة تقول له : كُفَيْتَ ووقيت وهديت » وكان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً ثم قال : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ [ الزخرف ١٣/٤٣ - ١٤ ] ، ثم يقول : « اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما تَرْضَى ، اللهم هَوِّنْ علينا السفر واطوِّ لنا البعد ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا » وكان إذا رجع قال : « آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون » وكان إذا دخل البلد قال : « تَوْباً تَوْباً لِرَبِّنَا أَوْباً لَا يَغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْباً » .

وأما الأذكار عند الفراغ من الصلاة فهي كثيرة ؛ منها ما رواه البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مَنَاعَ لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجَد منك الجَد » وعن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله يقول دبر كل صلاة حين يسلم : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » قال ابن الزبير : وكان رسول الله يهللُ بين دُبر كل صلاة ؛ رواه مسلم ، وظاهر هذه الرواية أن رسول الله كان يَجهرُ بها ، وعن أبي هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله فقالوا : ذهب أهلُ الدثور بالدرجات العُلا والنعيم المقيم ؛ يصلُّون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضلٌ من أموال يحبُّون ويعتبرون ويجاهدون ويتصدقون فقال : « ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم

وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلًا صَنَعْتُمْ »  
 قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « تُسَبِّحُونَ وَتُحَمِّدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ » متفق عليه ، وزاد مسلم في رواية : « فَرَجَعَ قُرَاءَةُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » .

وَقَدْ وَرَدَ سُنِّيَّةُ قِرَاءَةِ آيَةِ الْكَرْسِيِّ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ قَالَ : « قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » قَالَ : هَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي ؟ قَالَ : « قُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، وَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ : كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ ؟ قَالَ : يَقُولُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدِمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمَقْدُمُ وَالْمُؤَخَّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَصَحَّ الْاسْتِخَارَةُ مُؤَكَّدًا بَعْدَ صَلَاةِ رَكَعَتَيْهَا وَرَدًا  
 كَذَا صَلَاةِ تَوْبَةٍ وَالْحَاجَةُ رَوَاهُ جَمْعُ مِنْهُمْ ابْنَ مَاجَةَ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَعْلَمُنَا الْاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يَعْلَمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ : « إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَمِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَامٌ

الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أوقال : عاجل أمري وأجله - فاقدري لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أوقال : في عاجل أمري وأجله - فاصرفه عني واصرفني عنه ويسر لي الخير حيث كان ثم أرضني به » قال : « ويسمي حاجته » رواه الخمسة إلا مسلم .

وأما الصلاة المسماة صلاة التوبة ، أي التي تُصلى عند إرادة التوبة ، وهذا لرجاء القبول وإلا فالتوبة مقبولة في كل وقت ولو لم يتقدمها صلاة فقد روى الترمذي وابن ماجه عن علي كرم الله وجهه قال : كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعني ، وإذا حدثني رجل من أصحابي استحلقتني فإذا خلت صدقتني ، وإنه حدثني أبو بكر ، وهو صادق ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ... ﴾ [ آل عمران ١٣٥/٣ ] .

وأما صلاة الحاجة ، فقد روى الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصلي ركعتين ثم ليثن على الله ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنية من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لاتدع لنا ذنباً إلا غفرتة ، ولا همماً إلا فرجتة ، ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » .

وهو لأدواء الهموم مذهب وإنه ترياقها المحرّب والجلب للرزق ودفع الضيق فكّم به فريج من مضيق

أخرج الشيخان في الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم » وفي جامع الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حَزَبَهُ أَمَرَّ قَالَ : « يَا حَيَّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ » وفيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أَمَّهُ الأَمْرُ رَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : « سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » وإذا اجتهد في الدعاء قال : « يَا حَيَّ يَا قَيُّوْمُ » وفي سنن أبي داود وعن أبي بكر الصديق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت » ، وفيها أيضاً عن أسماء بنت عيسى قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتَ تَقُولِيهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ - اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » وفي رواية أنها تقول سبع مرات ، وفي مُسْنَدِ الإمام أحمد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا أَصَابَ عَبْدٌ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمْتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حَكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ ، أَوْ أُنْزِلَتْ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلِمَتْهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رِبْعَ قَلْبِي وَنُورَ بَصَرِي وَجَلَاءَ حَزَنِي وَذَهَابَ هَمِّي ؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ حَزَنَهُ وَهَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً » . وفي الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا رَبَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ » وفي رواية : « إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ » وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ ، فَقَالَ : « يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ

في غير وقت الصلاة ؟ » . فقال : هُموم لزممتني وديون يارسول الله ، فقال : « أَلَا أَعْلَمُكَ كَلَاماً إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَىٰ دِينَكَ ؟ » قلتُ : بلى يارسول الله قال : قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ قَالَ : ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل هَمِّي وقضى عني ديني ، وفي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجاً وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » وفي الْمُسْنَدِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَحْزَبَهُ أَمْرٌ فَرَفَعَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة ٤٥/٢] ، وفي السُّنَنِ : « عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنِ النَّفْسِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ » وَيُذَكِّرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ وَغُمُومُهُ فَلْيَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » وَثَبِتَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّهَا « كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ » وَفِي التِّرْمِذِيِّ أَنَّهَا « بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » .

كذا السلام بين أهل الإسلام      مَوْكُوداً كما رواه الأعلام

ثَبِتَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَفْضَلَ الْإِسْلَامِ وَخَيْرَهُ : « إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَأَنْ تَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » ، وَفِيهَا أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى أَوْلِيِّكَ الْغَنَمِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَاسْتَعِمْ مَا يَحْيُونَكَ بِهِ فَإِنَّهَا تَحْيِيَّتُكَ وَتَحْيَةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، فزادوه : وَرَحْمَةُ اللَّهِ ، وَفِيهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ إِذَا أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَهُمْ تَحَابُّوا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، وَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَتَحَابُّوا ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : قَالَ عَمَارٌ : ثَلَاثٌ مِنْ جَمْعِهِنَّ فَقَدْ جُمِعَ الْإِيمَانُ : الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ،

وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الإقتار ، وقد تضمنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه ؛ فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة مؤفّرة وأداء حقوق الناس كذلك ، وأن لا يطالبهم بما ليس له ولا يحملهم فوق وسعهم ، ويعاملهم بما يجب أن يعاملوه به ، ويعفيهم مما يجب أن يعفو عنه ، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها ، ويتدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه ، فلا يدعي لها ما ليس لها ، ويرفعها بطاعة الله وحبّه وتوحيده وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه وإيثار مرضاته على مرضي الخلق ، وأما بذل السلام للعالم فيتضمن تواضعة وأنه لا يتكبر على أحد بل يبذل السلام للصغير والكبير والشريف والوضيع ومن يعرفه ومن لا يعرفه ، والمتكبر ضدّ هذا ؛ فإنه لا يردّ السلام على كل من سلّم عليه كبراً وتيهاً ، وأما الإنفاق من الإقتار فلا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله وأن الله يخلفه ما أنفق ، وعن قوة يقين وتوكل ورحمة وزهد في الدنيا وسخاء نفس بها ، وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه مرّ بصبيان فسلم عليهم ، ذكره مسلم ، وأنه مرّ يوماً بجماعة نسوة فأومى بيده بالتسليم ، ذكره الترمذي ، وثبت عنه في صحيح البخاري وغيره : « تسلم الصغير على الكبير ، والمارّ على القاعد والراكب على الماشي ، والقليل على الكثير » وفي جامع الترمذي عنه : « يسلم الماشي على القائم » وفي مسند البزار : « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والماشيان أيّهما بدأ فهو أفضل » وفي سنن أبي داود عنه : « إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » .

وكان من هديه السلام عند المجيء إلى القوم والسلام على الانصراف ، وثبت عنه أنه قال : « إذا قعد أحدكم فليسلم ، وإذا قام فليسلم ، وليست الأولى أحقّ من الآخرة » وكان أصحاب رسول الله يتماشون ، فإذا لقيتهم شجرة أو أكمة تفرّقوا يميناً وشمالاً وإذا التقوا من ورائها سلّم بعضهم على بعض ، وذكر أبو داود عنه : « إذا لقي أحدكم صاحبه فليسلم عليه فإن حال بينهما شجرة أو جدار ثم لقيه



فليسلم عليه « وكان من هديه إذا دخل المسجد يبتدئ بركعتين تحية المسجد ، ثم يجيء فيسلم على القوم فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله ، وكان إذا دخل على أهله بالليل يسلم تسليماً لا يوقظ النائم ويسمع اليقظان ، وذكر الترمذي عنه : « السلام قبل الكلام » وروي عنه : « السلام قبل السؤال فمن بدأكم بالسؤال قبل السلام فلا تجيبوه » وكان يسلم بنفسه على من يواجهه ، ويحمل السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه ، ويتحمل السلام لمن يبلغه إليه ، وكان هدية انتهاء السلام إلى وبركاته ، فقد روى النسائي عنه أن رجلاً جاء فقال : السلام عليك فرد عليه رسول الله وقال : « عشرة » ثم جلس ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه رسول الله وقال : « عشرون » ثم جلس ، وجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه رسول الله وقال : « ثلاثون » وذكر أبو داود من حديث معاذ بن أنس وزاد فيه : ثم أتى آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ، قال ابن القيم : ولا يثبت هذا الحديث ، وكان من هديه أن يسلم ثلاثاً حتى يفهم ، وكان من هديه أنه إذا سلم عليه أحد ردّ عليه مثل تحيته أو أفضل منها على الفور من غير تأخير إلا لعذر ؛ كحالة الصلاة وحالة قضاء الحاجة ، ولم يكن يردّ بيده أو برأسه ولا بأصبعه إلا في الصلاة ، وكان من هديه أن يقول في ابتداء السلام : « السلام عليكم ورحمة الله » وكان يكره أن يقول المبتدئ : عليك السلام ، ويذكر عنه أنه قال : « يجزي عن جماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزي عن الجلوس أن يردّ أحدهم » وذلك أنه فرض كفاية .

وفي دخول قرية أو بلدة      وغير تلك من أمور عدة  
 حتى أتى في الديك والحريق      وفي نباح الكلب والنهيقي  
 لولا اقتضاء المقام للتعجيل      جاءتك في النظم على التفصيل  
 كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى قرية يريد دخولها قال حين

يراها : « اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ، وربّ الأرضين السبع وما أقللن ، وربّ الشياطين وما أضللن ، وربّ الرياح وما ذرين ؛ إنا نسألك خير هذه البلدة وخير أهلها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها » وكان إذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال : « يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشرّ ما فيك وشرّ ما خلق فيك وشرّ ما دبّ عليك ، أعوذ بالله من شرّ كل أسد وأسود وحية وعقرب ، ومن شرّ ساكن البلد ، ومن شرّ والد وما ولد » وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا علا شرفاً من الأرض أو نشراً قال : « اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال » وذكر البيهقي وغيره عن أنس قال : لم يرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم سَفْراً قطّ إلا قال حين ينهض من جلوسه : « اللهم بك انتشرت ، وإليك توجهت ، وبك اعتصمت ، وعليك توكلت ، اللهم أنت ثقتي ورجائي ، اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني ، عزّ جارك وجلّ ثناؤك ولا إله غيرك ، اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني إلى الخير أينما توجهت » وغير ذلك من الأدعية ، وكان يقول : « إذا سمع صياح الديكة أحدم فليسأل الله من فضله فإنها رأت ملكاً » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أطفئوا الحريق بالتكبير » أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى الموصلي . وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا رأيتم الحريق فكبروا فإنّ التكبير يطفئه » أخرجه ابن السنّي ، وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم » أي لأنه رأى شيطاناً ، وقد وردّ التعليل بهذا مرفوعاً ، وروى أبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمار من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترون » .

لكن من أفضلها والأولى ذكراً به ختم هذا القولا  
 ما جاء في الصلاة والسلام على النبي سيد الأنعام  
 كررة في الليل وفي النهار فإنه من أفضل الأذكار  
 بلفظه الذي لنا قد علم صلى عليه ربنا وسلم

من أفضل الأذكار المرغَّب فيها الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،  
 قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا  
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [ الأحزاب ٥٦/٣٣ ] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص  
 أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من صلى عليَّ صلاةً صلى  
 الله عليه بها عشراً » رواه مسلم ، وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم قال : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاةً » رواه الترمذي وقال :  
 حديث حسن ، وعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا من الصلاة عليَّ في يومكم فإن  
 صلاتكم معروضة عليَّ » قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد  
 أرميت ؟ قال يقول : قد بليت ، قال : « إن الله حرم على الأرض أجساد  
 الأنبياء » رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم : « رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ » رواه  
 الترمذي وقال : حديث حسن ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله  
 وسلم : « لا تجعلوا قبري عيداً وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه  
 أبو داود بإسناد صحيح ، وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :  
 « ما من أحدٍ يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ رُوحِي حتَّى أَرِدَ عليه السلام » وعن علي  
 رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « البخيلُ من  
 ذكُرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وعن  
 فضالة بن عبيد قال : سمع رسول الله رجلاً يدعو في صلاته لم يُمجِّد الله ولم يصلِّ

على النبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « عَجَلَ هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره : « إذا صَلَّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه ثم ليصلَّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ليذع بعد بما شاء » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث صحيح .

وأما كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد رَوَى البخاري ومسلم عن أبي محمد كعب بن عُجرة قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نُسَلِّمُ عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ ، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ » وعن أبي مسعود البدرى قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ فقال له بَشِيرُ بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ فسكتَ رسول الله حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله : « قُولُوا : اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ ، والسلام كما قد علمتم » رواه مسلم ، وفي مجموع زيد بن علي : حدثني أبو القاسم علي بن محمد النخعي قال : حدثني سليمان بن إبراهيم المحاربي أبو أمي قال : عدهن في يدي نصر بن مزاحم ، قال نصر بن مزاحم : عدهن في يدي أبو خالد ، قال أبو خالد : عدهن في يدي زيد بن علي ، وقال زيد بن علي : عدهن في يدي علي بن الحسين ، قال علي بن الحسين : عدهن في يدي الحسين بن علي عليها السلام ، قال الحسين بن علي : عدهن في يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال علي بن أبي طالب : عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « عَدَّهْنِ في يدي جبريل عليه السلام ، وقال جبريل : هكذا نَزَلْتُ من عند ربِّ العزة : اللهم

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ،  
وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ  
مَجِيدٌ ، وَتَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ  
حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَتَحَنَّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَحَنَّنْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ  
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ  
إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

هذا الحديث من الأحاديث المسلسلة بالعدِّ في اليد كما قال أبو خالد : عدَّه  
في يدي بأصابع الكف مضومة واحدة بعد واحدة مع الإبهام ، وقد أخرجه الإمام  
المرشد بالله والإمام أبو طالب من طريق أبي خالد عن زيد بن علي بلفظ حديث  
المجموع ، وأخرجه البيهقي في الشعب والديلمي وابن منده وغيرهم ، وقد جمع  
الحافظ السيوطي في كتابه ( المَكَلَّةُ المشتملة على الأحاديث المسلسلة ) طرق  
الحديث فرواه من ست طرق وأسنده في شفاء القاضي عياض عن زين العابدين  
علي بن الحسين عن أبيه الحسين السبط عن أبيه علي بن أبي طالب قال : عدَّه في  
يدي رسول الله وقال : « عدَّه في يدي جبريل وقال : هكذا أنزلت من عند  
رب العزة بلفظ : اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ  
إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهم بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهم تَرَحَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا تَرَحَّمْتَ عَلَى  
إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهم وَتَحَنَّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا  
تَحَنَّنْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهم وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ  
مُحَمَّدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

انتهى التعليق على الشطر الثاني من منظومة المهدي النبوي في ٢٨ من شهر  
شعبان سنة ١٤٠٢ نَسَأَ اللهُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالصةً لوجهه الكريم وأن ينفع به

إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين  
وأصحابه الراشدين .

كتبه أسير الذنوب ورهين العيوب ، محمد بن قاسم بن الوجيه بن عبد الله ،  
وفقه الله لصالح الأعمال أمين أمين .

رَفَع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس  
www.moswarat.com

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقاريط العلماء	٢
مقدمة الكتاب للمؤلف	١٥
مقدمة المنظومة	٢١
هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الوضوء	٢٤
الأدلة على وجوب الوضوء من السنة النبوية	٢٦
الدليل على غسل الكفين قبل غسل الأعضاء	٢٦
الدليل على عدم اشتراط التلطف بالنية	٢٧
الدليل على التسمية في ابتداء الوضوء	٢٧
الدليل على الأدعية في آخر الوضوء	٢٧
الدليل على الأدعية عند أعضاء الوضوء	٢٨
ذكر الأدلة على المضضة والاستنشاق	٢٨
ذكر الدليل على فعل المضضة والاستنشاق مرة واحدة وأن الزيادة عليها سنة	٢٩
الدليل على الاستنشاق وغسل الوجه وتخليل اللحية والأصابع	٢٩
بيان دليل من قال إن التخليل واجب	٣٠
ذكر الدليل على غسل المرفق مع اليد	٣٠
الدليل على مسح الرأس جميعه	٣١
وبيان دليل من قال أنه يكتفى ببعضه	٣١
غسل الكعبين مع الرجلين	٣١
الدليل على مسح الخفين والجورب وهل هو منسوخ أم لا	٣٢
ذكر الدليل على مسح الرقبة	٣٢



- ٣٣ الدليل على شرعية الترتيب بين أعضاء الوضوء
- ٣٣ بيان حكم التثليث في الوضوء
- ٣٤ بيان التنشيف ليس من هدي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣٥ النهي عن السرف في الماء
- ٣٥ شرعية السواك
- ٣٦ نواقض الوضوء وأدلتها وما فيها من خلاف بين العلماء
- ٣٦ الدليل على أنه ينقض الوضوء ما خرج من السبيلين وزوال العقل والقيء
- ٣٦ بيان الدليل لمن يقول بعدم النقض
- ٤٠ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الغسل
- ٤١ وجوب الغسل من المني والحيض والنفاس
- ٤٢ شرعية الغسل مع الدلك والدليل على ذلك
- ٤٣ صفة الوضوء قبل الغسل ودليل سنيته
- ٤٣ ذكر الخلاف هل الوضوء كان قبل الغسل أم لا
- ٤٣ الاكتفاء بالماء القليل في الغسل
- ٤٤ تحريم قراءة القرآن وأدلة ذلك وكتابته وهو جنب قياساً
- ٤٤ تعداد ما يحرم على الجنب من لمس المصحف واللبث في المسجد وغيرها
- ٤٤ ذكر الخلاف في وجوب الغسل للإسلام
- ٤٥ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في التيمم
- ٤٥ مشروعية التيمم بالتراب العالق باليد
- ٤٦ صفة التيمم ودليل ذلك وكيفيته
- ٤٧ ذكر أن التيمم كالوضوء في جميع أحكامه
- ٤٨ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الأذان والإقامة
- ٤٨ إجماع الناس عليه والخلاف في وجوبه وأدلة ذلك
- ٤٩ الاختلاف في التربع والتربع والتثويب وأدلة ذلك
- ٥٢ الاختلاف في الإقامة هل فرداً أو مثني

- ٥٣ شرعية ( حي على خير العمل ) . وأقوال العلماء . وأدلة ذلك
- ٥٥ شرعية قول المستمع للأذان مثلما يقول المؤذن وأدلة ذلك . والدعاء بعد ذلك
- ٥٧ حديث « من أذن فهو يقيم »
- ٥٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة
- ٥٧ كيفية الصلاة مفصلة فرضاً ونفلاً
- ٥٨ دليل الاستفتاح بالتكبير في الصلاة
- ٥٨ دليل عدم التلفظ بالنية وذكر الخلاف في محل التوجه
- ٥٩ شرعية رفع اليدين وصفته والضم وصفته وأدلة ذلك
- ٦١ أنواع التوجه . وهل يقرأ البسلة والخلاف في ذلك
- ٦٢ الجهر بالبسلة وقول العلماء في ذلك
- ٦٤ فرض قراءة الفاتحة في كل ركعة والخلاف في ذلك
- ٦٥ أدلة قول ( آمين ) عقب الفاتحة وهل تقرأ سرّاً أو جهرّاً
- ٦٦ سنة السكت وأين ؟
- ٦٦ مشروعية قراءة القرآن بعد الفاتحة
- ٦٧ استحباب قراءة السورة من أولها وأدلة ذلك
- ٦٧ مشروعية سجود التلاوة في الصلاة وغيرها
- ٦٨ صفة حالة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرضاً ونفلاً في التخفيف والإطالة في الصلوات الخمس
- ٦٩ ذكر ما يقرأ في الصلاة من القرآن
- ٧٠ هديه صلى الله عليه وآله وسلم الترتيل في القراءة
- ٧١ عدم ملازمة سور معينة في غير الجمعة والعيدين
- ٧٢ صفة قراءته صلى الله عليه وآله وسلم في غير الأولين
- ٧٢ مشروعية الجهر في الصلاة الجهرية
- ٧٣ مشروعية رفع اليدين في الركوع
- ٧٣ مشروعية التكبير للنقل

٧٤	تسوية الظهر حال الركوع
٧٥	مكان وضع اليدين أثناء الركوع
٧٥	مشروعية التسبيح حال الركوع
٧٦	الاعتدال بعد الركوع
٧٦	الخلاف في كيفية السجود والأدلة على ذلك
٧٨	مشروعية التسبيح والدعاء في السجود وهيئة الاعتدال به
٧٩	هيئة الجلوس بين السجدين
٧٩	هيئة السجود في الأخرى
٨٠	أدلة السكوت بعد تكبيرة الإحرام في الركعة الثانية
٨٠	صناعة التشهد الأوسط والدليل على ذلك والتخفيف فيه
٨١	كيفية العقود حال التشهد ورفع السبابة عند التشهد وأدلة ذلك
٨٣	فرضية التشهد الأخير
٨٣	الصلاة على النبي وآله
٨٤	مشروعية الدعاء في آخره
٨٤	وجوب السلام على اليمين واليسار
٨٥	مراعاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحال من خلفه في الصلاة والدليل على ذلك
٨٥	ذكر الالتفات والتنحنح والغمز باليد وحمله أمامة وخنق الشيطان
٨٨	مواطن الدعاء السبعة
٨٨	أدلة القنوت
٨٩	اختلاف العلماء في القنوت وفي محله بعد الركوع أم قبله ، وهل في الفجر والوتر أم فيهما
٩١	إقبال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه للمصلين بعد قضاء الصلاة
٩١	الذكر في دبر كل صلاة بآية الكرسي وغيرها
٩٣	لبث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس

الدليل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم صلى في ثوب وفي ثوبين وحافياً وفي ٩٣  
النعلين

٩٣ قطع الصلاة بمرور كلب أو حمار . واتخاذ السرة حال الصلاة

٩٥ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في سجود السهو وحصر مواضعها

٩٦ سجوده للسهو عقيب السلام في إحدى صلاة العشي

٩٦ سجوده للسهو بعد التسليم في صلاة العصر

٩٧ في سهوه عن ركعة وفي زيادة ركعة في الظهر

٩٨ ماورد في الشك في الصلاة . الأدلة وذكر متى يسجد قبل السلام أو بعده

١٠٠ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في السنن الرواتب وصلاة الليل وغير ذلك من

### التطوع

١٠٠ السنن الرواتب : عشر . وأدلتها

١٠٠ ذكر الاضطجاع بعد صلاة سنة الفجر

١٠١ ماورد في قيام الليل من الأدلة وأوقات الوتر

١٠٣ حصر عدد ركعات الوتر على اختلاف أقوال العلماء

١٠٤ أدلة تخفيف القراءة في صلاة الليل والجهر والإسرار فيها

١٠٥ أدلة صلاة الضحى واختلاف العلماء في حكمها

١٠٦ مشروعية صلاة التطوع في أي وقت شاء وفي السفر راجباً

١٠٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الجماعة واختلاف العلماء في حكمها

١٠٨ المشي بالوقار إلى المساجد وذكر من أدرك ركعة فكأنما أدرك الصلاة

١٠٩ حكم الصلاة خلف كل مسلم . واختلاف العلماء في عدالة الإمام في الجماعة

١١١ أدلة وقوف المؤتم مع الإمام ومحل وقوفه

١١١ التنبيه في تسوية الصفوف الأول وما بعده

١١٢ اختلاف العلماء في تحمل الإمام القراءة عن المؤمنين

١١٥ مشروعية إعادة من صلى منفرداً فصلها جماعة وكرهية التطوع إذا أقيمت صلاة

الجماعة

الموضوع	الصفحة
هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجمعة	١١٥
ما يستحب فيها من الغسل يوم الجمعة وحكمه	١١٦
وجوب المحافظة على الجمعة . وقدر ركعاتها	١١٦
بيان ما كان يخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة ووجوب الاستماع للخطيب	١٢٠
تحريم الكلام حال الخطبتين	١٢٠
استحباب قصر الخطبة	١٢٢
ذكر هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجمعة من حين دخوله المسجد إلى انتهاء الخطبة	١٢٢
سنة القيام في خطبتي الجمعة والاتكاء على سيف أو عصا أو قوس	١٢٣
وقت أداء الجمعة	١٢٤
وقت ساعة الإجابة يوم الجمعة	١٢٥
هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة العيدين	١٢٦
صفة صلاة العيدين	١٢٨
الخطبة بعد الصلاة	١٢٩
السنة في تناول الأكل قبل صلاة الفطر	١٣٠
رخصة الجمعة لمن سمع خطبة العيد	١٣١
مشروعية التكبير أيام التشريق وأيام الفطر . وسنة لبس أحسن الثياب والترين	١٣٢
هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الكسوف	١٣٣
صفة خروجه صلى الله عليه وآله وسلم وقت الكسوف وقدر الصلاة	١٣٣
كيفية صلاة الكسوف وأقوال العلماء في مقدار الركوع	١٣٤
مشروعية تكرار صلاة الكسوف إذا تكرر الكسوف	١٣٥
مشروعية الخطبة عقب صلاة الكسوف والإطالة فيها وبيان الأعمال من دعاء وصلاة وذكر وصدقة وتسبيح وتكبير حتى ينكشف الكسوف	١٣٦

- ١٣٧ بيان الاختلاف في مشروعية الصلاة لسائر الأفزاع
- ١٣٧ مشروعية الذكر لسائر الأفزاع
- ١٣٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الاستسقاء وصفة صلاة الاستسقاء والخطبة بعدها
- ١٣٨ استدبار الناس وتحويل الرءاء وصلاة ركعتين بعد ذلك
- ١٣٩ إجابة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في طلب الغيث ومشروعية طلب الصحو إذ كثر المطر
- ١٣٩ حسر الثوب لما يصيب البدن من المطر
- ١٤٠ إجابة الدعاء حال نزول المطر وفتح أبواب السماء
- ١٤٠ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في السفر والجمع بين الصلاتين
- ١٤٠ مشروعية قصر الصلاة الرباعية في السفر والاستمرار في القصر حتى الرجوع
- ١٤١ بيان الخلاف في تحديد السفر الذي تقصر فيه الصلاة ومسافته
- ١٤٢ بيان الاختلاف في حكم القصر أهو رخصة أم عزيمة وهل الاتمام أفضل من القصر أو العكس
- ١٤٢ أداء صلاة الوتر وسنة الفجر في السفر عدا السنن حال القصر
- ١٤٣ بيان حكم جمع الصلاتين تقديمًا وتأخيرًا
- ١٤٤ الخلاف في الجمع وحكم الجمع بالنسبة للنازل والحال والمرحل
- ١٤٥ ذكر المستحب للمسافر والأذكار فيه
- ١٤٥ صلاة النفل راكبًا للمسافر
- ١٤٥ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صلاة الخوف
- ١٤٥ بيان الصفات التي تؤدي بها صلاة الخوف
- ١٤٦ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في عيادة المرضى
- ١٤٦ عودة المريض وسؤاله عن أحواله والقعود عنده والدعاء له بالشفاء ورقيه
- ١٤٧ بيان المرض الذي يسن العيادة له
- ١٤٧ مشروعية عيادة غير المسلم

- استحباب أمر المريض بالتخلص مما عليه من الديون والأوزار . وحشه على ١٤٧  
الوصية . وتلقيته الشهادة
- ١٤٨ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجبائز
- ١٤٨ مشروعية تسجية الميت وتغميضه
- ١٤٩ البيان عن الخشوع عند الموت والبكاء بغير صوت ودمع العين وحمد الله تعالى  
والاسترجاع والرضا بالمصاب
- ١٥٠ النهي عن النعي والصراخ والنياحة واللطم والحلق وشق الجيوب وأن فيها  
غضب الرب سبحانه
- ١٥١ بيان السنة في التعجيل في تجهيز الميت
- ١٥١ شرعية غسل الميت فيما عدا الشهيد
- ١٥١ كيفية غسل الميت . ومرات الغسل . وتطيب الميت ما عدا الميت المحرم
- ١٥٢ تحريم غسل الشهيد وبيان الخلاف في الصلاة على الشهيد
- ١٥٣ بيان السنة في عدم نزع ثياب الشهيد
- ١٥٣ وجوب تكفين الميت وكيفيته
- ١٥٤ الصلاة على الميت
- ١٥٤ مكان الصلاة على الميت
- ١٥٥ صفة صلاة الجنازة وتكبيراتها
- ١٥٧ بيان حكم صلاة الجنازة على الغائب وذكر الخلاف في ذلك
- ١٥٨ بيان سنن تشييع الجنازة والدفن
- ١٦٠ كراهة الدفن في الأوقات الثلاثة
- ١٦٠ سنية اللحد والتعميق والتوسيع وقول بسم الله وحشو التراب والقيام على القبر  
بعد الدفن وسؤال التثبيت عند السؤال
- ١٦١ عدم شرعية الدرس فوق القبر والتلقين والخلاف في ذلك
- ١٦٢ بيان سنة العزاء . وعدم ثبوت الاجتماع لذلك وقراءة القرآن
- ١٦٢ شرعية صنع الطعام لأهل الميت . وعدم ترتب الإطعام عليهم

- ١٦٣ النهي عن تعلية بناء القبور والقباب والمشاهد واتخاذها مساجد والصلاة إليها ووطئها والالتكاء عليها وإيقاد السرج فوق القبور
- ١٦٤ هديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في زيارة القبور
- ١٦٤ بيان كيفية الزيارة والتسليم على الأموات والدعاء لهم
- ١٦٥ الإنكار على تعفير الجبين والشكاة ورفع الصوت والذبح عند القبور
- ١٦٥ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الزكاة
- ١٦٦ بيان وجوب الزكاة وبيان الخلاف فيما تجب فيه وأجناسه
- ١٦٦ ذكر الخلاف في الأنواع التي تجب فيها الزكاة مما أنبتت الأرض
- ١٦٨ بيان مقادير الأنصبة . وشروطها . ومضي الحال فيها
- ١٦٨ ذكر الخلاف في الزكاة في العسل
- ١٦٩ بيان مصارف الزكاة
- ١٧٠ بيان هديه صلى الله عليه وآله وسلم في بعث الساعة لجمع الزكاة وإعطائها لذوي الاستحقاق . وبيان مكان دفعها . واختيار أواسط الأموال عنها
- ١٧١ شرعية الدعاء لمن يأتي بزكاة أمواله
- ١٧١ خرص الأغراب والنخيل حين تطيب الثمار
- ١٧٢ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في زكاة الفطر
- ١٧٢ بيان الأصناف في زكاة الفطر
- ١٧٢ بيان وقت أداء زكاة الفطر . وحكم إخراجها بعد الوقت
- ١٧٢ ذكر مصارف زكاة الفطر
- ١٧٣ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صدقة التطوع
- ١٧٣ الحث على صدقة التطوع وبيان شرعيتها
- ١٧٤ ذكر أصناف العطاء والمكافأة والمهدية
- ١٧٥ بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكرم والجود وطيب النفس والشجاعة والحلم والصفح
- ١٧٦ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الصيام



- ١٧٦ بيان حكمه . وفوائده . والترغيب فيه
- ١٧٧ بيان المكلف بالصوم . وذكر حكم الصوم للشيخ العاجز والمرضة والحامل والمسافر والمريض
- ١٧٩ ما يشرع للصائم أن يأتيه في الصوم من إكثار الطاعات والاعتكاف والإحسان ودراسة القرآن وجميع الأعمال الصالحة
- ١٨٠ بيان دخول الصوم وبدء رمضان ورؤية الهلال
- ١٨١ ذكر أحكام رؤية هلال رمضان والشهادة فيها
- ١٨٢ مشروعية السحور . وتأخير . والتعجيل في الفطر
- ١٨٢ سنة الفطر على نحو ( تمر ) والدعاء والذكر عند الإفطار
- ١٨٣ بيان الخلاف في تبييت نية الصوم
- ١٨٣ ذكر حكم النهي عن صوم الوصال
- ١٨٤ هديه صلى الله عليه وآله وسلم فيما يفطر الصائم
- ١٨٤ ذكر المفطرات من أكل وشرب وجماع وبيان الخلاف في الحجامة والقيء
- ١٨٥ بيان حكم الأكل والشرب ناسياً والخلاف في ذلك
- ١٨٥ ذكر الخلاف في صحة صوم من أصبح جنباً
- ١٨٦ الترهيب عن ملابسة الصائم لمذاق الخصال وقبائح الأفعال والأقوال
- ١٨٧ جواز الإفطار للمسافر . وبيان الخلاف في أن الفطر للمسافر رخصة أم عزيمة
- ١٨٨ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في صوم التطوع
- ١٨٩ النهي عن صيام الدهر واختلاف العلماء فيه
- ١٩٠ بيان وتفضيل صيام داود ( صوم يوم وفطر يوم )
- ١٩١ تخصيص بعض الأيام بكثرة الصوم والمواظبة على صومها
- ١٩١ صوم عاشوراء
- ١٩٢ صوم أيام البيض وستة أيام من شوال . ويوم عرفة
- ١٩٣ تحريم صوم يومي العيد وأيام التشريق
- ١٩٤ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الاعتكاف

- ١٩٥ شرعية الاعتكاف في المساجد . ونيته وفضله ووقته .
- ١٩٦ بيان الخلاف في شرط الصوم لصحة الاعتكاف
- ١٩٦ بيان الحث على تحري ليلة القدر والتاسع في العشر الأواخر من رمضان
- ١٩٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الحج والعمرة مشروعية وفرضية الحج ووجوبه إذا تكاملت شروطه
- ١٩٧ بيان عدد المرات التي حج فيها عليه وآله الصلاة والسلام واعتبر .
- ١٩٩ الخلاف في لزوم الخروج من مكة إلى الحل لقصد إنشاء العمرة
- ٢٠٠ بيان الخلاف في وقوع حجه صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة . وبعد الهجرة حج من المدينة
- ٢٠٠ صفة حجه صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة
- ٢٠٠ بيان الخلاف في أفضلية الحج قارناً أو متمتعاً أو مفرداً
- ٢٠١ بيان صفة سفره وإحرامه وتلبيته
- ٢٠٢ ما كان عليه نسك الصحابة وفسخ الحج وذكر الخلاف في حكم فسخ الحج إلى العمرة
- ٢٠٣ بيان محرمات الإحرام من الرفث والفسوق والطيب والنكاح ولبس الخيط وستر رأس الرجل والوجه للمرأة والصيد وحلق الشعر
- ٢٠٥ بقية ما كانت عليه صفة حجه صلى الله عليه وآله وسلم وبيان حكم الحيض والنفاس في الحج للنساء
- ٢٠٦ دخوله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وطوافه بالبيت . وصفة الطواف
- ٢٠٨ صلاة ركعتين بعد الطواف
- ٢٠٩ بيان كيفية سعيه صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢١١ ذكر سنية المبيت بمنى قبل يوم عرفة
- ٢١١ وقوفه عليه وآله الصلاة والسلام في عرفة وخطبة الوداع وما تضمنته من شرائع مأثورة
- ٢١٢ صلاة الظهر والعصر قصراً وجمعاً في عرفة

- الوقوف عند الصخرات والاستقبال والدعاء والحمد والثناء . وبيان أن عرفات ٢١٢  
كلها موقف
- ٢١٣ ذكر الخلاف في أول وقت الوقوف في عرفة وانتهائه
- ٢١٤ السير إلى مزدلفة وصلاة العشائين جمعاً وقصراً فيها
- ٢١٤ البيت في مزدلفة وصلاة الفجر فيها والوقوف عند المشعر الحرام
- ٢١٤ السير إلى منى ورمي جرة العقبة . وكيفية الرمي
- ٢١٦ المجيء إلى منى والخطبة فيها وتقريب الهدي والحلق أو التقصير والتحلل
- ٢١٧ الإفاضة إلى مكة والطواف بالبيت وشرب ماء زمزم
- ٢١٩ المبيت في منى وبيان الرمي في أيام التشريق
- ٢٢٠ الإفاضة بعد انتهاء الرمي والنزول بالأبطح ثم طواف الوداع
- ٢٢٢ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الأضحية
- ٢٢٢ بيان حكم الأضحية
- ٢٢٢ بيان حكم النحر باليد . أو التوكيل فيه
- ٢٢٢ ذكر ما يضحى به . وما يجزئه
- ٢٢٤ بيان الشروط في الأضاحي . ووقت الأضحية والتصدق منها والأكل والإدخار  
من لحمها
- ٢٢٦ نهاية الجزء الأول من التعليق على المنظومة
- ٢٢٧ بداية الجزء الثاني من التعليق على المنظومة
- ٢٢٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الجهاد والغزوات
- ٢٢٧ بيان حكم الجهاد . وأقسامه . وأدلته
- ٢٢٨ البيان عن جهاد النفس وجهاد الشيطان
- ٢٣٠ بيان مراتب جهاد النفس
- ٢٣١ بيان مراتب جهاد الشيطان
- ٢٣١ بيان مراتب جهاد الكفار والشياطين

- ٢٣٢ ذكر جهاده صلى الله عليه وآله وسلم من أول بعثته واستمراره على الجهاد سراً وجهرأ
- ٢٣٣ تعرضه صلى الله عليه وآله وسلم لأذى المشركين وتعذيب أصحابه من النساء والرجال وإرادة فتنهم عن دينهم
- ٢٣٤ بيان إذن الله تعالى للمسلمين بالهجرة . وذكر من هاجر بالهجرة الأولى للحبشة . ورجوعهم لخبر إسلام قريش ودخولهم مكة المكرمة بالجوار
- ٢٣٥ بيان الهجرة الثانية إلى الحبشة وإسلام سيدنا حمزة والفاروق عمر بن الخطاب . وذكر قصتي إسلامها
- ٢٤٠ رجوع المشركين إلى خداعه صلى الله عليه وآله وسلم وعرضهم المال والشرف والملك عليه . وسؤالهم له بقصد إعناته
- ٢٤٣ بيان ظهور وفشو الإسلام في مكة
- ٢٤٣ قطيعة قريش وكتابة الصحيفة وانخيازه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشعب مع من معه
- ٢٤٣ نقض الصحيفة
- ٢٤٦ مرض أبي طالب وموته . ووفاة السيدة خديجة عليها السلام واشتداد البلاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٤٩ بيان ذكر حماية أبي طالب له صلى الله عليه وآله وسلم وإسلام أبي طالب .
- ٢٥٠ ازدياد طغيان قريش وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف وعرضه للإسلام على أهلها
- ٢٥٠ مجيء ملك الجبال وإبلاغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلام ربه وعرض إطباق جبال مكة على المشركين
- ٢٥٠ رجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إسلام ذراري وأولاد المشركين وسؤال ربه أن يبعد العذاب عنهم
- ٢٥٠ إيمان الجن برسائته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٥٠ نزوله صلى الله عليه وآله وسلم بجوار مطعم بن عدي في مكة المكرمة

- ٢٥٤ ذكر قصة الإسراء والمعراج بالروح والجسد
- ٢٥٤ فرضية الصلاة على الأمة . وظهور معجزات في وقوع الإسراء والمعراج
- ٢٥٦ استمراره صلى الله عليه وآله وسلم في عرض نصرته على القبائل في الحج والمواسم والأسواق
- ٢٥٧ بدء نصرته صلى الله عليه وآله وسلم واجتماعه بوفد الأوس والخزرج وعرضه الإسلام عليهم
- ٢٥٩ قدوم وموافاة موسم الحج اثني عشر رجلاً من الأنصار في المدينة ومبايعته على النصرة
- ٢٥٩ بعث مصعب بن عمير إلى المدينة لتعليمهم الأحكام وإقراءهم القرآن
- ٢٦٠ مجيء جمع في موسم الحج من الأنصار . وبيعة العقبة بحضور عمه العباس
- ٢٦٤ أمره صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالهجرة إلى المدينة
- ٢٦٥ تخوف الكفار من خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحاولتهم منعه من الهجرة
- ٢٦٥ المؤامرة على قتله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته
- ٢٦٦ فداء سيدنا علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقائه في فراشه . ونجاته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٦٦ خروجه صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق مهاجراً للمدينة المنورة
- ٢٦٦ طلب المشركين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه وقصة غار ثور
- ٢٧١ مسير وهجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة
- ٢٧١ قصة سراقه بن مالك ومعجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٣ معجزة الشاة العجفاء
- ٢٧٥ ترقب الأنصار لقدمه صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة
- ٢٧٥ وصوله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وبناء مسجده الشريف

- ٢٧٩ مؤاخاته صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار ومؤاخاته مع علي عليه السلام
- ٢٨١ فصل : فيما كان عليه اليهود في المدينة
- ٢٨٢ الإذن في قتال المشركين
- ٢٨٣ بيان مغازيه عليه وآله الصلاة والسلام
- ٢٨٣ صفة غزواته غزوة بعد غزوة
- ٢٨٣ أول لواء عقده صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٨٤ سرية عبيدة بن الحارث
- ٢٨٤ أول سهم رمي في الإسلام
- ٢٨٥ سرية سعد بن أبي وقاص
- ٢٨٥ غزوة الأبواء
- ٢٨٦ غزوة بواط
- ٢٨٦ غزوة سفوان
- ٢٨٦ غزوة العشير
- ٢٨٨ سرية عبد الله بن جحش
- ٢٩٠ مقتل ابن الحضرمي
- ٢٩٠ غزوة بدر الكبرى
- ٢٩١ مدد الله تعالى بالملائكة وقتلهم مع المسلمين
- ٢٩٦ غزوة بني سليم
- ٢٩٦ غزوة السويق
- ٢٩٧ غزوة غطفان
- ٢٩٨ غزوة الفُرْع
- ٢٩٨ غزوة بني قينقاع
- ٣٠٠ سرية زيد بن حارثة
- ٣٠٠ مقتل كعب بن الأشرف

الموضوع	الصفحة
غزوة أحد	٣٠٣
غزوة حمراء الأسد	٣١٣
سرية بني أسد	٣١٤
سرية عبد الله بن أنيس ومقتل خالد الهذلي	٣١٥
سرية مرثد بن أبي مرثد والقراء	٣١٦
غزوة بئر معونة	٣١٧
غزوة بني النضير	٣١٩
غزوة ذات الرقاع	٣٢٢
غزوة بدر الثانية	٣٢٢
غزوة دومة الجندل	٣٢٣
غزوة بني المصطلق	٣٢٤
غزوة الخندق	٣٢٨
ظهور معجزات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم	٣٢٩
غزوة بني قريظة	٣٣٠
مقتل بن أبي الحقيق	٣٣٣
غزوة بني لحيان	٣٣٤
غزوة الغابة ( ذي قرد )	٣٣٥
عمرة وصلح الحديبية	٣٣٥
غزوة خيبر	٣٤٠
سرية أبي بكر الصديق إلى نجد	٣٤٣
سرية عمر بن الخطاب إلى هوازن	٣٤٣
سرية عبد الله بن رواحة	٣٤٣
سرية بشير بن سعد إلى فدك	٣٤٤
سرية أسامة بن زيد إلى جهينة	٣٤٤
بعثه صلى الله عليه وآله وسلم غالب الكلبي	٣٤٥

٣٤٦	بعثه صلى الله عليه وآله وسلم أبا حذرد الأسلمي
٣٤٧	بعثه صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن حذافة
٣٤٨	عمرة القضاء
٣٤٩	غزوة مؤتة
٣٥١	غزوة ذات السلاسل
٣٥١	سرية الحبط
٣٥٢	سرية إضم
٣٥٢	غزوة فتح مكة المكرمة
٣٦٠	غزوة حنين
٣٦٣	غزوة الطائف
٣٦٦	بعثه صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني تميم
٣٦٧	سرية قطبة بن عامر
٣٦٧	سرية الضحاك بن سفيان
٣٦٧	بعثه صلى الله عليه وآله وسلم علقمة بن محرك
٣٦٨	بعثه صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب
٣٧٠	غزوة تبوك - آخر غزواته صلى الله عليه وآله وسلم
٣٧٢	قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
٣٧٢	بعثه صلى الله عليه وآله وسلم علياً إلى اليمن
٣٧٤	بيان عدد بعثته وسراياه وغزواته صلى الله عليه وآله وسلم
٣٧٤	حجة الوداع
٣٧٤	وفاته صلى الله عليه وآله وسلم
٣٧٤	هديه صلى الله عليه وآله وسلم في عدة الجهاد
٣٧٤	بيان سيوفه ودروعه صلى الله عليه وآله وسلم
٣٧٥	بيان بقية عدد الحرب عنده صلى الله عليه وآله وسلم
٣٧٦	بيان تسمية سلاحه صلى الله عليه وآله وسلم



- بيان خيله وأسائها صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٦
- بيان راياته وألويته صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٧
- هديه صلى الله عليه وآله وسلم في القتال ٣٧٨
- مشاورته صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وتوريته عن الجهة التي يريدونها ٣٧٨
- إغارته صلى الله عليه وآله وسلم على من لا يرفع الأذان ٣٧٨
- دعوته صلى الله عليه وآله وسلم لأعدائه إلى الإسلام قبل مقاتلتهم ٣٧٨
- نهيته صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل الذراري والنساء والمثلة ٣٧٨
- استعراضه صلى الله عليه وآله وسلم للمقاتلة وقتله من أنبت فقط ٣٧٩
- بيان حكم قتل الجاسوس من الكفار أو المسلمين . والخلاف في ذلك ٣٧٩
- بيان تحريم قتل رسول الأعداء إلى المسلمين ٣٧٩
- بيان الوقت المستحب فيه القتال ٣٨٠
- مبايعته صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه على الحرب وعدم الفرار ٣٨٠
- استطلاعهم صلى الله عليه وآله وسلم لعدوهم سراً ٣٨٠
- مشروعية تحسس أخبار الأعداء ٣٨٠
- إردافه خلفه صلى الله عليه وآله وسلم ٣٨٠
- بيان كيفية لقاء العدو . ووصف المعركة . وما كان يفعله عليه السلام عند ملاقات الأعداء ٣٨٠
- هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الغنائم ٣٨٢
- إخراجه عليه السلام الخمس ، وتقسيمة الغنائم ، وبيان ما يقسم . والرضخ والنفل ٣٨٢
- وإعطائه المؤلفات قلوبهم واستصفائه ٣٨٢
- نهيته صلى الله عليه وآله وسلم عن الغلول والنهبة ٣٨٤
- بيان حكم سلب القتل وذكر الخلاف في تخميسه ٣٨٤
- ذكر الخلاف في قسمة الأرضين ٣٨٤
- بيان حكم مكة المكرمة وأحكام الحرم ٣٨٤
- تحديد جهة مصارف الخمس ٣٨٤

- ٣٨٤ تحريم إقامة المسلم بين المشركين لغير عذر
- ٣٨٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الأسارى
- ٣٨٧ بيان حكم الأسارى والخلاف في وطء السبية
- ٣٨٧ مشروعية النهي عن التفريق بين ذوي الأرحام من الرقيق
- ٣٨٨ من أسلم على شيء فهو له ، وما أتلفه الكفار لم يضمنوه
- ٣٨٨ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلح والأمان
- ٣٨٨ ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم
- ٣٨٩ بيان أحكام الصلح والمواذعة
- ٣٨٩ المعاملة على الخراج ، وفرض الجزية
- ٣٨٩ بيان ما يدعى إليه الكفار عند لقائهم
- ٣٩١ وجوب الوفاء بالعهد
- ٣٩١ بيان حكم من نقض العهد من القتل والسبي والإجلاء والعمل في المال مع البقاء
- ٣٩٣ هديه صلى الله عليه وآله وسلم عند قضاء الحاجة
- ٣٩٣ ذكر آداب قضاء الحاجة وأحكام الاستنجاء والاستحجار .
- ٣٩٣ النهي عن البول قائماً واستقبال القبلة أو استدبارها
- ٣٩٣ كراهية الكلام والسلام أثناء قضاء الحاجة
- ٣٩٣ اتقاء الملاعن كالسوق والمورد والظل والطريق وغيرها
- ٣٩٥ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في النوم
- ٣٩٥ قيام الليل ، وأذكار ما قبل النوم ، وكيفية نومه
- ٣٩٥ التسييح والذكر عند الاستيقاظ
- ٣٩٧ هديه صلى الله عليه وآله وسلم مع نسائه
- ٣٩٧ معاملته لنسائه ﷺ هن ومساواته في القسمة ، وسفرهن معه ، ومسابقتهن
- وملاعبتهن . وتطليقه وإيلاؤه
- ٣٩٨ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في اللباس

- لبسه صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يجده ولون اللباس . ونوعه . وصفته . ٣٩٨
- ولبسه الإزار والرداء والحلل والسرويل والقباء والجبة والعمامة
- ٤٠٠ نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن الكبر والخيلاء وإسبال الثوب
- ٤٠٠ بيان حكم لبس الطيلسان
- ٤٠٠ كراهية إطالته أكمام القميص
- ٤٠٠ الدعاء عند لبس الثوب الجديد
- ٤٠٠ لبسه صلى الله عليه وآله وسلم الخف والنعل
- ٤٠٠ حرمة لبس الحرير على الرجال
- ٤٠٠ النهي عن خاتم الذهب
- ٤٠١ سنة التختم بالفضة
- ٤٠١ سنة اغخاذ الخاتم والنقش عليه باسمه
- ٤٠٢ وجوب ستر المرأة جسمها
- ٤٠٢ الخلاف في التفريق في ستر الحرة والأمة
- ٤٠٢ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الطعام
- ٤٠٢ أكله صلى الله عليه وآله وسلم لما يجده من الطعام
- ٤٠٢ أنواع الأطعمة والمأكول التي كان يحبها صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤٠٣ كيفية تناوله الأكل . ولعقه أصابعه الشريفة . وكيفية قعوده أثناء الطعام
- ٤٠٤ آداب الطعام والتسمية أوله والحمد والدعاء بعده
- ٤٠٤ غسل اليدين بعد الطعام
- ٤٠٤ ضيافته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤٠٤ تلبية الدعوات
- ٤٠٤ كراهية أكل مامنه الريح
- ٤٠٥ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الشرب
- ٤٠٥ النهي عن شرب الماء قائماً
- ٤٠٥ بيان آداب الشرب

- ٤٠٥ الحث على منادلة من يجلس جانب الشارب
- ٤٠٥ استحباب المص . وكراهة العب
- ٤٠٥ تغطية الإناء والتخمير وربط وإيكاء الإناء
- ٤٠٦ اجتناب الشرب من ثلثة القدح والنفخ في الإناء
- ٤٠٦ النهي عن الشرب والأكل في أواني الذهب والفضة
- ٤٠٦ هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الفطرة وتوابعها
- ٤٠٦ تعداد الأمور التي هي من الفطرة
- ٤٠٧ سنة تقليم الأظافر وقص الشارب
- ٤٠٧ وإعفاء اللحي وسدل الشعر ودهنه
- ٤٠٧ استعمال الطيب والاكتحال
- ٤٠٧ ذكر الخلاف في خضاب الشعر
- ٤٠٨ بيان مشيه صلى الله عليه وآله وسلم وركوبه
- ٤٠٩ النهي عن إنزاء الحمر على الخيل ومطي الفحول
- ٤١٠ بيان كيفية كلامه صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤١١ بيان ضحكته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٤١١ بيان بكائه صلى الله عليه وآله وسلم وسببه
- ٤١٢ اتخاذه صلى الله عليه وآله وسلم الغنم
- ٤١٢ اتخاذه صلى الله عليه وآله وسلم الرقيق
- ٤١٢ معاملاته صلى الله عليه وآله وسلم في البيع والشراء والإيجار والرهن والاستدانة
- والاستعارة والاستلاف والشفعة والوقف والحلف
- ٤١٢ فرحه صلى الله عليه وآله وسلم وتوريته وصدقه
- ٤١٢ مسابقته صلى الله عليه وآله وسلم ومصارعته لغيره
- ٤١٢ قيامه صلى الله عليه وآله وسلم على خدمة نفسه وبيته وأهله
- ٤١٢ مشيه صلى الله عليه وآله وسلم في حاجة الضعفاء
- ٤١٢ حسن معاملته لطالب الدين وصبره على الغريم عند إغلاظه القول

- خاتمة : في الصبر والذكر والشكر ٤١٥
- أنواع الصبر وبيان ما على المصاب أن يفعل . وفوائد الصابرين ٤١٥
- التحذير من الهوى والنفس والشيطان ٤١٧
- هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الشكر ٤١٨
- هديه صلى الله عليه وآله وسلم في الذكر ٤١٨
- بيان أفضل الذكر ٤١٨
- بيان أوقات الذكر ٤١٩
- بيان كيفية صلاة الاستخارة ٤٢٣
- بيان كيفية صلاة التوبة ٤٢٣
- بيان كيفية صلاة الحاجة ٤٢٣
- إفشاء السلام بين المسلمين ٤٢٦
- ما يقال عند دخول قرية أو بلدة ٤٢٨
- ما يقال عند سماع صياح الديكة ٤٢٨
- ما يقال عند رؤية الحريق ٤٢٨
- ما يقال عند سماع نباح الكلب ٤٢٨
- ما يقال عند سماع نهيق الحمار ٤٢٨
- بيان أن أفضل الأذكار الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر الدليل ٤٣٠
- على ذلك . وكيفية ذلك
- نهاية التعليق على المنظومة ٤٣٢

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

